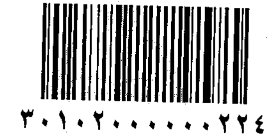
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة
قسم الدراسات العليا الشرعية

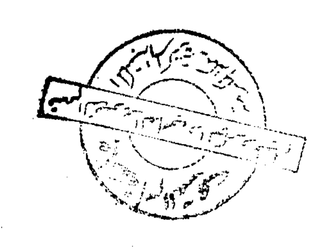


٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٢٢٤

١٠٠٢٢٢٧

الخوارج

تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها



رسالة يقدمها الطالب
غالب بن علي عواجي
لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية



بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
عثمان عبد المنعم يوسف
أستاذ العقيدة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

٢٢٤

١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

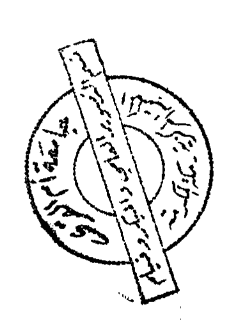
أحمد الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به من عون وتوفيق لانهاء هذا البحث فله الحمد والشكر كما يحب ويرضى .

ثم أتقدم بخالص الشكر والتقدير لفضيلة أستاذى الكريم المشرف على هذه الرسالة الاستاذ الدكتور عثمان عبدالمنعم يوسف الذى خصص لى كثيرا من جهده وأوقاته لتذليل تلك الصعوبات الجمة التى واجهتنى فى هذا البحث بصدر رحب واخلاص فى التوجيه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى جميع أساتذتى الفضلاء . ثم أشكر الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة التى أتاحت لى فرصة مواصلة هذه الدراسة .

كما أشكر جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة وجميع مسؤوليها على ما يقدمون من تيسير وعون مشكور لطلابهم . وأشكر كل من أعاننى بالمراجع من اخوانى وزملائى .

وأخيرا اسأل الله تعالى أن يجزى الجميع خير الجزاء وأكرمه .



"بسم الله الرحمن الرحيم"

====

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :ـ

فموضوع هذا البحث هو الخوارج : تاريخا لهم، وبيانا لآرائهم الاعتقادية، وابراز موقف الاسلام منها .

ولا ترجع أهمية هذا الموضوع الى مجرد كونه دراسة لفرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية كان لها أثرها فى تاريخ الفكر الاسلامى، بل ترجع أهميته كذلك الى كونه دراسة لفرقة كانت تمثل حركة ثورية فى تاريخ الاسلام السياسى شغلت الدولة الاسلامية فترة طويلة من الزمن .

أضف الى ذلك أنهم بسطوا نفوذهم السياسى على بقاع واسعة من الدولة الاسلامية فى المشرق والمغرب وليس فقط لفترات قصيرة على أيدى القائمين بتلك الحركات الثورية منهم بل كانت للاباضية دولة بسطت نفوذها بالمشرق على عمان وحضرموت وزنجبار وما جاورها من المناطق الافريقية واستمرت حتى العصر الحديث .

وكانت لهم دولتهم التى شملت المغرب العربى ما يزيد على قرن من الزمان، فاذا أضفنا الى ذلك أن الخوارج لا يزال لهم وجودهم فى عمان وزنجبار وشرق أفريقيا وبعض مناطق المغرب العربى ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة فى المذهب الاباضى المنتشر فى تلك المناطق فاننا نتبين أهمية دراستهم باعتبارها دراسة لجانب هام من جوانب الفكر الاسلامى والحياة الاسلامية قديما وحديثا ولا يخفى علينا كذلك أن بعض أفكار الخوارج ولا سيما الازارقة ـ المتعلقة بتكفير العصاة ـ لا يخفى ـ أن هذه يعتنقها

بعض الناس فى العصر الحاضر فيتساهلون فى تكفير الناس لأدنى سبب ، الامـــر الذى يحتاج الى عـرض هذه القضية وبيان رأى الاسلام فيهـــا .

لهذه الجوانب المتعددة وغيرها فى أهمية دراسة الخوارج اخترتهم موضوعا لهـذا البحث الى أننى رأيتهم — من دون الفرق الاسلامية — لم يحضوا بالدراسة الكافية من الكتاب المحدثين اللهم الا اذا استثنينا الاباضية منهم حيث توفر علـــــى يحيى معمر على كتابة كتابين عنهم وهما "الاباضية بين الفرق الاسلامية" و "الاباضية فى موكب التاريخ" .

وفيما يتعلق بالخوارج بصفة عامة فاننا لا نجد الا ذلك القسم من كتاب صغير كتبه فلهوزن عن الخوارج والشيعة ، وما كتبه الطالبى تحت عنوان "أراء الخوارج" وان كان قد جعل ما يقارب ثلث كتابه هذا ترجمة لاحد علماء الاباضية وتلخيصـا لواحد من كتبه ، والكتيب الذى كتبه الدكتور مصطفى حلمى تحت عنوان "الخوارج" وكذلك الاستاذ رفعت فوزى فى كتابه الخلافة والخوارج فى المغرب العربى ، وكتاب الدكتور محمود اسماعيل "الخوارج فى المغرب الاسلامى" . هذا بالاضافة الى الفصول الصغيرة التى كتبها أحمد أمين فى فجر الاسلام والشيخ أبو زهرة فى تاريخ المذاهب الاسلامية" والدكتور على الغرابى فى " تاريخ الفرق الاسلاميـة" وما كتبه جولدزيهر عنهم فى كتابه "العقيدة والشريعة فى الاسلام" .

ومع ما لهذه الكتابات وأصحابها من قيمة لا تنكر ، ومع ما أفدنا منها فى بحثنا هذا فلم نجد منها ما يستوعب عرض تاريخ الخوارج وحركاتهم الثورية وفرقهم الكثيرة وآرائهم المتشعبة فى جميع المسائل الاعتقادية التى كان لهم فيها رأى .

هذا الى كونها قد خلت أو كادت تخلو من ابراز موقف الاسلام واضحا من تلك الآراء ، وهو جانب مهم فى دراسة الفرق الاعتقادية بحيث لا تقتصر الدراسة على مجـرد العرض بل تتضمن كذلك التمحيص والنقد ومن هنا فقد اخترت دراسة الخوارج موضوعا

لهذا البحث تقديرا لأهمية تلك الدراسة وسدا للنقص الموجود فيها سواء كان هذا النقص واضحا في قصور المؤلفين عن استيعاب جوانب الموضوع في مؤلفاتهم أو كان النقص في المنهج حيث لم تعرض آراء الخوارج على الاسلام عرضا دقيقا في تلك المؤلفات ، غير أنني أبادر فأقرر أن قلة التأليف في الخوارج وعدم استيعاب ما كتب عنهم انما يرجع الى صعوبة الكتابة عنهم ومرجع هذه الصعوبة الى أنهم لم تكن لهم مؤلفات موفورة كبقية الفرق الأخرى يمكن للباحثين أن يستقوا منها آراءهم ، واذا استثنينا ما كتبه الاباضية ـ على قلته ـ فاننا لا نجد مرجعا لمعرفة آراء بقية الخوارج الا ما حاكاه عنهم المؤرخون وعلماء الفرق ، وفي هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية . :

" وأقول الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم ، لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والاشعرية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء " (١)

حقا لقد ذكر ابن النديم في الفهرست أسماء بعض كتبهم حيث ذكر منها اثنين وعشرين كتابا ، وليس لهذه الكتب وجود أما لكونها "مستورة محفوظة" كما يقول (٢) ، فلا سبيل للاطلاع عليها ، وأما لكونها ضاعت ، وكذلك البرادي فقد ذكر أسماء ما يقرب من سبعين كتابا عن الاباضية كلها مفقودة ، ويقول العلامة الاباضي سليمان بن عبد الله الباروني متأسفا على ضياع كتب الاباضية :ـ

" وأنا لنتأسف كثيرا جدا لفقد مثل هذه التآليف ، فلو وجدت مع ما جمع من المناظرات الواقعة مع المعتزلة للعلامة مهدي وغيره لكانت حجة بالغة والامر لله (٣) "

ويقصد بمهدي هذا ، مهدي النفوسي الذي ناظر المعتزلة في زمن الامام الاباضي عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أشار اليها الباروني في الازهار الرياضية دون تفصيل مكتفيا بذكر انتصار مهدي عليهم في ذلك المجلس.

---

١) مجموعة الرسائل الكبرى جـ١ ص٣٦
٢) انظر فهرست ابن النديم ص٢٥٨/٢٥٩
٣) كرر المؤلف شكواه في كتابه الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية في أكثر من موضع انظر الصفحات (١٦٥) (٢٤٣) (٢٥٣) (٢٩٣) .

ثم يقول عن ضياع كتبهم على يد الجحانى الشيعى الذى استولى على عاصمة الاباضية (تاهرت) وأنهى دولة الاباضية سنة ٢٩٦هـ .

"ثم ان الحجانى دخل تيهرت ونهبها واستباحها ، وقصد المكتبة المعروفة بالمعصومة وأخذ ما فيها من كتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية وأحرق الباقى كله ومن هناك فقدت أغلب مؤلفات المذهب اذ كانت المكتبة عظيمة جامعة ." (١)

ويقول الدكتور/ مصطفى حلمى فيما يعزوه الى الخطيب على بن الحسين الهاشمى "ومن العسير الوقوف على معتقدات الخوارج من واقع كتبهم نفسها لحرصهم الشديد عليها وهى نادرة ان وجدت ، فالغالب أن مكتبات المسلمين عارية عن مؤلفاتهم ." (٢)

ويقول الدكتور محمود اسماعيل "والواقع أن عديدا من المصاعب تعترض سبيل من يتصدى للتاريخ لهذا الموضوع ففى بعض الاحيان تندر المادة التاريخية ... فعلى الرغم من كثرة ما دون عن تواريخ الخوارج لم يصل الينا منها الا القليل النادر ." (٣)

ويرجع قلة تأليف الخوارج وضياع ما ألفوه الى طبيعة حياتهم الثورية حيث كانت الثورات والمعارك تأخذ منهم جهودهم وأوقاتهم ، فيصعب عليهم وضع المؤلفات فى تاريخهم وتسجيل آرائهم .

ومما لا شك فيه أن قلة مؤلفات الخوارج وضياعها وندرة ما بقى منها أو عدم اظهاره ـ مما لا شك فيه ـ أن كل ذلك يضع الصعوبات أمام المؤرخ لهم ويجعله عالة على كتب التاريخ وعلماء الفرق والموسوعات الادبية القديمة .

وقد حاولت التغلب على هذه الصعوبة باذلا فى ذلك غاية جهدى فرحلت الى مصر وعمان والكويت واتصلت ببعض المشتغلين بدراسة الخوارج وكذلك بالمكتبات العامة .

١) المصدر السابق ٢) الخوارج ص ١٨
٣) الخوارج فى المغرب الاسلامى ص ٦ وانظر ص ١٥

ومع أننى لم أستطع الحصول على تلك القائمة الطويلة التى كنت أحملها معى من مؤلفات الخوارج الا أننى على كل حال قد حصلت على بعض المخطوطات والمطبوعات القيمة فى هذا الموضوع .

وفيما يتعلق بمنهجى فى دراسة الخوارج فقد آثرت الاعتماد على أوثق المصادر وأهمها ، وفى مقدمتها ما وقع لى من كتبهم قديما وحديثا — على قلته — ولا سيما ما تحت يدى من كتب الاباضية مخطوطة ومطبوعة ثم كتب الفرق والتاريخ والادب التى عنيت بتفصيل تاريخهم وعرض آرائهم .

ولم أقتصر فى عرض الآراء والاحكام على مجرد الاحالة الى أماكنها من تلك الكتب ولكننى ذكرتها كما وردت فى نصوص العلماء ، والمؤرخين حتى لا يكون ما أذكره عن الخوارج مجرد حكاية عنهم وحتى يشاركنى القارئ فى الفهم والاستنباط والحكم بعد أن أكون قد سهلت عليه الاطلاع على مراجع البحث بذكر النصوص الواردة فى الموضوع .

ومهما كثرت تلك النصوص فهى مقصودة لتلك الغاية المنهجية .

ولم أقتصر فى بحثى على مجرد التاريخ والعرض ولكننى كما قلت من قبل — نهجت منهج التمحيص والنقد لما أذكره من آراء فكان لى على كل فصل تعقيب مبينا موقف الاسلام فى ما تضمنه من آراء .

وقد سرت فى خطة بحثى على النحو التالى :—

قسمت الرسالة الى مقدمة وبابين وخاتمة

أما المقدمة التى بين أيدينا فقد جعلتها لذكر الموضوع وبيان أهميته وسبب اختياره وصعوبة دراسته ومنهج تلك الدراسة وخطة الرسالة .

<u>وأما الباب الأول</u> : فموضوعه تاريخ الخوارج وقد تضمن ثمانية فصول .

الفصل الأول : عن التعريف بالخروج والخوارج لغة واصطلاحا .

الفصل الثانى : فى أسماء الخوارج وألقابهم وذلك بذكرها وتعليل اطلاقها عليهم وبيان

مدى قبول الخوارج لهذا الاطلاق .

الفصل الثالث : عن نشأة الخوارج وذلك بالتأريخ لبدء نشأتهم منذ خروجهم على الامام على فى وقعة صفين بسبب التحكيم وبيان موقفهم من تلك القضية ، ثم كيفية انفصالهم عن جيش الامام على وتكوينهم لمجتمعهم الخاص الى أن وقعت بينهم موقعة النهروان .

الفصل الرابع : فى بيان أسباب خروج الخوارج ، وذلك بعرضها وبيان مدى أثر كل منها فى خروجهم كالنزاع حول قضية التحكيم وجور الحكام وظهور المنكرات والعصبية القبلية وكذلك العوامل الاقتصادية والحماس الدينى الذى تميزوا به .

الفصل الخامس : عن حركات الخوارج الثورية : وذلك بذكر هذه الحركات وزعمائها وموقف الدولة منها ابتداءا من الحركات الثائرة فى خلافة الامام على ثم على الدولة الاموية ثم على الدولة العباسية .

الفصل السادس : عن دولة الخوارج فى المشرق والمغرب : وذلك بعرض نشأة دولة الاباضية والتطورات التى طرأت عليها وموقف الخلافة الاسلامية منها سواء ، فى عمان وما جاورها فى المشرق أو فى جميع مناطق المغرب العربى .

الفصل السابع : عن فرق الخوارج وذلك بالتعريف لهذه الفرق وزعمائها ونشأتها وذكر بعض الآراء الفرعية الخاصة بها وما انشعب اليه بعضها من فرق صغرى .

الفصل الثامن : وهو آخر بالباب فى بيان خصائص الخوارج الدينية والعقلية كشجاعتهم وسرعة اندفاعهم ومبالغتهم فى العبادة والزهد ، وفصاحتهم وقوة تأثيرهم وصدقهم فى الحديث وكذا ميلهم الى الجدل وقوتهم فيه .

أما الباب الثاني ، وموضوعه آراء الخوارج الاعتقادية وموقف الاسلام منهـا

فقد تضمن هذا الباب تسعة فصول :-

الفصل الاول : وهو فصل تمهيدى عن منهج الخوارج وعنوانه الخوارج بين العقل والشرع وبين ظاهر النص والتأويل .

الفصل الثاني : وفيه بيان لرأى الخوارج فى بعض مسائل الالهيات والسمعيات كصفات الله تعالى ورؤيته ، والقول بخلق القرآن والقدر وكذلك الميزان والصراط ووجود الجنة والنار قبل يوم القيامة وعذاب القبر

الفصل الثالث : عن الايمان وعلاقة العمل به

الفصل الرابع : عن حكم مرتكبى المعاصى عندهم

الفصل الخامس : عن الامامة العظمى ومنزلة الامام وشروطه وكيفية الخروج عليه ومدى صحة امامه المفضول والمرأة .

الفصل السادس : عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الفصل السابع : عن رأى الخوارج فى التقية وحكمهم فى القعدة .

الفصل الثامن : فى بيان موقف الخوارج من مخالفيهم سواء كانوا من الخلفاء أو الصحابة أو المسلمين بصفة عامة رجالهم وأطفالهم وكذلك الذميين

الفصل التاسع والاخير : فقد كان فى بيان أراء العلماء فى الحكم على الخـوارج سواء من كفروهم أو من اكتفوا بتفسيقهم وتبديعهم .

وما انتهيت اليه فى هذه الدراسة هو غاية ما بذلت من جهد فان أصبت فيما كتبت فهو فضل من الله سبحانه وتعالى أحمده عليه .

وما أخطأت فيه فهو طبيعة النقص الانساني وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد انه نعم المولى ونعم النصير .

((البـــاب الأول))

تاريـــخ الخـــوارج

الفصــل الاول

التعـريف بالخـروج والخـوارج

ـ الخروج والخوارج في اللغة :

الخوارج جمع خارج ، وخارجي اسم مشتق من الخروج .

وقبل أن نتناول بالتعريف مدلول هذا الاسم في تاريخ الفرق الاسلاميـة فاننا سنحاول أن نتعرف على أصله الاشتقاقي كما هو عند علماء اللغة ، وذلـك لما بين المعنيين الاصطلاحي واللغوي من ترابط فنقول :

يأتي لفظ الخروج في اللغة لعدة معان منها أنه يأتي بمعنى يوم القيامـة قال أبوعبيدة في قول الله عز وجل " ذلك يوم الخروج " (ق ٤٢) " الخروج اسـم من أسماء يوم القيامة " . ويأتي بمعنى البعث يوم القيامة كقوله تعالى " خشعـا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر " (القمر ١٢) . وفي هـذا يقول العجاج :

أليس يوم سمي الخروجـا   أعظم يوم رجـة رجوجـا

ويأتي بمعنى الاصحاء . فيقال خرجت السماء خروجا اذا أصحت بعـد اغامتها كما قال هميان يصف الابل وورودها :

فصبحت جابية صها رجا   تحسبها لون السماء خارجا يريد مصحيا

ويطلق الخروج على ظهور النجابة والتوجه لا برام الامور واحكامهـا قال الليث : الخروج : خروج الاديب والسابق ونحو ذلك يخرج فيخرج وخرجـت خوارج فلان اذا ظهرت نجابته وتوجه لابرام الامور وأحكامها .

ويطلق الخروج ويراد به نقيض الدخول (١) ويأتي الخروج بمعنى يـوم العيد فيقال " هذا يوم الخروج " أي يوم العيد . قال ذو الرمة :

وعيطا كأسراب الخروج تشوفت   معاصرها والعاتقات الاوانس (٢)

---

(١) تهذيب اللغة جـ ٧ ص ٤٩/٥٠/لسان العرب المحيط جـ ١ ص ٨٠٨ القاموس المحيط جـ ١ ص ١٩٢ .

(٢) أساس البلاغة جـ ١ ص ٢٢١/٢٢٢ .

ويأتى الخروج بمعنى ضد القعود عن الحرب كما فى قول أبى موسى الأشعرى حين استشاره الناس فى الخروج مع على " القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا " (١) .

وقد ورد الخروج فى القرآن الكريم بمعنى الجهاد فقال تعالى : " ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة " .. الخ الاية الكريمة . (التوبة ٤٦) وكذلك قوله تعالى " فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا " (التوبة ٨٣) .

ويقابل الخارجين للجهاد ماذكر الله من المخلفين فى قوله تعالى " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله .. " (التوبة ٨١) والخالفين فى قوله تعالى : " انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين " (التوبة ٨٣) والخوالف فى قوله تعالى " رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " (التوبة ٨٧) .

وورد بمعنى الهجرة كما فى قوله تعالى " ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " (النساء : ١٠٠) .

هذه هى معانى الخروج فى اللغة . أما الخوارج فى اللغة فقد جاءت بمعنى البروزات فى البناء كما عرفها الفيومى بقوله : " هى الطاقات والمحاريب فى الجدار من باطنه والدواخل الصور والكتابة فى الحائط بجص أو غيره ويقال الدواخل والخوارج ماخرج من أشكال البناء مخالفا لاشكال ناحيته وذلك تحسين وتزيين " (٢) .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٤٨١
(٢) المصباح المنير ج ١ ص ١٧٩ .

والخوارج كما قلنا جمع خارج وخارجى وقد أطلقت كلمة الخوارج هذه فى كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والاهواء لخروجها على الدين او على الامام على رضى الله عنه . فيقول الازهرى فى تهذيب اللغة : " والخوارج : قوم من أهل الاهواء لهم مقالة على حدة " . وهو تعريف ابن منظور والفيروزاباد ى أيضا (١) . ويقول الزبيدى عنهم " وهم الحرورية والخارجية طائفة منهم وهم سبع طوائف سموا به لخروجهم على الناس أوعن الدين أوعن الحق أوعن على كرم الله وجهه بعد صفين " (٢) .

والخارجى : هو من يخرج ويشرف بنفسه دون أن يكون له أصل فى ذلك قال كثير عزة :

أبا مروان لست بخارجى ... وليس قديم مجدك بانتحال

وقال الليث : " الخارجية من الخيل التى ليس لها عرق فى الجودة فتخرج سوابق " (٣) وهى مع ذلك جياد يقول طفيل :

وعارضتها رهوا على متتابع ... شديد القصيرى خارجى مجنب

وقال الزبيدى بعد أن استشهد بهذا البيت :

" وقيل الخارجى كل مافاق جنسه ونظائره قاله ابن جنى فى سر الصناعة " ثم قال وبهذا يتم حسن قول ابن الهنية :

خذوا حذركم من خارجى غداره ... فقد جاء زحفا فى كتيبة الخضراء (٤)

---

(١) تهذيب اللغة ج ٧ ص ٥٠ ـ لسان العرب ج ١ ص ٨٠٨ القاموس المحيط ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) تاج العروس ج ٢ ص ٣٠

(٣) تهذيب اللغة ج ٧ ص ٥٠

(٤) تاج العروس ج ٢ ص ٣١ ـ معجم متن اللغة ص ٢٤٨ .
وانظر لسان العرب ص ٨٠٨ ج ١ / فاكهة البستان ص ٣٨٧ / المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٢٣ / القاموس المحيط ج ١ ص ١٩١

والخارجي عند صاحب المنجد الابجدى " من خالف السلطان والجماعة " أو من " اعتقد بمذهب الخوارج " (١) .

أما الخارجي مشتقا من الخروج فقد ورد فى الحديث بمعنى المجاهد فى سبيل الله كما قال عليه الصلاة والسلام " أيكم خلف الخارج فى أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج " (٢) .

وهكذا يتضح لنا أن الخروج يأتى بمعنى ظهور النجابة والبعث يوم القيامة والاصعاء والنبوغ ويوم العيد وأن الخوارج تأتى بمعنى البروزات فى البناء .

والخارجي هو مكتسب الشرف بنفسه .

وعلاقة هذه المعانى اللغوية بالمعنى الاصطلاحى للخروج والخوارج ـ كما سيأتى ـ مافيها من معانى الظهور والبروز ومجاوزة الحد ، ولكن التعلق القريب والواضح انما هو لتفسير الخروج فى اللغة بالخروج للحرب والجهاد فى سبيل الله والتفوق على الاقران وتفسير الخارج بالمحارب أو المجاهد فى سبيل الله .

---

(١) المنجد الابجدى ص ٣٩٤
(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٤٢ ، أبوداود ج ٢ ص ١٢

٢ — الخروج والخوارج في اصطلاح علماء الفرق :

عرف الشهرستاني في الملل والنحل الخوارج تعريفا سياسيا عاما اعتبر فيه الخروج على الامام المتفق على امامته الشرعية خروجا في أي زمن كان حيث يقول :

" كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الائمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين باحسان والائمة في كل زمان " (١) .

أما الأشعري فقد ذكر الخوارج كاسم على طائفة معينة وهم الخارجون على الامام علي وذكر أن هذا الخروج هو سبب تسميتهم بهذا الاسم فقال :
" والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي ابن أبي طالب " (٢) .

وهذا ماقاله صاحب كتاب الاديان والفرق الاباضي في قوله عن الخوارج :
" هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لما حكم " (٣) .

وقد زاد ابن حزم على ذلك بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الامام علي وشاركهم في آرائهم فقال : ومن وافق الخوارج من انكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر ، والقول بالخروج على أئمة الجور وان اصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الامامة جائزة في غير قريش فهو خارجي " (٤) .

أما أبي اسحاق اطفيش فانه يرى في تعريف الخوارج خلاف ماراه سلفه صاحب كتاب الاديان المتقدم . فقد عرف الخوارج على نحو مايعتقده الاباضية

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٤
(٢) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٠٧
(٣) قطعة من كتاب في الاديان ص ٩٦
(٤) الفصل جـ ٢ ص ١١٣

المتأخرون من أن المحكمة فمن بعدهم لاعلاقة بينهم وبين الخوارج فقال معرفا لهم : " الخوارج : طوائف من الناس فى زمن التابعين وتابع التابعين رؤسهم نافع بن الازرق ونجدة بن عامر ومحمد بن الصفار ومن شايعهم " (١) .

وهذا التعريف للخوارج هو الذى سار عليه على يحي معمر الاباضى فيما كتبه عن هذه الفرقة (٢) .

يؤخذ مما تقدم وجهات نظر ثلاثة فى التعريف بالخوارج فى اصطلاح علماء الفرق :

- من يرى أنهم الخارجون على الامام الحق فى أى زمان .
- من يرى أنهم الخارجون على الامام على ومن يرون رأيهم .
- ومن يرى أنهم الخارجون بعد الامام على ابتداء من الازارقه .

واذا كان تعريف الخوارج هنا يتناول آراء علماء الفرق فى تحديد بدء نشأتهم فاننا سنتناول ذلك بالبحث التفصيلى فيما بعد . وأيا كان تعريف الخوارج بواحد من هذه التعريفات فمن الواضح ارتباط هذه المعانى الاصطلاحية ارتباطا قريبا بالمعنى اللغوى للخروج وهو الخروج للحرب والجهاد فى سبيل الله واكتساب الشرف كما سبق .

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٣

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٣٧٧

الفصل الثانــــى

أسمـــاء الخـــوارج وألقابهـــم

للخوارج أسماء كثيرة أطلقها عليهم علماء الفرق والمؤرخون • والخـــوارج يرضون ببعضها وينكرون البعض الاخر • ومن هذه الاسماء مايأتى :

(١) الخـــوارج :

وهو أشهر أسمائهم وأكثرها استعمالا قد ورد على ألسنة كتاب المقـــالات والتاريخ وتكاد بقية أسمائهم الاخرى بالنسبة الى هذا الاسم تختفى وهو الاســـم الذى يشمل جميع فرقهم • وهو اسم يحتمل أن يكون مدحا لهم أو ذما •

فاذا كانت التسمية — كما يريد الخوارج — مأخوذة من قوله تعالــــى : " ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره علـــى اللـه " • فهى تسمية مدح وتكون هذه التسمية منهم • وقد سموا أنفسهـــم بذلك اعتبارا لهذا المعنى كما ستأتى أقوالهم فى هذا قريبا •

وأما اذا أخذت التسمية بمعنى الخروج على الائمة او على الناس او عن الديـــن او عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فهى ولاشك تسمية ذم لهم ويكون مخالفوهـــم هم الذين سموهم بهذا الاسم باعتبار هذه المعانى وهو ماسار عليه كثير ممن كتـــب عن هذه الفرقة من علماء الفرق وغيرهم (١) •

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٠٧ • فتح البارى جـ ١٢ ص ٢٨٣ تاج العروس جـ ٢ ص ٣ • المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٢٤ • البحرين فى صدر الاسلام ص ١٢٧ — القاموس الاسلامى ص ٢٢٤ جـ ٢ — المنجـد ص ١٦٩ — محيط المحيط ص ٥١٩ • الرائد ص ٦٤٧ •

وبالرجوع الى بعض مؤلفاتهم وأقوالهم واقوال شعرائهم فاننا نجدهم يطلقونها على أنفسهم على سبيل المدح والفخر . فمثلا صاحب كتاب الاديان وهو اباضي يسمى هذه الفرقة بالخوارج ثم ياخذ في مدحهم والثناء عليهم وانهم هم المسلمون اهل الاستقامة وانهم " أول من أنكر المنكر على من عمل به واول من أبصر الفتنة وعابها على أهلها لايخافون في الله لومة لائم قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى .... الى أن يقول "وتتابعت الخوارج وافترقت الى ستة عشر فرقة بفرقة اهل الاستقامة " ويعني بهم الاباضية . وقد ذكر هذا الكلام تحت قوله مبوبا باسم الخوارج " الباب الخامس والاربعون في ذكر فرق الخوارج وهم الذين خرجوا على علي ابن أبي طالب لما حكم " (١) . ثم أخذ يذكرهم بهذا الاسم في أكثر من موضع من هذا الكتاب على سبيل المدح .

ويصفهم أحد علماء الاباضية المشهورين وهو نورالدين السالمي ذاكرا تلك التسمية لهم ومعللا لها بقوله " لما كثر بذل نفوسهم في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سموا خوارج وهو جمع خارجه وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله " (٢) .

ويقول محمد بن عبدالله السالمي الاباضي " وكان اسم الخوارج في الزمان الاول مدحا لانه جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى قال عز وجل "ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة . ثم صار ذما لكثرة تاويل احاديث الذم فيمن اتصف بذكر آخر الزمان . ثم زاد استقباحه حين استبد به الازارقة والصفرية فهو من الاسماء التي اختفى سببها وقبحت لغيرها فمن ثم نرى الاباضية لايتسمون بذلك وانما يتسمون بأهل الاستقامة " (٣) .

---

(١) كتاب الاديان ص ٩٦
(٢) نقله عنه علي يحيى معمر في كتابة الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٨٤
(٣) عمان تاريخ يتكلم ص ١١٨

والخوارج لا يأنفون من اطلاق كلمة الخوارج عليهم . قال شاعرهم عيسى بن فاتك :

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا (١)

وقال الاصم الضبي قيس بن عبد الله يرثي الخوارج الذين قتلوا عند الجوسق

اني أدين بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الخزب
النافرين على منهاج اولهم من الخوارج قبل الشك والريب (٢)

وقال أحد الخوارج عندما رأى تشتتهم واختلاف أمرهم :

كفى حزنا ان الخوارج اصبحوا قد شتت نياتهم فتصدعوا (٣)

وقد أجمع مؤرخوا الفرق على تسميتهم بهذا الاسم (الخوارج) (٤)

واذا ذكرهم أحد المؤلفين باسم من أسمائهم الاخرى فانه يفسره بالخوارج او يذكرهم بهذا الاسم ، ومرة اخرى باسم الخوارج .

وعلماء الفرق متفقون على تسمية فرق الخوارج كلها بهذا الاسم دون استثناء لفرقة منهم . لكن متاخري الاباضية منهم قد أنكروا ان يكونوا من الخوارج او ان يكون لهم علاقة ما بالخوارج فيدعي المؤلف الاباضي علي يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية ان ظهور اسم الخوارج كان سنة ٦٤ هـ في اواخر ولاية ابن زياد بقيادة نافع بن الازرق ، وأما ماقبلها من حركة المحكمة فمن بعدهم الى ظهور الازارقة فيسميها فتنا قام بها طوائف وافراد من الناس ، ويرى أيضا أن تسمية أهل النهروان بالخوارج تسمية غير واقعية وانها من تكلفات كثير من المؤرخين

---

(١) شعراء الخوارج ص ٥٤
(٢) شعراء الخوارج ص ١٢٥
(٣) شعراء الخوارج ص ١٣٤
(٤) انظر الهداية والنهاية ص ١٧٠ جـ ٧

تكلفا يصل حد السخف كما يقول في تعبيره . ولكنه يعود فيذكر انه لا يستطيع تحديد متى استعملت كلمة الخوارج ولا أول من استعملها وعلى من أطلقها في مصدر موثوق به . وقد حاول أن يشكك في كل ماقيل في تلك الفترة عن الخوارج فقال " واحسب ان جميع ماقيل عن الخوارج في تلك الظروف عرضة للنقد وأن الشك فيه اقوى من اليقين " (١) .

ثم أراد ان يجعل لتلك الكلمة اساسا يتطور الامر بعده الى ان تصبح علما على قوم باعيانهم تبعا لحقيقة الخوارج عنده فيذكر ان الامر انفجر بعد موت معاوية وخلافة ابنه يزيد فاخذت جماعات من الناس تخرج فكلما خرجت خارجة جهز الوالي الى تلك المنطقة جيشا وقال له انطلق الى خوارج كذا .. وبعد هذا الاستعمال العسكري السياسي استغلت الكلمة بتاثير الولاة حتى اصبحت علما على الخارجين على الدين والدولة " (٢) .

ولقد نفى المؤلف بذلك تسمية المحكمة فمن بعدهم الى زمن نافع ابن الازرق خوارج واعتبر ان الخوارج حقيقة هم الازارقة فمن بعدهم وان تلك اللفظة لم تحمل معناها الديني الا بعد قضية التحكيم . وقد سبق منه القول بانها لم تعرف بمعناها الديني الا بعد ذلك الاستعمال العسكري السياسي أيام نافع بن الازرق .

وقد اخذ علي يحيى معمر رايه في تحديد اطلاق تلك اللفظة عن سلفه قطب الائمة أبي اسحاق اطفيش فهو يقول " ان تسمية الخوارج لم تكن معهودة في اول الامر وانما هي انتشرت بعد استشراء امر الازارقة .. ولم تعرف هذه التسمية في اصحاب على المنكرين للتحكيم والراضين به ولعل اول ماظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الامر لمعاوية " (٣)

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٣٧٧ وص ٣٨٣

(٢) راجع الاباضية بين الفرق ص ٣٨٧

(٣) نقله عنه علي يحيى في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٨٤

والواقع أن القول بأن كلمة الخوارج لم تكن معروفة ايام على بن أبى طالب رضى الله عنه وانها لم تعرف الا منذ خروج نافع ابن الازرق — الواقع ان هذا الراى — غير مسلم فقد استعمل اسم الخوارج من قبل وجود الازارقة وذلك منذ خروج الخوارج على على فقد جاء على لسان أحد أنصار على رضى الله عنه وهو جندب الازدى أنه قال " لما عدلنا الى الخوارج ونحن مع على بن ابى طالب كرم الله وجهه فانتهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن " (١) .

ويذكر ابن ابى الحديد أن عليا سماهم خوارج ايضا وذلك حين يقول : " لاتقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأدركه " (٢) . ويذكر بن الاثير ان عليا قال لربيعة بن ابى شداد الخثعمى " أما والله لكأنى بك قد نفرت مع هؤلاء الخوارج فقتلت وكأنى بك قد وطأتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهروان مع خوارج البصرة " (٣) .

بل ان كلمة الخوارج وردت فى الحديث الشريف قبل الخروج على على فقد اخرج ابن ابى حاتم والنحاس وابن مردويه عن ابى غالب انه سئل عن هذه الاية " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا " فقال حدثنى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم الخوارج " (٤) .

وقد وردت روايات عديدة فى فتح البارى معزوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشير الى ان الرسول " ص " قد أخبر عن الخوارج بهذا الاسم فعند البزار من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : ذكر رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تلبيس ابليس ص ٩٣
(٢) شرح نهج البلاغة جـ ٥ ص ٧٨
(٣) الكامل جـ ٣ ص ٣٣٨
(٤) راجع الدر المنثور جـ٣ ص ٣ — ١٣

وسلم الخوارج فقال : هم شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى . وسنده حسن . ثم اورد ابن حجر فى فتح البارى عدة روايات من هذا القبيل (١) .

ويروى ابن الجوزى الحديث الاتى بعد ان جاء بسند ينتهى الى عبد الله بن اوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب اهل النار " (٢)

وما أوردناه من الاقوال والاحاديث الدالة على ظهور كلمة الخوارج وانطباقها على جميع الخارجين على الامام على وعلى من جاء بعدهم وكانوا على رأيهم ـ ماذكرناه من هذا كله ـ يدل على شمول اسم الخوارج لجميع الفرق بما فيهم الاباضية ، ولا أدرى معنى لهذا الحرص من الاباضية على عدم دخولهم فى دائرة الخوارج فاذا كانت الاباضية ـ كما هو معروف ـ تتولى المحكمة وتعتبرها سلفا صالحا لهم وينفون عنهم اسم الخارجية فلماذا حين تذكر بعض كتبهم لفظة المحكمة تفسرها بين قوسين (بالخوارج) كما فعل السالمى

والاغرب من هذا انه يسمى الخوارج فى العصر العباسى بالمحكمة كما نرى فى نص كلامه حين يقول موازنا بين قوة الخوارج فى الدولتين الاموية والعباسية يقول " ولم تكن قوة المحكمة او الخوارج فى العصر العباسى كما كانت فى العهد الاموى " .

ثم يمضى المؤلف ذاكرا شواهد من مناوءة المحكمة او الخوارج للعباسيين . ويمثل للخوارج بائمة الاباضية المعتبرين عندهم مما يدل على انه لافرق بين الخوارج والاباضية فى التسمية . (٣)

---

(١) فتح البارى ج ١٢ ص ٢٨٦
(٢) تلبيس ابليس ص ٩٦
(٣) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١١٧ و ١٢٠ .

ومما يثبت شمول اسم الخوارج لجميع فرقهم بما فيهم الاباضية وأن التسمية بالخوارج قديمة أيضا قول صاحب كتاب الاديان والفرق " ولما حكم على بن ابى طالب الحكمين افترق اصحابه فرقتين فرقة خرجت عنه فسموا الخوارج وفرقة شايعته فسموا الشيعة" (١) .. الخ . وفى وفاء الضمانة باداء الامانة اشارة الى أن الصفرية (وهم خوارج لا يختلف فيهم أحد) كانوا وهم الاباضية يدا واحدة فى النهروان حسب قول المؤلف " وكان الصفرية مع أهل الحق منا فى النهروان " (٢) . وهذا لاشك انه يناقض ماذكره العلامة اطفيش وعلى يحيى معمر من أن اسم الخوارج لا يشمل الاباضية .

ومن هنا يتبين لنا ان التسمية باسم الخوارج قديمة وجدت قبل ظهور الازارقة ـ كما رأيت ـ سواء كان ذلك فى التنبأ بظهورهم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم او فى ترديد هذا الاسم على لسان على رضى الله عنه او على ألسنة غيره من الناس .

٢ ـ الحرورية :

نسبة الى الموضع الذى خرج فيه اسلافهم حينما انشقوا وخرجوا عن جيش الامام على فاتجهوا الى هذا الموضع فنسبت هذه الطائفة اليه وهو موضع قريب من الكوفة يسمى حرورا .

---

(١) قطعة من كتاب فى الاديان ص ٢٧

(٢) وفاء الضمانة جـ ٣ ص ٢٢

يقول الاشعرى مبينا سبب تسميتهم بالحرورية " والذى سموا له حرورية نزولهم بحروراء فى أول أمرهم (١) " وهكذا عند البغدادى .

وقد أثبت شعراؤهم هذا الاسم فيما قالوه من أشعارهم التى يتمدحون بها كقول احد شعرائهم يقارن بين جحف الثريد (أى اكله) والجحف بالسيف (اى ضرب الحرورية به) :

ولا يستوى الجحفان جحف ثريدة　　　وجحف حرورى بأبيض صارم (٢)

وقول الاخر لامرأته حين أرادت أن تنفر معه :

ان الحرورية الحرى اذا ركبوا　　　لا يستطيع لهم امثالك الطلبا (٣)

وقال ابن عباس " ليس الحرورية باشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم يضلون " (٤) .

٣ — الشراة :

وهو من الاسماء الاخرى التى تطلق عليهم منتسبين به الى الشرى الذى ذكره الله فى قوله تعالى : " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " (التوبة : ١١١) . وهم دائما يتمدحون بأنهم " شراه " ويفتخرون بهذا الاسم ويسمون من عداهم من جيش الخلافة " ذوى الجعائل " يعيرونهم بأنهم يقاتلون من أجل الجعل الذى بذل لهم لا من أجل الله وثوابه كما قال شاعرهم عيسى بن فاتك يصف حملة الخوارج على جيش الخلافة ذوى الجعائل بزعمه :

فلما استجمعوا حملوا عليهم　　　فظل ذوى الجعائل يقتلونا (٥)

---

(١) مقالات الاشعرى ج ١ ص ٢٠٧　　　الفرق بين الفرق ص ٧٥
(٢) شعراء الخوارج ص ٢٣٢
(٣) المصدر السابق ص ٢٣١
(٤) التنبيه والرد للملطى ص ١٧٤
(٥) شعراء الخوارج ص ٥٤

أما هم فليسوا كذلك بل هم ـ عند أنفسهم ـ شراة باعوا أنفسهم للـه
يقول معاذ بن جوين بن حصين الطائى السنبسى :

ألا ايها الشارون قد حان لامرىء شرى نفسه لله أن يترحـلا (١)

ويقول كعب بن عميرة فى ابى بلال يرثيه :

شرى ابن حدير نفسه الله فاحتوى جنانا من الفردوس جما نعيمها (٢)

يقول الاشعرى فى سبب تسميتهم بالشراة :

" والذى لهسموا شراة : قولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله اى بعناها بالجنة (٣) "

٤ ـ المارقـة

ومن أسمائهم الاخرى المارقة وهذا الاسم اطلقه عليهم خصومهم اشارة الـى أنهم هم المقصودون باحاديث المروق مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث المـروق المشهور المروى فى الصحيحين بطرق مختلفة عن على وابى سعيد الخدرى وابن عمـر وسهل بن حنيف وفيه عن على رضى الله عنه قوله " وانى سمعت رسول الله "ص" يقول سيخرج قوم فى آخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البريـة لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينمـا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة" (٤) وهى تسميـة قديمة فقد اطلقها عليهم مخالفوهم منذ خروجهم عن جيش الامام على .

---

(١) شعراء الخوارج ص ٤٥
(٢) المصدر السابق ص ٤٣
(٣) مقالات الاشعرى ج ١ ص ٢٠٧
(٤) صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٢ ـ صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٩

ويروى أبو الحسين الملطى اجماع الامة اجماعا لا يختلف فيه ناقل ولا راو أن النبى صلى الله عليه وسلم سماهم مارقة ، وفسر المارقة بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (١) وربما كان مستنده فى حكاية هذا الاجماع وصف النبى صلى الله عليه وسلم للخارجين بالمروق وانطباق اوصافهم على هؤلاء الخوارج كما ظهر ذلك للامام على والمسلمين معه . وقال ابن قيس الرقيات من أبيات له :

اذا نحن شتى صادفتنا عصابة حرورية أضحت من الدين مارقة (٢)

وقال صعصعة بن صوحان من خطبته أمام جمع من قومه يذم الخوارج فى كلام طويل " ولا قوم اعدى لله ولكم ولاهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة " (٣) .

وقال الشهرستانى " وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان " (٤)

٥ — المحكمة :

ومن أسمائهم ايضا المحكمة وهو من أوائل اسمائهم التى اطلقت عليهم وقد اطلق عليهم بسبب انكارهم تحكيم الحكمين وقولهم " لاحكم الا لله " (٥) وقد صارت هذه الكلمة " لاحكم الا لله " شعارا لهم عندما يريدون الخروج عن طاعة الولاة او الهجوم على خصومهم فى المعركة فكانت انذارا شديدا لخطورة لمن تقال له .

---

(١) انظر التنبيه والرد ص ٥٤

(٢) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٩٨

(٣) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٨٦

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥

(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١٧

وهم يفخرون بهذا الاسم على خصومهم كما قال سميرة بن الجعد الخارجي في وصف الخوارج :

ينادون بالتحكيم لله انهم ... راوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم بن قيس مثل ذاك فاعصموا ... بحبل شديد المتن ليس بناهج (١)

اى: بالٍ رث

وقال عبيدة بن هلال وهو احد فرسانهم من ابيات يرد بها على عمرو بن عبد الله بن معمر التميمي :

ولكن نقول الحكم لله وحده ... وبالله نرضى والنبي المقرب (٢)

وقال شبيل بن عزرة :

حمدنا الله ذا النعماء انا ... نحكم ظاهرين ولا نبالي (٣)

ـــ

تلك اسماء الخوارج والقابهم وهم يحبون هذه الاسماء كلها ولا ينكرون منها غير اسم واحد وهو تسميتهم بالمارقة فانهم لا يرضون به لانهم يعتبرون انفسهم على الهدى والحق واما من عداهم فانهم ظالمون اهل جور وكفر . قال الاشعري " وهم يرضون بهذه الالقاب كلها الا بالمارقة فانهم ينكرون ان يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية " (٤)

---

(١) شعراء الخوارج ص ١٢٣
(٢) المصدر السابق ص ٩٣
(٣) المصدر السابق ص ٢٠٩
(٤) المقالات جـ ١ ص ٢٠٧

الفصـل الثالـث

نشـــأة الخـــوارج

أ ـ متى خـرجوا :

يختلف المؤرخون في تحديد بدء نشأة الخوارج هل كان ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو في عهد عثمان او في عهد علي رضي الله عنهما أو أن نشأتهم لم تبدأ الا بظهور نافع بن الازرق وخروجه عام ٦٤ هـ

وسوف نتناول أقوال المؤرخين في هذا المقام بالعرض والدراسة واختيار مانراه صحيحا منها .

ـ القـول الاول :

أن أول الخوارج هو ذو الخويصرة أو عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي الذي بدأ الخروج بالاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الفيء واتهامه اياه بعدم العدل . وقد ورد في حديث البخاري تحت " باب من ترك قتال الخوارج للتألف وان لاينفر الناس عنه " عن أبي سعيد قال : بينما النبي " ص " يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم أعدل . قال عمر بن الخطاب دعني اضرب عنقه قال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم . آيتهم رجل احدى يديه اوقال ثدييه مثل ثدي المرأة اوقال مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال ابوسعيد اشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا قتلهم وانا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي " ص " قال فنزلت فيه " ومنهم من يلمزك في الصدقات " (١)

---

(١) اخرجه البخاري جـ ٨ ص ٥٢ ، ٥٣
الرمية : يعني به الغرض المرمي

فهو ـ على مايبدو من تبويبه لهذا الحديث ـ يعتبر ذا الخويصرة أول الخوارج وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك قتله للتألف .

وقد أخرج الامام مسلم رحمه الله هذا الحديث مع اختلاف في الالفاظ وقد اقتصر في تسمية ذلك الخارجي الأول على " ذي الخويصرة " بينما هو في البخاري عبد الله بن ذي الخويصرة . وربما رجع ذلك الى اشتهار عبد الله باسم أبيه ذو الخويصرة فاقتصر مسلم على الشهرة بينما ذكر البخاري اسمه كاملا .

وسواء كان الخارج على النبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله أو أبوه فان الحادثة قد وقعت بهذه الصورة وقد أورد مسلم عدة روايات حول هذه القضية ولكنه لم يصرح بالاسم الا في رواية أبي سعيد وفي بعض الروايات التي ذكرها الامام مسلم عن ابي سعيد ذكر اوصاف ذلك الرجل دون ذكر اسمه كما في قوله : " بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها الرسول " ص " بين اربعة نفر الاقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم احد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم احد بني نبهان . قال فغضبت قريش فقالوا ايعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انما فعلت ذلك ... لا تألفهم فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتيء الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يامحمد قال فقال رسول الله (ص) فمن يطع الله ان عصيته ايأمنني على اهل الارض ولا تؤمنوني ؟ قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله (يرون انه خالد بن الوليد) فقال رسول الله ان من ضئضيء هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد " .

وقد أخبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ببعض اوصافهم التي اخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع مصداق ذلك حين قتلهم علي بن ابي طالب في معركة النهروان كما جاء في كلام عبيد الله بن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

" ان الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه قالوا لا حكم الا لله قال علي كلمة حق اريد بها باطل أن رسول الله وصف ناسا اني لاعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بالسنتهم لا يجوز هذا منهم (واشار الى حلقه) من ابغض خلق الله اليه منهم اسود احدى يديه طبي شاة او حلمة ثدي فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا فقال ارجعوا فوالله ماكذبت ولا كذبت مرتين او ثلاثا ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه قال عبيد الله وانا حاضر ذلك من امرهم وقول علي فيهم زاد يونس في روايته قال بكير وحدثني رجل عن ابي حنين انه قال رأيت ذلك الاسود (١) " .

وقد ذهب الى القول بأن اول الخوارج هو ذو الخويصرة كثير من العلماء منهم ابن الجوزي وذلك في قوله ان " اول الخوارج واقبحهم حالة ذو الخويصرة " وقوله " فهذا اول خارجي خرج في الاسلام وآفته انه رضي برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق راى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه " (٢) .

ومنهم ابن حزم (٣) ، وهو رأى الشهرستاني ايضا حيث يقول " وهم الذين اولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية " (٤) واعتبر اعتراض ذي الخويصرة خروج صريح اذ ان الاعتراض على الامام الحق يسمى خروجا فكيف بالاعتراض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول بعد ان ذكر حديث ذي الخويصرة : " وذلك خروج صريح على النبي صلى الله عليه وسلم ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيا " (٥) .

---

(١) انظر صحيح مسلم ج ٣ ص ١١٠ — ١١٦
(٢) تلبيس ابليس ص ٩٠
(٣) انظر الفصل ج ٤ ص ١٥٧
(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٦
(٥) الملل والنحل ج ١ ص ٢١

وينقل الطالبي عن أبي بكر محمد بن الحسن الاجرى انه يرى ان اول الخوارج كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى واجتمعوا واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قدموا المدينة فقتلوا عثمان ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين على بن أبي طالب " (١) .

القـــول الثانـــي :

وهو للقاضي على بن على الحنفي شارح الطحاوية الذى يرى ان نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضى الله عنه في تلك الفتنة التى انتهت بقتله وتسمى الفتنة الاولى يقول " فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الاولى " (٢) .

ويسمى ابن كثير الذين ثاروا على عثمان وقتلوه خوارج فيقول " وجاء الخوارج فأخذ وا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا " (٣) .

القول الثالـــث :

وهو للورجلاني حيث يعتبر أن نشأة الخوارج بدأت منذ أن فارق طلحة والزبير عليا رضى الله عنه وخرجا عليه بعد مبايعتهما له . ثم يقول " وشر عاديين الخوارج دينا فلهما اجور الخوارج واوزارهما " (٤) .

---

(١) اراء الخوارج ص ٤٥
(٢) شرح الطحاوية ص ٤٧٢
(٣) البداية والنهاية ص ١٨٩ جـ ٧
(٤) الدليل لاهل العقول ص ١٥

القـول الرابــع :

أن نشأة الخوارج بدأت سنة ٦٤ هـ بقيادة نافع بن الازرق في اواخر ولاية ابن زياد وهذا الرأى لعلى يحيى معمر الاباضى (١) . وهو في هذا الرأى يتابع قطب الائمة ابى اسحاق اطفيش الامام الاباضى الذى يرى أن ماحدث بين الامام على وبين الطائفة التى انفصلت عن جيشه والتى سميت فيما بعد بالمحكمة انما هو نوع من انواع الفتن الداخلية التى وقعت بين المسلمين في ذلك العصر حيث اعتبرت تلك الطائفة ان عليا رضى اللهعنه قد زالت عنه الامامة الشرعية حينما قبل التحكيم ولهذا فقد ولوا عبد الله بن وهب الراسبى في زهده وتقواه ودعى هذا بدوره عليا للدخول في طاعته بعد أن اختاره من معه من الصحابة وغيرهم - كما يدعى الخوارج " (٢) .

فلم يكن ماحدث بين على ومن معه في نظر أصحاب هذا الرأى الا فتنة انتهت على نحو ما انتهت عليه وليس خروجا على الامام ، كما هو المعنى الحقيقى للخروج الذى يرون انه لم يبتدأ الا بخروج نافع بن الازرق . اما ماكان قبل ذلك من حركات ثورية على على رضى الله عنه والامويين من بعده فهى مجرد ثورات ومواقع حربية دارت بين الفريقين وليست خروجا بالمعنى الصحيح يقول في هذا ابى اسحاق اطفيش :

" الخوارج طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين رؤسهم نافع بن الازرق ونجدة بن عامر ومحمد بن الصفار ومن شايعهم وسموا خوارج لانهم خرجوا عن الحق وعن الامة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك " (٣) .

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٧٧ ، وانظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٣٣

(٢) المصدر السابق

(٣) عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٣

ويقول على يحيى معمر " سبق الى أذهان أكثر الناس بسبب خطأ المؤرخين فى ربط الاحداث أن المحكمة الذين قتلهم أمير المؤمنين على بن ابى طالب فى وقعة النهروان هم أصل الخوارج وهو مفهوم خاطىء فان المحكمة قد قتلوا فى النهر ولم ينج منهم الا تسعة أفراد ثم ثار على الحكم الاموى طوائف كثيرة من الناس جماعات وأفرادا حتى ظهر الخوارج فى اواخر ولاية ابن زياد سنة ٦٤ بقيادة نافع بن الازرق فمعركة النهروان هى فتنة بين الصحابة وقعت بين الامام على ابن ابى طالب والمحكمة " (١) ومما يجدر بالذكر انه قد استبعد أن يكون الناجون من حرب النهروان تسعة فقط كما ياتى ذلك فيما بعد . وهنا اثبت ذلك العدد تأكيدا لرأيه فى بدء نشأة الخوارج .

القول الخامس :

أن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الامام على رضى الله عنه وخروجهم عليه . وهذا الرأى هو الذى عليه الكثرة الغالبة من العلماء اذ يعرفون الخوارج بانهم هم الذين خرجوا على على بعد التحكيم ومن هؤلاء الاشعرى فقد أرخ للخوارج واقدم من أرخ لهم منهم هم الخارجون على الامام على وقال عنهم :

(والسبب الذى سموا له خوارج خروجهم على على بن ابى طالب) (٢)

قد تابعه فى صنيعه البغدادى حيث بدأ التأريخ للخوارج بذكر الخارجين على على رضى الله عنه (٣) . وكذلك يرى ابوالحسين الملطى أن الفرقة الاولى للخوارج هى المحكمة (٤) .

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٣٧٧
(٢) مقالات الاشعرى ج ١ ص ٢٠٧
(٣) الفرق بين الفرق ص ٧٤
(٤) التنبيه والرد ص ١٥ .

وقد سار على هذا الرأى أصحاب المعاجم ودوائر المعارف (فى مـــادة الـ . .) والكتاب المحدثون الذين كتبوا عن الفرق الاسلامية كالاستـــاذ أحمد أمين والشيخ ابوزهرة والغرابى رحمهم الله وغيرهم، والمؤرخون فى تأريخهم لاحداث الفتنة الكبرى .

يقول الاستاذ أحمد أمين " واسم الخوارج جاء من انهم خرجوا على علـــى وصحبه " (١) .

ويقول الشيخ أبوزهرة " اقترن ظهور هذه الفرقة (أى الخوارج) بظهـــور الشيعة فقد ظهر كلاهما كفرقة فى عهد على رضى الله عنه وقد كانوا من انصاره (٢) " وصاحب كتاب الاديان وهو اباضى يعتبر خروج الخوارج انما كان على على حينمـــا حكم (٣) .

وقد اصبح اطلاق اسم الخوارج على الخارجين عن الامام على امرا مشتركا بحيث لا يكاد ينصرف الى غيرهم بمجرد ذكره .

هذه هى الاقوال فى بدء نشأة الخوارج وعلينا فى اختيار مانراه صحيحا منهـــا ان نفرق بين بدء نزعة الخروج على صورتها وظهور الخوارج كفرقة لها اراؤ هـــا الخاصة ولها تجمعها الذى تحافظ عليه وتعمل به على نصرة هذه الاراء .

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٥٧

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٦٥ ؛ ج ١

(٣) قطعة من كتاب فى الاديان ص ٩٦

والواقع أن نزعة الخروج ـ او بتعبير ادق ـ قد بدأت بذرتها الاولى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتراض ذى الخويصرة عليه . لكن هل كان خروجا حقيقيا أم كان مجرد حادثة فردية . ؟ اعترض فيها واحد من المسلمين على طريقة تقسيم الفيىء طمعا فى أن يأخذ منه نصيبا أكبر وهو الامر الذى سنرجحه فيما بعد .

أما تعبير النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى الخويصرة بأن له أصحابا فقد يجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد توقع وجود أصحاب يؤيدون هذا الرجل حيث استطاع الاعتراض على صاحب الدعوة فامتنع عن قتله تألفا له ولهم .

ويجوز أيضا ان يكون ذلك القول كان توقعا من النبى عليه السلام واخبارا عما سيكون من عاقبة هذا الرجل وأمثاله اذ أن الاعتراض على شخصيته "ص" يجعل من المتوقع ان يوجد الاعتراض على الخلفاء من بعده والخروج عليهم من باب أولى .

ويجوز أن يكون قصد النبى صلى الله عليه وسلم بالاصحاب لهذا الرجل هم من يكونون على شاكلته فى مستقبل الايام بحيث يكونون متابعين له على فكرته وان لم يتزعم قيادتهم فى هذا الخروج على النبى "ص" وعلى الخلفاء .

لقد مضى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد ابوبكر وعمر رضى الله عنهما ولم يكن لذى الخويصرة ذكر فى هذه العهود بعد تلك الحادثة لا بنفسه ولا مع من يمكن ان يكونوا على شاكلته . ولم يذكر التاريخ ـ فيما اطلعت عليه ـ انه كان كذلك من الثائرين على عثمان رضى الله عنه او انه كان له ابناء او اصحاب ينتسبون اليه فى تلك الثورة مع ان الفارق الزمنى بين ورود الحديث فيه وبين احداث الفتنة الكبرى يسمح بمثل هذا لو كان .

كل هذا يجعل من هذه الحادثة التى ارتكبها ذو الخويصرة حادثة فردية فى وقتها حيث لم يشتهر بالخروج ولم تعرف له آراء خاصة يتميز بها ولم يكون له حزبا

سياسيا معارضا وان لم يمنع هذا من اعتباره بدءا لمجرد نزعة الخروج في صورة ساذجة اذا صح أن يكون الاعتراض على تقسيم الفيء خروجا .

وأما القول بأن نشأتهم تبدأ بثورة الثائرين على عثمان رضي الله عنه فلا شك أن ماحدث كان خروجا عن طاعة الامام الا انه لم يكن يتميز بانه خروج فرقة ذات طابع عقائدي خاص لها آراء واحكام في الدين ، غاية ماهنالك أن قوما غضبوا على عثمان واستحوذ عليهم الشيطان حتى أدى بهم الى ارتكاب جريمة قتله ثم دخلوا بين صفوف المسلمين كافراد منهم .

وفيما يتعلق بالقول بأن طلحة والزبير رضي الله عنهما كانا اول الخارجين على علي كما يقول الورجلاني فمن الصعب عليه اثبات ذلك . فقد كان معهما ام المؤمنين عائشة ومن معهم من المسلمين وعلى كل فقد انتهت موقعة الجمل واندمج من بقى منها في صفوف المسلمين دون ان تجمعهم رابطة فكرية معينة كتلك التي حدثت بين الخوارج على علي في جيشه فيما بعد وكان خروجهم باسم المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه فاذا كان قد بدأ الخروج على علي بخروج اصحاب موقعة الجمل الا انه لا ينطبق عليهم مصطلح الخوارج كطائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الدينية الخاصة .

أما القول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الازرق فانه لم يقل به غير علي يحيى معمر تبعا لقطب الائمة الاباضية ابي اسحاق اطفيش لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وبين الازارقة بعدهم وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الاحداث وارتباطها من المحكمة الى ظهور نافع بن الازرق بحيث يظهر ان الاولين هم سلف الخوارج جميعا كما سنبين هذا عند الكلام عن حركات الخوارج وفرقهم .

وهكذا يتضح الفرق بين مجرد وجود نزعة الاعتراض أو الثورة خروجا عن طاعة الامام وبين الخروج في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة كخروج

الذين خرجوا على علي رضى الله عنه منذ وقعة صفين وهم الذين ينطبق عليهم مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وهذا هو القول الاخير الذى نختاره ونسير عليه فى هذه الرسالة مؤرخين لهذه الطائفة دارسين لآرائهم .

والواقع أن هذا هو مايشهد له واقع تلك الحركة التى احدثت دويا هائلا فى تاريخ هذه الامة الاسلامية عدة قرون تميزت فيها باراء ومعتقدات وانظمة لفتت اليها انظار علماء التاريخ والفرق الاسلامية . بخلاف ماسبقها من حركات فانها لم يكن لها اثر فكرى اوعقائدى يذكر .

* * *

٢ - كيف خرجوا بعد قبول التحكيم في موقعة صفين :

لقد تمت البيعة للامام على بعد مقتل عثمان رضى الله عنهما وقام معاوية ابن أبى سفيان -وكان واليا على الشام - يطالب بدم عثمان ويطلب من على تسليم قتلته وبدون هذا فانه ممتنع عن البيعة له ، وكان من رأى على أن يتمكن اولا من دخول جميع الامصار في طاعته خصوصا وان الخارجين كانوا أهل شوكة قوية وقد اندسوا في الامصار واصبح طلبهم ابان هذه الثورة العارمة زيادة في ايقاد نار الفتنة ، اضف الى ذلك انه لابد من التعرف على القتلة الحقيقيين واقامة الحجة الشرعية عليهم حتى يمكن القصاص منهم ، وكان ذلك كله يحتاج الى وقت لم يمهله معاوية فيه .

وبدون الدخول في تفاصيل تاريخية ليس هذا موضعها تطور الخلاف بينهما الى لقاء حربى في موقعة صفين المشهورة حيث كان الامام على على رأس جيشه من أهل العراق وكان معاوية على رأس أهل الشام .

وقد كان لهذه المعركة نتائج حاسمة بالغة الاهمية ، ففى أثناء المعركة - وحينما بدت بوادر هزيمة جيش معاوية ولاح النصر في جانب جيش الامام على - استشار معاوية عمرو بن العاص في المخرج من هذا الامر فاشار عمرو بن العاص بان ترفع المصاحف فوق اسنة الرماح فرفع خمسمائة مصحف كما يقول المسعودى(١) وطالبوا اهل العراق بتحكيم كتاب الله في هذه القضية التى سفكت فيها الدماء فوافق هذا الطلب قبولا من اهل العراق .

---

(١) مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٠

أما موقف على بن أبى طالب رضى الله عنه من هذا الطلب فان اكثر المؤرخين يذكرون انه وقف منه موقف الحذر الحازم ورأى من أول وهلة أن هذا الطلب انما يقصد به ايقاع الفتنة والفرقة بين جيشه من جهة واعطاء الفرصة لجيش معاوية ليأخذ فترة يستعيد فيها قواه من جهة اخرى فقد حذر على اصحابه من مغبة قبول هذا الطلب قائلا لهم :

" عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابى معيط وحبيب بن مسلمة وابن ابى سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن انا اعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم انهم مارفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهنا ومكيدة " (١) .

ولهذا اصر على مواصلة القتال وكان له انصار يقطرون شجاعة وبسالة امثال الاشتر النخعى الذى اشرف على الحاق الهزيمة بجيش الشام لولا منع على له عن مواصلة الحرب تحت تهديد تلك الفئة التى قبلت الدعوة الى التحكيم .

ولكن قسما كبيرا من جيش على رضى الله عنه ابوا الا ايقاف القتال فورا والبدء فى مفاوضة التحكيم وابوا عليه الا افساد خطته والرضى برأيهم فى ايقاف الحرب وحملوه على قبوله بالقوة (٢) . بل انهم ابدوا موافقتهم عليه فورا دون أن يستشيروا عليا كما يقول فلهوزن (٣) . ووصل بهم الامر الى ان هددوا عليا نفسه بانهم سيفعلون معه اذا لم يوقف القتال مافعلوا بعثمان او سيدفعونه برمته الى معاوية .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٤٨ ، ٤٩ والنص هكذا اورده .
(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥
(٣) الخوارج والشيعة ص ٢٦

وهم جماعة القراء ـ الذين صاروا خوارج فيما بعد ـ فنادوه باسمه لا بامرة المؤمنين قائلين له ياعلى اجب القوم الى كتاب الله اذ دعيت اليه والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنها ان لم تجب (١) ، وكان أشدهم خروجا عليه ومرقا من الدين ـ كما يقول الشهرستانى ـ الاشعث بن قيس الكندى وزيد بن حصين الطائى ومسعر بن فدكى التميمى " (٢) .

وقد اعتقد هؤلاء القراء ان الدين يأمر بذلك ولهذا فما ينبغى لهم الاعراض عن قبوله واحتجوا بقوله تعالى " الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون " (آل عمران : ٢٣) فارسلوا الى اهل الشام طالبين منهم ان يبعثوا حكما من قبلهم وهم يبعثون حكما من قبلهم وان لا يحضر معهما الا من لم يباشر القتال فمن رأوا الحق معه أطاعوه (٣) .

ولقد كان الاشعث ممن لعب دورا مهما فى هذا النزاع فكان ممن يحبذ قبول التحكيم وكان يطمئن على بأن الناس قد سرهم التحكيم، وقد وصف بان له دورا مشكوكا فيه فقد مر بنا أن الشهرستانى وصفه بانه من اشد الخارجين على على واشدهم مرقا من الدين ووصفه المسعودى بانه كان " بدأ هذا الامر ـ يعنى التحكيم ـ والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله " (٤) ويصفه على يحيى معمر بانه كان من اكبر صنائع معاوية (٥) .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٤٩ ، الملل والنحل ج ١ ص ١١٤ ، البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٤ ، شرح منهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٦ـ٢١٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٣

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٤

(٣) انظر فتح البارى ج ١٢ ص ٢٨٤

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٤

(٥) الاباضية فى موكب التاريخ ج ٢ ص ٢٨٢

ومن هنا نرى مدى الدور الذى سلكه القراء فى هذا المجال وانهم كما وصفهم فلهوزن كانوا سريعى الاجابة الى قبول تحكيم كتاب الله وان نداء اهل الشام احدث " فى اهل العراق الاثر المطلوب خصوصا فى القراء الأتقياء " (١) كما ذكر .

ولقد تبين مصداق وصفه صلى الله عليه وسلم لهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم وانهم أهل عبادة حيث كان المطالبون بقبول التحكيم من جيش على هم القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد .

٣ — اكراه الامام على على قبول التحكيم واختيار ابى موسى الاشعرى نائبا عنه

والقول بقبول الامام على للتحكيم مكرها هو المشهور فى روايات المؤرخين وعلماء الفرق كما اسلفنا لكن هناك رايا آخر لصاحب كشف الغمة الاباضى وهو ان قبول التحكيم كان برضا من الامام على ، وأن عليا ومعاوية تكاتبا سرا حيث كتب معاوية الى على يطلب منه أن يختاروا حكمين فما حكما به رضياه كلاهما قانعم على بذلك كما يقول المؤلف ، وانه لما بلغ عمار ذلك عاتب عليا وطلب اليه عدم قبول التحكيم ولقنه حججا يرد بها على معاوية ان هو عاتبه فى عدم قبول التحكيم اوردها المؤلف وان عمار قد اشتد به الغضب وقال لعلى " اشككنا فى ديننا وارتددنا عن بصائرنا لنحكم عدونا فى ديننا ودمائنا فهلا كان ذلك قبل وضع السيف وقتل طلحة والزبير وهما يدعوانك الى ذلك فابيت وقلت انى على الحق دونهم " (٢) .

---

(١) الخوارج والشيعة ص ٢٥

(٢) كشف الغمة ص ٢٧٦ .

ثم يمضى المؤلف فى جهله بمنزلة الامام على بن ابى طالب فيصفه بالجهل والغفلة حين احتال عليه معاوية فرضى بالتحكيم وحكم ابا موسى الاشعرى وذلك فى قوله :

" ثم ان معاوية جعل يكاتبه سرا فى تحكيم الحكمين حتى رضى بذلك فاختار من جهله ابا موسى الاشعرى واختار معاوية عمرو بن العاص شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١) .

ولا يخفى ما فى هذا القول من التهجم على صحابة رسول الله بما لا يجوز ان يقال أقل منه فى غيرهم وهم الذين رضى الله عنهم ، واننا لنتساءل فى هذا المقام ايمكن أن نتصور ممن هو اقل من على ذكاء وفطنة ان يطلب الى وال من ولاته تمرد عليه تحكيم الناس بينهما مع يقينه التام بانه الامام الحق ومع مايراه من أن النصر كان بجانبه قبل التحكيم وقد كادت ان تصل المعركة الى نهايتها فى صالحه لولا هذا التحكيم . اضف الى ذلك ان مايذهب اليه صاحب كشف الغمة يخالف مايكاد ان يجمع عليه المؤرخون باسنادهم وكذلك علماء الفرق وماتدل عليه مجريات الامور من اكراه الامام على على قبول التحكيم .

وهذا هو على يحيى معمر الاباضى يرى فى كتابه الاباضية فى موكب التاريخ خلاف مارآه سلفه فهو يثبت ان الامام على أدرك ان رفع المصاحف حيلة وخدعة الا انه " بدلا من ان يقف موقفه الحازم .. استجاب لدعاة الهزيمة واخذ بنصيحة طلاب الدعة واكثرهم موعود من معاوية او من عمرو بن العاص ورضى بالتحكيم وقبل الهدنة وامر بايقاف القتال فى الحال " (٢) .

---

(١) كشف الغمة ص ٢٧٦
(٢) الاباضية فى موكب التاريخ ص ٢٢ ، ٢٣ جـ ١

وبغض النظر عن ما يذكره من الخدعة فى قضية التحكيم وهو موضوع سنبحثه قريبا فانه اثبت اكراه الامام على على التحكيم كما اثبته عامة المؤرخين .

وهناك مؤلف آخر يوافق صاحب كشف الغمة فيما يذكره من رضا الامام على ومسارعته الى التحكيم وهو الملطى وذلك فيما يرويه عن حبيب بن ثابت انه قال : " أتيت أباوائل فى مسجد أهله أسأله عن هؤلاء الذين قتلهم على رضى الله عنه بالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقوه عليه وفيما استحل قتالهم فقال " كنا بصفين فلما استمر القتال باهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية رحمهما الله ارسل الى على رضى الله عنه بالمصحف وادعه الى كتاب الله عز وجل فانه لن يابى عليك فاجابه رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون " (آل عمران : ٢٣) . فقال على : نعم انا اولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء والقوا سيوفهم على عواتقهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء الذين على التل الا نمشى اليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم " (١) .. الخ كلامه .

قد سبق أن بينا مافى هذا الرأى من مخالفته المشهور عند عامة المؤرخين وهو أن عليا اكره على قبول التحكيم .

لقد أكره الخوارج الامام عليا على قبول التحكيم كما ذكرنا آنفا قد اراد ان يتلافى مافى ذلك التحكيم من مخاطر وذلك بارسال من يمثله للمفاوضة ممن يرتضيهم صدق نية ورجاحة فكر ولكن وقف الخوارج مرة اخرى فى طريقه فابوا الا ارسال من يرتضونه

---

(١) التنبيه والرد .. ص ١٧٣

هم، ذلك أن عليا رضى الله عنه أراد أن يرسل الالمعى الذكى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فما رضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك وهم يريدون — على حد زعمهم — رجلا لم يكن قد انحاز الى أى من الجانبين فاراد هم على الاشتر لما يعرف من اخلاصه له فأبوا ايضا فاكرهوه ثانيا على أن يكون المرسل من قبله رجلا لا يشق باخلاصه معه بل كان ممن يخذل الناس عنه ثم هرب منه حتى آمنه بعد اشهر كما يذكر المؤرخون »(١) . فهل مثل هذا يصلح أن يكون مفاوضا باسمه ماد ام وان الحال كذلك ، ولو جئنا باغى الناس لما قبل أن يتكلم باسمه من لا يشق باخلاصه معه ولكن هؤلاء الذين ركبوا رؤسهم ابوا الا تنفيذ مايريدون مهما كان الامر ولعل ما انتهى اليه أمر التحكيم فيما بعد كان نتيجة لسوء الاختيار ، ولا يرجع سوء الاختيار الى طعن فى دين ابى موسى ولا الى مايوصف به عند بعض المؤرخين من الغباء ، فليس هناك دليل على صحة وصف الرجل بهذه الاوصاف القبيحة مع ماله من السبق فى الدين وشرف الصحبة والسفارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن وتوليه أمر القضاء وولايته لعمر على العراق ولا يرجع كذلك الى مايوصف به الامام على من الجهل باختياره فقد قدمنا انه اكره على ذلك وانما يرجع الى أن المفاوض باسم الامام على لم يكن واياه على اتفاق فى وجهات النظر المتعلقة بالموقف بين الامام على والمعارضين له الى الحد الذى تركه فيه بل كان يخذل الناس عن الدخول فى هذه الفتنة ثم ان اختيار الامام لابن عباس لاعتبارات خاصة به ولعلاقته بالامام لا ينبغى ان يعد طعنا فى ابى موسى الاشعرى .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٥١
وانظر البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٧٧ وانظر ايضا شرح نهج البلاغة جـ٢ ص ٢٢٨ .

٤ - وثيقة التحكيم :

ومهما كان القول فى اكراه الامام على على قبول التحكيم وعلى قبول من ينوب عنه فى هذا التحكيم فقد انتهى الامر بين الفريقين الى كتابة وثيقة خاصة بهذا التحكيم .

وعند كتابة هذه الوثيقة كان تعنت أهل الشام ظاهرا فيما يروى عنهم وعلى راسهم معاوية وعمرو بن العاص حيث امتنعوا من كتابة " هذا ماتقاضى عليه على أمير المؤمنين " وطلبوا أن يكتب الكاتب اسمه واسم أبيه وقد أشار عليه الاحنف بقوله " لاتمح اسم أمير المؤمنين " فاني اتخوف ان محوتها ان لاترجع اليك أبدا " وفعلا توقف الامام على ولكن الاشعث بن قيس قال للكاتب امح هذا الاسم برحه الله " وفى رواية مبارك عن الحسن عن الاحنف الذي ذكره الطبرى ان الامام على نفسه قد قال ايضا برحه الله حين كثر الخلاف حوله " (١) .

والوثيقة بنصها اوردها الطبرى والكامل وابن ابى الحديد والمسعودى وغيرهم وهى وثيقة مطولة تقرر فيها رضى الطرفين بالرجوع الى كتاب الله حكما بينهم فان لم يوجد فالى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وان كل طرف آمن من الآخر وان الكل ضد المخالف لما يتفق عليه الحكمان وان اجل القضاء الى رمضان فان أحبا تاخيره فلهما ذلك برضاهما واذا مات احدهما فى هذه المدة فعلى الطرف الاخر ان ينظر من يمثله ممن يرى فيه الصلاح ولكل واحد من الحكمين ما اختار من الشهود ثم كتبت اسماء الشهود من جانب على عشرة من اصحابه ومن جانب معاوية مثلهم وكتبوا فى اخرها " اللهم انا نستنصرك على من ترك مافى هذه الصحيفة " . ولقد تمت كتابة الوثيقة فى يوم الاربعاء (٣٧/٢/١٣هـ) لثلاث عشرة خلت من صفر او لليلة بقيت كما يرى بعضهم سنة سبع وثلاثين من الهجرة

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٥٢ ، ٥٣

وقد نصت هذه الوثيقة أيضا على أن يكون التحكيم فى شهر رمضان أى بعد ثمانية اشهر بدومة الجندل على ان يحضر من كل جانب اربعمائة (١) .

٥ ـ انكار الخوارج للتحكيم بعد اكراه الامام على على قبوله

وقد احدث هذا الكتاب ضجة كبيرة بين اهل العراق فحينما دار به الاشعث على الناس ليقرأه عليهم فرحا مسرورا كما وصفه المسعودى ثارت ثائرتهم فقد غضب عروة بن أدية فضرب عجز دابة الاشعث وقال أتحكمون فى أمر الله عز وجل الرجال . لاحكم الا لله . يقول المسعودى وكادت العصبية ان تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم " (٢) . وقال عروة للاشعث أيضا " ماهذه الدنية يا اشعث . أشرط احدكم اوثق من شرط الله ضرب عجز دابة الاشعث بسيفه وهو اول سيف سل من سيوف الخوارج "أى سيف عروة بن حدير فيما يذكر الشهرستانى (٣) .

وهذه الحادثة من البوادر الاولى فى انكار الخوارج قبول الامام على للتحكيم بعد ان اكرهوه عليه ولكن هل يكون عروة بن ادية هو اول من انكر التحكيم من الخوارج ؟ .

يختلف علماء الفرق والمؤرخون فى اول من انكر التحكيم من الخوارج فيذكر الاشعرى عدة اقوال غير جازم بصحة احدها فيقول " ويقال ان اول من حكم بصفين

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٥٣/٥٤/٥٧ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣١٩/ ٣٢١ . مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٣ . شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٤/٢٣٥ نقلا عن نصر ابن مزاحم .

(٢) مروج الذهب ج٢ ص ٤٠٤ هكذا فى النص ومقصوده فى الديانة ليس واضحا هنا .

(٣) الملل والنحل ج١ ص ١١٧ . شرح نهج البلاغة ج٢ ص ٢٣٧

عروة بن بلال بن مرداس (؟) ويقال بل اول من حكم يزيد بن عاصم المحاربي ويقال بل رجل من سعد بن زيد مناة تميم . ويقال بل اول من تشرى رجل من بنى يشكر " (١) . وقد خلط الاشعرى رحمه الله فى اسم والد عروة فجعله بلال بن مرداس مع انه اسم لشقيق عروة الذى يسمى ابوبلال مرداس بن اديه فالاشعرى هنا يسميه عروة بن بلال . والبغدادى يسميه عروة بن حدير اخو مرداس الخارجى (٢) وابن الجوزى يسميه عروة بن اذينة ومثله ابن كثير (٣) .

أما الشهرستانى فيذكر ان اسم ذلك الرجل الذى حكم اولا بانه من بنى سعد بن زيد بن مناة بن تميم ويسمى الحجاج بن عبيد الله ويلقب بالبرك وانه هو الذى ضرب معاوية على اليته لما سمع بذكر الحكمين (٤) .

أما نصر بن مزاحم المنقرى فيذكر ان اول من انكر التحكيم رجلان الاول يسمى معدان والثانى يسمى جعد وانهما اخوان ثم تبعهما بنوراسب واخرون من بنى تميم (٥)

وقد ذكر ابن كثير قولا غير ماتقدم فى تسمية اول من حكم فقال " قال الهيثم بن عدى والخوارج يزعمون ان اول من حكم عبد الله بن وهب الراسبى . قلت والصحيح الاول " (٦) . ويعنى بالاول عروة بن اذنية كما يسميه . وقد بين المبرد وهو الراجح فى اسم عروة وفى اسم اول من حكم بقوله " ويقال فيما يروى من الاخبار ان اول من حكم عروة بن ادية وادية جدة له جاهلية وهو عروة بن حدير احد بنى ربيعة بن حنظلة " (٧) .

---

(١) مقالات الاشعرى جـ ١ ص ٢١٧
(٢) الفرق بين الفرق ص ٧٤
(٣) تلبيس ابليس ص ٩١ البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٧٨
(٤) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٧
(٥) وقعة صفين ص ٥١٢
(٦) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٧٨
(٧) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١١٦

فاسمه الصحيح عروة بن حدير وبعضهم ينسبه الى جدته ادية المذكورة .

وانما رجحنا مهما اختلف المؤرخون فى اسم عروة انه عروة بن حدير لكثرة ما ورد فى الروايات بهذا الاسم ولا يهمنا فى مثل هذا الموقف العام التحديد بالخصوص على اسم معين لانه ربما يكون قد قال هذا القول أحد فيسمعه اخر ويحكيه فيظن السامع انه لم يقل هذا الا هو وهكذا .

وعلى كل فالمهم فى هذا انه حصل الاستنكار من الخوارج حين شرع الاشعث يقرأ وثيقة التحكيم على الناس سواء كان هذا الاستنكار من فلان او من غيره .

حقا انه لغريب أمر هؤلاء الخوارج فبعد ان اضطروا عليا الى قبول التحكيم وكتب الكتاب واعطيت العهود والمواثيق فى وفاء كل لصاحبه بما شرط جاء زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى الى على يطلبان منه نقض ما عاهد عليه وشرط على نفسه بقولهما له " تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال على قد اردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا عليها عهودا وقد قال تعالى " واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم " (١) (سورة النحل : ٩١).

وقد وصل التحدى بزرعة بن البرج الى ان يقول للامام على " اما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لاقتلنك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه فقال على رضى الله عنه بؤسا لك ما اشقاك كانى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال زرعة وددت انه كان ذلك " (٢)

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٤

(٢) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٢ .

— وانظر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦٨

فهل كان من اخلاق على الذى تربى فى بيت النبوة ان يكون كاشباه هؤلاء الذين لا يقيمون للعهود والمواثيق معنى وهل يسايرهم فى نقض العهود وهو من هو فى تدينه وتقواه . لقد اشار عليهم منذ البداية بعدم قبول التحكيم واراده على مواصلة القتال ولو لم يكن ذلك منه لهم لما احتج عليهم بقوله قد اردتكم على ذلك فعصيتمونى .

ومهما يكن من أمر هؤلاء الخوارج فقد ثبت الامام على على عهده مع معاوية فى قبول التحكيم وثبت على الوفاء بما عاهد عليه .

ولكن الخوارج رفعوا شعارهم لاحكم الا لله يتنادون به فى كل مكان ويلاحقون به الامام فى كل موقع حتى ولو قام خطيبا فيهم فانهم كانوا يرفعون عليه اصواتهم بهذا الشعار وكانوا يعنون بذلك فى اول امرهم رفضهم لتحكيم البشر فى كتاب الله وان حملت فيما بعد معنى عدم اى امير حاكم على الناس .

ولكن تفسير هذا الشعار (لاحكم الا لله) يختلف عما قدمنا عند الكاتب الاباضى على يحيى معمر بما لم يؤثر عن غيره فهو يذكر انه حينما اطلقت هذه الكلمة من فم احد اصحاب على ملخصا فيها موقفهم من التحكيم كان على يستمع اليها راضيا بها لان قضيتهم ـ كما يقول ـ واضحة وقد حكم الله فيها من فوق سبع سماوات والاعجب من هذا انه يقول :

" بل كانت هذه الكلمة تعبيرا عن موقفه وشعارا لمبدئه ولكن ناسا فيما بعد زعموا انه لاحاجة الى الامارة وحملوا كلمة لاحكم الا لله هذا المقصد الهدام فرد عليهم الامام على موقفهم المتطرف هذا بقوله كلمة حق اريد بها باطل " (١) .

---

(١) الاباضية فى موكب التاريخ جـ ٢ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤

والغرابة فى هذا التفسير هو اثبات أن يكون الامام على كان راضيا بصياح الخوارج لاحكم الا لله وهو الذى كان يتضايق منه كثيرا حتى وصفه بقوله كلمة حق أريد بها باطل .

والواقع انها كانت على السنتهم كما ذكرنا من قبل رفضا لمبدأ تحكيم البشر أول الامر كما قدمنا ثم اصبحت تعبيرا عن رفض مبدأ الحكومة والامارة وهو الذى دانت به احدى فرق الخوارج كما سنذكر فيما بعد .

وهذا هو المعنى الذى جعل الامام عليا يرد عليهم فيه حين سمع نداءهم لاحكم الا لله بقوله " كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولابد من امارة برة أو فاجرة " (١) .

ولقد كان ثبات الامام على على التحكيم والوفاء بعهوده فيه دافعا للخوارج الى رفضه والخروج عليه بل الى تكفيره بهذا السبب فقد اتفقوا بالاجماع على تكفيره كما ذكر ذلك كثير من كتاب المقالات (٢) ، بل وصل بهم الامر الى أنهم لا يصححون المناكحات الا باعتقاد البراءة من على وعثمان ويقدمون ذلك على كل طاعة (٣) .

ولقد انتهى الامر بين الخوارج وبين الامام على ـ بعد موقفهم الباطل منه ـ الى انفصالهم عن جيشه بل الى وقوع المعارك الضارية بينهم وبينه وهى احداث ترجئ الكلام فيها الى أن ننتهى من الحديث عن قضية التحكيم وما انتهت اليه .

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٣١
(٢) مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٦٧ ، الفرق بين الفرق ص ٨١
(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٥

٦ - كيفية التحكيم ونتيجته

سبق أن ذكرنا ان وثيقة التحكيم كتبت فى الثالث عشر من شهر صفر سنة ٣٧ هـ وحدد رمضان من نفس العام موعدا لتمام التحكيم ولما انتهت المدة وجاء وقت الاجتماع بعث على اربعمائة شخص ورئيسهم شريح بن هانىء الحارثى وعبد الله بن عباس امامهم فى الصلاة ووالى امورهم .

وبعث معاوية عمرو بن العاص فى اربعمائة رجل ثم التقوا بدومة الجندل باذرح . ومن العجيب فى هذا الموقف الحرج ان جماعة على كان اذا جاء كتاب منه الى ابن عباس تهافتوا عليه يسألونه بم كتب ؟ ماذا قال ؟ اخبرنا ؟ فان لم يخبرهم تواردت عليهم الظنون السيئة قائلين له لعله كتب بكذا وكذا بينما كان اصحاب معاوية اذا جاء منه كتاب الى عمرو بن العاص لا يسألونه عنه ولا عن اى شىء فيه الا أن يخبرهم هو ولقد كان لهذا الموقف اثره البالغ فى نفس ابن عباس فقد قال لاصحابه متألما من موقفهم هذا " اما تعقلون اما ترون رسول معاوية يجىء لا يعلم بما جاء به ويرجع لا يعلم مارجع به ولا يسمع لهم لفظ وانتم عندى كل يوم تظنون الظنون " (١) .

وكان عمرو بن العاص فى ذلك الاجتماع يركز على ان يردد على مسامع ابى موسى ان عثمان قتل مظلوما وان معاوية ولى دمه بالاضافة الى انه صحابى وتقى وانه " ان ولى اكرمك كرامة لم يكرمها خليفة فى كلام له " ولكن ابا موسى رد عليه قائلا " واما تعريضك لى بالسلطان فوالله لو خرج لى من سلطانه كله ما وليته وما كنت لارتشى فى حكم الله عز وجل " (٢) .

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٦٧ ، الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٣٢٩
(٢) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٦٨ شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٢٥٣ .

وفى تلك الاجتماعات طلب عمرو بن العاص من أبى موسى الرضى بتولية معاوية فلما أبى عليه ابوموسى طلب منه عمروا أن يتولاها ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له انك قد غمسته فى الفتنة وابى منه وكان ابوموسى يرغب فى تولية عبد الله بن عمر ولكن كل واحد منهما لم يرضى بطلب صاحبه واخيرا وكما تذكر الروايات التاريخية انهما اتفقا فى السر بينهما ان يخلعا عليا ومعاوية ثم ينظر المسلمون فيمن يختارونه فيولوه وكان عمرو قد عود ابا موسى على أن يقدمه فى كل كلام وحينما حضر اعلان النتيجة قدم عمرو أبا موسى ليقول للناس انه قد اتفق رأينا ثم أعلن ابا موسى من ناحيته خلع على ومعاوية فقام عمرو مقامه وثبت معاوية بعد أن خلع عليا فتسابا " وحمل شريح بن هانىء على عمرو فضربه بالسوط فرد ابن لعمرو وضرب شريح بالسوط ايضا وكان شريح بعد ذلك يقول ماندمت على شىء ندامتى على ضرب عمرو بالسوط الا أكون ضربته بالسيف" (١)

ثم انتهى بهم الامر الى هذه النتيجة غير المرتقبة ولا المرضية وعاد أهل العراق الى على وعاد اهل الشام الى معاوية يسلمون عليه بالخلافة .

٧ — مدى صحة القول بوجود الخداع فى التحكيم

هذه هى الصورة التى يثبتها كثير من المؤرخين لكيفية التحكيم وهم بذلك يثبتون انه قد كان هناك خداع فى التحكيم من جانب عمرو بن العاص حيث أن الحكمين بعد ان اتفقا على خلع على ومعاوية سرا ثم جاء دور الاعلان اعلن ابوموسى خلع صاحبه عليا وثبت عمرو صاحبه معاوية فتسابا .. الخ تلك القصة التى تشبه أن تكون هزلا اكثر منها جدا .

---

(١) انظر الطبرى جـ ٥ ص ٧١ . شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٢٣٨/٢٥٩ .

والواقع أنه قد تدخلت فى قضية التحكيم عواطف كثيرة من المخالفين والموافقين فبالنظر الى أهمية هذه القضية نجد أنه من غير المسلم به ان يقوم ابوموسى فيتكلم بما اتفقا عليه ثم يجلس ثم يقوم عمرو فيتكلم فيخدع ابا موسى ثم يجلس ثم يتفرقان على هذه الصورة الصبيانية غير الاخلاقية التى لاتليق بالصحابة . اننى أستبعد أن يكون الاتفاق بينهما على خلع الرجلين لم يكتب او لم يشهد عليه الشهود أو أن تكون المسألة من السرية بحيث لايعلم بالاتفاق الا هذين الرجلين من كلا الجانبين فقط مع العلم أن الحاضرين كانوا ثمانمائة رجل هم نخبة الرجال المعروفين بالصلاح وحب الخير للجميع والصدق فى حسن النية ـ كما يبدو من اختيارهم لشهود هذا الامر ـ لانهاء تلك الحروب التى جرت الويلات على المسلمين .

قال ابن العربى تعقيبا على ماروى فى قضية التحكيم من الخداع :

" هذا كله كذب صراح ماجرى منه حرف قط وانما هو شيء اخترعته المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه اهل المجانة والجهارة بمعاصى الله والبدع " (١)

ويرى أن الاتفاق بينهما كان نزيها لاخداع فيه وانهما اتفقا على ان يختار المسلمون من خيار الصحابة من يرتضونه فيقول :

" وانما الذى روى الائمة الثقات الاثبات انهما لما اجتمعا للنظر فى الامر ـ فى عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمرو نحوه ـ عزل معاوية " قال محب الدين الخطيب مفسرا هذه الجملة " اى بتقريره مع ابى موسى أن امامة المسلمين يترك النظر فيها الى أعيان الصحابة " (٢) .

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٢٨
(٢) المرجع السابق ص ١٢٩

واذا أراد الشخص المنصف أن يدقق النظر في هذه المسألة فسيجد فيها مايناقضها اذ كيف يتفق عمرو بن العاص وابى موسى الاشعرى على خلع على من الخلافة وخلع معاوية منها ايضا مع ان معاوية لم يكن قد ادعى الخلافة آنذاك حتى يمكن أن يقال قد اتفقنا على خلع على ومعاوية وانما كان معاوية مطالبا بدم عثمان فحسب وليس مطالبا بنصب نفسه خليفة حتى يتوجه اليه الخلع ولم يتسمى معاوية بأمير المؤمنين الا بعد ان صفت له الامور بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة وقد كان الاتفاق بين عمرو وابى موسى صريحا لالبس فيه ولاخداع اتفقا على ان يكون الاختيار للخلافة ممن يرضاه المسلمون من خيار الصحابة وهذا مايذهب اليه محب الدين الخطيب (١) أيضا وهذا ماينبغى اعتقاده وهو مايليق بالصحابة رضوان الله عليهم وان كان هذا الرأى لايستطيع سماعه الذين في قلوبهم غل للذين آمنوا من الصحابة الكرام .

ويقول ابن كثير فى وصف الحكمين : " والحكمان كانا من خيار الصحابة ... وانما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم وكذلك وقع ولم يضل بسببهما الا فرقة الخوارج " (٢) . واعتذر ابن كثير عن عدم اعلان عمرو بن العاص ما اتفقا عليه هو وابوموسى بقوله " وكان عمرو بن العاص راى ان ترك الناس بلا امام والحالة هذه يؤدى الى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة والاجتهاد يخطىء ويصيب" (٣)

وهذا الاعتذار من ابن كثير لعمرو بن العاص بناء على صحة وقوع الخداع فى التحكيم من جانب عمرو وقوله ان فعل عمرو ذلك كان لاجل ان لايقع الناس فى مفسدة طويلة

---

(١) انظر تعليقه على العواصم من القواسم ص ١٢٧ / ١٢٨
(٢) البداية والنهاية جـ ٦ ص ٢١٦
(٣) المرجع السابق جـ ٧ ص ٢٨٤

عريضة أريى مما الناس فيه من الاختلاف اعتذار ضعيف فان العكس هو الصحيح اذ أن نصب أحدهما وخلع الاخر لمجرد الاجتهاد يحمل على أنه لمجرد هوى النفس فيؤدى الى اضعاف ماذكر رحمه الله من المفاسد بل وتكون المسألة أشنع واعظم خطرا من لو نصبا كلاهما او اسقطا كلاهما .

٨ ـ الحكم على التحكيم والأطراف المشتركة فيه

فى بداية الامر أحب ان أؤكد على أن المناداة بالاحتكام الى كتاب الله تعالى أمر واجب ومطلوب اذا قصد به اقامة حكم الله وتنفيذ شرعه فهذا بلا شك حق تجب المطالبة به فى كل وقت ولا وجه للانكار على المنادين به ولا على من يقبلونه اذا خلصت النيات وقصد به كما قلنا تحقيق تلك الغايات لكن التحكيم فى هذه القضية أحاطت به من القرائن ماجعله غير خالص لوجه الله عند بعض الاطراف المشتركين فيه كما يرى بعض المؤرخين ولهذا فقد جاءت اختلافات العلماء فى الحكم على هذه القضية وعلى المشتركين فيها حسب موقف كل عالم من التاييد والمخالفة .

فمثلا صاحب ابانة المناهج وهو شيعى يرى أنه لاطعن على على فى التحكيم وانما الطعن والمذمة على غيره كعمرو بن العاص ومعاوية ثم نال منهما بالسب لأنهما قد تواطئا على المكر والخديعة بابى موسى الاشعرى لاخراج الخلافة عن على رضى الله عنه . (١)

بينما صاحب كشف الغمة وهو اباضى يناقش مسألة التحكيم من زاويته الخارجية

---

(١) ابانة المناهج ص ١٦٢ وص ١٦٦ .

فيقول :

" فلعمرى لئن كانت الحكومة عدلا وصوابا لقد هلك على لسفكه الدماء قبلها وكان معاوية احق بالعدل منه لانه الداعى اليها . ولئن كانت الحكومة خطئا ضلالا لقد هلك على بدخوله فيها فاى الامرين كان فما لعلى مخرج . وقد روى عن النبى " ص " انه قال " سيكون فى امتى حكمان ضالان يضلان من اتبعهما " (١) .

وعلى كثرة مابحثت فى الوصول الى تحقيق هذا الحديث فانى لم اره الا فى هذا الكتاب وعلى لسان هذا المؤلف وان الوضع لظاهر فيه . فاذا كان الحديث صحيحا فلا بد ان يكون معلوما مشهورا لضرورة الحاجة اليه حينئذاك . واذا كان معلوما فهل يحكم على الحكمين فيتسبب فى أضلال الناس .

أما الطالبى فيرى " أن الخوارج على حق فى انكار التحكيم باعتباره قائما على خدعة وخاليا من صدق النية والاخلاص فيها . فالخوارج على حق فى انكارهم لهذه الاعتبارات لا من أجل ان التحكيم فى حد ذاته مخالف للكتاب والسنة كما زعم الخوارج " (٢) . مع أنه ينكر القول بوجود الخداع فى قضية التحكيم فيقول بعد صفحات من كلامه السابق " ثم انتهت نتيجة التحكيم الى ما انتهت اليه من مهزلة غير ثابتة تاريخيا احاط بها الشك وأنكرها بعض المحدثين انكارا تاما وحق لهم ذلك (٣) ويقصد بذلك مارواه بعض المؤرخين من مهزلة خداع عمرو لابى موسى الاشعرى فى خلع على وتثبيت معاوية على غير ما اتفقوا عليه وفيما يتعلق بذلك الشعار الذى رفعه الخوارج قائلين فى انكارهم على الامام على (لاحكم الا لله) فقد اختلف

---

(١) كشف الغمة ص ٢٧٩
(٢) آراء الخوارج ص ٨٧
(٣) المرجع السابق ص ٩٠

الحكم عليهم فى قولهم هذا تبعا لما تضمنه من المعانى المقبول منها والمرفوض وفى هذا المقام يرى الاستاذ رفعت فوزى ان هذا المبدأ للخوارج وهو نداءهم (بلا حكم الا لله) قد ورد به القرآن الكريم فى قوله تعالى " وان احكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع اهواءهم " (المائدة : ٤٩) وقوله " ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون " (المائدة : ٤٤) وانظر اية ٤٥ و ٤٧) . وانه "مبدأ مقرر من قبل ومعترف به ولكن الخوارج اكثروا من ترديده والالحاح فى المطالبة به معتقدين ان غيرهم من المسلمين لا يعملون بمقتضاه وان عليهم ان يجاهدوا من اجل اقراره " (١) . ولاشك انه ان كان مقصدهم برفع هذا الشعار هو الحكم بما أنزل الله فهذا لا احد ينكره عليهم وان اكثروا من ترديده .

والواقع انه لا ينكر احد على الخوارج طلبهم اقامة احكام الله فهذا مايريده كل مسلم ولكن الذى انكر عليهم هوانهم اتخذوا من هذه الكلمة ستارا لعصيانهم الخلافة الراشدة وخروجهم على المسلمين واتهامهم بعدم الحكم بكتاب الله وسفكهم الدماء لاقامة دولتهم وتنفيذ آرائهم التى انحرفت عن العقيدة السمحاء فى كثير من الاحكام .

وأنكر عليهم ايضا اعتقادهم أن الرجوع الى كتاب الله فى الحكم فى تلك الدماء والحروب الطاحنة رجوع عن كتاب الله ، فاذا كانوا يطلبون تحكيم كتاب الله فلماذا لم يرضهم تحكيم على ــ مع انهم هم الذين اضطروه له ــ فان قالوا ان مسألة الخلافة لا ينبغى فيها التحكيم نقول لهم : ان مسألة الخلافة لاترتفع عن ان تكون خاضعة

---

(١) الخلافة والخوارج ص ١٣

لكتاب الله بل ولا يجب الا هذا فليس امر من الامور يكبر عن ان يخضع لكتاب الله .

وفى الكتاب الكريم طلب صريح من المؤمنين ان يلتزموا بالرجوع الى كتاب الله عند ما يحصل التنازع فى شئ قال تعالى : " وان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول " (النساء : ٥٩) ولقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يعرض كل مشكلة على كتاب الله ثم يحكم بما فيه فى وقائع كثيرة مشهورة وقد حكم الله على من لا يرضى بذلك انه غير مؤمن فقال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا فيما قضيت ويسلموا تسليما " (النساء : ٦٥) . ومهما كانت نتيجة التحكيم فلا ينبغى ان يصل الامر بالخوارج الى تكفيرهم لعلى بن ابى طالب واجماعهم على كفره ـ حاشاه ـ حين قال نعم احكم كتاب الله ـ مهما كان الحال ـ فهل يعنى هذا انه كلما حصل شجار بين رئيس واحد مرؤوسيه فقال احدهما نحكم كتاب الله يكفر .. ؟

هل يستساغ ان يقول احدهما نعم انا احكم كتاب الله ان يقال له حينئذ كفرت . وهنا يتبادر الى الذهن سؤال وهو ان يقال هل كان الخوارج حين قاموا بذلك الانشقاق الدموى احرص من على على اعطائه حقه . وانه حين هضم حقه فى الخلافة كانوا غير راضين بهذا الجور عليه ؟ فاذا كان الامر كذلك وهو بعيد جدا فلماذا خرجوا عن طاعته وشهروا السيف فى وجهه بل ورأوا ان قتاله قربة الى الله . ؟

ولقد صدق الشهرستانى حين ارجع ذلك الانشقاق الى انه ناشئ عن الهوى والاستبداد وانه لا ضير على على فيه ولا لوم وذلك حينما شرع رحمه الله فى بيان بدعهم فقال :

" والبدعة الثانية انهم قالوا : اخطأ على فى التحكيم اذ حكم الرجال ولا حكم الله وقد كذبوا على على رضى الله عنه من وجهين :

(١) احدهما فى التحكيم انه حكم الرجال وليس ذلك صدقا لانهم هم الذين حملوه على التحكيم .

(٢) والثانى ان تحكيم الرجال جائز فان القوم هم الحاكمون فى هذه المسألة وهم رجال ولهذا قال على رضى الله عنه " كلمة حق اريد بها باطل " (١)

ويشهد لهذا ماجاء عن على رضى الله عنه حينما بلغه نقمة الخوارج عليه انه امر مؤذنا فأذن ان لايدخل على أمير المؤمنين الا رجل قد حمل القرآن فلما ان امتلئت الدار من قراء الناس دعا بمصحف امام — اى من مصاحف عثمان التى وزعت على الامصار — فوضعه بين يديه فجعل يصكه — ينقره — بيده ويقول ايها المصحف حدث الناس فناداه الناس فقالوا يا أمير المؤمنين ماتسأل عنه انما هو مداد فى ورقه ونحن نتكلم بما روينامنه فماذا تريد ؟ فذكر لهم قولة الخوارج انه حكم الرجال " (٢)

وقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم انه اسند الى العلماء والحكام احكاما كثيرة اجتهادية اى لم ينزل فيها نص بعينه فى الكتاب من هذه الاحكام :

(١) قتل الصيد على المحرم — قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم " (المائدة : ٩٥) .

(٢) وفى النشوز بين الزوجين قال تعالى : " وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما " (النساء : ١٢٨) .

(٣) وفى الشقاق بين الزوجين ايضا قال تعالى " وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها " (النساء : ١٢٨) .

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٦

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٨٠ .

(٤) عن الاختلاف والمنازعقال تعالى : " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله" (الشورى : ١٠) . وقوله " فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر " (النساء : ٥٩) . وقوله " واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " (النساء : ٨٣) .

قال ابوالحسين الملطي " فهذا محكم القران قد جعل احكاما كثيرة الى العلماء والى الامراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله فكيف قلتم لاحكم الا لله فان أبوا هذا الشرح ومحكم الكتاب ظهر جهلهم وان قالوا به تركوا قولهم ورجعوا الى الحق " (١)

واخيرا فان راى الخوارج في انكارهم للتحكيم واستدلالهم على تحريمه بقوله تعالى " ان الحكم الا لله " (سورة الانعام : ٥٧) وقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله " (سورة الشورى : ١٠) استدلال غير صحيح وفي غير محله بل ان هذه الاية ترد عليهم رايهم فان خلافهم في هذا الامر يجب فيه الرجوع الى الله وكيف ذلك الا بالرجوع الى حكمه في كتابه مع ان عليا ماحكم احدا في دين الله وحاشاه من ذلك وانما حكم كلام الله تعالى في خصومة رجا بذلك انهاءها .

لقد كان عليه بعد ان اتفق نداء اهل الشام واهل العراق بالتحكيم ــ ان يرضى به ــ مهما كان رايه في بواعث هذا النداء استجابة لقوله تعالى " فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا " (النساء : ٥٩) .

---

(١) التنبيه والرد ص ٥٢ .

وحيث كان من المستحيل أن يتخاصم العسكران ويتناظرا في الحق الواجب اتباعه كان من الصواب تفويض كل طائفة لرجل منهم ممثلا لرأيهم وهذا هو الامر الذى لايمكن غيره ولكن ركب الخوارج رؤسهم فهم كما يقول ابن حزم عنهم :

" ولكن اسلاف الخوارج كانوا أعرابا قرأوا القرآن قبل ان يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولم يكن فيهم احد من الفقهاء الى ان قال .... ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها " . (١) وهذا أمر طبيعى اذ أن نشأتهم من اولها قامت على تضخيم اخطاء الغير ونقدها اشد النقد .

٩ ـ رجوع الامام على بجيشه من صفين

وأيا كان حكمنا على الأطراف المشتركة في قضية التحكيم وعلى قبول هذا المبدأ وما وقع فيه من شعارات فقد اصبح حقيقة واقعة استتبعت نتائجها الخطيرة في صفوف جيش الامام على حتى بعد موقعة صفين وكتابة الوثيقة وقبل ان يحل الاجل المضروب لاتمام التحكيم نفسه .

ففى أثناء رجوعهم الى الكوفة بعد المعركة رجعوا بقلوب غير التى ذهبوا بها لقد كانوا في الذهاب احبة متوادين ، ولكنهم في الرجوع كانوا اعداء متباغضين فكانوا على طول الطريق يتدافعون ويتشاتمون وكأن ذلك الطريق الذى كان واسعا في الخروج قد ضاق بهم عند الرجوع رغم نقص عدد من قتل في تلك المعارك التى

---

(١) الفصل .. جـ ٤ ص ١٥٦

استمرت أياما عديدة ، فكان بعضهم يشتم بعضا ويضرب بعضهم بعضا بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم فى أمر الله عز وجل وحكمتم وقال الاخرون : فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا " (١) .

يقول ابن كثير عن على بعد رجوعه من صفين " فلما دخل الكوفة سمع رجلا يقول : ذهب على ورجع فى غير شىء فقال على : للذين فارقناهم خير من هوءلاء " (٢) .

ويقول المسعودى عن رجوع اهل العراق : " ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا واقبل بعضهم يتبرأ من بعض يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه .. وكثر التحكيم فى جيش اهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الاخر فى رأيه " (٣) . وحتى بعد أن اجتمع الحكمان وانتهت مسألة التحكيم الى ما انتهت اليه لم تكن هذه الحادثة سببا فى اجتماعهم كما هو المفروض بل كانت سببا ايضا فى زيادة تفرقهم بقدر ماكانت زيادة فى قوة ترابط أهل الشام وهم جيش معاوية يقول ابن كثير فى وصف تفرق المجتمعين للتحكيم من اصحاب على بعد ان انتهى التحكيم : " وتفرق الناس فى كل وجه الى بلادهم فاما عمرو واصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة واما ابوموسى فاستحى من على فذهب الى مكة " (٤) وقال الطبرى قال ابومخنف حدثنى ابوجهضم الازدى – رجل من اهل الشام – عن عبد الله بن حوالة الازدى ان اهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما ياتى به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا بايع اهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد الا قوة واختلف الناس بالعراق على على " (٥) .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦٣ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٢
(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٩
(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٥
(٤) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٤
(٥) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٩٧

١٠ ـ انحياز الخوارج الى حروراء

ثم عودتهم الى الكوفة

ذكرنا آنفا أن عليا قد عاد بجيشه من صفين وانه كان لهذه العودة ألم شديد في قلوبهم كما لو كانوا منهزمين . فقد انقسم جيش على على نفسه فكانوا على طول الطريق الى الكوفة يتشاتمون ويضرب بعضهم بعضا الى ان قاربوا الكوفة فانفصل ذلك الفريق المعارض لوجهة التحكيم الذين سموا بالخوارج وذهبوا الى حروراء (١) وهى قرية من قرى الكوفة (٢) وعسكروا بها معلنين خلع على واختيار من يصلح للخلافة وكان يرأسهم فيما قال الشهرستاني عبد الله بن الكواء وعتاب بن الاعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن ابى عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير البجلي (٣) .

بينما الاشعرى لايذكر من امرائهم حين اعتزلوا الا عبد الله بن الكواء اميرا وشبث بن ربعى امير القتال ثم بايعوا لعبد الله بن وهب فيما بعد وكذا عند البغدادى الا انه زاد فذكر ان عبد الله بن الكواء طلب الامان من على هو ومعه عشرة من الفرسان وذلك بعد مناظرة على لهم وظهور حجته عليهم (٤) .

بينما يذكر ابن عبد ربه ان ابن الكواء كان امام الخوارج في الصلاة وانه قال لهم

(١) مقالات الاشعرى ج ١ ص ٢١٠ ، الملل والنحل ج ١ ص ١١٥ ، الفرق بين الفرق ص ٧٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٦ . تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦٣

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٠

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥

(٤) المقالات ج ١ ص ٢١٠ . الفرق بين الفرق ص ٧٥ .

" متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعى الرياحى " (١) .

ويقول الطبرى " ونادى مناديهم ان امير القتال شبث بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وانه حين سمع على واصحابه هذا النداء قامت الشيعة فقالت له فى اعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت واعداء من عاديت فقالت الخوارج استبقتم انتم واهل الشام الى الكفر كفرسى رهان بايع اهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وبايعتم انتم عليا على انكم اولياء من والى وأعداء من عادى " (٢) .

قد ارسل على بن ابى طالب ابن عباس الى الخوارج بحروراء ليناظرهم فى حجتهم فى خروجهم لارجاعهم الى الطاعة وقد تناول المؤرخون واهل الفرق ذكر كيفية تلك المناظرة بروايات مختلفة كما سنرى . فيذكر ابن الاثير ان ابن عباس لما ارسله على اليهم واوصاه ان لا يعجل الى خصومتهم حتى ياتى فلما وصل اليهم اقبلوا اليه يكلمونه فلم يصبر ان راجعهم الكلام فقال لهم ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) (النساء : ٣٥) فكيف بأمة محمد صلوات الله وسلامه عليه . فرد الخوارج الجواب مفصلا بقولهم " اماما جعل الله حكمه الى الناس وامرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم فامضاه فليس للعباد ان ينظروا فيه ، حكم فى الزانى مائة جلدة وفى السارق القطع فليس للعباد ان ينظروا فى هذا " فاستشهد بن عباس بقوله تعالى " يحكم بهذوا عدل منكم " ولكن هذه الاية عندهم ليست بدليل له فليس الحكم فى الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين . وادعوا ان الله امضى حكمه فى معاوية واصحابه ان يقتلوا او يرجعوا " (٣)

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠
(٢) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٦٣ . الكامل لابن الاثير جـ ٥ ص ٦٣
(٣) انظر الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٣٢٧ .

ويذكر ابن عبد ربه أن ابن عباس لما وصل الى الخوارج رحبوا به واكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود وايد كثفنات الابل وعليهم قمص مرخصة وهم مشمرون وانهم قالوا الا انا اتينا ذنبا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا وينهض لمجاهد عدونا رجعنا ، وان ابن عباس أخذ فى تقريرهم بحجج سلموا بصحتها واقتنعوا بصدقها حيث اخذ يناشدهم الله الا صدقوا مع انفسهم فقال لهم أما علمتم ان الله امر بتحكيم الرجال فى ارنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم وفى شقاق رجل وامراته فقالوا اللهم نعم . قال فانشدكم الله هل علمتم ان رسول الله امسك عن القتال للهدنة بينه وبين اهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين . قال ابن عباس ليس ذلك يزيلها عنه وقد محا رسول الله " ص " اسمه من النبوة وقال سهيل ابن عمرو لو علمت انك رسول الله ماحاربتك فقال للكاتب اكتب محمد بن عبد الله ، وقال لهم ابن عباس حينما قالوا له ان عليا قد كفر حين حكم فليتب ـ قال لهم ابن عباس " ماينبغى لمؤمن لم يشب ايمانه بشك أن يقر على نفسه بالكفر " (١) .

وقد ذكر صاحب ابانة المناهج المحاورة بين ابن عباس والخوارج وانهم قالوا له فى انتقادهم عليا انه قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفارا لقد حلت لنا اموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت علينا دماؤهم وانه محا عن اسمه امارة المؤمنين فان لم يكن أمير المؤمنين فهو امير الكافرين . فاجابهم ابن عباس على الشبهة الاولى بقوله " واما قولكم انه قاتل ولم يسب ولم يغنم اتسبون امكم عائشة ام تستحلون منها ماتستحلون من غيرها فقد كفرتم وان زعمتم انها ليست بامكم فقد كفرتم وخرجتم

---

(١) انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٩ و " ابانة المناهج ص ١٦٢ ، شرح نهج البلاغة ص ٢٧٣ ج ٢

من الاسلام . ان الله تعالى يقول " النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم " (سورة الاحزاب : ٦) . فانتم تردد ون بين ضلالين فاختاروا أيهما سلمتم اخرجت من هذه قالوا اللهم نعم الى اخر مافى تلك المحاورة التى الزمهم فيها الحجة مما لانبطيل القول بذكره (١) .

وذكر الشاطبى ان ابن عباس اتى الحرورية وهم قائلون بعد ان استأذن من على وطلب اليه ان لايفوته بالصلاة بل يبرد حتى ياتى القوم فاتاهم وعليه حلة فقالوا ما هذه الحلة عليك قال ـ قلت ماتعيبون من ذلك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه احسن مايكون من الثياب اليمنية قال ثم قرات هذه الاية (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الاعراف : ٣٢) فقالوا ماجاء بك قال جئتكم من عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم احد ومن عند ابن عم رسول الله "ص" وعليهم نزل القرآن وهم اعلم بتاويله جئت لابلغكم عنهم وابلغهم عنكم فقال بعضهم لاتخاصموا قريشا فان الله يقول " بل هم قوم خصمون " فقال بعضهم بلى فلنكلمه قال فكلمنى منهم رجلان او ثلاثة (٢) ثم روى الشاطبى المناظرة التى جرت بينهم مالايكاد يختلف عن روايات غيره ممن سبق وكلها تظهر الزام ابن عباس للخوارج بالحجة التى تدمغهم فى خروجهم على الامام على رضى الله عنه .

ولكن الوضع يختلف عند صاحب كشف الغمة فى ايراده لهذه المناظرة . فقد اورد ماذكره ابن عباس فى مجادلته لهم ولكنه ذكر حججا طويلة للخوارج يقررون بها ابن عباس وفى كل مرة يقول اللهم نعم حاصلها ان التحكيم فى قضية الصيد لاتكون لمن لايستحل قتله واما معاوية وعمرو بن العاص فهم يستحلون دماء المسلمين

---

(١) ابانة المناهج ص ١٦٣

(٢) انظر الاعتصام للشاطبى ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ تلبيس ابليس ص ٩١/٩٢ .

ويستحلون ماحرم الله ويحرمون ما احل الله فلا تجوز حكومتهم في هذه المسألة وان تحكيم علي لابي موسى وهو الرجل الشاك في قتال الفئة الباغية . وممن كان يخذل عن القتال امر لا يجوز الوقوع فيه ايضا . والمناقشة طويلة ومعروفة لاتخرج عن ما تقدم . الا ان المؤلف انفرد بذكر اشياء لم يذكرها غيره وهي انه كان من ضمن الشروط ان ايما رجل احدث حدثا من اصحاب علي ودخل في دين معاوية وحكمه فليس لعلي اقامة ذلك الحد عليه لدخوله في دين معاوية وحكمه وكذلك من احدث من اصحاب معاوية ودخل في دين علي فليس لمعاوية اقامة ذلك الحد عليه " فهل كان من المعقول ان يتفق علي ومعاوية عن تعطيل الحدود فيما بينهما وقد ساق صاحب كشف الغمة ذلك الحوار كله على نحو يدلل فيه على ان معاوية وجيشه هم فئة باغية لا يجوز ترك قتالهم حتى يفيئوا الى امر الله ولكن عليا لم يقف ــ في نظره ــ عند هذا الحكم الشرعي فيهم لهذا فهم براء منه . ثم قال المؤلف اخيرا يبين ما انتهت اليه محاورة ابن عباس للخوارج (وانصرف من عندهم ــ يعني ابن عباس ــ وهو مقر لهم ومعترف لهم انهم قد خصموه ونقضوا عليه ماجاء به مما احتج به عليهم " . " فقال له علي الا تعينني على قتالهم فقال له لا والله لا أقاتل قوما خصموني في الدنيا وانهم يوم القيامة لي اخصم وعلى اقوى ان لم اكن معهم لم اكن عليهم واعتزل عنه ابن عباس رضي الله عنه ثم فارقه " .

ويذكر ايضا انتقال لعلي " نكف عن القوم ثاني على ما افلجوه " (١) .

ولا يخفى مافي رواية هذا المؤلف الخارجي لمناظرة ابن عباس من الهوى والميل الى جانب الخوارج باظهارهم وكانهم في موقفهم هذا يلتزمون الحق ويلزمون الخصوم بالحجة حتى عاد ابن عباس من عندهم وحيدا ملزما بحجتهم كما يزعم ، خلافا لماذكر جميع المؤرخين وكتاب الفرق مهما اختلفت رواياتهم في ايراد

---

(١) كشف الغمة ص ٢٨١ ــ ٢٨٧ .

تلك المناظرة وفى ذكر عدد من رجع من الخوارج مع ابن عباس بعد ان الزمهم الحجة ذلك أن ابن عبد ربه يذكر ان الذين رجعوا مع ابن عباس الفان وبقى اربعة الاف " (١) . اما ابن كثير فيذكر ان ابن عباس ناظر الخوارج ثلاثة ايام فرجع منهم اربعة الاف (٢) . وقد بالغ صاحب ابانة المناهج فذكر ان الذين رجعوا مع ابن عباس عشرون الفا وبقى اربعة الاف (٣) .

وايا كانت النتيجة التى انتهى اليها ابن عباس وايا كان العدد الذى عاد معه من الخوارج قبل ان يناظرهم الامام على بنفسه حسب الروايات السابقة فهناك رواية اخرى للطبرى وابن الاثير يذكر فيها ان عليا لحق بابن عباس وهو لا يزال يناظرهم فقال لابن عباس كما يروى الطبرى " انته عن كلامهم الم انهك رحمك الله ثم تكلم فحمد الله عز وجل ثم اثنى عليه فقال اللهم ان هذا مقام من افلج فيه كان اولى بالفلج يوم القيامة ومن نطق فيه واوعث فهو فى الاخرة اعمى وأضل سبيلا ثم قال لهم من زعيمكم ؟ قالوا ابن الكوا قال على فما اخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم صفين قال انشدكم بالله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم : نجيبهم الى كتاب الله قلت لكم انى أعلم بالقوم منكم . انهم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن انى صحبتهم وعرفتهم اطفالا ورجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال امضوا على حقكم وصدقكم فانما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهنا ومكيدة فرددتم على رايى وقلتم لا . بل نقبل منهم . فقلت لكم اذكروا قولى لكم ومعصيتكم اياى فلما أبيتم الا الكتاب اشترطته على الحكمين ان يحييا ما احيا القران وان يميتا ما أمات القران فان حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف حكما يحكم بما فى القرآن

---

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٨٩
(٢) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٨١
(٣) ابانة المناهج ص ١٦٣ .

وان أبيا فنحن من حكمهما براء . قالوا له فخبرنا اتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال ، قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته فيما بينك وبينهم قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله يصلح فى هذه الهدنة هذه الامة " . وبعد انتهاء هذه المحاورة طلب منهم ان يدخلوا الكوفة " فدخلوا من عند آخرهم " (١) .

وقد اظهر الخوارج فى نهاية المحاورة انهم اعترفوا بصحة ماقاله وانهم اتوا ذنبا كفروا به ثم تابوا وقالوا له " فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون " ويزعمون انه بايعهم على هذا . وقد كذبوا كما يقول الطبرى وابن الاثير فى هذا الزعم (٢) لانهم رتبوا عليها خروجهم الى النهروان حينما اشيع ان عليا رجع عن اعترافه بخطأه فى التحكيم حسب مايرويه ابورزين بقوله : " فخرج اليهم على فكلمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم فدخلوا الكوفة فاتاه رجل فقال ان الناس قد تحدثوا انك رجعت لهم عن كفرك فخطب الناس فى صلاة الظهر فذكر امرهم فعابه فقال " من زعم انى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو اضل منها " . فوثبوا من نواحى المسجد يقولون لاحكم الا لله واستقبله رجل منهم واضعا اصبعيه فى اذنيه فقال " ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين " (سورة الزمر : ٦٥) فقال على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون " (سورة الروم اية : ٦٠) .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦٥/٦٦ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٨ ، الكامل للمبرد ج ٢ ص ١١٧

(٢) الطبرى ج ٥ ص ٦٦ ، الكامل ج ٣ ص ٣٢٩ .

وحين شاهد على هذا النفور منهم جعل يقلب يديه على المنبر ويقـــــول :
" حكم الله عز وجل ينتظر فيكم مرتين ان لكم عندنا ثلاثا : لا نمنعكم صلاة فى هـــذا المسجد ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ماكانت ايديكم فى ايدينا ولا نقاتلكـــم حتى تقاتلونا " (١) .

فكان الناس يقولون لعلى انهم خارجون عليك فقال لا اقاتلهم حتى يقاتلـــون وسيفعلون " (٢) .

ويبدو من هذا — ان صحت الرواية السابقة عنه — ان الخوارج حينما رجعـــوا لو عوملوا ببعض الاناة ربما كانت تلك العاصفة قد مرت بسلام لولا ماجاء به ذلك الرجـل الى الامام على ثم قيام الامام على باعلان تكذيب مانسب اليه على رءوس الناس ولقـــد كان — من باب جمع الكلمة والسكوت على بعض مايكره — ان لا يتأثر بكلام ذلك الرجـل فيخرج الى الناس ويخطبهم ويشتمهم على رءوس الاشهاد ويخبرهم انه لم يرجع عـــن الحكومة وان الذين رءوها ضلالا هم الضلال فان .. هذا وان كان هو اللائـــق بالامام على الذى لا يعرف الخداع والمداهنة هو الذى جر عليه غضب هؤلاء وانهـــدم ما امله فيهم حين رجوعهم من حروراء الى الكوفة فقد صدق ماتوقعه منهم من قتالهـــم له فخرجوا من الكوفة متواعدين على اللقاء بالنهروان حيث كانت الموقعة الكبـــرى بين الفريقين بزعامة عبد الله بن وهب الراسبى .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٤ — البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٥
(٢) تلبيس ابليس ص ٩١ — العقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٨ .

١١ ـ امارة عبد الله بن وهب الراسبى على الخــوارج

ولكن اين ومتى تمت البيعة له ؟ .

لقد تمت البيعة له فى الكوفة بعد خلافهم الاخير مع الامام على وقبــــل أن تنتهى عملية التحكيم نفسها وتظهر نتيجتها .

فعندما ارسل على اباموسى للتحكيم اجتمع الخوارج فى منزل عبد الله بن وهــب الراسبى فقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم زهدهم فى الدنيا والرغبة فيما عنـد الله باقامة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحتساب ذلك لثواب الله ثم قال لهــم (فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القريـة الظالم اهلها الى بعض كور الجبال او الـــى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة " فقام حرقوص بن زهير وتكلــم وزهد فى الدنيا والاغترار بها ثم قال لهم (ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلـم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

فقام حمزه بن سنان الاسدى وقال لهم : (ياقوم ان الراى مارايتم فولـــوا امركم رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليهـــا) وهنا وقعوا فى مشكلة من سيقبل الخلافة فقد صار كل واحد ممن يصلح لها يحيلهـا عنه الى غيره فقد عرضوها على زيد بن حصين الطائى فابى ثم على حرقوص بن زهيـــر فأبى ايضا ثم على حمزه بن سنان فأبى كذلك ثم شريح بن اوفى العبسى فامتنع . ثـــم عرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها اما والله لا آخذها رغبة فى الدنيـــا ولا أدعها فرقا من الموت وهكذا تمت بيعة ذى الثفنات كما كان يقال له مـــن شدة عبادته فى شهر شوال لعشر خلون منه سنة سبع وثلاثين هـ (١) .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٤/ ٧٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٦ .

ويذكر المبرد انهم لما الحوا عليه بالخلافة كان يقول لهم : (ياقوم استبينوا الرأى اى دعوه يغب (١) " ويقول عنه الشهرستانى (وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستقبلهم ويومئ الى غيره فلم يقتنعوا الا به) (٢) .

ويذكر الشهرستانى انه تمت بيعة عبد الله بن وهب فى منزل زيد بن حصين الطائى لا فى منزل ابن وهب كما قال الطبرى . بايعه عبد الله بن الكواء وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربى وجماعة منهم وانه كان يوصف برأى وبنجدة (٣) . والذى يفهم من كلام البغدادى فى قوله " وانحاز الباقون منهم الى النهروان وامروا على انفسهم رجلين احدهما عبد الله بن وهب والاخر حرقوص بن زهير " (٤) ان بيعة عبد الله بن وهب كانت فى النهروان لا فى الكوفة .

وعلى كل فقد تمت بيعته وصار على حد تعبير ابى اسحق اطفيش خليفة شرعيا يجب على المسلمين كلهم ان ينضموا تحت لوائه حتى الامام على نفسه وذلك فى قوله : " فاختاروا رجلا من أفضل الناس يومئذ ومن الصحابة الكرام وهو عبد الله بن وهب الراسبى الازدى فلما بايعوه بعثوا اصحابهم (لعله الى) يومئذ ومنهم الامام على أن يدخلوا فى البيعة لمن اختاروه اماما " (٥) . ومن العجيب ان ينشقوا عن طاعة الخليفة ثم يطلبوا منه ان ينضم تحت خلافتهم . ولقد تناسى المؤلف فضل الامام على الذى لا يحق ان يذكر بجانبه فضل بن وهب . ففضله عليه فى استحقاق الخلافة وقد نعى عليهم ابن حزم اختيارهم لعبد الله بن وهب الراسبى الذى وصفه بانه " بوال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط " (٦)

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٠٥
(٢) الملل والنحل جـ١ ص ١١٧ وانظر شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٢٧١
(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٧
(٤) الفرق بين الفرق ص ٧٦
(٥) نقله عنه السالمى فى كتابه عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٥
(٦) الفصل ..جـ ٤ ص ١٥٧

ولعل في هذا الكلام مبالغة على ضوء مارواه المؤرخون عن عبادته سابقا وفيه يقول الزركلي كذلك "عبد الله بن وهب الراسبي من الازد من ائمة الاباضية كان ذا علم ورأى وفصاحة وشجاعة وكان عجبا في العبادة ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع سعد بن ابي وقاص" (١) .

وربما كان في اختيار الخوارج له مع شدة تمسكهم بالعبادة وشروطهم القاسية في من يلي أمرهم دلالة على مدى اجتهاده في العبادة والاستقامة التي يشترطونها يقول في هذا امعاذ بن جوين بن حصين الطائي " وانما ينبغي ان يلي على المسلمين اذا كانوا سواء في الفضل ابصرهم بالحرب وافقههم في الدين وأشدهم اضطلاعا بما حمل " (٢)

الا أننا لانقول بانعقد استحق الخلافة وانه افضل الامة يومئذ مع وجود الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب كما بالغ ابي اسحق اطفيش في مدحه .

١٢ — خروج الخوارج الى النهروان (٣)

اجتمع الخوارج في منزل شريح بن اوفى العبسي ثم اخذوا يتداولون الراى في مستقبلهم وماذا ينبغي تجاهه ، واول ذلك البحث عن مكان يجتمعون فيه لانفاذ حكم الله كما قال ابن وهب فقال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من اهل البصرة فيقدمون علينا ، ولكن زيد بن حصين

---

(١) الاعلام جـ ٤ ص ٢٨٨
(٢) تاريخ الطبري جـ ٥ ص ١٧٥
(٣) تقع النهروان بين بغداد وواسط . انظر الاعلام للزركلي جـ ٤ ص ٢٨٨ .

لم يوافق على هذا الرأى وقال ان المدائن بها من يمنعكم واشار عليهم بالمسير الى حيث كتب الله مصارعهم الى جسر النهروان وبعد ذلك كاتبوا اخوانهم من أهل البصرة واشار عليهم ايضا بأن لا يخرجوا مجتمعين لئلا يتهموا ولكن يخرجون وحدانا مستخفين فقالوا هذا الرأى . وقد كتب عبد الله بن وهب الى موافقيهم من اهل البصرة يخبرونهم بما اجتمع عليه رأيهم وحثهم على اللحاق بهم فأجابوه بالسمع والطاعة وانهم على أثرهم الى مكان الاجتماع . ثم خرج بن وهب فى ثلاثين فارسا ولما علم به والى المدائن من قبل على ، سعد بن مسعود خرج اليه فى خمسمائة فارس فلحقهم بالكرخ عند المساء فاقتتلوا ساعة وامتنع عبد الله بن وهب ومن معه منهم ثم هرب تحت ستار الليل فعبر دجلة الى ارض جوخى ووصل النهروان وقد أيس اصحابه منه وقالوا ان هلك ولينا الامر بعده زيد بن حصين او حرقوص بن زهير (١)

وبعد أن استقر الخوارج بالنهروان جرت مكاتبات بين الامام على والخوارج بقصد عودة الالفة واجتماع الكلمة ولكنها كانت كمن ينفخ فى رماد اذ كان موقف الخوارج فى غاية الشدة والتمسك بالرأى وصار موقفهم فى غاية التناقض والبعد اذ كان يطلب اليهم الرجوع الى الطاعة وهم يطلبون منه ان يدخل فى طاعتهم تحت ولاية ابن وهب وذلك ما توضحه المكاتبات الاتية :

كتب على بن أبى طالب اليهم هذا الكتاب :

" بسم الله الرحمن الرحيم . من أمير المؤمنين على بن ابى طالب الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من المسلمين . السلام عليكم . فاني احمد الله اليكم الذى لا اله الا هو . اما بعد :

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٦ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٨ .

فان الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما وحكما بغير ما انزل الله فبرىء الله ورسوله منهما وانا منهما بريء فهلموا نعطيكم الرضى ونرجع الى الامر الاول الذى طلبتموه منى ونقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا والله خير الحاكمين " .

فردوا عليه بكتاب فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم : من امام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبى وزيد بن حصين ومن معهما من المسلمين الى على بن ابى طالب الخالع نفسه . السلام على من اتبع الهدى وتجنب متالف الردى أما بعد :

فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو وبلغنا كتابك تذكر فيه ان الحكمين نبذا كتاب الله وحكما بغير ما أنزل الله فقد علمنا والحمد لله امرهما كان مخالفا للحق من اوله وانت بتحكيمك اياهما اعظم جرما منهما . وذكرت انك ترجع الى الحق وتعطى الرضى وترجع الى الامر الاول فلسنا نرد عليك توبتك فان كنت صادقا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة امام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبى فقد بايعناه بعد خلعنا اياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا وسعنا الا ذلك والسلام (١) " .

---

(١) انظر هذه المكاتبات فى كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ص ٢٨٠ ـ ٢٨١
وانظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٧ / ٧٨
وانظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٩ .

١٣ ـ موقعة النهروان :

لما انتهى المقام بالخوارج الى النهروان ولم تجد المكاتبات بينهم وبين الامام على رأى انهم شوكة داخلية لاينبغى التغاضى عنها ، وان تركهم سيخل بأمن المسلمين وسيروعون الناس خصوصا وانهم قد قتلوا عبد الله بن خباب وغيره من المسلمين ، أضف الى هذا أن الناس كانوا يرغبون فى ان يبدأ على بقتال الخوارج حتى لا يخلفوا وراءهم عند مسيرهم الى الشام من يكون خطرا على أموالهم واهليهم بعدهم فسار اليهم على بجيشه وقبل ان يبدأ بقتالهم أرسل اليهم : " أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم فقتلهم بهم ثم انا تارككم وكاف عنكم حتى القى أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم الى خير مما انتم عليه من أمركم فبعثوا اليه فقالوا كلنا قتلهم وكلنا نستحل دمائهم ودمائكم " (١) . ثم أخذ اصحاب على يناشدونهم الرجوع الى الطاعة والجماعة واولئك يجيبونهم بالامتناع ولقد كان على رضى الله عنه يكره قتلهم حتى فى آخر لحظة من لحظات عصيانهم فقد اعذر اليهم مرارا وحتى هذه اللحظة كان يحرص على استبقائهم فقد حذرهم من الحرب وما ينتج عنها من هلاك وبين لهم انهم هم الذين اجبروه على التحكيم . ثم قال لهم " ونحن على أمرنا الاول فما الذى بكم ومن اين اتيتم " . فاجابوه بجواب من اغرب مايكون وذلك انهم قالوا له " انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت كما تبنا فنحن معك ومنك وان ابيت فاعتزلنا فانا منابذوك على سواء ان الله لايحب الخائنين . فقال على اصابكم حاصب ولابقى منكم وابر (اى احد) أبعد ايمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله اشهد على نفسى بالكفر . لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين . ثم انصرف عنهم (١)

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٨٣ و ٨٤ . الكامل لابن الاثير جـ٣ ص٣٤٣/ ٣٤٤ وانظر البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٨٩ . مروج الذهب جـ٢ ص ٤١٦ .

وقد وقع كثير من المحاورات بينهم وبين الامام على قبل نشوب المعركة حيث قال لهم على قبل القتال ماذا نقمتم منى فذكروا له عدة أشياء منها :

١ ـ أنهم نقموا عليه انه فى يوم معركة الجمل وبعد انتصارهم اباح لهم ما وجدوا فى عسكر مخالفيهم من المال ومنعهم من السبى لنسائهم وذراريهم فكيف ـ بزعمهم ـ استحل مالهم دون النساء والذرية فأجابهم عن هذا الاشكال منهم بقوله " انما ابحت اموالهم بدلا عما كانوا اغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الاسلام بحكم دار الاسلام ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ولا يجوز استرقاق من لم يكفر . وبعد لو ابحت لكم النساء ايكم يأخذ عائشة فى سهمه . فخجل القوم من هذا .

٢ ـ انه حينما كتب كتاب الهدنة بينه وبين معاوية لم يرض معاوية ان يكتب باسم امير المؤمنين على بن ابى طالب وطلب كشرط اساسى للاتفاق ان لا يكتب ذلك فمحى على اسم امير المؤمنين . فاجابهم عن هذا الانتقاد بانه فعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية المشهور ثم قال " واخبرنى رسول الله "ص" ان لى منهم يوما مثل ذلك فكانت قصتى فى هذا مع الابناء . قصة رسول الله "ص" مع الاباء (١) .

٣ ـ قوله للحكمين " ان كنت اهلا للخلافة فاثبتانى بان هذا شك منه فى احقيته للخلافة فان كان شاكا فغيره اولى بالشك فيه " فاجابهم عن هذا بقوله : انما اردت بذلك النصفة لمعاوية ولو قلت للحكمين احكما لى بالخلافة لم يرض بذلك معاوية " ثم استدل بقصة وفد نصارى نجران

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٩ وشرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٢٧٥ . والكامل للمبرد جـ٢ ص ١١٧

ودعوة رسول الله لهم الى المباهلة لانصافهم من نفسه • ثم قال :
" ولم ار غدر عمرو بن العاص " (١) •

٤ — انهم قالوا له " لم حكمت الحكمين في حق كان لك ؟ فاجابهم بقوله
" وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ في
بني قريظة ولو شاء لم يفعل واقمت انا ايضا حكما لكن حكم رسول الله
قد حكم بالعدل وحكمي خدع حتى كان من الامر ماكان فهل عندكم
شيء سوى هذا • ؟ فسكت القوم وقال اكثرهم : صدق والله • وقالوا
التوبة • واستأمن اليه منهم يومئذ ثمانية الاف (٢) " فيما ذكر البغدادي •

وقد طلب علي من الذين استأمنوا أن يعتزلوا المعركة وقال لاصحابه قاتلوهم
فوا الذي نفسي بيده لايقتل منا عشرة ولاينجو منهم عشرة • وكان القتلى من
جيش علي تسعة ذكروا باسمائهم عند البغدادي •

وقد اخبر علي أصحابه أن مصارع الخوارج ستكون دون جسر النهروان اي قبل
أن يعبروه الى شرقيه واكد هذا بقوله " والله ماكذبت ولا كذبت " (٣) •

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٩
(٢) المرجع السابق ص ٨٠
(٣) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٥ • الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٢
شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٢ •

وقد برز حرقوص الى علي قائلا له : " يابن ابى طالب لانريد بقتالك الا وجه الله والدار الاخرة " . فقال على : بل مثلكم كما قال الله عز وجل : " قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم (في الحياة الدنيا) وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا " (الكهف اية ١٠٣ ـ ١٠٤) منهم انت ورب الكعبة (١) " . وقد رأى على ان الباقين لاينفع معهم غير استئصالهم او عودتهم الى الطاعة بأى وسيلة ممكنة فاذن لاصحابه فى خوض المعركة وقد ثاب الى رشده بعض اولئك واستوحشوا من محاربة على ـ كما يقول الاشعرى ـ فتفرقوا عن ابن وهب ومن هؤلاء :

١ ـ جويرية بن فادع فارق ابن وهب فى ثلاث مائة .

٢ ـ ومنهم مسعر بن فدكي ذهب الى البصرة فى مائتين ويقال بل لحق برايه ابى ايوب الانصارى مع على .

٣ ـ ومنهم فروة بن نوفل الاشجعى فارقه فى خمسمائة .

٤ ـ ومنهم عبد الله الطائى رجع الى الكوفة فى ثلاثمائة ويقال بل لحق براية ابى ايوب الانصارى .

٥ ـ ومنهم ابومريم السعدى فارقه فى مئتين ويقال بل لحق براية ابى ايوب الانصارى

٦ ـ ومنهم اشرس بن عوف نزل الدسكرة فى مائتين .

وقد بلغ عدد هؤلاء المحجمين عن قتال الامام حوالى الف وسبعمائة رجل (٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٨٠

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١٠ ـ ٢١٢

وقبل أن تنشب المعركة اشار منجم على علي بأن لا يحارب الخوارج الا في ساعة معينة والا لقي منهم شرا • ولكن عليا في فقهه ودينه ماكان له أن يسير وراء كلام المنجمين ولهذا فلم يسمع لكلامه وسار في الوقت الذي يريده هو •

والغريب في هذا ان يقال كيف تمكن ذلك المنجم من الوصول الى علي واخباره بذلك ومن اين جاء • وهنا يختلف النقل عن حقيقته فالطبري حسب مايفيد كلامه ـ يذكر ان ذلك المنجم انما لقيه على صدفة في اثناء سيره الى مكان المعركة • وذلك في قوله " فلقيه في مسيره ذلك منجم اشار عليه بسير وقت من النهار وقال له ان سرت في غير ذلك الوقت لقيت انت واصحابك ضرا شديدا فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه فلما فرغ من النهر حمد الله واثنى عليه ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون : سار في الساعة التي امره بها المنجم فظفر " (١) •

بينما يذكر ابن ابي الحديد ان هذا المنجم كان من اصحاب علي في جيشه وانه بعد ان قال لعلي ما اشار به قال له علي " اما والله لئن بلغني انك تعمل بالنجوم لاخلدنك السجن ابدا مابقيت ولاحرمنك العطاء ماكان لي من سلطان " (٢) فقد ادرك علي رضي الله عنه أن هذا ابتلاء من الله له مع ما ابتلي به من مخالفيه ولكنه كان شديد الايمان واثقا بربه فلم يعبأ بقول ذلك المنجم •

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٣ والكامل لابن الاثير ج٣ ص ٣٤٣

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٠ •

وقد عبأ علي جيشه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شبث ابن ربعي وقيل معقل بن قيس الرياحي وعلى الخيل ابوايوب الانصاري وعلى الرجالة ابا قتادة الانصاري وعلى اهل المدينة ـ وكانوا سبعمائة او ثمانمائة ـ قيس بن سعد بن عبادة .

واما الخوارج فكانت تعبئتهم على النحو التالي :
على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي وعلى الميسرة شريح بن اوفى العبسي وعلى الخيل حمزة بن سنان الاسدي وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي .

وقد تفرق عن عبد الله بن وهب جماعة من جيشه حين اعطى علي ابا ايوب الانصاري راية امان وناداهم من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو امن لاحاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك دمائكم . فقال فروة بن نوفل الاشجعي " والله ما ادري على أي شيء نقاتل عليا . ارى ان انصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله او اتابعه " (١) .

وقد أمر علي جيشه ان لا يبدؤهم بحرب ولكن الخوارج نادى بعضهم بعضا الرواح الرواح الى الجنة . وحملوا على جيش علي فزحفت خيل علي على الميمنة والميسرة ورماهم الرماة بالنبل وحملوا حملة صادقة بالسيوف والرماح فنادى قائد خيل الخوارج حمزه بن سنان اصحابه ان ينزلوا ولكن دون جدوى فقد احدقت بهم الخيل

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ٣ ص ٣٤٦

والرجالة من كل مكان وكانت القاضية وهزموا شر هزيمة وقتل اميرهم عبد الله بن وهب الراسبى فى تلك الوقعة سنة ٣٧ أو ٣٨ هـ . قتله كما يقول المسعودى ـ هانىء بن حاطب الازدى وزياد بن حفصة وقد سماهما الطبرى هانىء بن خطاب الارجى وزياد بن خصفة (١) .

ويتهم مؤلف كشف الغمة بان عليا كان هو البادىء بالحرب فيقول ان على بن ابى طالب " زحف اليهم بمن شايعه من الرافضة (؟) واهل الكوفة وسواد الناس وهم كافون عنه يناشدونه الله فى دينهم ودمائهم وكرهوا ان يبدأوا بالقتال حتى بدأهم بالقتل " . ويقول ايضا " ولما قتل على بن ابى طالب اهل النهروان وهم على الامر الذى كانوا عليه معه بالامس ندم على قتلهم وجعل ياتى على قتلاهم وهو يستغفر لهم ويقول بئس ما صنعنا قتلنا خيارنا وفقهائنا " (٢) .

ويبدو أن هذا القول لا يتفق مع رايه فيهم بينما يذكر ابن الاثير أن عليا حين مر بهم صرعى قال بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم ؟ قال الشيطان وانفس امارة بالسوء غرتهم بالامانى وزينت لهم المعاصى ونبأتهم انهم ظاهرون وقال لهم حين بلغه ان جيشه اخذ يدفن قتلاه اتقتلونهم ثم تدفنونهم ارتحلوا " (٣) .

---

(١) انظر مروج الذهب جـ ٢ ص ٤١٧ وتاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٨٧
(٢) كشف الغمة ص ٢٨٧ و ٢٨٨
(٣) انظر الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٣٤٨

١٤ ـ أسباب موقعة النهروان :

سبق أن ذكرنا ان الامام عليا قد حاول ان يثني الخوارج عن خروجهم بكل وسيلة ولكنهم اصروا وانزعوا الناس وقتلوهم واصروا على ان لا يعودوا الى الطاعة فكان لابد من الحرب وهذا هو السبب في واقعة النهروان .

ولكن ابا اسحاق اطفيش يرى ان السبب ليس هو هذا اى خروجهم على على وقتلهم ابن خباب وغيره بل خروجهم كان ـ كما يرى ـ بعد ان ذهبوا الى النهروان وكانوا في حل من بيعتهم لعلى ، وبعد ان طلبوا من على الدخول تحت خلافة ابن وهب ايضا ، وهذا عنده لا يشكل سببا كافيا لحربهم ولكن السبب الحقيقي بزعمه هو مايذكره بقوله :

" فرأى على بن ابى طالب ان البيعة حصلت لا زدى لاالقرشي وحاربهم قبل ان يتقوى امرهم فتخرج الامامة لغير قريش وهذا هو السبب الوحيد لواقعة النهروان " . ويقول ايضا " وليس اذا مايزعمه محرفوا التاريخ ومتعنتة المذهبية ان واقعة النهروان كانت بسبب الخروج على على لانهم لم يخرجوا والهيمة في اعناقهم فليتنبه المبصر من الزلة في هذا المقام فان الاهواء متغلغلة في اصحابها بما لاخفاء فيه " (١)

---

(١) نقله عنه السالمي في كتابه " عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٥ ـ ١٠٦ " وقد وافقه على هذا النقل ايضا على يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٧٠ .

وهذا الكلام الذى يقوله اطفيش حرى ان يصدق عليه قوله : " شتان الاهواء متغلغلة فى اصحابها " • فلا يكاد احد أن يصدق أن عليا ماحاربهم الا لئلا تخرج الخلافة عن قريش • فهل كان فى ذلك الوقت واثقا من بقاء الخلافة له هو نفسه فضلا عن الازد او غيرهم من الناس الم يطلب اليهم ان يسلموا قتلة ابن خباب ثم يتركهم وشأنهم ليتفرغ لما هو اهم منهم واكثر شوكة • فامتنعوا • ؟

وكأنما كانت المسألة فى ميزان الامام على ـ حسب مايقول اطفيش ـ عصبية قبلية وليس دفاعا عن الخلافة الشرعية وعن الاسلام والمسلمين • !

ولو كانت المسألة عصبية ضد قبائل الازد لتركها لمعاوية وهو قرشى •

والواقع انه ماكان يستطيع الامام على ان يلاقى معاوية ويترك هذه الشوكة فى جنبه • لابد من ان يحافظ على النساء والاطفال والاموال التى يتركها المجاهدون معه من خلفهم ولاسيما وان الخوارج كانوا يكفرون عليا وجيشه وبالتالى فسوف يعاملونهم وما يخلفونه وراءهم معاملة الكفار • فلهذه العوامل وغيرها كان لابد من لقاء على للخوارج اولا وهذا هو السبب الحقيقى •

١٥ - الخوارج بعد موقعة النهروان

وفيما يتعلق بعدد من بقى من الخوارج بعد معركة النهروان فاننا نجد اختلافا بينا فى تحديد هذا العدد بين مكثر ومقل • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فاننا نجد المقلين قد بالغوا فى تقليلهم لعدد الناجين من الخوارج مبالغة شديدة •

فبينما يذهب ابن عبد ربه الى تكثير من بقى منهم فيقول :

" فاوقع بهم على فقتل منهم الفين وثمانمائة وكان عددهم ستة الاف وكان منهم بالكوفة زهاء الفين ممن يسر امره " (١) بينما يذهب ابن عبد ربه الى بقاء هذا العدد الكثير • يقول البغدادى " وقتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس صار منهم رجلان الى سجستان ومن اتباعهما خوارج سجستان ورجلان الى اليمن ومن اتباعهما اباضية اليمن ورجلان الى عمان ومن اتباعهما خوارج عمان ورجلان صارا الى ناحية الجزيرة ومن اتباعهما كان خوارج الجزيرة ورجل منهم صار الى تل موزن " (٢) • وهكذا عند الشهرستانى ، الا أنه قال " واثنان الى كرمان " بدل كلمة اليمن التى قالها البغدادى • وكذا كلمة تل موزن عند البغدادى فهى عن الشهرستانى " تل مورون باليمن " (٣) •

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠
(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٠ و ٨١
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٧

وقد ذهب مذهب البغدادى والشهرستانى فى تقليل عدد الناجين من الخوارج الى هذا الحد ابن الاثير والمسعودى حيث يذكر كل منهما ان عدد الناجين كانوا عشرة او ثمانيةكما يذكر ابن ابى الحديد او تسعة كما يذكر ابن كثير • وان جيش على لم يقتل منه غير عشرة عند بن الاثير او تسعة عند ابن ابى الحديد والبغدادى والمسعودى (١) •

وهذا نموذج من اختلافات العلماء فى هذه المسألة وواضح ان تقليل عدد الناجين من الخوارج على هذا النحو امر مبالغ فيه اذ كيف يتصور ان تنشب معركة بين فرسان الوغى فيكون القتل على فريق واحد دون الاخر وهم فى نفس المهارة الحربية اضافة الى مافى صدور هؤلاء الخوارج من غيض حين خرجوا مع ما امتازوا به من شجاعة واقدام وتجربة فى الحروب اذ كانوا من مشهورى الفرسان الشجعان ولهذا يصفهم الطبرى حين شدوا على جيش على بقوله " ثم تنادوا الرواح الرواح الى الجنة فشدوا على الناس والخيل امام الرجال فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم " • وهذا شريح بن اوفى منهم يقاتل وحده طويلا من نهار وكان قتل ثلاثة من همدان وحده حتى قال الناس فيهم :

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٥ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٧
شرح نهج البلاغة ج٢ ص ٢٧٣ ، البداية والنهاية ج ٦ ص ٢١٨
الفرق بين الفرق ص ٨٠

اقمنت همدان يوما ورجـــــل　　　اقتتلوا من غدوة حتى الاصل

ففتح الله لـهمدان الرجـــل

ومن المعلوم ان فى جيش على أقوياء وضعفاء وكذا جيش الخوارج فكيـــــف وقع القتل من جانب واحد . ولهذا فان على يحيى معمر ينتقد هذا الحصـــر فى ضحايا المعركة بقوله " كأنما كان اولئك الناس مقيدين لا يحملون سلاحا " .

ومما يدل على خطأ القول بكثرة القتل فى جيش الخوارج دون جيش الامـــام على ان عليا حين اشتهر من امر الخوارج بعد النهروان امر جيشه بالمسيـــر فورا الى عدوهم فاشتكوا اليه قلة سلاحهم ونقص عددهم وهذا ما يرويـــه الطبرى عن ابى مخنف عن نمير بن وعله اليناعى عن ابن درداء قال :

" كان على لما فرغ من اهل النهروان حمد الله واثنى عليه ثم قال ان اللــه قد احسن بكم واعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت اسنة رماحنا وعاد اكثرها قصدا ـ اى قطعــا مكسرة ـ فارجع الى مصرنا فلنستعد بأحسن عدتنا ولعل امير المؤمنيـــن يزيد فى عدتنا عدة من هلك منا فانه اوفى لنا على عدونا وكان الذى تولـــى ذلك الكلام الاشعث بن قيس " (٢) وهكذا عند المسعودى .

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٦٨

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٨٩ . مروج الذهب جـ ٢ ص ٤١٨

ومعلوم انه لوكان الهالكون من جيش علي عشرة لما طلبوا زيادة عدتهم ليتقووا بهم • فان نقص العشرة من الجيش لا يحسب له حسابا ولا يغير خطة حربية •

ولو كان لم يقتل منهم الا عشرة وطلب منهم امير المؤمنين الاستعداد للقتال لدفعهم ذلك الى الاقبال عليه دون الرجوع عنه حيث يرون انفسهم قد قابلوا جيش الخوارج على كثرة عددهم وقد افنوه عن اخره ولم يصابوا هم الا في هذا العدد القليل وهذا يدل على ان الجيش بقى بسلامته العددية • وقوة روحه المعنوية • فان عدة عشرة رجال فقط لاتؤثر في القوة الحربية فكيف يطلبون تعويض عشرة سيوف وبعض الرماح وهو شيء قليل ويتخذون منه عذرا في الرجوع الى الكوفة •

وعلى كل حال فان الذى يهمنا ان نذكر هنا هو ان الذين نجوا من معركة النهروان سواء كانوا تسعة [illegible] او غيرها كانوا هم نواة الخوارج في البلاد وما ذكره على يحيى معمر بان هؤلاء لايكونون مذهبا غير صحيح (١) فقد يكون الواحد مذهبا وينشره بين الناس يصبحون له انصارا وسوف نرى فيما بعد انه كان هناك كثير من الناقمين على علي من الخوارج ولم يشتركوا في معركة النهروان انضم اليهم فيما بعد غيرهم وتكاثروا شيئا فشيئا ودفعة بعد اخرى حتى كونوا الجماعات الخارجة على الامام علي وعلى الحكم الاموى والعباسي من بعده وكانوا نواة لتكوين فرق الخوارج فيما بعد مما سنتناول تفصيل القول فيه في الفصول التالية •

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٦٨

الفصل الرابع

أسباب خروج الخوارج

لقد حدث في تاريخ هذه الامة الاسلامية احداث مؤلمة مزقت كلمتهم وجعلتهم احزابا وشيعا كثيرا ماتدور المعارك فيما بينهم .

فقد قوبل الاسلام في نشأته الاولى بمعارضات شديدة وتيارات جارفة للقضاء عليه منذ بزوغ فجره من قبل العناصر الدينية والشعوبية المناوئة له ولكن باءت تلك المحاولات بالفشل . ولكن اعداء الاسلام - وقد فشلوا - لا يمكن ان يقر لهم قرار او تفوتهم فرصة من الفرص التي تحدث عند غفلة المسلمين لا يمكن ان يفوتهم ذلك دون ان يحاولوا الفت في عضده باى سلاح كان حسيا او معنويا ولهذا فقد حدثت فتن كثيرة بسبب تلك المؤامرات الخفية من تلك العناصر وما حدوث تلك الفتنة الهوجاء التي حيرت الباب ذوى النهى والتي راح ضحيتها الاف المسلمين بين على ومعاوية رضى الله عنهما . فمن بعدها الى يومنا هذا الا جزء من تلك المؤامرات البعيدة . ولقد صدق الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه حين قال للثائرين عليه :

" فوالله لئن قتلتموني لاتحابون بعدى ولاتصلون بعدى جميعا ولا تقاتلون بعدى جميعا عدوا أبدا (١) " .

---

(١) البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٨٤ .

ومن هنا فقد حدثت بعد ذلك ظواهر هامة فى تاريخ هذه الامة كان من أهمها قيام الخوارج بحركتهم ، وهى من أهم الظواهر التى برزت فى الحياة الاسلامية ، وقد شملت هذه الظاهرة كل النواحى الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية عند المسلمين ولكل ظاهرة اجتماعية اسبابها المباشرة والبعيدة وكلما تعقدت الظاهرة وشملت جوانب متعددة فى الحياة كلما حملت على ظهورها اسباب معقدة وعوامل متشابكة .

وفى البحث عن الاسباب والعوامل التى أدت الى ظهور حركة الخوارج يختلف المفكرون فى تحديد هذا السبب اوذاك وفى تحديد مدى فاعلية بعض الاسباب وسوف نعرض فيما يلى اهم الاسباب التى يضعها المفكرون امام ظاهرة حركة الخوارج .

ومن تلك الاسباب مايلى :

١ ـ النزاع حول الخلافة :

ونقصد بذلك وقوع النزاع المسلح بين المسلمين حول الخلافة من جهة ونزاع الخوارج مع غيرهم فى طريقة تولية الخليفة وشروط قيامه بمهمته من جهة أخرى .

فمن حيث وقوع النزاع بين المسلمين حول الخلافة فان هناك من الباحثين من يعتبر الخوارج كالشيعة " حزبا سياسيا ظهر فى فجر الاسلام ، وان ظهورهم يرجع اولا وبالذات الى الخلاف حول الامامة العظمى . يقول الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله :

" اذا كان السبب فى ظهور الشيعة والخوارج هو الاختلاف على الامامة فان السبب فى ظهور هذه الفرق - يشير الى المشبهه والمعتزلة الخ - هو البحث والجدل فى العقيدة الدينية (١) " .

والواقع ان خلاف المسلمين حول الامامة العظمى بعد مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه لم يكن سببا فى نشأة الخوارج والشيعة وحدهم . بل كان سببا قريبا او بعيدا فى نشأة فرق اخرى كالمرجئة والقدرية .. الخ . لكن اثره فى نشأة الشيعة والخوارج آكد واظهر .

فقد كان الخوارج - قبل خروجهم عن الامام على - يكونون جزءا كبيرا من جيشه فى حربه مع معاوية وادت قضية التحكيم كما سنرى فيما بعد الى خروجهم على على ومعاوية جميعا . ولولا هذا الخلاف الواقع بين المسلمين حول الامامة لما كان هناك لتلك العوامل الاخرى التى دفعت بالخوارج الى الخروج فاعليتها المؤثرة فى ظهور الخوارج على نحو ماصار اليه امرهم فيمابعد . فلو استقرت الامور للامام على وسار فى الناس بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده لما كانت هناك مبررات لهذا الخروج الذى انتهى بالامر الى أن يصبح صراعا مسلحا مع الدولة الاسلامية فى عهودها ، فالصراع حول الامامة اذا له أثره البالغ فى ايجاد الاستعداد العام من جهة والعوامل المباشرة من جهة اخرى لخروج الخارجين وثورة الثائرين على هذا الفريق او ذاك او عليهما معا واذا كنا سنتحدث هنا عن اسباب اخرى للخروج فالواقع انها ماكانت لتدفع بهم الى الخروج على هذا النحو لو تجردت من الجو العام الذى أحدثه الصراع

---

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٠٨

حول الامامة وحتى لو كانت بذور الثورة كامنة فى نفوس الناس ـ كما قيل ـ منذ عهد عثمان رضى الله عنه • فقد كان استقرار امر الخلافة بعد ذلك خليقا ان يجعل لهذه الثورة منافذ هادئة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر دون الخروج المسلح على الخلفاء والائمة معهم على هذا النحو الذى كان عليه الخوارج •

وهناك جانب آخر من جوانب النزاع حول الخلافة التى دفعت بالخوارج الى الخروج على بنى امية وبنى العباس وهو رأيهم فى طريقة اختيار الخليفة وشروط صحة خلافته وكيفية قيامه بامر الخلافة وكان من اكبر الدوافع التى تدفعهم الى الخروج تلك الطريقة التى كان يتم بها اختيار الخلفاء الامويين والعباسيين عن طريق الوراثة • وهى طريقة تخالف مايراه الخوارج من ضرورة اختيار الخليفة ممن يصلح للحكم عن طريق الانتخاب الحر من المسلمين كما سنرى فى بحث الخلافة •

يقول احمد أمين " قد وضعوا نظرية للخلافة هى : أن الخلافة يجب ان تكون باختيار حر من المسلمين ••• الى ان يقول وهذه النظرية هى التى دعتهم الى الخروج على خلفاء بنى امية ثم العباسيين لاعتقادهم انهم جائرون غير عادلين لم تنطبق عليهم شروط الخلافة فى نظرهم " (١) •

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٥٨ / ٢٥٩ ، وانظر العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ١٩٢ •

أضف الى هذا ماكان فى نفوسهم من الحسد لقريش على استقرار الخلافة والنبوة فيهم حسب ماذهب اليه الاستاذ ابوزهرة من ان الخوارج "كانوا يحسدون قريشا على استيلائهم على الخلافة" (١) . وان السبب فى هذا الحسد يرجع الى أن الخوارج كانت اكثريتهم من القبائل الربعية المنافسة للقبائل المضرية قبل الاسلام ، وسوف نزيد هذه المسألة وضوحا عند دراستنا للعامل الرابع من عوامل اسباب خروجهم وهو عامل العصبية .

لقد وصل الحال بالخوارج الى أن يعتبروا خيرة الصحابة كعثمان وعلى رضى الله عنهما فى مقياسهم " ائمة زائفين — على حسب تعبير فلهوزن — يريد الخوارج ان يستبدلوا بهم أئمة صالحين " (٢) . وهذا الموقف يعبر عن هذه الحساسية التى كانوا عليها تجاه الخلفاء وسياستهم فى الحكم ، فلقد كانت مسألة الخلافة نصب اعينهم فى كل لحظة وكان الخليفة (اى خليفة) اقرب الى الاتهام عندهم منه الى البراءة ففى كل وقت كان مهددا بالخروج عليه ان زلت به قدم او صدرت منه فلتة لسان .

وهكذا كان نزاع المسلمين حول الخلافة ودخول الخوارج طرف فى هذا النزاع وماكان لهم فى موضوع الخلافة من راى — كان كل ذلك — من اول عوامل خروجهم على الامام على ومن جاء بعده من الخلفاء الى جانب ان هذا النزاع اوجد عاملا مباشرا فجر ثورة الخروج على الامام على وهو التحكيم .

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٦٩

(٢) الخوارج والشيعة ص ٤٣ .

٢ ـ قضية التحكيم :

ولقد وقع التحكيم ـ كما قلنا سابقا ـ فى معركة صفين وذلك حينما رضى على ـ مكرها ـ بالتحكيم وتحكيم ابى موسى الاشعرى ايضا وعمرو بن العاص فى هذه القضية .

وقد انتهينا فى بحثنا سابقا الى أن عليا كان مكرها على قبوله ومع ذلك فقد نقم عليه الخوارج قبوله له وجعلوه من اسباب خروجهم عن طاعته ثم زادت نقمتهم عليه حينما ظهرت النتيجة فى غير صالحه ـ ونسوا أنهم هم الذين ارغموه على قبوله ـ ولهذا فقد رفضوا الدخول تحت خلافته بل خرجوا عليه .

واعتبار التحكيم سببا مباشرا فى خروج الخوارج على الامام على هو ما يذهب اليه عامة علماء الفرق والمؤرخين (٢) .

وهو ما يظهر فى محاورة الخوارج للامام على حول خروجهم حين قالوا له " انا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذلك كافرين . وقد تبنا . فان تبت كما تبنا فنحن منك ومعك وان ابيت فاعتزلنا فانا منابذوك على سواء . ان الله لا يحب الخائنين " (١) فهم يرون أن التحكيم كفر يخرج عن الملة ويجب الخروج على من يعتقده . وهذا ما نراه فى جوابهم لابى ايوب خالد بن زيد الانصارى حين قال لهم فى محاورته لهم ليرجعوا الى الطاعة " عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا ؟ فقالوا انا لو بايعناكم اليوم حكمتم غدا . قال فانى انشدكم الله ان تعجلوا فتنة العام مخافة ما ياتى فى قابل " (٣) .

---

(٢) :

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٤

(٣) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٨٤ .

وهو أيضا جوابهم لابن عباس اذ أنهم خرجوا كما يقولون غضبا لان التحكيم غير مطلوب فى هذه القضية لان معاوية واصحابه — فى نظرهم — يجب جهادهم دون ادنى شك فكان من ضمن جوابهم لابن عباس قولهم له : " قد حكمتم فى أمر الله الرجال قد امضى الله حكمه فى معاوية واصحابه ان يقتلوا أو يرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين واهل الحرب مذ نزلت براءة الامن اقر بالجزية " . بل صارحوا عليا نفسه حين سألهم عن سبب خروجهم قائلا لهم " فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتك يوم صفين " (١) . وقد وصل التحدي بزرعة ابن البرج الطائى ان يقول للامام على " ياعلى — ولم يناده بامرة المؤمنين — لئن لم تدع تحكيم الرجال لاقاتلنك اطلب وجه الله تعالى " (٢) .

وقد تابع جولد زيهر علماء الفرق الاسلامية فى اعتبار التحكيم سببا فى خروج الخوارج بل هو عنده السبب الاول فى ذلك يقول : " قد كانت موافقة على على التحكيم الباعث الاول لظهور احدى الفرق الدينية فى الاسلام " (٣) .

ولكننا نجد الدكتور عبد الرحمن بدوى يقلل من قيمة كون التحكيم سببا مباشرا فى خروج الخوارج فيقول : " بيد أن هذا السبب المباشر هو اوهى الاسباب فان نزعة الخروج كانت كامنة فى النفوس بسبب ما آل اليه امر الخلافة على عهد عثمان وما انتهى اليه امر الجماعة الاسلامية بعد مقتله من تفرق الامة الى فريقين متعارضين متحاربين " (٤) .

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٧ / ٣٢٨
(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣٤
(٣) العقيدة والشريعة ص ١٩٠
(٤) مقدمة كتاب الخوارج والشيعة احزاب المعارضة السياسية الدينية ص ١٣ .

والواقع أن التحكيم ليس هو اوهي الاسباب كما قال بل هو السبب الذى فجر الموقف وشطر جيش الامام على شطرين كبيرين مؤيدين له وخارجين عليه • وماكان الموقف ليكون على الصورة التي كان عليها بدون هذا السبب ، فلو فرضنا ان الامام على لم يقبل التحكيم وانتصر بجيشه على جيش معاوية وتمت له السيطرة على جميع الامصار الاسلامية ـ لو فرضنا ذلك ـ فان من المستبعد ان تقوم حركة الخوارج على نحو ماقامت عليه اذا استقرت الاوضاع للامام على على هذا النحو•

اما نزعة الخروج التي كانت كامنة بين الناس فما كان لها ان تحدث نتائجها الكبيرة بدون اسباب قوية تدعو الى تلك النتائج وماكانت هذه النزعة تؤدى الى نقد بعض الاوضاع والتذمر منها والرغبة في اصلاحها ـ وهو شان المحكومين دائما مع حكامهم ـ ولكنها لاتؤدى الى الخروج بالمعنى الحقيقي الا اذا كانت هناك اسباب مباشرة قوية تدفع الناس اليه بما في نفوسهم من استعداد سابق له •

٣ ـ جور الحكام وظهور المنكرات بين الناس :

هكذا يقول الخوارج عن انفسهم انهم انما خرجوا لهذا السبب حتى يقيموا العدل ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويعودوا بالناس الى ربهم والى دينهم • ولقد كان هذا المعنى من اول المعاني التي يستعلن بها زعماء الخوارج فيحركون عامتهم للخروج وحمل السلاح ويستثيرونهم لتحقيق تلك الغاية ومن هذا ماقاله عبدالله بن وهب الراسبي مخاطبا اتباعه من الخوارج بعد ان حمد الله واثنى عليه " اما بعد فوالله ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون الى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي الرضى بها والركون بها

والانشار اياها عناء وتبار آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق.. فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض كور الجبال او الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة" (١) . ومثله قول حرقوص بن زهير لاخوانه من الخوارج : " ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (٢) .

وهكذا قول حيان بن ظبيان مخاطبا اصحابه وقد كانوا خرجوا الى الرى فلما بلغهم نبأ مقتل على سرهم ذلك جدا فقال لهم حيان يحثهم على الخروج " فانصرفوا بنا رحمكم الله فلنأت اخواننا فلندعهم الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والى جهاد الاحزاب فانه لاعذر لنا في القعود وولاتنا ظلمة وسنة الهدى متروكة وثأرنا الذين قتلوا اخواننا في المجالس آمنون فان يظفرنا الله بهم نعمد بعد الى التي هي اهدى وارضى واقوم ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وان نقتل فان في مفارقة الظالمين راحة لنا ، ولنا باسلافنا اسوة" (٣) .

ولم يكن الخوارج يرون ان جور الخلفاء الامويين والعباسيين وظهور المعاصي والمنكرات والمظالم في عهودهم هو الذي حركهم للخروج بل كانوا يرون ان هذه الحال قد بدأت منذ عهد الامام على رضى الله عنه فهم يعتبرون خلافته غيرشرعية

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٤
(٢) المرجع السابق ج ٥ ص ١٧٤
(٣) المرجع السابق ج ٥ ص ١٧٤ .

وأنهم يتطلعون الى رجل مثل عمر فى عدله وحزمه وكفاءته وهذا هو مانسمعه على لسان عبد الله بن شجره السلمى الخارجي عندما قال له ولاصحابه قيس بن عبادة : " عباد الله اخرجوا الينا طلبتنا منكم ـ يعنى قتلة عبد الله بن خباب ـ وادخلوا فى هذا الامر الذى منه خرجتم وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم وتسفكون دماء المسلمين وتعدونهم مشركين " فقال له عبد الله بن شجرة السلمى له : " ان الحق قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم او تأتونا بمثل عمر " (١) .

ورأى الخوارج فى على لا يقل عن رأيهم فى بقية الخلفاء من بعده فهو عندهم ـ كما سبق ـ متهم بالكفر والظلم ومجانبة الحق وان جهاده بزعمهم قربة الى الله وهذا هو الذى دفعهم كما يقولون الى الخروج عليه لعدم استحقاقه الخلافة ، ولما عليه اتباعه من الضلال بزعمهم .

وقد بينوا ايضا ان من اسباب خروجهم عليه بعد التحكيم منعه لهم عن السبى يوم الجمل ظانين انه بهذا المنع قد ظلمهم حقهم الذى استحقوه بجهادهم فيما يرون وذلك فى قولهم له " اول مانقمنا منك ان قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم " (٢) .

والواقع انهم ماكان ينبغى لهم ان يتعللوا بمثل هذا السبب فى خروجهم عليه اذ أن استرقاق المسلمين فى حروبهم لبعضهم لا يجوز مطلقا فما بالك بنسائهم وذراريهم .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٨٤ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٣
(٢) الفرق بين الفرق ص ٧٨ .

فاذا كانوا قد استحلوا الخروج على الامام علي - مع عدله وفضله - فما ظنك بغيره . ؟

والواقع أن اقامة العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر امر واجب على المسلمين ، ولكنه لا يمكن ان يكون مبررا صحيحا لخروج الخوارج على هذا النحو الذي خرجوا عليه فهناك ضوابط اسلامية في الانكار على الولاة واحقاق الحق بين الناس حتى تؤتي هذه القاعدة الشرعية ثمرتها المرجوة في اصلاح الحكم والمجتمع اذ لو جاز لكل انسان ان يزيل مايراه منكرا بأنكر منه لافضى هذا العمل بالناس الى الفساد والفوضى والخروج عن الجماعة . وقد قال صلوات الله وسلامه عليه " من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه (١) " .

وقد أخبر "ص" بأن الامراء سيكون منهم تارة الخير وتارة الشر ومع هذا فانه لا يجوز الخروج عليهم فعن عرفجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ستكون في امتي هنات وهنات وهنات (اي شرور وفساد) فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان " (٢) .

وحين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه عن امراء قائلا لهم تعرفون منهم وتنكرون قالوا له يارسول الله افلا نقاتلهم قال لا ماصلوا " (٣) .

وفي رواية عند مسلم : "قيل يارسول الله افلا ننابذهم بالسيف فقال لا ما اقاموا فيكم الصلاة واذا رايتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة" (٤) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) انظر سنن ابي داود ج ٢ ص ٥٤٣ / ٥٤٤

(٤) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٣ / ٢٤ .

واذا كنا قد أمرنا بطاعة اولى الامر وعدم جواز الخروج عليهم فليس معنى ذلك اننا مأمورون بطاعتهم فى كل مايأمرون به • بل هناك احاديث قد بينت الحد الذى تنتهى عنده طاعتهم وذلك فيما اذا امروا بمعصية او ظهر منهم كفر بواح • فحينئذ لاطاعة لهم اذ أنه قد انتفى مايوجب طاعتهم وهو تمسكهم بالشرع • وسنزيد هذا وضوحا فى بحث الامامة ان شاء الله •

أما أن يتخذ جور الحكام وظهور المعاصى بين الناس سببا لحكم الخوارج على الناس بالكفر واستباحة دمائهم واموالهم واشاعة المظالم والمفاسد بينهم اكثر مما كانوا عليه ـ اما ان يتخذ ذلك ـ فان فيه مجانبة للحق والصواب • وسنرى عند حديثنا عن خصائصهم نماذج كثيرة من اعمالهم التى ارتكبوها مما لاتمت الى العدل وابطال المنكر بسبب ولقد كان اعتقادهم الباطل بتكفير غيرهم من المسلمين سببا فى استباحة دماء واموال هؤلاء الذين قالوا انهم خرجوا حماية لهم من ظلم الحكام واذا كانت لهؤلاء الحكام مظالمهم بين الناس فما ذنب المحكومين ومن العجيب أنهم مع اقرارهم بان عمر بن عبد العزيز كان اماما عادلا وانه ابطل مظالم بنى امية الا انهم ظلوا على خروجهم عليه • وقد كان الاحرى ان يعاونوه على اقامة العدل واشاعة الامن بين الناس فمن اسباب خروجهم عليه فى نظرهم انه لم يقر على ابائه بالكفر ويلعنهم كما طلبوا وماكان ينبغى ان يكون احجامه عن لعن آبائه دافعا لهم الى الخروج عليه فقد قال عمر لوفدهم الذى يمثله اثنان احدهما حبشى والآخر عربى " أخبرانى الذى أخرجكم مخرجكم هذا ومانقمتم علينا فتكلم الذى فيه حبشية فقال والله مانقمنا عليك فى سيرتك وانك لتجرى بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك امران اعطيتناه فنحن منك وانت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك •• فقال عمر وما هو قال رايناك خالفت اعمال اهل بيتك وسميتها

المظالم وسلكت غير سبيلهم . فان زعمت انك على هدى وهم على ضلالــــة فالعنهم وتبرأ منهم. فهذا الذى يجمع بيننا وبينك او يفرق " .

هذا هو موقفهم معه وهو موقف يتسم بغاية القطع والتمسك بالرأى د ون رويـــة او تحر للحق لقد اثبتوا على انفسهم انهم لا يعيبون عليه أى شيء فى سيرتـــه غير انهم سيفارقونه ان لم يلعن اباءه . ولو أن هذا الطلب قدم الى أفســق رجل واخلع رجل لرفضه . ولهذا رد عليهم عمر رضى الله عنه ردا مفحمــا رد رجل عاقل عالم فقد قال لهم : " أرأيتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضــة لابد منها فان كانت كذلك فاخبرنى ايها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قـــال ما اذكر متى لعنته قال ويحك لم لاتلعن فرعون وهو اخبث الخلق ويسعنى فيمــا زعمت لعن اهل بيتى والتبرأ منهم . ويحكم انتم قوم جهال " (١) . وفعــلا كانوا كما ذكر فقد اعترفوا فى نهاية المحاورة برجوعهم الى الحق وان الصواب مـــع عمر رضى الله عنه . ولئن كان جور الحكام وشيوع المنكرات بين الناس سببا دافعــا للخروج فانهم قد انحرفوا فى الاستجابة لهذا السبب ولم يحققوا ماقصدوا اليه بــل زادوا عدد المظالم والمنكرات باقبح منها وأشنع .

---

(١) أنظر مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٠/٢٠٢

٤ ـ العصبية القبلية :

كان للعصبية بين قبائل العرب سلطان قوى قبل الاسلام فلما بزغ نوره اخفت صوتها وأوهن قوتها فسكنت زمنا ولكنها ظهرت من جديد شيئا فشيئا حتى استحكمت فى خلافة عثمان وما بعدها فقد كادت العصبية أن تطل برأسها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم • ومنذ بدء خلافة ابى بكر رضى الله عنه • فقد اراد ابوسفيان ان يحييها حيث أثارها بين بنى هاشم محرضا لهم على عدم الرضا بخلافته وهو ليس بهاشمى وجعلها فى على كما يحدثنا عن ذلك الطبرى عن عوانة انه قال " لما اجتمع الناس على بيعة ابى بكر اقبل ابوسفيان وهو يقول " والله انى لارى عجاجة لا يطفئها الا دم يا آل عبد مناف فيم ابوبكر من اموركم اين المستضعفان اين الاذلان على والعباس، وقال اباحسن ابسط يدك حتى أبايعك فابى على عليه فجعل يتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به — الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته — وذا يشج فلا يبكى له أحد

فزجره على وقال انك والله ما أردت بهذا الا الفتنة • وانك والله طالما بغيت الاسلام شرا لاحاجة لنا فى نصيحتك " (١)

ومن هذا يتبين موقف من مواقف العصبية البغيضة ظهر مبكرا • فلو أن اباسفيان وجد من يصغى لكلامه ويقبله لكانت شرور وفتن لاتنطفىء الا بالدماء

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٢٠٩

الجارية كما أرادها أبوسفيان حسب قوله .

لقد كان على اذا أحق بالخلافة حسب قانون العصبية . ولهذا فقد استعظم والد ابى بكر ابوقحافة حين سمع بتولية ابنه خليفة فقال " اورضيت بنوا عبد مناف وبنوا مخزوم " (١) . وفى عهد عثمان رضى الله عنه وجدت العصبية الجو قد تهيأ لقبولها والتأثر بها لانها وجدت متنفسا فى عهده عن كبتها الذى فرضه عليها ابوبكر وعمر رضى الله عنهما . قال الطالبى " وفى عهد عثمان رضى الله عنه وجدت العصبية مرتماخصها لما ان كثرت مجالات التنافس على المناصب فى الولايات المختلفة وعلى الاموال ايضا " (٢) .

وقد اتهم عثمان رضى الله عنه بتولية اقربائه عصبية لبنى امية حتى كتب اليه مالك الاشتر قائلا له فى كتابه " واحبس عنا سعيدك ووليدك ومن يدعوك اليه الهوى من أهل بيتك " (٣) . وهو اتهام له بالعصبية فى تولية هؤلاء الذين ذكرهم الاشتر .

ويبدوا العنف قويا فى اتهام الخوارج الثائرين لعثمان بتولية قرابته وايثارهم بذلك حين يقولون له على لسان جهلة بن عمرو " والله لاطرحن هذه الجامعة فى عنقك او لتتركن بطانتك هذه . قال عثمان اى بطانة فوالله انى لاتخير النلس فقال مروان تخيرته ومعاوية تخيرته وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته وعبد الله بن سعد تخيرته " (٤) . وكانت هذه الحجة ، اى ايثاره قرابته من اشهر حججهم واقواها عندهم وهى حجة واهية فاى مانع فى ان يحب الشخص اقاربه

---

(١) ، (٢) ، (٣) آراء الخوارج ص ٤٧

(٤) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٦٦ .

ويد نيهم ما دام أن ذلك لم يكن فيه محذور ، ومن ظن بعثمان انه ولى قرابته أمور دولته عصبية بغض النظر عن صلاحهم فهو كاذب مفتر فعثمان قد صدق والله انه تخير وانتقى من ذكرهم جبلة بن عمرو على قصد الذم هم خير منه وأصلح وهم من ابطال المسلمين المشهورين ورافعي راية الاسلام والتاريخ يشهد لهم بهذا ومن جهل فضلهم فليراجع سيرهم بعد أن يتجرد عن التعصب والهوى وليراجع كتب التاريخ ليرى اجابة عثمان عن كل تلك الاتهامات الكاذبة التي وجهها اليه الثوار.

والواقع أن الامر قد صار بالمسلمين بعد ان وصفهم الله بالالفة والاخوة في قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (ال عمران : ١٠٣) وفي قوله : "وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم " (الانفال : ٦٣)

صار بهم الامر الى عصبيات فرقتهم شيعا واحزابا قد وصف ابن العربي حالتهم بعد هياج تلك العصبيات بقوله : " وصارت الخلائق عزين في كل واد من العصبية يهيمون فمنهم بكرية - نسبة الى ابى بكر - وعمرية - نسبة الى عمر بن الخطاب - وعثمانية - نسبة الى عثمان بن عفان - وعلوية - نسبة الى على بن ابي طالب - وعباسية - نسبة الى العباس ، كل تزعم ان الحق معها وفي صاحبها والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم وليس ذلك بمذهب ولا فيه مقالة وانما هي حماقات وجهالات او دسائس للضلالات حتى تضمحل الشريعة وتهزأ الملحدة من الملة ويلهو بهم الشيطان ويلعب قد سار بهم في غير مسير ولا مذهب" (١)

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٨٩

وفيما يتعلق بموضوعنا وهو استمرار ظهور العصبية فى عهد الامام على ومدى اعتبارها كسبب محرك لظهور الخوارج - فيما يتعلق بذلك - نرى ان العصبية قد استمرت فى هذا العهد بين القبائل وانها كانت تحكم تصرفات الخوارج مع الامام على منذ البداية فيروى نصر بن مزاحم المنقرى أن أهل العراق وخصوصا الاشعث الذى عده الشهرستانى من الخوارج الذين خرجوا على على (؟) منعهم التعصب من قبول اى مضرى حكما من قبل الامام على وابى الا أحد اليمنيين وهو ابوموسى الاشعرى فيذكر نصر ان الاشعث قال لعلى " لا والله لايحكم فيهما مضريان حتى تقوم الساعة ولكن اجعله رجلا من أهل اليمن اذ جعلوا من مضر فقال على : انى أخاف ان يخدع يمنيكم فان عمروا ليس من الله فى شىء اذا كان له فى أمر هوى فقال الاشعث والله لان يحكما ببعض مانكره واحدهما من اهل اليمن احب الينا من ان يكون بعض مانحب فى حكمهما وهما مضريان " (١) .

ولهذا امتنعوا ايضا من ارسال عبد الله بن عباس للمفاوضة حين طلب اليهم على ذلك لانه قرشى ومن قرابته ولم يقبلوا الا ابا موسى وكانت لهم الكلمة فى جيش على فيذكر المبرد ان جيش على كان جله من اليمنيين " (٢) . ويذكر الطبرى ان بين اليمانية والمضرية عصبية . (٣)

بل لقد كانت العصبية بين أبناء القبيلة الواحدة امرا قائما حتى ولو اختلف ولاؤهم كما وقع لخثعميين قتل احدهما الاخر فى موقعة صفين حين " حمل

---

(١) وقعة صفين ص ٥٧٣
(٢) الكامل جـ ٢ ص ١١٦
(٣) تاريخ الطبرى جـ ٧ ص ٣٨٥

شمر بن عبد الله الخثعمى من خثعم الشام على ابى كعب راس خثعم العراق فطعنه فقتله ثم انصرف يبكى ويقول يرحمك الله ابا كعب لقد قتلتك فى طاعة قوم أنت امس بى رحما منهم واحب الى منهم نفسا ولكن والله لا ادرى ما أقول ولا أرى الشيطان الا قد فتننا ولا أرى قريشا الا قد لعبت بنا " (١) .

ومنها ماوقع اثناء قراءة الاشعث لكتاب التحكيم حين ضرب عروة عجز دابة الاشعث فقد ارادت العصبية ان تثور بين النزارية واليمانية غضبا لتلك الضربة فلولا انشغالهم بقضية التحكيم لكان لهم شأن اخر " (٢) .

وقد حدث ان الخوارج فيما بعد كما ذكر ابن الاثير انهم بقيادة شبيب خرجوا فى مكان يسمى بجرسير وكان الوالى لتلك الجهة مطرف بن المغيرة وكان يكره ظلم الحجاج وعبد الملك فراسل الخوارج وطلب منهم ارسال وفد اليه لينظر فيما يدعون وحين سألهم عن دعوتهم قالوا له " ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم " وان الذى نقمنا من قومنا الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف مادعوتم الا الى حق وما نقمتم الا جورا ظاهرا انا لكم متابع فتابعونى على ما ادعوكم اليه ليجتمع امرى وامركم فقالوا اذكره فان يكن حقا نجبك اليه : قال ادعوكم الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على احداثهم وندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الامر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضونه على مثل هذه الحال التى تركهم عليها عمر ابن الخطاب فان العرب

---

(١) شرح منهج البلاغة جـ ٥ ص ٢٠٥

(٢) انظر مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٤

اذا علمت ان مايراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم واعوانكم فقالوا هذا مالانجيبك اليه وقاموا من عنده وترددوا بينهم اربعة ايام فلم تجتمع كلمتهم " (١) . فحين سمعوا بتولية احد القرشيين نفروا عنه وعن استمالته اليهم .

ويذكر الاستاذ ابوزهرة ان العصبية والحسد هما الحافز القوى لخروج الخوارج وقد كرر هذا المعنى في اكثر من موضع من كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية فهو يذكر ان العصبية كانت مختفية في زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ظلت مختفية الى أن جاء عهد عثمان رضى الله عنه " فانبعثت في آخر عهده قوية لجبة عنيفة وكان انبعاثها له اثر في الاختلاف بين الامويين والهاشميين ولا ثم الاختلاف بين الخوارج وغيرهم فقد كانت القبائل التى انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل الربعية لا من القبائل المضرية والنزاع بين الربعيين والمضريين معروف في العصر الجاهلى فلما جاء الاسلام اخفاه حتى ظهر في نحلة الخوارج فكان من الطبيعى ان يكون الحسد من اول ثمار هذه العصبية ومن الاسباب التى حفزت الخوارج الى الخروج . ويقول ايضا " ومن اعظم هذه الامور التى حفزتهم على الخروج غير الحق الذى اعتقدوه ـ انهم كانوا يحسدون قريشا على استيلائهم على الخلافة واستبدادهم بها دون الناس " (٢) .

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ ٤ ص ٤٣٤

(٢) انظر تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٧٠/٦٩/١٢ ـ وانظر فجر الاسلام ص ٢٦٢ . وكذا ضحى الاسلام جـ ١ في صفحات كثيرة من اول هذا الجزء .

وقد أورد الاستاذ أحمد أمين رحمه الله أمثلة كثيرة لهياج العصبية بين الناس فى عهد الدولة الاموية ثم العباسية .

وقد قال المأمون فى اجابته لرجل من اهل الشام حين طلب اليه الرفق بهم " واما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث بينه من مضر ولم يخرج اثنان الا خرج احدهما شاريا " (١) . ومن هنا فاننا لانوافق على ماقاله فلهوزن — مبرئا للخوارج من العصبية وانهم كما قال " كانوا حزبا ثوريا يعتصم بالتقوى لم ينشأوا عن عصبية العروبة بل عن الاسلام " (٢) . ولقد تطورت تلك العصبيات فيما بعد الى ان كانت من اسباب تقويض ملك بنى أمية . (٣)

ونحب أن نشير هنا الى ان الخوارج فيما بعد قد انمحت لديهم العصبية القبلية والاقليمية وحلت محلها العصبية للعقيدة والراى كما وقع فى حوادث عدة كان الخوارج من القبيلة يحاربون اخوانهم المخالفين لهم من نفس القبيلة حربا لاهوادة فيها كما وقع لبنى تميم من محاربة اخوانهم من بنى تميم ايضا (٤) .

وكما نتبين هذا ايضا من استعطاف عتاب بن ورقاء الرياحي للزبير بن على ابن الماحوز رئيس الخوارج الذين حاصروا عتاب بن ورقا يغادونه القتال ويراوحونه حتى ضاق بهم ذرعا وايقن بالهلاك " فبعث عتاب بن ورقاء الرياحى الى الزبير ابن على انا ابن عمك ولست اراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان ادنى الفاسقين وابعدهم فى الحق سواء " (٥) .

(١) ضحى الاسلام ج١ ص٤٣ .
(٢) الخوارج والشيعة ص ٤١
(٣) انظر مروج الذهب ج٣ ص ٢٤٤/٢٤٦ فقد ذكر امثلة كثيرة لظهور العصبية بين قبائل مضر واليمن .
(٤) انظر الكامل للمبرد ج٢ ص ٣٢٦
(٥) انظر شرح منهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٤

٥ - العامل الاقتصادى :

ونعنى بهذا العامل ان الخوارج خرجوا مدفوعين - كما قيل - بنقمتهم على ماظنوه جورا فى توزيع الفيء والغنائم فقاموا بما قاموا به طلبا للمال .

ويرى الطالبى ان العامل الاقتصادى فى ظهور الخوارج عامل له أهميته وخطورته الى جانب عامل العصبية وينقل فى ذلك عن ابن حجر ان ابا عوانة يعقوب بن اسحاق النيسابورى ترجم فى مسنده للاحاديث الواردة فى الخوارج بقوله " بيان ان سبب الخروج الخوارج كان بسبب الاثرة فى القسمة مع كونها كانت صوابا فخفى عنهم ذلك " (١) .

والواقع ان النقمة بسبب تقسيم الفيء بدات حتى منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وقع من ذى الخويصرة حيث اعتبرها الشهرستانى وابن الجوزى (٢) من عوامل نشأة الخوارج وان خروجهم يبتدأ من هذا الوقت وان كان فيما يظهر لى أنها من الوقائع اليومية التى تجرى بها العادة بين الناس لما جبلت عليه النفوس من حب المال والتطلع الى الاكثار منه وانها مرت فى حياة المسلمين مرورا عاديا دون أن تكون لها نتائج مباشرة ذلك ان ذا الخويصرة لم يكن مدفوعا فيما قاله للنبى صلى الله عليه وسلم بعصبية تحرضه على ذلك وانما دفعته كما قلنا نزعته الفردية ولاسيما وانه يعرف من عطف النبى صلوات الله وسلامه عليه ورحمته ماشجعه

---

(١) آراء الخوارج ص ٥١
(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢١ - تلبيس ابليس ص ٩٠

على ذلك . ولهذا فاننا نلغى من حسابنا هذه الواقعة فى دراسة مدى تأثير العامل الاقتصادى على قيام الخوارج بل لقد الغيناها سابقا كبدء لظهور فرقة الخوارج . وان عددناها سابقة من السوابق التاريخية فى تطلع الناس الى الغنائم ونقمتهم على تقسيمها . ولقد ظهر ذلك بصورة واضحة كعامل من العوامل المحركة للثورة على عثمان رضى الله عنه .

فبعد الهجوم عليه وقتله من قبل الثائرين " تنادوا فى الدار ادركوا بيت المال لاتسبقوا اليه وسمع اصحاب بيت المال اصواتهم وليس فيه الا غرارتان ـ كما يقول الطبرى او كان فيه مال كثير كما يقول ابن كثير ـ فقالوا النجا النجا فان القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا واتوا بيت المال فانتهبوه " (١) .

ولقد كان عثمان رضى الله عنه متهما عند هؤلاء الثائرين عليه بايثار قرابته بالعطايا على حساب بقية المسلمين ومن ذلك مايرويه صاحب كشف الغمة من ان عثمان اعطى مروان من بيت المال مائة الف وانه انفق على نفسه ودوره من بيت المال وانه " جعل الصدقة لنفسه ولاهل بيته دون من جعلها الله لهم ونقص اهل بدر اعطياتهم كل واحد الفا الف عما فرض لهم عمر رضى الله عنه وكنز الذهب والفضة و .... الخ تلك الافتراءات التى اعتبروا فيها عثمان قد جار فى توزيع الاموال وانه يستحق بذلك الخروج عليه . وقد اورد ابن ابى الحديد روايات فى اعطاء عثمان اقاربه واهله من بيت المال الشىء الكثير ثم قال : " والذى نقول نحن انها وان كانت احداثا الا انها لم تبلغ المبلغ الذى يستباح به دمه "

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٩١ ، البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٩ .

وذكر ايضا فى موضع آخر من كتابه شرح نهج البلاغة دفاعا عن عثمان للقاضى عبد الجبار وردا عليه من المرتضى . (١)

ولسنا فى مقام تحقيق ماينسب الى عثمان رضى الله عنه فى هذا الجانب او فى بيان نقده او ذكر محامله الشرعية ، فذلك له مقام اخر وانما نقصد . هنا بيان أثر العامل الاقتصادى فى ثورة الثائرين عليه .

ومما لاشك فيه ان عماله رضى الله عنه قد ساعدوا على تحريك هذا العامل فى نفوس الناس بما وقع من فلتات كلامهم او بعض تصرفاتهم ونذكر فى هذا المقام ماقاله سعيد بن العاص والى العراق من قبل عثمان وهو يسامر بعض وجوه اهل الكوفة فقد قال لهم " انما هذا السواد ـ يعنى به سواد العراق ـ بستان لقريش فقال الاشتر اتزعم ان السواد الذى أفاء الله علينا باسيافنا بستان لك ولقومك والله مايزيد اوفاكم فيه نصيبا الا ان يكون كأحدنا وتكلم معه القوم " (٢) .

ومن هنا بدأت الفتنة فى الاشتعال وبدأ سب الولاة والخليفة نفسه وكانت هذه الحادثة نواة لأحداث اثمرت فيما بعد الهجوم على الخليفة نفسه فى المدينة حتى قتلوه ، ويصف معاوية رضى الله عنه اولئك الناقمين على عثمان فى العراق فى كتاب بعث به اليه يقول عنهم " انما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة " (٣)

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة جـ ١ ص ١٩٩ وج ٢ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٣
(٢) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٣٢٣
(٣) الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ١٤١

وهكذا يتبين لنا أن للعامل الاقتصادى أثره فى الثورة على عثمان رضى الله عنه . فهل كان الدافع لخروج الخوارج على على ايضا هو العامل الاقتصادى . ؟

الجواب نعم .. انه كان سببا من اسباب خروجهم عليه وذلك حين منعهم من سبى اهل الجمل بل هو اول مانقموا عليه من الامور كما عبروا عن هذا بقولهم له : " اول مانقمنا منك انا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم " (١) .
ونقول ان العامل الاقتصادي كان من اسباب خروج الخوارج على الامام على ولكنه لم يكن السبب الوحيد كما ظهر لنا من استعراض الاسباب الاخرى . وكما قلنا من ان كل ظاهرة اجتماعية معقدة تكمن وراءها اسباب دينية واجتماعية واقتصادية متشابكة .

٦ ـ الحماس الدينى :

يرى بعض العلماء ان سبب خروج الخوارج كان رد فعل لتمسكهم الشديد بالقرآن والسنة وهو ماذكره الطالبى بقوله " فالتقوى والتمسك بالقرآن والسنة تمسكا شديدا من اسباب الخروج ودواعى الانكار ، انكار جميع الاوضاع من اساسها ونبذ الفريقين المتقاتلين جميعا ، فالتقوى والتمسك بالعقيدة فى اصلها ادى بالخوارج الى الثورة العنيفة على كل شىء " (٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٨
(٢) آراء الخوارج ص ٨٤

وهو ايضا راى فلهوزن حيث يذكر ان الباعث على خروج الخوارج انما كان ناتجا عن تقوى شديدة ورغبة فى التوبة الفعلية من خطئهم من صفين حين قبلوا التحكيم، ولهذا فقد طالبوا الامام علي ان يتوب توبة فعلية ليرجعوا الى طاعته بل يرى ان التشدد فى مبادىء الاسلام يفضى بهم الى ان يتجاوزوا بنقدهم الى النبي نفسه. (١)

ويقول احمد أمين " قد حملهم شديد ايمانهم ان ينتهزوا كل فرصة للدعوة الى مبادئهم جهرا ويرسلوا الرسل الى خلفاء بنى أمية يدعونهم ولم يضنوا بأى نوع من أنواع التضحية " (٢).

ويرى الاستاذ ابوزهرة كذلك أن تلك العاطفة الدينية الجياشة التي جعلتهم يندفعون الى الخروج انما كانت نابعة من حياتهم البدوية الساذجة فيقول " كان اكثرهم من عرب البادية وقليل منهم من كان من عرب القرى وهؤلاء كانوا فى فقر شديد قبيل الاسلام، ولما جاء الاسلام لم تزد حالهم المادية حسنا لانهم استمروا في باديتهم بشدتها وصعوبة الحياة فيها وأصاب الاسلام شغاف قلوبهم مع سذاجة فى التفكير وضيق فى التصور وبعد عن العلوم فتكون من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة بضيق نطاق العقول ومتهورة مندفعة لانها نابعة من الصحراء وزاهدة لانها لم تجد (٣) ".

وبغض النظر عن مدى صحة ماعلل به الاستاذ ابوزهرة عاطفتهم الدينية المتعصبة من الفقر والبداوة فى اكثر الخوارج فان الذى يعنينا هنا هو التأكيد على أن هذه العاطفة الدينية كانت بالفعل من الاسباب القوية المحركة لكثير من الخوارج في خروجهم كما ينبىء عن ذلك غلوهم فى العبادة وهو من اهم خصائصهم التى سندرسها فيما بعد وان لم يمنعنا ذلك من ان ناخذ عليهم

---

(١) الخوارج والشيعه ص ٣٧.
(٢) فجر الاسلام ص ٢٦٣
(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٦٨

أن عاطفتهم الدينية المتحمسة قد دفعتهم الى اعمال كثيرة خارجة عن ما يقتضيه التدين الصحيح المتسم بالتروى وعدم التعصب فى معاملة الاخرين .

هذه هى أهم الاسباب التى عرضت فى تعليل خروج الخوارج على الامام على وعلى الخلفاء من بعده . ولعل فى ما قدمناه فى هذا الفصل توضيحا لمدى أثر كل سبب من تلك الاسباب سواء منها ما كان مباشرا اوغير مباشر .

المباشر : كالتحكيم
وغير المباشر : [illegible]

- . -

الفصـــل الخامـــس

" حركـــات الخــــوارج "

قلنا في نهاية الفصل الثالث ان الخوارج منذ موقعة النهروان كانـــوا نواة لحركات ثورية قامت ضد الخلافة الاسلاميـة ابتداءً من عهد الامام علـــي وامتدادا الى العصر الاموى فالعصر العباسي ونواة لتكوين فرق عقائدية متعددة .

ونعني بفرق الخوارج تلك التي كان لكل منها كيانها الخاص واسمها الـذى تتميز به عن غيرها من الفرق نتيجة للاختـلافات التي حدثت بينهـا في الآراء الاعتقادية وفي موقف كل منها من الـجماعة الاسلامية ولم يكن الخوارج على هذا النحو بعد موقعـة النهر وان مباشرة وانما بدأت تلك المرحلة من تاريخ الخـوارج بظهور نافـــع بن الازرق وبدء تكوين فرقة الازارقة وذلك في اوائـل السـتينات من الهجـــرة وبه وبفرقته يبتدئ مؤرخوا الفرق ـ بعد كلامهم على المحكمة الاولى ـ من التاريـخ لفرق الخوارج وذكر ارائها المختلفة ـ بل المتناقضة احيانا ـ سواء منها الفرق الكبـرى او ما تشعب عن كل منها من فرق صغرى .

اما ما قبل هذه المرحلـة وهي الفترة التي تقع بين موقعـــة النهروان وظهـــور الازارقـــة فقد كان الخوارج فيها مجرد جماعات حربيـــة تثـــور هنا وهناك على الامام علي رضي الله عنـــه اوعلى الحكـــم الاموى من بعده ، وكانـــوا جميعا على رأى واحد في المطالبة بتحكيم كتاب الله ورفـع المظالم والعـــدل في تقسيم الفيء الى غير ذلك من ما مضى عليه ســـلفهم من اهل النهروان دون ان تكون بينهم خلافات عقاديـــة وليس معنى هـــذا ان حركات الخـــوارج انتهت بقيـــام نافـع بن الازرق وفرقتـــه بل ظلت تلك الحركـــات الثورية جنبا الى جنـــب مـــع وجود الفرق العقائدية طوال الحكم العباسي والامـــوى .

ولقد انتشر هؤلاء الخوارج في بقاع كثيرة من الدولة الاسلاميـة وكثـــر عددهم ، وبديهي ان ذلك لا يرجع الى مجرد هؤلاء التسعة الذين قيل عنهم انهـــم هم الذين نجوا من موقعة النهروان وانما يرجـع ـ كما قلنا سابقا ـ الى وجـــود هذا العدد الكبير من الخوارج الذين لم يلتحقوا بجيش النهروان والى وجـــود

من بقي من هذا الجيش بعد المعركة ، وكانوا عددا كثيرا كما رجحنا من قبل ثم الى وجود هؤلاء الذين اعتزلوا حرب النهروان من الخوارج شكا منهم في مدى صحة موقفهم في قتال على مثل فروة بن نوفل وغيره ، وقد رأينا انهم زادوا على ١٧٠٠ رجل .

وكذلك الذين طلبوا الامان من الخوارج فأمنهم الامام علي اضف الى ذلك الفارين من وجه العدالة والموالي وطلاب الرياسة والمطالبين بالثارات فقد كان هؤلاء جميعا يشكلون حركات خروج على الامام علي والحكم الاموى من بعده ، ثم الحكم العباسي .

وكان معظمهم من خوارج النهروان وما قبله ولهذا فليس هناك انفصال بين خوارج النهروان والفرق التي ظهرت فيما بعد كما يقول البعض .

وانما تاريخ الخوارج ممتد من اسلاف الخوارج الى اخلافهم ولا يمنع هذا من ان الاوضاع التالية في الحكم الاموى والعباسي قد ساعد على تعميق معنى الخروج وتكثير عدد الخوارج ممن لم يكونوا من المحكمة الاولى .

فالخروج دعوة وحركة واتباع وكل هذا ينتشر تلقائيا بقوة الدفعة الاولى وامتدادا مع التاريخ وتأثرا بكل الظروف والاوضاع الجديدة .

١ - " حركات الخوارج على الامام علي بعد النهروان "

ولقد اخذ هؤلاء الخوارج الذين انتشروا في مختلف البقاع الاسلامية - كما قلنا - في الخروج على الامام علي رضي الله عنه ودارت بين الفريقين معارك صغيرة متعددة انتهت بالقضاء على هؤلاء الخوارج على الامام .

ومن هؤلاء الخوارج :

اشرس بن عوف الشيباني خرج مع جماعته في موقع يقال له الدسكرة وكانوا مائتين ولما وصل الانبار ارسل له على الابرش بن حسان مع ثلاثمائة رجل ، فلما التقوا انهزم الخوارج وقتل اشرس بالانبار في ربيع الاول

عند الاشعرى او ربيع الآخر من السنة الثامنة والثلاثين عند ابن الاثير (١)
وخرج عليه ايضا هلال بن علفة في ماسبذان مع اكثر من مائتين من اتباعه
فوجه اليهم علي رضي الله عنه معقل بن قيس الرياحى ، ولما التقوا انهزم
الخوارج وقتلوا في شهر جمادى الاولى من السنة الثامنة والثلاثين (٢).

ثم خرج الاشهب بن بشر والاشعث البجلى في ١٨٠ رجلا فذهب
الى مكان المعركة التي اصيب فيها سلفه هلال بن علفة فصلى عليهم ودفن
من قدر عليه منهم فاقام بجرجرايا من ارض جوخى فأرسل اليه علي جيشا عليه
جارية بن قدامه اوحجر بن عدى وذلك في جمادى الاخر سنة ٣٨ فقتل
الاشهب وأصحابه (٣).

ثم خرج سعيد او سعد بن قفل التيمى في رجب بالبندنيجين مع
مائتين من الخوارج ثم ذهب الى درزنجان وهي على فرسخين من المدائن
فكتب علي الى عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي فخرج اليهم فقتل
الخوارج في رجب سنة ٣٨ (٤).

واخيرا خرج عليه رجل من اعتى الخوارج مع جيش كله من الموالي ليس
فيه من العرب الا رئيسهم وهو هذا الخارجي ويسمى ابو مريم السعدى وخمسة
آخرون خرج بشهرزور وكان معه مائتا رجل او اربعمائة كما قيل وقد اقترب من
الكوفة لشجاعته حتى لم يبق بينه وبينها الا فرسخان او خمسة فراسخ
وقد ارسل اليه علي من يطلب اليه الرجوع الى الطاعة ودخول الكوفة فقال ليس
بيننا غير الحرب .

---

(١) مقالات الاشعرى ج١ ص ٢١٢ . الكامل لابن الاثير ج٣ ص ٣٧٢
(٢) المرجعين السابقين
(٣) المقالات ج١ ص ٢١٢ الكامل لابن الاثير جزء ٣ ص ٣٧٢
(٤) المقالات ج ١ ص ٢١٢ الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٧٣

فارسل لهم علي بن ابي طالب شريح بن هاني في سبعمائة رجل فشد عليهم الخوارج حتى هربوا ولم يبق الا شريح مع مائتين .

فرأى علي ان يخرج بنفسه اليهم وقبل وصوله قدم جارية بن قدامة السعدى يحذرهم العصيان والحرب فلم يسمعوا منه ولما وصل علي اليهم دعاهم ايضا الى الطاعة والجماعة فأبوا فحمل عليهم علي بجيشه فقتلوهم ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا طلبوا الامان وذلك في شهر رمضان .

وادخل معه الى الكوفة اربعين رجلا منهم لمداواتهم حتى برؤا (١) .

ونلحظ هنا ان اولئك الخوارج الذين خرجوا على علي قد قضى عليهم جميعا في سنة ٣٨ هـ .

٢ ـ " حركات الخوارج الثورية ضد الحكم الاموى "

وقد ظل الخوارج يتتابعون في الخروج بعد الامام علي وخلال الحكم الاموي وظل حالهم على نحو ما كانوا عليه خلال خلافة الامام علي ذلك انه لما استتب الامر لمعاوية واجتمعت عليه الكلمة كان الخوارج قد اشتعلت جذوتهم وثبت في اذهانهم فكرة الخروج على بني امية وعلى رأسهم معاوية بن ابي سفيان فأخذوا في التجمع والتربص للخروج في اى فرصة كانت اذ كان معاوية في نظرهم مغتصبا للحكم لا شك في قتاله بل هو في نظرهم قربة الى الله بعكس الامام علي فقد كان بعضهم مترددا في مواجهته كما سنرى في تعبير فروة بن نوفل عن هذا التردد لهذا فبمجرد وفاة الامام علي انفتحت على معاوية وحكام بني امية من بعده ثورات وحروب طاحنة لا يقر للخوارج قرار ولا يستخفون بأنفسهم الا ريثما تتم عدتهم ويكتمل عددهم فكانوا شوكة في جنب الدولة شغلتهم فترة من الزمن فهم بهذا يمثلون المعارضة بالتعبير الحديث اتم تمثيل .

وسنتناول ما اشتهر من اخبار اولئك الخارجين على بني امية بايجاز .

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٧٣ مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١٢ الفرق بين الفرق ص ٨١

وكان اول هؤلاء الخارجين :

فروة بن نوفل الاشجعي : وسماه البغدادى قرة (١) خرج سنة ٤١هـ كان هذا الرجل ممن اعتزل قتال علي وانحاز معه خمسمائة فارس من الخوارج الى شهرزور قائلا: " والله ما ادرى على اى شيء نقاتل عليا ارى ان انصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله او اتابعه " اى انه كان شاكا في قتال على اما معاوية فقد بين موقفه منه بقوله " قد جاء الان ما لاشك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه " .

ثم ذهبوا الى النخيلة فعسكروا بها وهي مكان قريب من الكوفة فارسل لهم معاوية جيشا من اهل الشام ولكن الخوارج هزموه فلجأ معاوية الى حيلة يرمي فيها عصفورين بحجر فقال لاهل الكوفة " والله لا امان لكم عندى حتى تكفوهم " فوقع هذا التهديد منهم موقعا عظيما فخرجوا لقتالهم وكفهم عن الخروج وعندما رآهم الخوارج قالوا لهم " اليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا نقاتله فان اصبنا كنا قد كفيناكم عدوكم وان اصابنا كنتم قد كفيتمونا " فلم يقتنعوا بقولهم هذا فقالت الخوارج رحم الله اخواننا من اهل النهر هم كانوا اعلم بكم يا أهل الكوفة ثم اختطفت اشجع صاحبهم وادخلوه مقهورا الى الكوفة .

ثم مكنته الفرصة فيما بعد فخرج على المغيرة بن شعبة فارسل له المغيرة شبث بن ربعى او معقل بن قيس مع فرسان فلما التقوا قتل فروة بشهرزور او ببعض سواد العراق (٢) .

وله من الشعر قوله :

ما ان نبالي اذا ارواحنا سلمت	ماذا فعلتم بأجساد وأبشار
تجر المجرة والنسران بينهما	والشمس والقمر السار بمقدار
لقد علمت وخير العلم انفعه	ان السعيد الذى ينجو من النار

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٨٢

(٢) انظر تاريخ الطبرى جـ٥ ص ١٦٦ والكامل لابن الاثير جـ٣ ص ٤٠٩ البداية والنهاية جـ٨ ص ٢٢

وابن الاثير ينسب هذه الابيات الى عبد الله بن ابي الحوساء ولنه قالهـا حينما ولى أمر الخوارج وخوفه من السلطان ان يصلبه (١) .

وقولـــه :

وفارقنا ابا حسن عليـــا　　　فما من رجعة اخرى الليالي
فحكم في كتاب الله عمـــرا　　　وذاك الاشعري اخا الضلال

وقد رثى الخوارج بقوله يصفهم :

لطافا براها الصوم حتى كأنها　　　سيوف اذا مال الخيل تدمى كلومها (٢)

واما جيش فروة فقد ولوا عليهم عبد الله بن ابي الحوسا الطائـي وسماه البغدادي عبد الله بن جوشا (٣) . وقد ثار هذا الخارجي على معاوية بعد ان اوثق اهل الكوفة صاحبهم فروة فولاء الخوارج امرهـم وكان تهديد معاويـــة لا يزال /في آذان اهل الكوفة فقاتلوهم حتى قتلوهـم هم ورئيسهـم بن ابى الحوساء في ربيع الاول او الآخر سنة ٤١ هـ (٤) في موضع خروجهم بالنخيلة .

ثم خرج عليه :

حوثرة بن وداع الاسدى في براز الروز وذلك بعد قتل ابن ابي الحوساء سنة ٤١ هـ حيث اجتمع الخوارج فولوه امرهم وكان لا يشك في ان قتال علـــي بن ابي طالب حق ولهذا عاب فروة حين شك في ذلك . ولما اجتمع له مائة وخمسون رجلا اتى النخيلة مكان هزيمة سلفه ابن ابى الحوساء فانضم اليه من بقي مـــن جنود ابن ابى الحوساء وهم عدد قليل .

فاراد معاوية ان يضربه بأبيه فارسله اليه وقال له اخرج الى ابنك فلعلـه يرق اذا رآك فخرج اليه وناشده وذكره فلم يقبل منه فأراد ان يثير فيه عطـــف الابوة فقال ألا اجيئك بابنك فلعلك اذا رأيته كرهت فراقه فرد عليه حوثرة رد المستميت قائلا له انا الى طعنة من يد كافر برمح اتقلب فيه ساعة اشوق مني الـــى

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ٣ ص ٤٠٠
(٢) شعراء الخوارج ص ٦/٥
(٣) الفرق بين الفـــرق ص ٨٢
(٤) الكامل لابن الاثير جـ٣ ص ٤١٠

ابني قيس ابوه منه واخبر معاوية خبره فقال له يا ابا حوثرة عتا هذا جدا فارسل اليه معاوية جيشا بقيادة عبد الله بن عوف في الفين وكان معه اباحوثرة وفي المعركة دعا ابنه الى البراز فقال له حوثرة يا ابت لك في غيرى سعة واشتد القتال وتبارز حوثرة وعبد الله بن عوف فطعن ابن عوف حوثرة فارداه قتيلا وقتل اصحابه الا خمسون رجلا دخلوا الكوفة وقد رأى ابن عوف ان قتيله حوثرة بوجهه اثر السجود فندم على قتله وقال شعرا :

قتلت اخا بني اسد سفاها ... لعمر ابي فما لقيت رشدا

قتلت مصليا محياء الليل ... طويل الحزن ذا بر وقصد

قتلت اخا تقى لا نال دينا ... وذاك لشقوتى وعثار جدى

فهب لي توبة يا رب واغفر ... لما قارفت من خطأ وعمد (١)

ويذكر البغدادى انه كان من المستأمنين الى علي يوم النهروان (٢) .

ويذكر ابن عبد ربه ان حوثرة الاقطع كان اول من خرج من الخوارج بعد قتل علي والصحيح انه فروة بن نوفل وقد قال حوثرة حين رأى تجمع اهل الكوفة عليه " يا أعداء الله انتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه " وكان يرتجو في حملاته عليهم بقوله

احمل على هذى الجموع حوثره ... فمن قريب ستنال المغفره

ويذكر ابن عبد ربه ايضا ان القاتل له رجل من طي وانه ندم حينما رأى أثر السجود قد أثر في جبهته . (٣)

ثم اراد الخروج عليه سنة ٤١ هـ رجل من محارب يسمى معنا فصفر الى معين بن عبد الله كان يريد الخروج وذلك في زمن ولاية المغيرة بن شعبة فلما علم ذلك المغيرة ارسل اليه وعنده جماعة فأخذه وحبسه وكتب في شأنه الى معاوية فكتب اليه معاوية ان يستشهده فان شهد ان خلافة معاوية حق اطلقه فاحضره المغيرة وقال له اتشهد ان معاوية خليفة وانه امير المؤمنين فأجابه جواب من هانت عنده المنايا قائلا له في غير مبالات " أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور " فأمر به فقتله قبيصة

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٣ ص ٤١٠

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٢

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦/٢١٧ وانظر شرح نهج البلاغة ج٤ ص ١٣٤

الهلالي الذى لاقى فيما بعد حتفه على ايدى الخوارج الذين ائتمروا به (١) انتقاما لقتله معنا .

ثم خرج ابو مريم وهو مولى لبني الحارث بن كعب وقد احب ان يشرك النساء معه في الخروج اذ كانت معه امرأتان قطام وكحيلة فكان يقال لهم يا اصحاب كحيلة وقطام تعييرا لهم وقد اراد بهذا ان يسن خروجهن فعابه ابو بلال فقال له : قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام وسأرد هما فرد هما وكان بموضع يقال له باد وريا فوجه اليه المغيرة جابر البجلى فقاتله حتى قتله وانهزم اصحابه (٢) .

ثم خرج رجل يقال له ابو ليلى اسود طويل الجسم وقبل ان يعلن خروجه دخل مسجد الكوفة واخذ بعضادتي الباب وكان في المسجد عدة من الاشراف ثم صاح بأعلى صوته لا حكم الا لله فلم يتعرض له احد ثم خرج وخرج معه ثلاثون رجلا من الموالي بسواد الكوفة فبعث له المغيرة معقل بن قيس الرياحى فقتله سنة ٤٢ هـ (٣) .

ثم خرج المستورد بن علفة التيمي . وكان بدء خروجهم سنة ٤٢ هـ عندما بدأوا يتشاورون في ذلك ولما جاءت سنة ٤٣ اعلنوا الخروج المسلح انتقاما لمصارع اخوانهم ، فقد كانت الخوارج يلقي بعضهم بعضا فيتذاكرون مصارع اخوتهم بالنهر فيترحمون عليهم ويحض بعضهم بعضا على الخروج للانتقام من حكامهم الجورة الذين عطلوا الحدود واستأثروا بالفيء فاجتمع رأيهم على ثلاثة نفر منهم لتولي قيادتهم المستورد بن علفة التيمي ومعاذ بن جوين الطائي وحيان بن ظبيان السلمى الذى كان منزله مكانا لاجتماعاتهم ، ولكن كل واحد من هؤلاء الثلاثة دفع تولى الخلافة عن نفسه، واخيرا اتفقوا على ان يتولاها المستورد هذا وكانوا اربعمائة شخص ونادوه بأمير المؤمنين" وكان المستورد ناسكا كثير الصلاة وله اداب وحكم مأثورة " واتفق على ان يكون الخروج غرة شعبان سنة ٤٣ .

ولما علم بذلك المغيرة بن شعبة أرسل مدير شرطته قبيصة بن الدمون الى

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ٣ ص ٤١٢
(٢) المرجع السابق
(٣) الكامل لابن الاثير جـ٣ ص ٤١٣

مكان اجتماعهم وهو منزل حيان كما تقدم فأخذوهم وجاؤا بهم الى المغيرة فأودعهم السجن بعد استجوابهم وانكارهم ان يكون اجتماعهم لشيء غير مدارسة كتاب الله .

ثم خرج المستورد الى الحيرة وصار ملجأ للخوارج فأخذوا يختلفون اليه فلما خاف ان يفتضح امرهم لجأ الى دار صهره سليم بن محدوج ولكن المغيرة بن شعبة علم بأن الخوارج قد عزموا على الخروج قريبا فقام في الناس خطيبا فذكر لطافه بهم ومحبته لهم وانهم سيضطرونه الى تعديل رأيه فيهم حتى يأخذ الحليم بالسفيه فأجابه رؤساء القبائل بأنهم مستعدون للقيام معه بمجاهدة من يخالفه ويشق عصى الطاعة .

فوصل كل ما دار في هذا الاجتماع الى المستورد من غير ابن محدوج الذي رجع كئيبا مهتما فسأل ابن محدوج عن كل هذا فاخبره وقال له : كرهت أن اعلمكم فتظنوا انه ثقل علي مكانكم فقال له المستورد " قد اكرمت المثوى واحسنت ونحن مرتحلون عنك " .

فلما بلغ هذا الى مسامع الذين في سجن المغيرة قال معاذ بن جوين بن حصين يتحسر :

١ - الا ايها الشارون قد حان لامرىء	شرى نفسه لله ان يترحلا
٢ - اقمتم بدار الخاطئين جهالة	وكل امرىء منكم يصاد ليقتلا
٣ - فشدوا على القوم العداة فانما	اقامتكم للذبح رأيا مضللا
٤ - فياليتني فيكم على ظهر سابح	شديد القصيري دارعا غير أعزلا
٥ - وياليتني فيكم اعادي عدوكم	فيسقيني كأس المنية اولا
٦ - يعز علي ان تخافوا وتطردوا	ولما اجرد في المحلين منصلا
٧ - ولو انني فيكم وقد قصدوا لكم	اثرت اذا بين الفريقين قسطلا
٨ - فيارب جمع قد فللت وغارة	شهدت وقرن قد تركت مجدلا

في ابيات له يتحسر على ما اصاب الخوارج من محن .

ثم ارسل المستورد الى اصحابه ان مكان الاجتماع سورا وعليهم ان يخرجوا متفرقين مستخفين فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل ثم انتقلوا الى الصراة .

ولما علم المغيرة بهذا الامر استشار الناس فيمن يلي حربهم وكان عنده رؤساء الشيعة فكل واحد منهم ترجى المغيرة ان يكون هو المتولي حربهم فولى معقل بن قيس الرياحي وجهز معه ثلاثة الاف رجل هم نقاوة الشيعة وفرسانهم .

وقد صار الخوارج الى بهرسير وارادوا الدخول الى المدينة التي كانت بها منازل كسرى وكان الوالي عليها سماك بن عبيد الازدي فمنعهم فكتب اليه المستورد هذا الكتاب :

" من عبد الله المستورد امير المؤمنين الى سماك بن عبيد اما بعد :
فقد نقمنا على قومنا الجور في الاحكام وتعطيل الحدود والاستئثار بالفيء وانا ندعوك الى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وولاية ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما والبراءة من عثمان وعلي لاحداثهما في الدين وتركهما حكم الكتاب فان تقبل فقد ادركت رشدك والا تقبل فقد بالغنا في الاعذار اليك وقد اذناك بحرب فنبذنا اليك على سواء ان الله لايحب الخائنين " .

فلما قرأ سماك كتابه قال بئس الشيخ انا اذا ثم كتب للمستورد كتابا يدعوه فيه الى الدخول في الجماعة وان يأخذ الامان فلم يجبه واصر على ما هو عليه .

وسار معقل اليه فلما علم به جمع اصحابه واستشارهم قائلا لهم " ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو من السبئية المفترين الكاذبين فأشيروا علي برأيكم ؟

فافترقوا في رأيهم بين قائل بالحرب وآخر بدعاء الناس الى صفهم واقامة الحجة على مخالفيهم ولكن كان رأى المستورد غير هذا وهو ان يستعمل المطاولة في حربهم فيخرج من مكان الى آخر حتى يبدد هم ثم يلقاهم وقد تعبوا فكان هذا رأيهم فصاروا يتنقلون من محل الى آخر وكانت تقع بعض المناوشات بينهم وبين رجل كان معه قوة من الفرسان يلازمهم من اصحاب معقل ولما انتهى به المطاف الى ديلمايا كانت المعركة النهائية حيث تبارز المستورد مع معقل فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين وهزمت الخوارج وقتلوا شر قتلة فلم ينج منهم غير خمسة او ستة (١) وقتل المستورد سنة ٤٣ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٨١ـ٢٠٩ وانظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤٢١ـ٤٣٦ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٤

ثم كان خروج سهم بن غالب الهجيمي والخطيم واسمه يزيد بن مالك سنة ٤٦ عند الطبرى وعند ابن الاثير ان بدء خروجهما كان سنة ٤١ ونهايته كانت سنة ٤٦ . فلما اجتمع لسهم سبعون رجلا خرجوا على ابن عامر الوالي من قبل معاوية . خرج هوءلاء فنزلوا بين الجسرين والبصرة وهناك اخذوا في ارتكاب جرائم القتل ، وكانوا اشرارا يقتلون من يقول انه مسلم ويتركون من يقول انه من اى ملة كان . ففي اثناء ذلك الخروج مر بهم الصحابي عبادة بن فرص الليثي راجعا من غزو الكفار ومعه ابنه وابن اخيه فقال لهم الخوارج من انتم ؟ قالوا قوم مسلمون . قالوا كذبتم قال عبادة : سبحان الله اقبلوا منا ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فانى كذبته وقاتلته ثم اتيته فاسلمت فقبل ذلك مني . قالوا انت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن اخيه . وقد خرج لقتالهم ابن عامر بنفسه فقتل منهم وانتصر عليهم واستأمن بقيتهم وكان فيهم سهم والخطيم فآمنهم فلما تولى زياد البصرة (وقيل في ولاية ابن زياد) خاف سهم منه وخرج الى الاهواز واجتمع اليه الناقمون على بني امية ثم اقبل يريد اخذ البصرة ولحسن الحظ ان جيشه قد تفرق عنه حين دخل البصرة حتى لم يبق الا هو وحده فطلب الامان لنفسه ولكن صادف رجلا لا يعرف الرحمة فاخذه وقتله وصلبه في داره ، واما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم اذن له في الرجوع الى البصرة على انه اذا بات ليلة خارج داره فقد اذن في قتله وذات ليلة لم يبت في بيته فجاء مسلم ابن عمرو وقال لزياد ان الخطيم لم يبت الليلة في بيته فأخذه زياد وقتله وانتهت حركتهم وقد رثى احد الخوارج سهما بقوله :

فان تكن الاحزاب باؤا بقتله ... فلا يبعدن الله سهم بن غالب (١)

ثم خرج قريب بن مرة وزحاف بن زحر الطائي سنة ٥٠ هـ .

وكان هذان الرجلان ابني خالة وكانا من العابدين المجتهدين بالبصرة ، ولما غلبت عليهما شقوتهما خرجا بقلوب تغلي غيظا على المجتمع وقد اختلف في ايهما كان الرئيس ، وذلك في ولاية ابن زياد على الكوفة ، فحينما خرجا اخذا يستعرضان الناس استعراضا وكانا قد اشاعا القتل والخوف فيهم لا يبالون بمن قتلوه كائنا من كان ما دام قد وجد امامهم حتى انهم مروا بشيخ ناسك من بني ضبيعة يسمى رؤية الضبعي

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٢٢٨ ـ وانظر الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٤١٧ ، ٤١٨

او حكاك فقال حين رآهم مرحبا بأبي الشعثاء فلم تشفع له شيخوخته عندهم بل قتلوه وكانوا اذا مروا ببلد يهرب اهل تلك البلد الى بيوتهم ويتنادون الحرورية الحرورية النجا النجا وكان رجل من بني قطيعة حين سمع بهم اخذ سيفه فناداه الناس الحرورية انج بنفسك ، فناده لسنا حرورية نحن الشرط فلا تخف فوقف فلما اخذوه قتلوه وصاروا يتنقلون بين القبائل فلا يمرون بقبيلة الا قتلوا من تمكنوا من اخذه ولما مروا ببنى على من الازد وكان هؤلاء رماة مهرة وكان فيهم مائة يجيدون الرمى وقفوا لهم ورموهم رميا شديدا حتى صاح الخوارج يا بنى على لا رماء بيننا البقيا ولكن هذا النداء لم يسمع منهم فقال رجل يحرض عليهم :

لا شيء للقوم سوى السهام مشحوذة في غلس الظلام

فهربت الخوارج منهم واتوا مقبرة لبنى يشكر ثم اتوا الى مزينة فقتلهم الناس عن آخرهم . ولما بلغ خبرهما الى ابن بلال الخارجي لم يرضه اعتراضهما الناس على هذه الصورة الوحشية فقال قريب لا قربة الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه فلقد ركباها عشواء مظلمة او نحو هذا الكلام .

ويذكر الطبرى وابن الاثير ان خروجهما كان سنة ٥٠ بالبصرة وان زيادا حين بلغه خروجهما قال لاهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء او لا بد أن بكم والله لئن افلت منهم رجل واحد لا تأخذون العام من عطائكم درهما .

اما البغدادى فيذكر ان خروجهما كان على عبيد الله بنّ زياد فارسل اليهم عباد بن الحصين الحبطى فقتلهم (١) .

ثم خرج زياد بن خراش العجلى في مكان يسمى مسكن من اعمال سواد العراق ومعه ثلاثمائة فارس ،فارسل زياد فرقة من الجيش قتلته ومن معه سنة ٥٢ه(٢) .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٤٦٣
العقد الفريد جـ ١ ص ٢٢٠/ ٢٢١ ، شرح نهج البلاغة جـ ٤ ص ١٣٥
الفرق بين الفرق ص ٨٢ .

(٢) ك ابن الاثير جـ ٣ ص ٤٩١

ثم خرج طواف بن غلاق سنة ٥٨ هـ .

وقد كان بالبصرة رجل اسمه جدار يجتمع اليه الخوارج فيعيبون خلافة بني امية فلما علم بهم ابن زياد اخذهم وحبسهم ثم اخترع طريقة في العفو عنهم وهي ان يقتتلوا فيما بينهم فمن نجا اطلق سراحه فقام بعضهم يقتل بعضا كانهم كلاب مسعورة وكان فيمن نجا طواف بن غلاق .

ولما خرجوا عابهم اصحابهم قائلين لهم قتلتم اخوانكم ؟ فقالوا اكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان فعرضوا الدية على اولياء المقتولين فأبوها ثم عرضوا عليهم القصاص فأبوا فعظم الندم في نفوسهم على فعلتهم هذه وكانوا يبكون ويقولون اما من توبة وكان طواف قد بلغ به الجزع والحزن مبلغا عظيما فأتى رجلا يسمى الهشهاث فقال له اما ترى لنا من توبة ، فقال له لا اجد لكم الا آية في كتاب الله وهي (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) سورة النحل اية ١١٠

فخرج طواف في يوم عيد الفطر ومعه سبعون رجلا فأخذوا يقتلون الناس مستعرضين لهم فاجتمع عليهم الناس فقتلوهم عن آخرهم فقال رجل منهم يرثيهم :

يا رب هب لى التقى والصدق فى ثبت واكف المهم فانت الرزق الكافي
حتى ابيع التى تفنى بآخرة تبقى على دين مرداس وطواف
وكهمس وابى الشعثاء اذ نفروا الى الاله ذوى اخباب زحاف (١)

ثم كان خروج ابو بلال مرداس بن ادية الحنظلي سنة ٦١ .

خرج ابو بلال في اربعين شخصا بناحية الاهواز في توج وكان عظيم القدر عند الخوارج لا يعدلون به احدا . كان عابدا مجتهدا كل الخوارج تتولاه وكل فريق ينسبه لنفسه حتى الشيعة فقد ادعت انه خرج غاضبا لآل البيت وكان حين خرج يقول لمن لقيه : " انا لا نريد قتالا ولا نروع احدا وانما هربنا من الظلم ولا نأخذ من الفيء الا اعطياتنا ولا نقاتل الا من قاتلنا " .

وقد مر به مال لعبيد الله بن زياد فاستوقفه واخذ اعطيات اصحابه ثم

---

(١) ك ابن الاثير ج ٣ ص ٥١٦ ، ٥١٧

ترك الباقى وقال لمن يحلون ذلك المال " قولوا لصاحبكم انما اخذنا اعطياتنا" فقال له اصحابه لماذا تترك الباقى ، قال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا تقاتلوهم ما داموا على الصلاة " .

وحين بلغت اخبارهم ابن زياد وجه اليهم جيشا مكونا من الفى رجل بقيادة اسلم بن زرعة الكلابي او زرعة بن مسلم العامرى ويذكر الطبرى انه ابن حصن التميمي فالتحموا مع الخوارج في معركة حامية انهزم فيها جيش الخلافة شر هزيمة فلما وصل المنهزمون الى ابن زياد غضب عليهم ثم وجه الى الخوارج قائدا آخر هو عباد بن اخضر التميمى وفي اثناء المعركة وكان يوم جمعة طلب ابو بلال من عباد وجيشه امهالهم حتى تؤدى الصلاة فاجابوهم فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم سنة ٦١ هـ وهم بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد فرجع القائد عباد ظافرا الا انه قد نال منيته على ايدى بعض الخوارج الذين كانوا في البصرة منهم عبيدة بن هلال . فقد استوقفوا عبادا كأنهم خصماء فيما بينهم في رجل قتل اخاهم ولم ينصفهم احد فقال لهم عباد اقتلوه قتله الله فنزلوا عليه ضربا بالسيوف حتى قتلوه .

وقد رثى الخوارج مرداسا رثاء محزنا خصوصا تلك القتلة التي تمت بالغدر ومن هذه المراثي قول عمران بن حطان :

اصبحت عن وجل منى وايجاس — اشكو كلوم جراح ما لها آسى
يا عين بكى لمرداس ومصرعه — يا رب مرداس اجعلني كمرداس
ابقيني هائما ابكي لمرزئتي — في منزل موحش من بعد ايناس
انكرت بعدك ما قد كنت اعرفه — ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما شربت بكأس دار اولها — على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا — منها بأنفاس ورد بعد انفاس

ومما يجدر ذكره ان ابا بلال كان مع جيش علي في صفين اثناء الحرب بين علي ومعاوية .

وقد قيل عن سبب خروجه ان ابن زياد قد توعد امرأة خارجية يقال لها البثجاء فقال لها مرداس ان التقية لا بأس بها فتغيبي فان هذا الجبار قد ذكرك

قلت اخشى ان يلقى احد بسببي مكروها ولما اخذها ابن زياد قطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق ، فمر ابو بلال في السوق فرأى زحام الناس فجاء فلما شاهد البثجاء عض على لحيته وقال يخاطب نفسه " هذه اطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ما ميتة اموتها احب الي من ميتة البثجاء " فكانت امنيته ان يموت كميتة البثجاء التي جادت بنفسها في جهاد ابن زياد (١).

وكان ابو بلال شخصية مثالية عند الشيعة والخوارج والمعتزلة فكل فرقة من هذه الفرق تدعيه كما تقدم .

يقول ابن ابى الحديد في هذا " وكان ابو بلال عابدا ناسكا شاعرا ومن قدماء اصحابنا من يدعيه لما كان يذهب اليه من العدل وانكار المنكر ومن قدماء الشيعة من يدعيه ايضا " (٢).

وفي اوائل الستينات واثناء خروج ابى بلال الذى تحدثنا عنه آنفا ظهر نافع بن الازرق بفرقته ثم تتابع ظهور الفرق بعده .

ومع ذلك فقد ظل ظهور الخوارج بحركاتهم الحربية التي قدمناها ظل ظهورهم يتتابع خلال بقية الحكم الاموى .

وقبل ان نتناول فرق الخوارج بالحديث في الفصل التالي نواصل تسجيل حركاتهم التي واكبت ظهور تلك الفرق خلال هذه الفترة حتى تكتمل لنا صورة هذا الجانب من نشاطهم الحربي البعيد عن الاختلافات الفكرية بين فرقهم .

ففي عهد عبد الملك بن مروان بدأ خروج الصالحية التي يجعلها بعض العلماء فرقة من الفرق بينما هي في الحقيقة حركة ثورية ـ اكثر منها فرقة دينية ـ من تلك الحركات التي كانت تحدث بين آونة واخرى على الخلفاء الامويين تزعمهم صالح بن مسرح او ابن مشروح كما يسميه بعضهم حين خرج في هلال شهر صفر سنة ٧٦ .

---

(١) و (٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٣١٣ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٥١٨ ، ٥٢٠ ج ٤ ص ٩٤/٩٥ ، الفرق بين الفرق ص ٩١ـ٩٣ ، العقد الفريد ج ١ ص ٢١٧/٢١٨ وانظر ايضا ص ٣٩٩ و ٤٠٠ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٦

وكون له جماعة حارب بهم جيش الامويين وكانت له بعض الاراء التي اخذها من اسلافه من الخوارج قبله .

يقول عنه صاحب كتاب الاديان " الفرقة السادسة الصالحية اصحاب صالح بن مشروح استحل من قومه ما استحله منهم ابن الاعسم من القتل والسبا وغنيمة الاموال ولم يزل كذلك حتى اهلكه الله " .

ويقول الاشعرى " ومن الخوارج اصحاب صالح ولم يحدث صالح قولا تفرد به ويقال انه كان صفريا " . هذا ما ذكره عنهم الاشعرى ولم ينسب اليهم شيئا من الاراء ، الا ما قال عنهم من انهم اوصلوا الذنب المغلظ الى انه عبادة للشيطان ويذكر ابن الاثير ان اسم زعيمهم هو صالح بن مسرح التميمى وانه كان رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وارض الموصل والجزيرة قد تزعم اصحابه يقرئهم القرآن ويعلمهم الفقه والقصص فلما اجتمع له اقل ما يريد قيل ١٢٠ وقيل ١١٠ ادعاهم الى الخروج وكاتب شبيبا في ذلك فاجابه شبيب واقبل ومعه جماعة من اصحابه الى دارا وحينئذ عزم صالح على الخروج ولكن تلك الجهات قد تحصنت منه ولما بلغ محمد بن مروان (١) مخرجهم وهو امير الجزيرة حينذاك ارسل اليهم جيشا يقوده عدى بن عدى الكندى في الف فارس ولكن صالحا باغتهم فانهزموا هزيمة منكرة وهرب عدى فانتهب الخوارج ما وجدوا في معسكر عدى وحين اقبلت فلول عدى غضب عليهم محمد بن مروان فارسل لهم قائدين ايهما وصل الاول فهو امير صاحبه احدهما خالد بن جزء السلمى في الف وخمسمائة فارس والثاني الحارث بن جعونة العامرى وبعثه في الف وخمسمائة فارس فالتقوا بصالح في آمد . ولكن صالحا قسم جيشه الى قسمين ايضا قسم بقيادة شبيب وكان من اشجع الفرسان وجهه الى الحارث بن جعونة وقسم بقيادته هو وتوجه الى خالد فنشبت المعركة من وقت العصر الى الليل وكثر الجرحى والقتلى في جيش الخلافة وقتل من اصحاب صالح ثلاثون رجلا وفي الليل تم رأيهم على ان يذهبوا الى الدسكرة .

وحين وصلت اخبارهم الى الحجاج بعث لهم جيشا من اهل الكوفة يبلغ ثلاثة الاف بقيادة الحارث بن عميرة بن ذى المشمار الهمداني وحين وصلوا الى صالح

---

(١) هذا ما يذكره ابن الاثير والطبرى واكثر اهل الفرق واما البغدادى فيذكر ان خروج صالح كان في ولاية بشر بن مروان ويذكر عن المداينى انه يقول بان خروج صالح كان في زمن الحجاج الفرق بين الفرق ص ١١٠

بن مسرح بدأت المعركة وكان صالح في تسعين رجلا واشتدت المعركة جدا فقتل صالح فيها وكاد شبيب ان يقتل وحينذاك نادى من بقي من اصحابه وكانوا ٧٠ رجلا الي "يا معاشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا وفعلا تقدموا الى الحصن وتحصنوا به فأمر الحارث بالباب ان يحرق فحرق فقال لاصحابه " انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غدا فنقتلهم وقد بايع الخوارج شبيبا في ليلتهم تلك ثم اتوا باللبود فبلوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحارث ومن معه الا والخوارج يضربون رؤوسهم بالسيوف فصرع الحارث فاحتمله اصحابه وانهزموا نحو المدائن هاربين فاخذ شبيب كل ما بقي في معسكر الحارث .(١)

وشبيب هذا هو شبيب بن نعيم بن يزيد الشيباني ويكنى بأبي الصحارى وله من الشجاعة والمعرفة بفنون الحرب ما يكاد يكون خيالا . لقد كان قائدا فذا مجربا للحروب يروغ روغان الثعلب ويهجم هجمة الاسود قتل من جيش الخلافة الالاف والعديد من القواد رغم قلة جيشه .

ويختلف النقل في كيفية تولى شبيب القيادة بعد صالح . فالبغدادى يذكر ان صالحا حين احس بالموت قال لأصحابه " قد استخلفت عليكم شبيبا واعلم ان فيكم من هو افقه منه ولكنه رجل شجاع مهيب في عدوكم فليعنه الفقيه منكم بفقهه ثم مات وبايع اتباعه شبيبا " .

بينما يذكر بعضهم ومنهم ابن الاثير وابن جرير الطبرى ان شبيبا تولى اثناء حصار الخوارج في الحصن الذى الجأهم اليه الحارث بن عميرة في تلك الليلة (٢) وبعد مقتل صالح كما تقدم .

وتعرف هذه الفرقة ايضا باصحاب السؤال فاذا ذكر بعضهم اصحاب السؤال فالمقصود بهم الشبيبية وقد نسبهم الاشعرى الى البيهسية ونسبهم غيره الى الصالحية .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج٦ ص ٢١٥، ٢٢٣ ، كامل ابن الاثير ج٤ ص ٣٩٣ ، ٣٩٦ كتاب الاديان ص ١٠٣ ، مقالات الاسلاميين ج١ ص ١٩٦ و ٢٠١

(٢) انظر الملل والنحل ج١ ص ١٢٧ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩ - ١١٠ ، الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٩٦.

وقد خالف شبيب صالحا في مسألة جواز تولي المرأة الامامة العظمى اذ كان شبيب يجيزها اذا قامت باسورهم وخرجت على مخالفيهم ولهذا فقد تولت غزالة قيادتهم بعد مقتل شبيب .

وقد اشتهر شبيب بالشجاعة وخوض الحروب فقد دوخ بني امية وهزم لهم اكثر من عشرين جيشا في خلال سنتين . وجه اول جيش اليه من قبل الحجاج بقيادة عبيد بن ابى المخارق ومعه الف فارس فهزمهم شبيب ثم وجه اليه الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث فهزمهم شبيب ثم وجه اليه عتاب بن ورقاء التميمي فقتله شبيب هو وزهرة بناحية .

ويذكر الشهرستاني ان شبيباً قتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين اميرا كلهم امراء الجيوش . فكم يكون القتل من اتباعهم؟ وقد استطرد الطبرى وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين في تفاصيل حروب شبيب وهي كثيرة تركت منها ما يتعلق بدقائق اخبار المعارك والخطط الحربية فيها وذكر المغامرين في اقتحامها وكلها تشير الى انه قلما ينهزم شبيب في معركة الا لحيلة او الاعداد لكرة اخرى في كل تلك المعارك التي خاضها مع جيوش الخلافة وحتى البدو لم يسلموا من شبيب فقد اغار عليهم وارهبهم في عدة غزوات لهم وقد داهم الحجاج في عقر داره بالكوفة فقد دخلها هو وامه غزالة او زوجته في قول آخر وخطبت على منبر الكوفة وفاءاً بنذرها وصلى ايضا الصبح في مسجد الكوفة . وقد تنقل في ليلته تلك في اكثر مساجد الكوفة لا يجد احدا الا قتله .

وقد خبأ الحجاج نفسه فلم يخرج تلك الليلة الى ان اجتمع له اربعة الاف من جنده ثم خرجوا يقتتلون في سوق الكوفة حتى كثر القتل في اصحاب شبيب فانهزم الى الانبار وقد عير الحجاج بتلك الحادثة فقيل فيه :

اسد عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

وفي السنة السابعة والسبعين من الهجرة او الثامنة والسبعين (على قول) كانت نهاية شبيب اذ مات غريقا وذلك انه حين اراد الانصراف من قتال اهل الشام الى الجهة الاخرى من جسر دجيل الاهواز امر اصحابه فتقدموا امامه وتأخر هو في آخرهم وفي اثناء عبوره كان راكبا على حصان وكانت امام الحصان فرس انثى فنزا فرسه عليها فخرج حافره على حرف السفينة فسقط في الماء .

وقد قيل في غرقه سبب اخر وهو ضعيف لا يعتد به ومفاده ان بعض جيشه كان حانقا عليه لما قتل من اقوامهم فحين تخلف في آخر جيشه قال هؤلاء ننتهز الفرصة ونقطع به الجسر فندرك ثأرنا فنفذوا هذا الرأى واغرقوه .

وانتهت حركته وتفرق من بقي من اتباعه (١)

وفي عهد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ خرج بسطام اليشكرى ويعرف بشوذب وهو رجل من بنى يشكر خرج بالعراق . وكان الوالي على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب . خرج بسطام في مكان يسمى جوخى ومعه ثمانون فارسا اغلبهم من ربيعة ولما بلغ امرهم الى عمر كتب الى عبد الحميد ان يبعث اليهم رجلا حازما والا يحركهم بشيء الا ان يسفكوا دما او يفسدوا في الارض فبعث اليهم عبد الحميد محمد بن جرير في الفي رجل من اهل الكوفة وامره بما قال عمر .

ثم كتب عمر الى بسطام يدعوه الى الطاعة ويسأله عن سبب خروجه ويطلب اليه ان يبعث من قبله من يناظره لتظهر الحجة على احدهما فكتب بسطام الى عمر قد انصفت ثم بعث وفدا من قبله الى عمر فتناظرا فظهرت الحجة لعمر ولكن وجهوا الى عمر سؤالا محرجا قائلين له : " اخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك فاعتذر بانه لم يوله هو وانما ولاه غيره " ولكن هذا الجواب لم يكن كافيا عندهم في هذه المسألة فقال له الخوارج : " افرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون عليه اتراك كنت اديت الامانة الى من ائتمنك ؟ " فقال لمن تولى المحاورة وكانا اثنين انظراني ثلاثا فخرجا من عنده وحين علم بنوا امية بهذا خافوا خروج الخلافة عنهم فيقال انهم دسوا له سما فتوفى في تلك الثلاثة ايام ومناظرتهم مشهورة في كتب التاريخ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٢٤ الى ص ٢٨٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٩٦ـ٤٣٣ وانظر الفرق بين الفرق ص ١٠٩/ ١١٢ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨ التبنية والرد ص ٥٥ ، [illegible] ، وانظر العقد الفريد ج ١ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨/١٩ ، مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٧ .

وبعد وفاة عمر امر عبد الحميد محمد بن جرير بمناجزتهم قبل ان يبلغ الخوارج موت عمر وقبل ان يرجع وفدهم فعلموا حينذاك ان حدثا قد حدث في الخليفة وانه قد مات فحملت الخوارج على محمد بن جرير فهزموه شر هزيمة فارسل لهم يزيد تميم بن الحباب في الفين ولما التقوا قال لهم تميم ان يزيد لا يفارقكم على ما فارقكم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد معه ونشبت المعركة فانهزم تميم وجيشه فوجه اليهم يزيد جيشا اخر بقيادة الشحاج بن وداع في الفين فكان مصيره مصير من سبقه وهكذا وقف كأنهم القدر المحتوم لا يستطيع احد ان ينال منهم مطلبا الى ان جاء مسلمة بن عبد الملك الكوفة فشكا اهلها اليه ما لاقوه من شوذب وخوفوا مسلمة منه ، فأرسل مسلمة حينذاك قائدا شجاعا هو سعيد بن عمرو الحرشي في عشرة الاف فارس فالتقوا في معركة حامية الوطيس كانت فيها نهاية الخوارج • فقد افنوهم عن آخرهم وانتهى بسطام وانتهت حركته (١)٠

وفي سنة ١٠٥ خرج عقفان ومعه ثمانون رجلا في خلافة يزيد بن عبد الملك فاشير على يزيد ان لا يرسل جيشا لمحاربته بل يرسل الى كل رجل مع عقفان رجلا من اقاربه حتى يرده عن الخروج بالاستعطاف والتلطف اليه وفعلا نجحت هذه الخطة حتى بقي عقفان وحده فارسل اليه يزيد اخاه فاستعطفه فرده عن الخروج وانتهت فتنة كادت ان لا تنتهي الا بضحايا كثيرة •

فلما توفي يزيد وتولى هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة فاشتد عليهم حتى انه لم يرحم ولده الذي جاء من خراسان غاضبا على الخليفة فقد قبض عليه عقفان وارسله الى هشام مقيدا فقال هشام لو خاننا عقفان لكتم امر ابنه ثم عفا عنه لابيه وولى عقفان امر الصدقة (٢) •

وهذه هي الطريقة التي ينبغي اتباعها ولو ان خلفاء بني امية سلكوا هذه الطريقة الحسنة لكان الامر عكس ما وقع من فتن قتل فيها الالاف المؤلفة بين مستحق وغير مستحق •

---

(١) تاريخ الطبرى ج٦ ص ٥٥٥/٥٥٦ وص ٥٧٥/٥٧٨ وانظر الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٥_٤٨ وانظر ايضا ص ٦٨_٧٠

(٢) ك ابن الاثير ج ٥ ص ١١٨٠

"ثم خرج مسعود العبدى" سنة ١٠٥ ايضا .

هذا الخارجي يسمى مسعود بن ابى زينب العبدى وكان خروجه البحرين وقد اخذ في التوسع الى ان بلغ اليمامة فخرج اليه عاملها سفيان ابن عمرو العقيلي فالتقوا بالخضرمة واقتتلوا قتالا شديدا وقتل مسعود فتولى بعده رجل يسمى هلال بن مدلج واستمرت المعركة يوما آخر كاملا الى ان جاء المساء فتفرق الخوارج منهزمين حتى بقى هلال ومعه جماعة قليلة تحصن بحصن كان هناك ولكن لم يدم بقاءه فيه فقد نصبت السلالم عليه واخذ هلال فقتل واستأمن من بقي منهم (١).

وفي نفس السنة خرج مصعب بن محمد الوالبى . خرج هو ومن معه الى ان وصلوا الى مكان يسمى حزة من مقاطعة الموصل فارسل لهم هشام جيشا فالتقوا هناك في معركة انتهت بقتل مصعب وكثير من الخوارج (٢).

" ثم خرج الصحارى بن شبيب " سنة ١١٩هـ .

جاء هذا الرجل الى خالد بن عبد الله والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك يسأله الفريضة مع اهل الشرف فهزء به خالد وقال " وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ؟ " فلم يظهر الصحارى اى تغير ثم ودع خالدا وخرج ولكن ذلك الخروج قد هز ضمير خالد فخاف ان يفتق عليه امرا يكرهه فارسل في طلبه من يرده فقال لهم انا كنت عنده آنفا فأبوا ان يتركوه فجرد سيفه عليهم فتركوه فذهب مستخفيا بنفسه الى ان وصل الى مكان يسمى جبل كما يقول الطبرى، او حبل كما يقول ابن الاثير، ينزله ناس من بنى تيم اللات من ثعلبة فاستمالهم اليه فقبل منه بعضهم وتوقف اخرون وابى غيرهم وقالوا نحن في عافية فخرج الصحارى بمن اطاعه وكانوا ثلاثين فارسا حتى اتى المناذر وحين بلغ امره خالدا قال قد كنت خفتها منه فارسل اليهم جيشا التحم معهم في معركة انتهت بالقضاء على الصحارى ومن معه جميعا (٣).

---

(١) ك ابن الاثير ج ٥ ص ١١٨

(٢) انظر الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١١٨ـ ١١٩

(٣) الطبرى ج ٧ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢١٣ .

وفي هذه السنة ايضا خرج كثارة .

ويسمى بهلول بن بشر ويلقب كثارة كان عابدا مجتهدا وكان على جانب عظيم من الشجاعة والخبرة الحربية وكان السبب في خروجه انه ذات يوم ارسل غلاما ليشترى له من احد المحلات خلا بدرهم فجاء الغلام بخل وكأنه التبس على صاحب المحل الاسم ولم يتأكد من الغلام فسارع واعطاه خمرا وحين جاء الغلام بالخمر الى كثارة غضب وقال لغلامه ارجع فخذ الدرهم فامتنع البائع من رد الدرهم وأراد الله ان يتطور هذا النزاع فذهب كثارة الى حاكم تلك المنطقة ليشكو امره فاجابه الحاكم بغاية القسوة قائلا له " الخمر خير منك ومن قومك وعندها عقد بهلول العزم على الخروج ولكنه اخفى ذلك حتى يتم حجه فذهب الى مكة وفيها قابل بعض اصدقائه والذين يرون رأيه فعزموا على الخروج معه وتحت امرته واتعدوا مكانا سموه من نواحي الموصل فلما اجتمعوا في تلك القرية اجمع رأيهم ان لا يمروا بأحد الا قالوا له بانهم راجعين من عند الخليفة هشام وانهم ذاهبون الى خالد لتولى بعض الاعمال وكانوا يأخذون في طريقهم دواب البريد الى ان وصلوا تلك القرية التي اشترى فيها الخل . قال بهلول نبدأ بهذا العامل فنقتله وقال اصحابه ان الفرض الاهم هو قتل خالد فقال كثارة له اني لارجو ان اقتل هذا وخالدا فبدأ وقتله وبلغت اخبارهم خالدا فحذرهم الناس ثم خرج خالد الى الحيرة ومنها ارسل لهم ثمانمائة رجل وعندما بدأت الحرب بينهم انهزموا امام الخوارج .

فلما وصلت اخبارهم خالدا بعث اليهم جيشا آخر يقوده رجل من بني شيبان وحين لقيهم بهلول شد عليهم فقال له ذلك القائد نشدتك بالرحم فاني جانح مستجير فكف عنه وانهزم اصحابه ثم طمحت نفس كثارة الى قتل الخليفة هشام نفسه، ما دام كثارة قد خرج لله ثم عزم على السير لقتل هشام ولكن عمال هشام خافوا ان وصل كثارة الى الشام ان ينتقم منهم الخليفة فجند له خالد جندا من اهل العراق وقتله عامل الجزيرة ووجه اليه هشام ايضا جندا من اهل الشام لاستغاثة عامل الموصل به فبلغت الامداد عشرين الفا يقابلهم الخوارج وهم سبعون رجلا كما يذكر المؤرخون فنشبت معركة بينهم حامية قتل فيها كثارة وتفرق من بقى من اتباعه منهزمين الى الكوفة فتلقاهم عبيد اهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم (١).

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٧ ص ١٣٠/١٣٤ . الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٠٩ـ٢١٢

ثم خرج الضحاك بن قيس سنة ١٢٧ وقتل سنة ١٢٨ .

خرج الضحاك بالعراق وكثر اتباعه حتى بلغوا مئة وعشرون الفا فاستولى على عدة مناطق وكان ذلك في زمن مروان بن محمد ولم يستطع احد من قواد مروان ايقافه واخيرا قرر الضحاك الذهاب لملاقاة مروان فاجتمعوا في مكان من كفرتوثا يسمى الغز فدارت معركة قتل فيها الضحاك .

فولى الخوارج عليهم رجلا يسمى الخيبرى صبيحة الليلة التي قتل فيها الضحاك وبدأت معركة بين الخيبرى وجند الخلافة وفيهم مروان نفسه فانتصر الخيبرى على القلب من جيش مروان حتى دخل فيهم ووصل الى حجرة مروان فانهزم مروان حتى خرج عن المعسكر بستة اميال منهزما وكانت ميمنة مروان وميسرته ثابتة فاقتحم بعض جيش مروان على الخيبرى ومن معه فقتل الخيبرى واخبر بذلك مروان فرجع وانصرف اهل عسكر الخيبرى وولوا عليهم شيبان بن عبد العزيز ثم ارتحلوا من ذلك المكان فتبعهم مروان يقيم عليهم اذا اقاموا ويحاربهم اذا حاربوا فصاروا يتنقلون من مكان الى مكان وهم ينقصون ما بين متسلل بنفسه وبين مقتول الى ان تفرقوا وذهب كل الى جهة فأخذ شيبان في بعض تلك الجهات فقتل بعمان .(١)

واخيرا كان خروج عبد الله بن يحيى الملقب " بطالب الحق " سنة ١٢٨ وقتل سنة ١٣٠ وهو من حضرموت كان مشهورا بانه من العباد المجتهدين وكان السبب في ظهوره هو ابا حمزة الشارى فقد كان ابو حمزة يحج في كل سنة ويدعو من يتوسم فيه الاجابة الى خلاف مروان بن محمد والخروج عليه وكان ممن التقى بهم طالب الحق فدعاه الى رأيه وحسن له الخروج على مروان فقال له عبد الله بن يحيى " يا رجل اسمع كلاما حسنا واراك تدعو الى حق فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي " فخرج معه الى حضرموت وهناك بايعه ابو حمزة على الخلافة وعلى الخروج على مروان فكتب الى علماء البصرة من الاباضية يشاورهم في الخروج فكتبوا اليه ان استطعت ان لا تقيم يوما واحدا فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح افضل ولست تدرى متى يأتي عليك اجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا من لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء .

وهنا عزم على الخروج وبدأ في التوسع فأخذ منطقة حضرموت وامتد سلطانه الى صنعاء حيث سار اليها في الفين فقابله عامل مروان على صنعاء القاسم بن عمر في مكان

---

(١) تاريخ الطبرى ج٧ ص ٣٤٥ـ٣٥٣

يسمى لحج ودارت بينهم معركة انتصر فيها الخوارج وواصلوا زحفهم الى صنعاء فمكث فيها طالب الحق شهرا يحسن السيرة في اهلها والان جانبه لهم فكثر اتباعه ووافاه الخوارج من كل مكان وبسط سيطرته على تلك المناطق فبعث اليه مروان بن محمد عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فالتقي هو وطالب الحق فدارت معركة قتل فيها طالب الحق وحمل رأسه الى مروان بالشام سنة ١٣٠ . (١)

وكان هذا هو آخر عهد بني امية بالخوارج حيث انتهت دولتهم في عام ١٣٢هـ بقيام الدولة العباسية .

٣ ـ " حركات الخوارج الثورية على الدولة العباسية "

رأينا سابقا كيف ان الخوارج منذ ان فارقوا على بن ابي طالب رضي الله عنه ـ اخذوا في تضخيم السخط على مخالفيهم والحث الشديد على محاربتهم وتضخيم خطاياهم ، في كل مسألة ينادون بأعلى اصواتهم لا حكم الا لله لا لعلي ولا لبني امية ولا لبني العباس ولا لأحد ، الحرب ، الحرب ، لهذا فقلما يجتمع منهم جماعة الا وساروا واعلنوها حربا شعواء لا يمكن ان تنتهي الا بمنتصر ومهزوم .

فقد خاضوا مع بني امية كما تقدم حربا لا هوادة فيها كلفوا انفسهم خسائر ضخمة وكلفوا الخلافة من الانفس والاموال مالو انفق في جهاد الكفار لكان مفخرة اسلامية .

استمر الخوارج طوال عهد الدولة الاموية وهم في صراع حاد معها فأوهنوا قوتها واوهنت قوتهم وكانوا كالشجا في حلق كل خليفة لا يخف المه الا ليبدأ من جديد ، وهكذا الى ان غير الله الحال وانتهت الدولة الاموية برأسها وخلفتها الدولة العباسية ولا زال مرجل الخوارج يغلي ولكنه يغلي على بقية جمر كاد ان يصير رمادا واختلف خوارج اليوم عن خوارج الأمس ، فالخوارج على بني امية كانوا اكثر جمعا واشد بأسا ، اما الخوارج على بنى العباس فكانوا كما وصفهم احمد

---

(١) انظر كشف الغمة ص ٣٠٧ ـ ٣١٤ ٠ تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٤٨ وص ٤٠٠ كامل ابن الاثير ج ٥ ص ٣٥١ و ٣٩٢ .

امين بقولـه " كان الخوارج في حالة تشبه الاحتضار وحركاتهم التي اتوبها في العهد العباسي تشبه حركة المذبوح " (١) ومن هنا توالت عليهم الهزائم فلا يخرجون على خليفة الا ورماهم بكل ما لديه من ثقل الى ان اصبحوا في وضع لا يمكنهم فيه ان يلفتوا اليهم نظرا فلا يخشى بأسهم ولا يحسب لقوتهم مثل ما كان لاسلافهم .

يقول احمد امين في نتيجة هزائمهم " وكانت هذه الهزائم المتوالية للخوارج سببا في ضعف امرهم وقلة شأنهم فلم يعد لهم من القوة والقتال اثر في التاريخ كبير (٢) ".

ولنبدأ الان بذكر اشهر الخارجين على الدولة العباسية ، واول الخارجين كـان :

هو الجلندى الذى خرج على السفاح ويسمى الجلندى بن مسعود بن جيفر الازدى فقد اراد هو واصحابه من اهل عمان صد جيش الخلافة عن دخول بلادهم وكان قائد جيش الخليفة ابى العباس السفاح • رجلا يسمى خازم بن خزيمة فالتقوا في الصحراء فاقتتلوا قتالا شديدا يوما كاملا ثم استأنفوا القتال في اليوم الثاني في معركة لا تقل عن اليوم الاول ثم هدأت الامور قليلا ولكنهم استأنفوها على اشدها وقد فكر جيش خازم في حيلة اشار بها عليهم رجل من اهل الصغد وهي ان يجعل كل جندى على طرف سنانه مشاقة " وهي خلاص من القطن والكتان والشعر ويروونها بالنفط ثم يشعلوا فيها النيران ثم يقذفوها على بيوت الجلندى واصحابه وتمت هذه الفكرة بنجاح فاشتعلت النار في البيوت وكانت من خشب فاشتغل اصحاب الجلندى باخراج اهلهم واموالهم عن النار وعندها مال عليهم جيش خازم يقتلونهم كيف شاءوا وانتهت المعركة بقتل عشرة الاف منهم ثم اخذ رؤوسهم وبعث بها الى البصرة فمكثت اياما ثم بعث بها الى الكوفة الى ابى العباس كما هي عادة اهل التجبر والقهر في من يقع تحت رحمتهم (٣) .

---

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٥

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٥

(٣) انظر تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٤٦٣ • وانظر تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ٥٧

وخرج بعد ذلك ملبّد بن حرملة الشيباني على المنصور بناحية الجزيرة بالعراق وكان فيه شجاعة شبيب ودهائه وخبرته بالحرب وانواعها .

خرج اليه في اول الامر الف فارس من المرابطين في الجزيرة فهزمهم ثم تتابعت الجيوش بعد ذلك على حربه فسارت اليه روابط الموصل فهزمهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبي فهزمه وعجز الناس عنه فبعث اليه ابو جعفر المنصور مولاه المهلهل بن صفوان في الفين من نخبة الجند فهزمهم ثم وجه اليه قائد آخر خرسانيا يسمى نزارا فهزمهم ثم وجه اليه صالح بن مشكان فهزمهم ثم وجه اليه صالح بن صبيح فانهزم ايضا ثم سار اليه حميد بن قحطبة فهزمه هو الاخر .

فأرهب الناس واهمهم امره ثم وجه اليه ابو جعفر عبد العزيز بن عبد الرحمن وضم اليه زياد بن مشكان فانهزما ايضا فبعث اليه المنصور خازم بن خزيمة في ثمانية الاف فدارت بينهم معركة قتل في نهايتها ملبد واكثر جيشه وهرب من بقي منهم متسللين بأنفسهم (١) .

وقد خرج على المنصور ايضا اهل المغرب بقيادة ابو حاتم الاباضي . ويسمى يعقوب بن حبيب وكان عامل تلك الجهة وهي طرابلس يسمى الجنيد بن بشار فكتب الى عمر بن حفص القائد العام لافريقية يستمده فامده بعسكر التقى مع الاباضية في معركة فانهزموا امام ابو حاتم الى قابس فلحقهم وحاصرهم فيها ثم حاصر القيروان وكثر اتباعه وضيق عليها الحصار مدة ثمانية اشهر حتى اكلوا دوابهم وكلابهم وفي هذه الاثناء جاءهم الخبر بوصول عمر بن حفص فاستبشروا وجاء عمر حتى نزل مكانا يسمى الهريش فلما علم به ابو حاتم ترك حصار القيروان وحول جمعه لملاقاة عمر فلما علم بهم عمر وكان في سبعمائة فارس ذهب الى تونس فتبعه البربر فعاد الى القيروان مسرعا وادخل اليها كل ما يلزم من دواب وطعام وغير ذلك فجاء ابو حاتم الى القيروان وحاصرها كحصار المرة الاولى حتى اجهدها وكانوا في اثناء الحصار تحصل بينهم مناوشات غير مجدية وهنا عزم عمر على منازلتهم كيفما كانت النتيجة ثم التحم معهم في معركة قتل فيها فقام بالامر بعده اخوه لامّه حميد بن صخر فوادع الثائرين ريثما يجيء مدد الخليفة

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٤٩٥ و ٤٩٨

المكون من ستين الفا على رأسهم يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب ثم حصلت حروب عدة قضي فيها على تلك الحركات جميعها في معارك بلغت ٣٧٥ معركة فيما قيل (١) .

ثم خرج الصحصح بالجزيرة على الرشيد . وكان عامله على الجزيرة يسمى ابو هريرة محمد بن فروخ فوجه اليه الصحصح جيشا ولكنه انهزم ثم توسع الصحصح وخرج الى الموصل فلقيه عسكرها واقتتلوا فقتل منهم كثيرا ثم رجع الى الجزيرة فسير اليه الرشيد جيشا التقوا به في دورين في معركة قتل فيها الصحصح واصحابه (٢) .

ثم خرج على الرشيد ايضا الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة واستولى عليها وعلى نصيبين ووصل الى ارمينية واذربيجان وحلوان واراضي السواد فوجه اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني وقد اراد يزيد ان يطاوله ليضعفه ويمكر به الا ان البرامكة كانت في نفوسهم حزازة عليه فقالوا للرشيد انما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم لانهما كلاهما من وائل واخذوا يهونون امر الوليد فكتب اليه الرشيد كتاب مغضب وقال له : " لو وجهت احد الخدم لقام باكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب واقسم بالله ان اخرت مناجزته لاوجهن اليك من يحمل رأسك فقام يحرض اصحابه قائلا لهم " فداكم ابي وامي انما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا ثم نشبت المعركة فقتل الوليد . فرثته اخته بقصيدة منها :

بتل تباثا رقم قبر كأنه	على علم فوق الجبال منيف
الا يالقومي للنوائب والردى	ودهر ملح بالكرام عنيف
فيا شجر الخابور مالك مورقا	كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى	ولا المال الا من قنا وسيوف
فلا تجزعا يا ابني طريف فانني	ارى الموت نزالا بكل شريف الخ (٣)

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ٥ ص ٥٩٩ / ٦٠١

(٢) الكامل لابن الاثير جـ٦ ص ١١٢

(٣) تاريخ الكامل لابن الاثير جـ٦ ص ١٤١ـ١٤٣

ثم خرج عبد السلام بن هاشم اليشكرى بالجزيرة ايضا وكثر اتباعه بها وذلك في زمن المهدى • فبعث اليه المهدى الجيش تلو الجيش وهو يهزمهم اولا بأول فأرسل المهدى الى القائد الذى يحيالهم ويسمى شبيب بن واج الف فارس وكان المهدى يقوى نفوسهم فجعل لكل جندى الف درهم وألحقهم بشبيب فلما وصلوا اليه خرج بهم في طلب عبد السلام فانهزم منهم عبد السلام فاتبعوه حتى اتى قنسرين فاحيط به وقتل هناك (١) •

ثم كان خروج يوسف بن ابراهيم البرم على المهدى بخراسان ناقما على المهدى سيرته فتبعه خلق كثير في تلك النواحي •

فبعث اليه المهدى يزيد بن مزيد الشيباني فالتقوا في معركة اسر فيها البرم فتوجه به يزيد الى المهدى ومعه وجوه اصحابه فلما وصلوا الى المهدى امر بقطع يدى يوسف ورجليه وضرب عنقه وعنق اصحابه الذين معه (٢) •

وكان آخر الخارجين على المهدى يسمّى التميمى وكان خروجه بالموصل محكما وكان على رأى صالح بن مسرح واجتمع له خلق كثير اخذ في التوسع فأخذ أكثر ربيعة والجزيرة فخرج لقتاله عسكر الموصل ولكنه هزمهم •

فوجه المهدى قائدين احدهما ابو هريرة محمد بن فروخ والاخر هرثمة بن اعين فدارت بينهما معارك انتهت بقتله وانهزم من بقي من اتباعه (٣) •

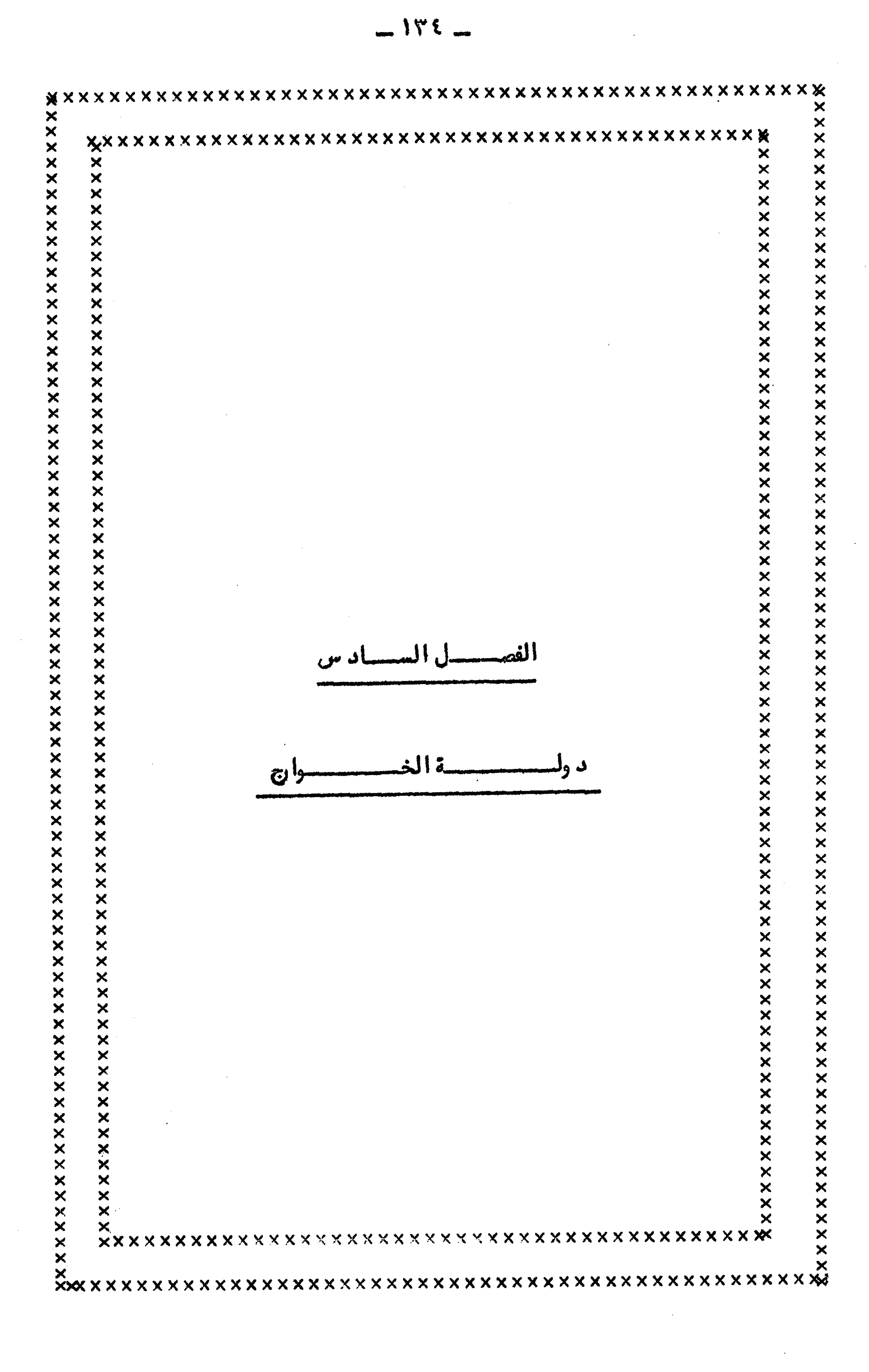
وبانهزامه انتهت حركات الخوارج ضد الدولة العباسية في المشرق والمغرب وان اصبحت للاباضية منهم دولة في عمان والمغرب نتناولها بالدراسة في الفصل التالي •

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٤٢

(٢) انظر تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٢٤

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٧٨



الفصل السادس

دولة الخوارج

الفصل السادس

دولة الخوارج

رأينا في عرضنا السابق لحركات الخوارج الثورية على الخلافة الاموية والعباسية كيف انها لم تفد في تحقيق ما يريدون من الاصلاح في الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية خلال هاتين الدولتين بل ولم يستطع الخوارج ان يقيموا من خلالها مجتمعا خاصا بهم يحكمهم حسب ارائهم وانما كانت تلك الحركات مجرد فورات سرعان ما ينتهي امرها ـ طال الامد او قصر ـ باضعاف شوكة الخوارج او القضاء على فلولهم المهزومة •

واذا كانوا قد شغلوا الخلافة الاسلامية خلال هذه القرون الطويلة فان الصراع الذى دار بينهم وبينها لم تكن له محصلة ايجابية بالنسبة لهم أو لغيرهم وانما كانت محصلته هو انهاك قوة الدولة وقوتهم هم ايضا في تلك الحروب الاهلية الضارية •

حقا لقد كانت جيوش الخلافة بالمرصاد لهذه الحركات الثائرة وسط الدولة الاسلامية وفي المناطق التي سهل على تلك الجيوش لقاؤهم بها ولا سيما ابان قوة هذه الدولة •

ومع ذلك فقد افلح بعض الخوارج في بعض المناطق الوعرة في الدولة الاسلامية كعمان وفي الاطراف النائية لتلك الدولة كالمغرب العربي •

افلح هؤلاء الخوارج في اقامة دولة لهم كان لهم فيها حكم ولهم عليها سلطان وتتمثل تلك الدولة الخارجية في دولة الاباضية في عمان ودولتهم هم والصفرية في المغرب العربي وسوف نوجز الحديث هنا عن هاتين الدولتين وائمتهم وموقف الخلافة الاسلامية منهم •

" دولة الاباضية في عمان "

دخل المذهب الاباضي الى عمان مبكرا واستقر هناك وتكون له اتباع واخذوا في الازدياد مع مرور الزمن الى ان اصبح كما يقول لوريمر " يتمتع بنفوذ واسع او على الاقل له من النفوذ مثل ما لغيره " " وسرعان ما تبنى اهل عمان مبادئ المذهب الاباضي ويقال انه بمطلع القرن ١٣ م لم تصبح هذه المبادئ مسيطرة فقط ولكنها اصبحت لها صفة عامة تقريبا (١) ".

وهكذا انتشر المذهب الاباضي في تلك البقاع النائية من الجزيرة العربية ذات المسالك الوعرة التي ساعدتهم في استقلالهم الذى طالما كانوا ينزعون اليه في عهد الدولتين الاموية والعباسية متأثرين بنظريتهم الخاصة تجاه الخلافة الوراثية في دمشق او بغداد وهو ما لا يتفق وآراؤهم الاعتقادية .

اما عن الكيفية التي دخل بها المذهب الى هناك فمن المعروف ان معركة النهروان قد اتت على قسم كبير منهم ونجا منها من كتب له النجاة وبعدها فر من بقي منهم الى مناطق بعيدة عن مركز الخلافة واخذوا في نشر مبادئ الخوارج بين القبائل التي آوتهم يغمرهم الحقد الدفين على ما ناله اخوانهم من قتل على يد الخليفة الراشد علي بن ابي طالب رضي الله عنه واتباعه ومن هنا يذهب لوريمر الى القول بأن الذى انشأ المذهب في عمان هو رجل من الخوارج الذين نجوا من تلك المعركة .

" ويقال ان مبادئ الاباضية ادخلها الى عمان احد الخوارج الذين نجوا من الهلاك الذى حل بجماعتهم كحزب سياسي على يد علي بن ابي طالب في معركة النهروان وهذا يؤكد أن مذهب الاباضية يرجع في اصله الى الخوارج (٢) ".

---

(١) دليل الخليج جـ ٦ ص ٣٤٠٣

(٢) دليل الخليج جـ ٦ ص ٣٤٠٣

بينما يرى السالمي ان انتشار المذهب الاباضي في عمان كان على يد ى عبد الله ابن اباضي ويقول في ذلك :

" والرواة المسلمون يذكرون بأنه قدم الى عمان رجلان احد هما الامام عبد الله بن اباضي ونشر هناك مباد ىء المحكمة (١) "

وسوف يكون لنا في الفصل التالي حديث عن فرقة الاباضية وعن بدء نشأتها وسبب نسبتها بعد ذلك الى عبد الله بن اباضي .

وعلى كل فقد اشتد ساعد المذهب الاباضي في عمان ومن هنا اتجهوا الى التفكير في اقامة دولة باسمهم مستقلة بنفسها عن التبعية للخلافة العباسية وقد بدأت محاولة تكوين تلك الدولة سنة ١٢٩ هـ في آخر دولة بني امية واول دولة بني العباس .

فلما انس اهل عمان من انفسهم القوة ثاروا بقصد الاستقلال عن الخلافة وكان ذلك على عهد السفاح وولاية اخيه المنصور على العراق الذي عين بدوره واليا من قبله على عمان الا ان العمانيين كانت نظرتهم كنظرة اسلافهم من الخوارج يرون ان توارث الخلافة امر غير شرعي لهذا فلم تكن الدولة العباسية بأحسن حالا من الدولة الاموية عندهم .

فقامت الثورة في عمان وانتخبوا اول امام لهم وهو الجلندى بن مسعود بن جيفر الازدى ولكنه لم يدم في الحكم الا سنتين وشهرا واحدا اذ ان نزعته الى استقلال عمان عن الدولة العباسية اغضبتهم عليه فتقابل في معركة مع جيش الخلافة الذي يقوده خازم بن خزيمة والتحموا في معركة اسفرت عن قتل الجلندى وأصحابه وانتهت حركة النزوع الى الامامة وظلت عمان جزءاً من الدولة العباسية الى سنة ١٧٧ .

فقام امام آخر لهم وهو محمد بن ابى عفان الازدى واجتمعوا على طاعته ولكنهم نقموا عليه اخيرا أنه تجاوز الحدود وتكبر فخلعوه سنة ١٧٩هـ وولوا عليهم اماما آخر

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٣١ .

ويسمى الوارث بن كعب الخروصي فأحسن فيهم السيرة واحبوه واجتمعت عليه كلمتهم وحارب بهم جيش الخلافة الذى ارسل لاخضاعهم بقيادة عيسى بن جعفر عم الخليفة هارون الرشيد فانتصر الوارث واخذ عيسى اسيرا واودع السجن الى ان قتل ثم انتهت مدة الوارث ومات غريقا في اثناء محاولته انقاذ سجناء كان السيل قد داهمهم بعد حكم دام اثني عشر عاما اى انه تولى الى سنة ١٩٢ هـ ٠

فبايع الاباضية بعده غسان بن عبد الله وكان يوصف بحزم وبأس فأمن البلاد وقضى على الفتن وازدهرت في عهده عمان بل وحاول ان يوسع نفوذه الى الهند ولكنه توفي قبل تحقيق هدفه سنة ٢٠٧ هـ ٠

فبايع الاباضية بعده الامام عبد الملك بن حميد الازدى فسار فيهم سيرة مرضية كسابقه الى ان توفي سنة ٢٢٦ هـ ٠ فاختير بعده الامام المهنا بن جيفر اليحمدى الخروصى فحمد الاباضية سيرته وانتعشت في عهده البلاد وكان رجلا مهيبا حازما لا يجرؤ احد على التكلم في مجلسه كما يصفه علماء الاباضية (١) وكون له جيشا كثيفا وأسطولا قويا الى ان توفي سنة ٢٣٧ هـ فانتخبوا بعده الامام الصلت بن مالك الخروصى بالاجماع وقد حدث في اثناء حكمه اعتداء من الحبشة فهاجموا جزيرة سقطرى واحتلوها وقتلوا عامل الصلت عليها فكون عند ذاك الامام الصلت جيشا وكون اسطولا يبلغ اكثر من مائة سفينة التحم مع الاحباش في معركة انتصر فيها الامام وانهزمت الاحباش تاركين سقطرة للامام الصلت وكانت ولايته طويلة لهذا فقد طلب منه ان يتنازل نظرا للمصلحة في ذلك فتنازل سنة ٢٧٣ هـ وعاش كواحد من الناس الى ان توفي ٠

وبعد تنازله عين الامام راشد بن النظر اليحمدى الخروصي وفي عهده برزت العصبية القبلية بين العدنانية واليمانية واشتد ساعدها حتى كاد ان يذهب ضحية لها فقد اراد خصومه الاطاحة به ولكنه قاومهم في معركة تسمى معركة الروضة انتصر فيها على معارضيه وقتل منهم كثيرا واستمر اربع سنوات ارغم في نهايتها على التنازل سنة ٢٨٠ هـ ٠

---

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٥

فتولى الامر بعده الامام عزان بن تميم الخروصي سنة ٢٧٧ واشتد ضرام العصبية القبلية واشتملت الفتن واصبح الامر على غاية ما يتوقع من المكروه فأنشب بانصاره معركة مع معارضيه فهزمهم فذهب بعض من المنهزمين مستصرخين المعتضد الخليفة العباسي لنصرتهم على عزان ومن معه فكانت فرصة ذهبية للعباسيين للانقضاض على عمان والاستيلاء عليها واعادتها الى حضيرة الخلافة فأمر عامله محمد بن بور بفتح عمان فوجه هذا خمسة وعشرين الفا لفتحها فلما علم اهل عمان بهذا الجيش خافوا منه وصاروا يتسللون هربا عن الامام عزان الى ان بقي معه من بقى فتقابل مع جيوش الخلافة في معركة انتهت بقتل الامام بل وانتهاء الامامة من عمان لمدة اربعين عاما اى من سنة ٢٨٠ الى سنة ٣٢٠ حين تولى الامام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب وكان مطاعا في الكل موصوفا بالصلاح بينهم الى ان قتل سنة ٣٢٨.

وبعد سعيد بايع الاباضية رجلا اخباره مجهولة عند الاباضية ويسمى راشد بن الوليد . يقول عنه محمد السالمي انه " تولى الامامة بعد سعيد بن عبد الله واخباره مجهولة لقلة التواريخ (١)" . وقد حاول ان يصد جيوش الخلافة العباسية ولكنه انهزم ثم أمنه العامل العباسي وبعده بقليل مات سنة ٣٤٢ هـ وانتهت الامامة ودخلت عمان في طاعة الدولة العباسية سنة ٤٠٧ هـ فبايع الاباضية الامام الخليل بن شاذان وطرد عامل الدولة العباسية هناك واجتمعوا على طاعة الخليل الى ان اسر من قبل العباسيين فاختاروا بعده رجلا يسمى محمد بن علي ثم اطلق العباسيون الخليل فلما عاد تنازل له محمد بن علي عن رضى فاستمر الخليل حاكما الى سنة وفاته ٤٣٥ هـ .

فتولى الامامة بعده الامام راشد بن سعيد واجتمعوا على طاعته الا ما كان من قبيلتي نهد وعقيل فانهم ثاروا عليه ولكنه اخمد ثورتهم واستمر في الحكم الى ان توفي فيقال انهم بايعوا بعده ابنه حفص واستمر من سنة ٤٤٥ الى ٤٥٣هـ ولكن محمد السالمي ينفى هذا تماما (٢).

ثم تولى بعده ائمة غير مشهورين ومنهم الامام راشد بن علي الخروص ولم يرض بعض العلماء عن سيرته فطلبوا منه التوبة عن اعماله ففعل فتولى بعده الامام عامر بن راشد بن الوليد الخروصي

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٤١

(٢) المرجع السابق ص١٤٦

وقد احسن القيام بأمور الحكم الى ان توفى ٠

فتولى بعده الامام محمد بن غسان بن عبد الله الخروصى وقد استمر في الحكم الى ان توفي والناس مجمعون على طاعته ٠

فتولى بعده الامام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان فنقل العاصمة الى نزوى ثم استمر في مقاتلة بني نبهان الى ان توفي ٠

ثم تولى امامة عمان الامام محمد بن ابي غسان ٠ يقول عنه محمد السالمي :

" واخباره قليلة لم نقف على اى شيء منها مع شدة البحث (١) " ٠

ثم تولى بعده الامام موسى بن ابي المعالي بن موسى بن نجاد التقى مع محمد بن مالك في معركة قتل فيها موسى بن ابى المعالى ثم تفرق الناس بعده شيعا وهان امرهم كما قال السالمي ثم تولى بعده الامام خنبشوبن محمد بن هشام قال السالمي عنه " ولم نقف على شيء من اخباره " (٢) ٠

هذا وقد ظهرت الفتن وافتراق الكلمة في عمان وكانوا لا يولون هذا الا ليظاهر ذاك ٠

فتتابع على البلاد امراء ضعاف ثم ارادوا العودة الى الامامة العامة وفعلا تتابع على عمان عدة ائمة منهم :

الحوارى بن مالك من عام ٨٠٩ الى ٨٣٢ هـ

ابو الحسن بن خميس بن عامر تولى عام ٨٣٩ هـ وقد ساد فيبعض الفتن واستمر الى ان توفي سنة ٨٤٦ هـ ٠

ثم تولى بعد مدة انقطعت فيها الامامة الامام عمر بن الخطاب بن محمد وقد بويع عام ٨٨٥ هـ وقد ثار عليه النباهنة الذين كانوا ينافسونه في اخذ السلطة الا انه انتصر عليهم في معركة ٠ وبعد وفاته تولى الامام محمد بن اساعيل الحاضرى سنة ٩٠٦ هـ فاحسن السيرة واحبته الرعية وارجع للبلاد الامن والهدوء الى ان توفي فبايع الناس بعده

---

(١) و (٢) عمان تاريخ يتكلم ص ١٤٨

ابنه الامام بركات بن محمد بن اسماعيل سنة ٩٤٢ هـ فبدأ الاختلاف فيما بينهم واقتتلوا ولم يعد ذلك الهدوء السابق واستمر بهم الامر من سيء الى اسوأ وكثرت الفتن الى ان توفي الامام بركات وظهر بعده " امراء محليين ضعاف لا هم لهم الا تأكيد نفوذهم والسيطرة على مقدرات الناس دون وجه حق (١) " .

وبعد ان شهدت البلاد بعض الفتن والتحولات برز ائمة اليعاربة الذين جعلوا عمان " اقوى دولة في المحيط الهندي والخليج العربي وكانت اساطيلها الحربية تحمي امبراطورية كبيرة (٢) " وعظم شأنهم واستتب الامن .

ويقول ج ج لوريمر " تميز عهد اليعاربة على العموم بأنه كان عهد أمن داخلي ورخاء ازدادت فيه الثروة وانتشر التعليم كما تميز ايضا بازدياد هائل ومفاجيء في القوة البحرية ادت بالعثمانيين الى القرصنة والدخول في حروب خاطفة غير منتظمة ابتداء من سنة ١٦٧٧ " وقد افاض المؤلف بذكر مقدار قوتهم الحربية ذاكرا لها بالارقام (٣) .

وأول ائمة اليعاربة هو :

الامام ناصر بن مرشد اليعربي : تولى الامامة والبلاد في حالة من الفوضى فوجه اهتمامه الى ابناء الجبهة الداخلية فاحكم قبضته على البلاد " وبمجرد انتخابه لتولي الامامة في سنة ١٦٢٥ احال هذا المنصب من مجرد ظل باهت كما كان الى حقيقة ماثلة بالقوة (٤) " ثم وجه اهتمامه الى تدخل البرتغاليين والفرس في بلاده فجهز لهم جيشا انتصر عليهم واسترد منهم بالقوة منطقة جلفار " واخضع الاقاليم الداخلية بما فيها الشرقية " ولم يبق لهم الا مسقط وصحار اتم تحريرهما خلفه الامام سلطان بن سيف اليعربي ووسع نفوذه فاستولى على سواحل الهند الغربية وكنج

---

(١) و (٢) عمان تاريخ يتكلم ص ١٥٣ و ١٥٤

(٣) دليل الخليج ص ٦٣٧ جـ ٢

(٤) المرجع السابق ص ٦٣٣

وافتتح ممباسة وكلوة وزنجبار وهي من سواحل افريقيا الشرقية والتحم مع البرتغاليين في معارك على الساحل الهندى في بومباى وكون امبراطورية كبيرة الى ان توفي فخلفه ابنه الامام بلعرب بن سلطان اليعربي فاتجه اهتمامه الى الاصلاحات الداخلية فبنى الحصون والقلاع وغرس الاشجار واحيا موات الارض الى ان ثار عليه اخوه سيف بن سلطان فاحكم قبضته على البلاد ووسع نفوذه وقوى امره وانشأ بعض الاصلاحات الداخلية كالزراعة وتربية المواشي الى ان توفي فخلفه الامام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي سنة ١٦٠ وقد دام حكمه سبع سنوات حارب خلالها الفرس وانتصر عليهم في مواقع كثيرة واهتم بالاصلاحات الداخلية والعمران ، يقول عنه الشيخ السالمي :

" لقد هم ان يجعل عمان كجنتي مأرب فحال الحمام بينه وبين ما يؤمل والآجال تقطع الآمال " .(١)

وبعد وفاته خلفه صبيا مراهقا يسمى سيف فارادت العامة ان يتولى الامامة هو ولكن العلماء رأوا انه لا يجوز توليته ما دام في هذا السن فولوا سرا عن العامة رجلا له قوة في الحكم الا انه ليس من العلماء ولكنه كان تحت قبضة العلماء فلا يمضى امرا الا بعد اخذ رأيهم فيه ،هذا الرجل هو مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي وصرفوا العامة بالمداراة ولبث هذا سنة في الحكم ثم ثار عليه يعرب بن بلعرب بن سلطان اليعربي سنة ١١٣٣ هـ فاستقام له الامر مؤقتا ثم انفتحت عليه الفتن وتفرق الناس عنه وارغم على التنازل عن الحكم الى الامام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي سنة ١١٣٥هـ .

وكان صغير السن ثم رأوا ان يعزلوه فعزل ثم تولى الامر محمد بن ناصر الغامرى وهذا لقى من ثار عليه ايضا فقتل فرجع سيف الى الحكم وهكذا دخلوا في فوضى وتفرق الى ان جاء حكم البوسعديين فتعاقبوا على الحكم وكان المؤسس الاول لحكمهم هو الامام احمد بن سعيد .

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٦٠

كان واليا من قبل الامام سيف على صحار . هـــذا ما قاله السالمي عنه ولكن نجد ان ج .ج . لوريمر يقـــول عنه بأنه كان تاجـــــرا وقد وضع الامام سيف ثقته فيه (١) . وكان هذا الرجل عاليا الهمــة قلما تحيـــن الفرصة الا ويتتهزها لصالحه وكان الفرس هم العقبة الوحيدة أمامه فعقد معهم معاهدة فلما اشتد ساعده بدأ بالفرس فاقام وليمة كبيرة دعاهم لحضورها وفي اثنائها القى عليهـــم القبض وقتلهم ثم اجبر الحامية الفارسية في مسقط على الاستسلام فقتل منهم الضباط وكبار رجالهم وارسل الباقين في سفن الى ايران مخفورين وفي اثناء سيرهم اكمـــل بهم الجنود الباقي فاغرقوا بهم المراكب ورجعوا ولا تزال نفسه تتطلع الى مزيد مـــن الانتصارات الا انه واجــه مشكلة كبيرة وهي تصدى بلعرب بن حمير اليعربي لمحاربته فقد كان هذا الاخير قد عين نفسه اماما وعندما سمع بأن احمد بن سعيد نصب اماما اعد جيشا لاخضاعه فتحصن منه احمد بن سعيد في قلعة صغيرة بالجبال وقد رأى ـ من فطانته ـ أن يخرج متسللا في زى اعرابي يقود الجمال فاتصل بأتباعه فاجتمع لـــه منهم بضع مئات ثم قادهم الى جيش بلعرب المحاصر فما شعروا الا والطبول تضرب مـــن كل جهة فاندهش بلعرب وظن انه قد حوصر من قبل جيش غاز قوى فهرب ولكنه وقع في قبضــة احد ابناء عم احمد فذبحه فصفا الجو لاحمد بن سعيد ولم يقم احد لمنافســـــته فما مات الا وقد سيطر سيطرة مطلقة على جميع اجزاء عمان .

هذا موجز من تاريخه وقد توسع في اخباره ج .ج .لوريمر كثيرا بين منزلتــــه القيادية وعلاقاته مع الدول الاخرى (١) .

ويقول السالمي عنه :

" وقد اصدر القاضي ـ يعني به مفتي عمان آنذاك ـ قرارا يعلن فيه ان احمد

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٦٣ / ١٦٥

دليل الخليج ص ٦٤٢ جـ ٢ وقد فصل المؤلف اخباره في ص ٦٤٤ ـ ٦٥٧

هو منقذ البلاد ويستحق ان يرفع ليكون اماما للمسلمين وفعلا اصبح احمد بن سعيد امام عمان الفعلي وحاكمها المطلق (١) " .

وما جاء بعده من اسرته فانهم في نظر الاباضية ليسوا ائمة وانما هم سلاطين اذ ان الحكم اصبح بعد احمد بن سعيد وراثيا وهو الامر الذى يبطل الامامة عند هم .

وقد قام الامام عزان بن قيس بمحاولة لارجاع البلاد الى حكم الامامة الذى غاب عنها منذ زمن وقد شد ازره علماء البلاد بما اوحوا به الى العامة من الاستبشار ووجوب نصرته فاجتمع له من القبائل من استجاب له فبدأ محاولته لضم اجزاء عمان الى امامته . يقول لوريمر عن علو كلمة العلماء الاباضية في عهد عزان ومنهم سعيد بن خلفان كبير علمائهم ومقدمهم عند الامام .

" واضفى سعيد بن خلفان على حكومة عزان طابعا دينيا مسرفا في التعصب ،فاستبدل علم عمان الاحمر من قديم الزمان بعلم المطوعة الابيض ومنع التدخين وشرب الخمر ومنع الاستماع الى الاغاني والموسيقى بجميع الوانها والزم اهل مسقط جميعا بالاختلاف الى المساجد بانتظام وصدرت اليهم التعليمات باتباع السنة في تربية الذقون وحف الشوارب (٢) " .

ولهذا فقد كانت بريطانيا غير راضية عن سيرته هذه وان سترها لوريمر بأقواله المختلفة ومنها انه كان مغتصبا وان مستشارية كانوا سيئي التصرف في الامور وانه ليس من اسرة البوسعيديين الذين هم احق بحكم عمان في نظر الانجليز الذين لمسوا فيهم من ايثار طاعة بريطانيا والسير في رغباتها ما يرضيهم وهو ما نقمه عليهم علماء الاباضية هناك وكان عزان ينظر الى الانجليز بانهم استعماريون لا ينبغي ربط

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٦٤

(٢) دليل الخليج ص ٧٤٨ جـ ٢

اى علاقة بهم فامتنع عن التعاون معهم او تقريبهم .

ومن هنا اخذ الانجليز يحرضون عليه خصومة ومن اشدهم تركي بن سعيد .

يقول الدكتور جمال زكريا قاسم : " على انه مما يستلفت النظر انه في خلال الفترة التي قضاها عزان بن قيس في الحكم لم تقم بينه وبين الحكومة البريطانية اية علاقات وربما يرجع ذلك الى التعاليم الاباضية التي لا تقر وجود هذه العلاقات فضلا عن ان الحكومة البريطانية لم تعترف بالوضع القائم في عمان (١) " .

وقد اراد عزان ان يوسع من نفوذه فهاجم مسقط وكاد ان يأخذها لولا ان تدخل بريطانيا قد حال بينه وبين امتلاكها فاتجه واخذ البريمي وامتلكها ثم اتجه الى اخضاع القبائل البدوية ولكنها اجتمعت عليه والتحمت معه في معركة " ضنك " فانهزم جيشه ولم ينج الا هو ونفر يسير معه وكانت اقامته بمطرح تشكل تهديدا للقضاء على اسرة البوسعيديين فرأت بريطانيا ان اعادة الامامة الى عمان اذا انتصر عزان سيقضى على مصالحها لهذا ارسلت تركي بن سعيد ـ السابق الذكر ـ الى لنجة لاستمالة القبائل التي هناك وتأليبهم على عزان فلما تم له ما اراد اقبل بجيش قاصدا مطرح لاخضاعها وللقضاء على الامام فنشبت هناك معركة اسفرت عن قتل الامام عزان وتفرق اتباعه بين الناس .

وبعد قتل عزان خفت صوت الامامة الى سنة ١٩١٣ فأخذت الدعوة تنتشر بين الناس في عمان الداخلية للرجوع الى الامامة ومحاربة الحكم الوراثي (سلاطين البوسعيد) " فاجتمع ائمة الاباضية وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي اماما " . ووصفت هذه الحركة من قبل الاباضية بأنها " حركة ثورية مباركة " فسار فيهم الامام

---

(١) دراسة لتاريخ الامارات العربية ص ١٠٩

سالم سيرة ارتضوها من عمل بكتاب الله وسنة نبيه الى سنة ١٩٢٠ فدبرت له مؤامرة اغتيل فيها • فولى الاباضية عليهم بعده الامام محمد بن عبد الله الخليلي (١) الذى امتد حكمه اربعا وثلاثين سنة " وقد عم الهدوء والسلام " تلك المناطق الداخلية في عهده رغم ما كان يلاقيه من تآمر سلاطين مسقط والانجليز على اسقاط الامامة هناك وضمها الى سلطان مسقط البوسعيدى وقد استمرت الحرب بينهم سبع سنوات ثم تم التوصل الى معاهدة تعرف بمعاهدة السيب (والسيب يقع على بعد ٣٠ ك تقريبا من العاصمة مسقط ويتكون من بيوت قليلة وفيه المطار للعاصمة مسقط) واستمرت هذه المعاهدة الى ان توفي الامام الخليلي فاراد سلطان مسقط ان يهتبل الفرصة لضم عمان الداخلية الى سلطنته ولكن الاباضيين فوتوا عليه الفرصة وُولوا عليهم بعده الامام غالب بن على الهنائي الذى بويع بالامامة سنة ١٩٥٤م ١٣٧٣ هـ وقد جعل جل اهتمامه في ربط عمان بالدول العربية " فقد قام بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع جميع البلدان التي تتعاطف معه آملا من ذلك ان تكون عمان كأى دولة من الدول العربية ووجد من يشاطره هذا الامل الا ان هذا التحرك من جانب الامام قد اخاف بريطانيا وسلطان مسقط اذ ان رجوع الامامة الى عمان معناه انتهاء مصالح بريطانيا ونفوذها هناك خصوصا وان آبار البترول قد جذبتهم اليها وان التخلي عنها لا يمكن بحال • ومن هنا اخذت بريطانيا وحليفها سلطان مسقط سعيد بن تيمور في تنظيم الخطط الحربية للقضاء على الامامة بالقول والفصل •

" وفجأة وبدون مقدمات زحفت السيارات العسكرية الى مدينة عبرى ومنها الى العاصمة نزوى التي اصبحت تحت ايديهم فانتقلت الامامة الى رؤوس الجبال حيث

---

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١٧١

قرر الاباضية التحصن بالجبال خصوصا الجبل الاخضر وشن الحملات الهجومية من هناك واستمرت تلك الحرب الضارية بين قوات الامام وبين سلطان مسقط والانجليز وكانت قوات الامام تحرز بعض الانتصارات بعد خسائر فادحة الا ان بريطانيا صبت جام غضبها عليهم يتمثل ذلك في اسراب الطائرات والقنابل والصواريخ المدمرة (١).

وكانت نهاية الامامة في عمان بعد تلك المعارك التي دارت بين أتباعها من جهة والسلاطين والانجليز من جهة اخرى ولم تفلح الجهود السياسية والحربية في اعادة الامامة للبلاد وانما تمكن السلاطين البوسعيديين من عمان ولا يزالون حتى الان يتوارثون الحكم فيها.

واذا لم يكن السلاطين يلتزمون بالمذهب الاباضي فان هذا المذهب لا يزال له سلطانه ولا سيما في الجوانب الفقهية عند العلماء والعامة.

وقبل ان ننتهي من الحديث عن دولة الخوارج في عمان نحب ان نذكر هنا ان الخوارج بسطوا نفوذهم على بعض المناطق الاخرى في المشرق غير عمان فقد بسط نافع بن الازرق نفوذه على الاهواز الى كرمان وتمكنوا من دولاب وسلبرى وسلى وغيرها من تلك النواحي وبسط نجده نفوذه على اليمامة والبحرين والقطيف وصنعاء وخلفه على تلك المناطق ابو فديك الى غير ذلك من امثال تلك الظواهر التي لا نقف عندها لانها لا تمثل وضعا من اوضاع الحكم المنظم والمستقر ولم تدم الا سنوات قليلة بل كان بعضها لا يبقى الا شهورا ولهذا لم ندخلها في الحديث عن دولة الخوارج مكتفين بذكرها عند الحديث عن تلك الفرق التي بسطت سلطانها وقتا ما على هذه المنطقة او تلك.

---

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ٢٣٢/٢٥٤

٢ ـ " دولة الاباضية في المغـــرب "

انتشر المذهب الاباضي في المغرب على يد دعاة مخلصين وجدوا من البربر آذانا صاغية فاستغلوا ذلك لنشر مذهبهم الذى طورد في المشرق القريب من عاصمـــة الخلافة الاسلامية فقد رأوا انه حفاظا على بقاء مذهبهم واقامة سلطة باسمه لا بد وان تكون بعيدة عن بطش الخلافة فاختاروا المغرب بين قبائل البربر فقام للخوارج فـــي المغرب مذهبان مذهب الاباضية ومذهب الصفرية وكان مما ساعدهما في الانتعـــاش شيئا فشيئا اعتدال دعوتهم التي تهادن الحكام تحت ستار التقية وتعامل المخالفيـــن بقدر من التسامح الى ان بلغوا ما ارادوا ولولا هذا الاعتدال لكان مصيرهم لا يقل عـــن مصير آلئـك الذين قلما يجتمع لهم اقل عدد الا واعلنوها ثورة وعصيانا مسلحـــــا فتنقض عليهم جيوش الخلافة حتى يبادوا • وقد ابيدوا بالفعل وما نشأت خوارج المغرب الا نتيجة من نتائج تلك الابادة في المشرق • لقد كانت البصرة احدى القواعد الاساسية لدعاة المذهب الاباضي ومنها انطلق دعاة الاباضية الذين انتشروا في المغرب لتأسيس دولتهم هناك• وكان زعماء هذه القاعدة هم من اوائل علماء المذهب وعلى رأسهم ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة •

فكان الدعاة ينتشرون منها الى الاماكن المعينة بل وكان الخارجون علـــى الخلافة لا يخرجون الا بعد استشارتهم كما كان الحال في خروج طالب الحق في جزيرة العرب وابو الخطاب (احد حملة العلم) كما يسميهم الاباضية في المغرب ثم خلفـــــه عبد الرحمن الرستمي ومن جاء بعده من اولاده فكانوا لا يبرمون امرا ذى بال الا عـــن مشورة علماء المذهب في البصرة •

وقد رزق مذهب الاباضية في المغرب انصارا مخلصين في اقامته واعلائـه امثال سلمة بن سعد الذى " كان يقول في مبدأ امره وددت ان يظهر هذا الامر يومـا واحدا فما ابالي ان تضرب عنقي " (١) •وابن مغطير الجناوني وغيرهما من الرجال الذين كانـــوا

(١) الاباضية في موكب التاريخ جـ ٢ ص ٢٥

يذهبون من المغرب الى البصرة ثم يرجعون بعد ان يتزودوا بالعلم والفقه في المذهب دعاة ومجاهدين وقضاة في دولتهم الناشئة ٠

وقد انتقل مع المذهب الاباضي الى المغرب مذهب الصفرية - كما قلنا - وانتشر هناك على يد عكرمة مولى ابن عباس وهو بربري في الاصل ولهذا كان لدعوته الى المذهب الصفرى تأثير بين البربر لمعرفته بدخائل نفوسهم وكان يدعو الى مذهبه سرا ثم اخذ في الانتشار الى ان صار مذهبا قويا فيما بعد خصوصا وقد كان المهاجرون من المشرق الذين هربوا من اضطهاد الخلفاء يرتادون المغرب لبث دعوتهم في هذه المناطق النائية عن الخلافة الاسلامية ولم يحدد المؤرخون بالضبط متى بدأ المذهب الخارجي ينتشر هناك ٠

يقول الدكتور رفعت فوزي عن تحديد نشأة الاباضية والصفرية بالمغرب :

" واذا كانت الروايات التاريخية لا تبين لنا بالتحديد متى قدم الى المغرب اول من دعوا الى مذهب الخوارج وهما سلامة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما فانه يمكن القول بأنهما قدما في اواخر القرن الاول او اوائل القرن الثاني (١) " ٠

ويجب ان نلاحظ هنا ان تلك القبائل التي كانت محط الانظار لنشر المذهب الخارجي بينهم كانت متأرجحة بين المذهب الخارجي والبعد عنه واغلبهم كان يميل مع القوى صاحب الغلبة فاذا جاء من هو اقوى منه كان الحال معه كسابقه وهكذا ٠

لقد كان البربر منذ اسلموا مخلصين في اسلامهم يشتركون في جميع المعارك التي يخوضها الجيش الاسلامي وكانوا عندما يعاملون بالعدل والرفق كما وصفهم الطبرى: " من اسمع اهل البلدان واطوعهم الى زمان هشام بن عبد الملك احسن امة سلاما وطاعة "

---

(١) الخلافة والخوارج في المغرب العربي ص ٢٩ ٠

وقد ظلوا كذلك الى ان بدأوا يحسون بالظلم من قبل ولاة الخليفة هشام واسوأهم سيرة كان عبيد الله بن الحبحاب من قبل هشام الذى كان جل اهتمامه في جمع الاموال والتحف وبعثها الى دمشق لارضاء الخليفة هناك كغيره من ولاة تلك المناطق .

وصادفت هذه المحنة وجود دعاة الخوارج بينهم فكانوا كلما دعوهم الى الخروج على الخلافة الاموية بسبب ما يفعله ولاتهم من مظالم يتأبون عن الاستجابة لهم قائلين ان هذا ليس ذنب الخليفة حتى نختبره فيقول لهم دعاة الخوارج ان هؤلاء العمال لا يقدمون الا بأمر من الخليفة نفسه فلم يقبلوا منهم وهكذا ظلوا كلما دعاهم الخوارج قالوا " انا لا نخالف الائمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا لهم انما يعمل هؤلاء بأمر آلئك فقالوا لهم لا نقبل ذلك حتى نبورهم " اى نختبرهم .

واخيرا وبعد أن طفح الكيل خرج بضعة عشر يرأسهم ميسرة المطغرى متوجهين الى دمشق ليشكوا ما حل بهم الى الخليفة هشام الا انه لسوء الحظ لم يقابلهم بل احتجب عنهم الى ان نفدت نفقاتهم فعزموا على الرجوع الى بلادهم وهنا ذهبوا الى الابرش وحملوه رسالة منهم ليؤديها الى هشام كالاعذار لما سيفعلونه فيما بعد جاء في هذه الرسالة :

" ابلغ امير المؤمنين ان اميرنا يغزو بنا وبجنده فاذا اصاب نفلهم دوننا وقال هم احق به فقلنا هو اخلص لجهادنا لانا لا نأخذ منه شيئا ان كان لنا فهم منه في حل وان لم يكن لنا لم نرده وقالوا اذا حاصرنا مدينة قال تقدموا واخر جنده فقلنا تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى اخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء الابيض لامير المؤمنين فيقتلون الف شاة في جلد فقلنا ما ايسر هذا لامير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ثم انهم سامونا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأحببنا ان نعلم أعن رأى امير المؤمنين ذلك ام لا " .

فأخذ الابرش هذه الرسالة وقال نفعل واخيرا ولما يئسوا من الوصول الى هشام ويئسوا من انصافهم كتبوا اسماءهم وانسابهم واعطوا الوزراء قائلين لهم " هذه اسماؤنا وانسابنا فان سألكم امير المؤمنين عنا فأخبروه (١) " ثم رجعوا .

وبالتأمل في تلك الرسالة نجد فيها حرارة الشكوى ومدى ما حل بهم ان صدقوا في كل ما ذكروه اذ ان تلك الجرائم التي ارتكبت بحقهم لا يمكن السكوت عنها وهنا وقر في قلوبهم ما قاله الخوارج سابقا ورجعوا في غاية الغضب والعزم على الخروج عن الطاعة فبدأوا بعامل هشام على افريقية فقتلوه ثم استولوا على افريقية، ولما علم هشام بذلك سأل عن اسماء ذلك الوفد الذى جاء اليه فرفعت اليه اسماؤهم فاذا هم الذين وقفوا ببابه فاحتجب عنهم .

وهناك سبب آخر يعزوه الاستاذ رفعت الى صاحب كتاب " اخبار مجموعة " الذى يرى ان سبب قيام خوارج المغرب بالثورة انما هو " الاقتداء بالخوارج في المشرق اصحاب النهروان والازارقة في الخروج على سلطان الخلافة والتحرر من ربقتها والكيد لها (٢) " .

ويروى عن صاحب فجر الاندلس رأيا آخر وهو ان تلك الثورة كانت سياسية قبل ان تكون دينية وذلك في قوله " لسنا نجد على اى الأحوال من اخبار هذه الثورة الكبيرة دليلا واضحا على صفرية القائمين بالحركة او اباضيتهم والاسلم ان نسميهم خوارج سياسيين لا دينيين (٣) " .

وعلى كل فقد اشتعلت الثورة وسموا ميسرة أمير المؤمنين ثم التحموا مع جيش الخلافة في معارك عظيمة عبأ فيها هشام ثلاثين الفا لمقاتلة الخوارج وحينما التقوا

---

(١) انظر تاريخ الدابرى ص ٢٥٤/ ٢٥٥ ج٩

(٢) الخلافة والخوارج في المغرب ص٦٧ وهو يعزو هذا الرأى الى (اخبار مجموعة ص ٣١/ ٣٢)

(٣) = = = = ص٦٨ = = = = (فجر الاندلس ص١٤٩)

انهزمت جيوش الخلافة شر هزيمة واستتب الامر للخوارج وسطوا نفوذهم بقوة وبأس جعل الخليفة ييأس من استعادة افريقية بعد هزيمة جيشه الذى ارسله بقيادة كلثوم بن عياض امام قائد الخوارج خالد بن حميد الزناتي الذى حقق للخوارج استقلال المغرب حتى صار المغرب فيما بعد ملجأ كل ناقم على الخلافة الاموية (١)

ثم صارت الامور بعد ذلك في صراع بين الخوارج والخلافة يتبادل الطرفان فيه النصر والهزيمة حتى انتهت الدولة الاموية واعقبتها الدولة العباسية ، فبدأت في مقاومة الخوارج بالمغرب وكان رئيسهم اذ ذاك هو ابو الخطاب . وهو احد حملة العلم الخمسة الذين ذهبوا الى البصرة وعادوا منها الى المغرب يحملون فكرة اقامة دولة باسمهم كما اشار عليهم زعيم المذهب الديني في البصرة ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة الذى تعتبره الاباضية من خيرة اسلافها وعلمائها الاجلاء فاخذ نجم الاباضية في الظهور على يد ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الذى كان مقيما بطرابلس بعد الخطط لجعلها عاصمة لهم ، وكانت البيعة له في غرب طرابلس في مكان يسمى " صياد " واتفقوا فيه على وضع خطة للقبض على زمام السلطة في طرابلس وهى ان يوضع الرجال في جواليق مربوطة من اسفلها على جمال كل رجلين على جمل ثم يدخلون طرابلس فلا يفطن الناس الى مابها وعندما يتوسطون المدينة يخرج الاباضية الذين بها مصلتين سيوفهم ثم تفتح الجواليق فيخرج الرجال على هيئة حربية كل رجل يحمل سلاحه ثم جاء الموعد ونجحت الخطة وحين خرجوا كانوا ينادون لا حكم الا لله ولا طاعة الا لابي الخطاب وتم الاستيلاء على المدينة فعين عبد الرحمن الرستمى وهو احد حملة العلم الخمسة ايضا على طرابلس قاضيا (٢) " .

---

(١) هذا ما اشار اليه الاستاذ رفعت فوزى في كتابه الخلافة والخوارج في المغرب العربي ص ٨٣ والواقع ان الخليفة قد عبأ الجيوش المتلاحقة لاخماد تلك الثورات ، انظر الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٩٢ _ ١٩٤ .

(٢) الخوارج والخلافة في المغرب الاسلامي ص ١٠٨

فأخذ هذا الرجل بما اوتي من قوة فكر ونفاذ بصيرة في تجميع الاباضية من حوله واحل التعصب للمذهب بدل التعصب القبلي حتى نجح بهم في اقامة دولة للاباضية استمرت ما يقارب مائة وخمسة وعشرين عاما .

ومنذ ان تم النصر للاباضية في طرابلس بدأوا ينظرون الى ما حولهم فحشدوا الجيوش للاستيلاء على القيروان لانقاذها من بغي ورفجومة (١) الذين عاثوا فيها فسادا وسارت الحملة اليهم في ستة الاف رجل ، وعرضوا في طريقهم على قابس فاحتلوها ثم واصلوا السير الى القيروان فحاصروها مدة ثم خدعوا ورفجومة واوهموهم انهم منهزمون منهم فلما خرجوا في لحاقهم عطف الاباضية عليهم فقتلوهم قتلا ذريعا عند مكان يسمى رقادة .

ثم خرج ابو الخطاب عن القيروان بعد ان ولى عليها عبد الرحمن بن رستم .

وبعد القضاء على ورفجومة رجع ابو الخطاب الى طرابلس ولكن حدث ان ذهب أحد أتباعه ويسمى جميل السدراتي ـ لمنافرة وقعت بينه وبين ابي الخطاب ـ الى ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي طالبا منه انقاذ ذلك الجزء من المغرب من حكم ابي الخطاب ، فبعث اليهم ابو جعفر الجيش بعد الجيش وهم ينهزمون امام الاباضية ، ولكن الاباضية عادوا فانهزموا اخيرا على يد محمد بن الاشعث وانتصر عليهم الانتصار الحاسم (٢) فقتل ابو الخطاب وكل من كان معه اثناء المعركة وتفرقت الاباضية في الجبال والاماكن النائية .

ثم جاء مؤسس الدولة الاباضية الحقيقي وهو عبد الرحمن بن رستم وهو الذي اليه " يعزى الفضل في تكوين دولة الخوارج الاباضية كان حكمها في اسرته من بعده " (٣) وهو فارسي الاصل من طبقة حكام الفرس الاكاسرة وقد انتقل بعد مقتل

---

(١) ورفجومة هم قبيلة من قبائل البربر ، انظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٥١ ج ١

(٢) انظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٥٣ ج ١ وانظر الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣١٧

(٣) الخوارج في المغرب ص ١٠٧

ابي الخطاب الى تيهرت التي صارت فيما بعد عاصمة الاباضية ، فاجتمعت عليه كلمة الاباضية وسلموا عليه بالخلافة سنة ١٦٠ هـ وكان جل اتباعه من قبائل البربر لواته ورجالة ونفزاوة ولماية ونفوسة التي اشتهرت بأنها قلعة حصينة للاباضية .

وقد اصبحت تاهرت من اعظم المدن واجملها وقد فصل القول فيها الشيخ سليمان بن عبد الله الباروني وذكر كثيرا من دقائق اخبارها يعجب له السامع واستشهد بعدة شواهد من كلام غير الاباضية نفيا لما قد يتوهم من مبالغته في وصفها كما يقول (١) وقد تأسست هذه المدينة واكتمل عمرانها سنة ١٣٦هـ .

وقد سار عبد الرحمن في حكمه سيرة ارتضاها الاباضية وتوالت عليه الاعانات من اباضية المشرق ، الاعانات المعنوية والمادية وكان على اتصال في قضاياه المهمة بعلماء المشرق الاباضي يقول محمود اسماعيل :

" واستطاع عبد الرحمن بهذه الاموال تسليح رجاله من الاباضية وتمكن بفضلهم ـ على حد تعبيره ـ من بسط سيادة الدولة على سائر قبائل البربر " (٢) .

وكان يجاور دولته دولة الصفرية التي اتخذت سجلماسة عاصمة لها حين تكونت سنة ١٤٠ هـ وقد تمت بين عبد الرحمن وملك الصفرية علاقة مصاهرة اذ تزوج ابن ملك الصفرية ويسمى مدرار بكريمة عبد الرحمن وبذلك أمن ذلك الجانب ولولا تلك المصاهرة لجرى بينهم من الحروب والفتن الشيء الكثير وهذا من حنكة عبد الرحمن ومهارته في الامور .

---

(١) انظر الصفحات الاولى من كتاب الازهار الرياضية ج ٢
(٢) الخوارج في المغرب الاسلامي ص ١١٣

وقد استمر الحال بالاباضية هناك في هدوء وأستقرار الى أن توفى عبد الرحمن الرستمي سنة ١٧١ تقريبا " وكي يضمن استمرار ذلك الاستقرار لدولته اوصى قبل وفاته بتعيين مجلس شورى يختار امام الدولة من بين اعضائه " (١) .

فبايع الاباضية بعده ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي في هذا التاريخ ، فاجتمعت عليه كلمة الاباضية واحبوه لما امتاز به من الصلاح والحزم ولم ينقموا عليه امرا الا ما كان من ابن فندين وهو ممن بايعه فانه خرج عنه غاضبا لأنه لم يشركه في حكمه ولم يسند اليه فيه منصبا وهذا تعليل الاباضية لخروجه عن طاعة عبد الوهاب ولكن هذا التعليل ينفيه بعضهم ويرى انه من صنع الاباضية لتشويه مطلب ابن فندين في حمل الامام على اتخاذ مجلس شورى يأخذ برأيه واسباب اخرى غير هذا (٢) ثم انضم الى ابن فندين ثائر آخر من الاباضية الطامعين في الحكم وهو شعيب المصرى حسب ما تقول مصادر الاباضية ، ويقول غيرهم بأن هذا الحكم على شعيب " مبالغ فيه والاقرب للتصديق انه توجه لنصح عبد الوهاب وانهاء الخلاف في تاهرت فلما لم يجبه انضم الى ابن فندين (٣) " .

وحينذاك دبر هذان الرجلان الثورة لنزع الحكم من عبد الوهاب فانشبوا معركة على ابواب عاصمة الاباضية بتيهرت انهزم فيها الثوار وقتل ابن فندين وهرب شعيب الى طرابلس ناقما على الامام مظهرا البراءة منه ، فلما وصلت هذه الاخبار الى علماء الشرق من الاباضية اجمعوا على البراءة منه ومن ابن فندين .

وبموت ابن فندين اختفت المشاكل التي كانت شاغلة لعبد الوهاب وهدأت الامور ، ولكن هذا الهدوء كدرته ثورة اخرى قام بها قبائل من البربر تدين بالاعتزال واكثرهم من قبيلة زناتة التحموا معه في معركة طلب فيها من الثائرين عقد هدنة للنظر

---

(١) المصدر السابق ص ١١٤

(٢) راجع الخوارج في المغرب الاسلامي ص ١١٧

(٣) الخوارج في المغرب ص ١١٧

في الاصلح من الامور فعقدت الهدنة وهنا كتب الامام الى اهل جبل نفوسة طالبا منهم المدد ، ولما جاءه ما طلب التحم معهم في معركة اخرى انتصر فيها الامام وظفر بتلك الطائفة من الواصلية المعتزلة واذعنوا بالطاعة ، وكانت تنشأ بين الحين والآخر بعض الانشقاقات فلا تلبث ان تنتهي وامتد سلطان الامام الى طرابلس وما حولها وقد دامت خلافته ١٩ سنة اذ توفي في سنة ١٩٠ هـ تقريبا وهو الصحيح عند الباروني من بين الاقوال التي قيلت في ذلك (١) تاركا وراءه ثورة خلف بن السمح في اشتعال .

وبعد وفاة عبد الوهاب بايع الاباضية ابنه افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي سنة ١٩٠ هـ وكان عليه ان يواجه محاربة خلف المنشق عن طاعته الرستمية ، فأمر ابو عبيدة وكان واليا من قبل عبد الوهاب على طرابلس بمحاربة خلف وبعد مراسلات بينهما لم تجد نفعا التحموا في معركة انتصر فيها ابو عبيدة وكانت تلك المعركة في ١٣ من شهر رجب سنة ٢٢١ هـ ، الا ان هذه المعركة لم تنهي عصيان خلف بل ثار مرة ثانية بعد وفاة ابو عبيدة وتولية العباس بن ايوب مكانه فراسل خلفا لاعادته الى الطاعة ولما لم تفلح معه المراسلة تقابلوا في معركة انهزم فيها خلف وتفرق جمعه ومات بعد ذلك منكسرا (٢) .

وبعد خلف جاء ثائر آخر هو فرج بن نصر النفوسي المعروف (بنفاث) والذى تنسب اليه فرقة النفاثية من الاباضية وكان له اطلاع في العلم الا انه اخرجه الغضب لنفسه اذ لم يول ولاية في دولة افلح حسبما تقول مصادر الاباضية وهذا لا ينفي ان تكون ثورته انتقاما من حكم الرستميين الذين جعلوا الخلافة وراثية ولكنه لم تكن له شوكة او منازلة مع جيش افلح بل كان خروجه بمجرد الكلام فقط واخيرا غمض أمره وانتهى دوره

---

(١) الازهار الرياضية ص ١٦٣ جـ ٢

(٢) انظر الخوارج في المغرب الاسلامي ص ١٢٣

الى ان حانت وفاة الامام افلح سنة ٢٤ هـ وكان المرشح لتوليها بعده هو ابنه ابن اليقظان محمد بن افلح الا انه حين وفاة والده كان مسجونا في بغداد وذلك انه كان قد اختطف في حجه واودع سجن بغداد فبايع الناس بعد وفاة افلح ابنه ابوبكر بن افلح الا انه لم يكن مرضيا من جميع الناس ووقعت فتن في عهده وحرب اهلية •

وقد عاد ابن اليقظان من بغداد اثر اطلاقه من السجن فنظم الامور واحبه الناس فتمت بيعته سنة ٢٤١ واجتمعت عليه الكلمة واتته وفود البيعة من كل ارجاء مملكته واستتب الامن وكثر الرخاء الى ان توفي سنة ٢٨١ هـ •

وبعد وفاته بايع الاباضية ابنه ابي حاتم يوسف بن محمد باتفاق الكافة ولم ينكر احد في الظاهر أى امر الا انه كان في نفوس بعض الناس ميل عنه ومنهم عمه يعقوب بن افلح الا انه لم يحرك ساكنا حينئذ ثم حدثت فتنة بعد ذلك بقيادة بعض المشايخ ومسموعي الكلمة وتطور الخلاف الى ان اصبح لا يمكن حله الا بالمعركة وجمع كل فريق ما عنده من قوة استعدادا لخوض الحرب •

وقد اسند اهل مدينة تيهرت زعامتهم الى عم ابي حاتم السابق الذكر يعقوب بن افلح بينما كان الامام محاصرا لها من خارجها ولم يبق الا الدخول في المعركة فابتدأت رحاها بين الامام وعمه فاهرقت الدماء وتقطعت السبل وعاش الناس في اشد الضيق الى ان توسط بعض اهل الاصلاح بين الامام وعمه لعقد هدنة وصلح على ان يقف كل منهما عن منازعة الاخر مدة اربعة اشهر حتى ينظر الناس في امرهم ورجاء ما يمن الله به من حسن تدبيره •

وقد حدث في اثناء هذه المدة ان استمال الامام كثيرا من الناس ووعدهم ومناهم الى ان مال اليه اكثر اهل المدينة (مدينة تيهرت) فرأى يعقوب ومن معه من خاصته ان الخطر قد احدق بهم وهنا قرروا الهرب الى طرابلس التي كانت الفتن

فيها وفي جبل نفوسة على اشدها ليكونوا على بعد عن الامام .

وهنا دخل الامام المدينة بعد ان كان مقيما خارجها في اثناء تلك الاربعة الاشهر وصفي له الجو في تيهرت وما حولها باستثناء طرابلس ونفوسة وما حولهما فقد وقعت فيها بعض الفتن الداخلية ثم اعقبهم نزول جيش ابراهيم بن الاغلب التابع للخلافة العباسية فقتل اهل نفوسة قتلا ذريعا وانهزموا شر هزيمة ومن هنا بدأ نجم دولة الاباضية الرستمية في الافول شيئا فشيئا الى ان توفي الامام ابو حاتم سنة ٢٩٤ هـ مقتولا على يد ابناء اخيه باتفاق تم بينهم للاستيلاء على الحكم وشايعهم على هذا بعض الناس فقتلوه ثم تولى بعده اليقظان بن ابي اليقظان وهو ابن اخيه ومجرد توليه بدأ انقراض دولة بني رستم على يد الشيعة وذلك على يد عبيد الله الشيعي وظهور دعوته في المغرب فقد احتل مولاه ويسمى ابو عبد الله الحجاني تيهرت العاصمة الاباضية وقضى على اسرة بني رستم وانتهى امرهم وذلك في سنة ٢٩٦ هـ فرثاهم علماء الاباضية بالمراثي المحزنة ورثوا تيهرت وما اصابها من خراب بعد بني رستم .

الفصل السابع

فرق الخوارج

بعد عرضنا لوضع الخوارج الفكرى والحربى والسياسى نبدأ الان بالحديث عن فرق الخوارج متى بدأ تكونها وماهى الاسباب التى أدت الى افتراق الخوارج بعد أن كانوا على رأى واحد • وماهى مناهج مؤرخى الفرق المختلفة فى التاريخ لها •

وأخيرا نقدم عرضا موجزا لتاريخ هذه الفرق مرجئين بيان ارائها ومناقشتها فى تلك الاراء الى الباب التالى اللهم الا مانذكره عرضا عن بعض اراء الفرق الفرعية •

أ ـ نشأة فرق الخوارج وأسبابها :

بدأ تكون فرق الخوارج ـ كما قلنا سابقا ـ بظهور نافع بن الازرق وجماعته التى تنتسب اليه والتى عرفت باسم الازارقة وذلك فى اوائل الستينات وتتابع بعد ذلك ظهور تلك الفرق سواء الفرق الكبرى او ما تشعب عنها من فرق صغرى •

ولقد كان لهذا الافتراق اسبابه الظاهرة والخفية وان لم تكن فى اغلب الاحيان اسبابا لها قيمتها ، فقد عرفنا عنهم انهم كانوا يختلفون ويفترقون لاتفه الاسباب ومهما يكن من أمر فالى جانب اختلافهم حول سلوك بعضهم على هذا النحو أو ذاك كانت هناك اسباب لهذا الاختلاف ترجع الى اختلافهم فى الاراء الدينية وفى مواقفهم من الجماعة الاسلامية • فقد كان الخوارج فى مبدأ أمرهم لا يعرفون تلك التفاصيل فى مذهبهم التى احدثت بينهم الخلافات فيما بعد وفرقتهم فرقا متعددة ذات آراء مختلفة ، كالاختلاف فى القعدة والتقية والهجرة من دار مخالفيهم الى دارهم ، كذلك حكم اطفال مخالفيهم هل هو تابع لحكم آبائهم ام يختصون بحكم مستقل مع الاختلاف فى حكم هؤلاء الاباء المخالفين •• الخ •

وقد أثرت فيهم هذه الاختلافات فى الاراء حين حدثت فتعددت طوائفهم واختلفت بتعدد هذه الاراء واختلافها .

وقد اختلف العلماء فى الشخصية التى أحدثت هذه الخلافات بين صفوف الخوارج وفرقت كلمتهم وجعلت بعضهم يبرأ من بعض فقيل ان اول من احدث الخلاف بين الخوارج هو نافع بن الازرق الحنفى وقيل ان اول من أحدثها عبد ربه الكبير او رجل يسمى عبد الله بن الوضين وان نافعا كان من المخالفين له فى مبدأ أمره ولكنه وبعد وفاته تبين له ان الحق كان معه فرجع الى الاخذ بقوله واكفر من يخالفه بعد ذلك . واما من خالفه قبل ذلك ـ اى قبل ان يرى نافع ان قوله صحيح ـ فليس بكافر وكأن الحكم يبتدأ عنده من يوم ان تبين له صحة راى ابن الوضين ، وقيل ان اول من احدثها عبد ربه الصغير (١) .

والحقيقة كما يظهر لى ان خلاف الخوارج لم يشتد ولم ياخذ شكله الحاد الا حين تبنى نافع بن الازرق اراءه الخاصة فى تلك المسائل التى لم يعرفها سلف الخوارج ولم يخوضوا فيها بالتفصيل وحينما اخذ نافع فى تطبيقها اعتبرها الخوارج اراء متطرفة لم يقل بها سلفهم من اهل النهروان ولاغيرهم فمثلا حرم التقية واعتبرها خشية من غير الله لاتجوز بحال مستدلا بقوله تعالى " اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله واشد خشية " (النساء : ٧٧) .

وعلى هذا فان القعدة الذين يستندون الى التقية غير مؤمنين فى نظره واعتبر كل مخالفيه مشركين كفرة لاتحل مناكحتهم ولا موارثتهم ولا اكل ذبائحهم ولا يجب رد اماناتهم اليهم . ويحل ايضا قتل نسائهم واطفالهم كما قال تعالى :

---

(١) انظر مقالات الاشعرى ج ١ ص ١٧٠ ، الفرق بين الفرق ص ٨٤ .

" ولا يلد الا فاجرا كفارا " (نوح : ٢٧).

وعندما وصل الى هذا الحد انفصلت عنه النجدات بقيادة نجدة بن عامر لانهم راوا ان هذه الاراء مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله والسلف القديم قائلين له: " احدثت مالم يكن عمله السلف من اهل النهروان واهل القبلة " فاجابهم بأن هذه حجة عرفها وقامت عليه وينبغى الاخذ بها (١) . قال عبد الرحمن النجم " ان الاراء الشديدة الغالية التى تبناها نافع بن الازرق وضعت الخوارج فى بداية مرحلة خطيرة فقد فتحت مجالا واسعا امام مجتهديهم لمناقشات نظرية واسعة استمرت فترة من الزمن وادت الى ظهور اراء متباينة ومواقف مختلفة وكانت سببا فى تفرقهم .

ولاريب أن الاتجاه المعتدل الذى يمثله النجدات هو اقرب الى آراء عامة المسلمين » (٢) . وابن عبد ربه يرى ان الخوارج قبل وجود نافع بن الازرق كانوا لا يختلفون الا فى الشىء الشاذ حتى جاء نافع فاوجد فجوات بينهم يقول ابن عبد ربه " الازارقة اصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكانوا قبل على راى واحد لا يختلفون الا فى الشىء الشاذ " (٣) .

ومهما يكن من اختلاف العلماء حول تحديد اول من احدث الافتراق بين الخوارج فقد كان لهذه الاختلافات اثرها السيء على مجرى حياتهم اذ أخذ كل فريق منهم يشنع على مخالفيه قوله كما سيتبين لنا ذلك فيما بعد .

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٠ ـ الفرق بين الفرق ص ٨٤

(٢) الحركة فى صدر الاسلام ص ١٢٨

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩١ .

٢ - مناهج مؤرخى الفرق فى ذكر فرق الخوارج :

عندما يريد الباحث حصر فرق الخوارج الاصلية منها او الفرعية يفاجأ بكثرة اختلاف العلماء فى ذلك وذلك لان كتب الفرق الاسلامية لم تتفق أبدا على تقسيم فرقهم الرئيسية او الفرعية على عدد معين ، فنجد بعضهم يعدها أربعا وبعضهم يعدها خمسا وبعضهم يعدها سبعا وبعضهم يعدها ثمان واخرون خمسا وعشرين .. الخ .

وهكذا يتباين عددهم عند علماء الفرق وهذا يعود بالطبع الى عوامل هامة ومنها :

١ - أن الخوارج كانوا من الفرق الثائرة المضطهدة من جهة خصومهم وهم عامة الناس ، الامر الذى ادى الى عدم التمكن من الدراسة الدقيقة لفرقهم فى عصر خروجهم .

٢ - انهم هم انفسهم ساهموا فى اخفاء امرهم بحيث اخفوا كتبهم عن اعين الناس اما خوفا عليها منهم او ظنا بها عنهم وهى قليلة جدا لقلة فراغ الخوارج الذين وهبوا كل اوقاتهم للحرب والاعداد لها على طول حياتهم .

٣ - انهم لم ينعموا بالاستقرار والهدوء الذى ينتج عنها نظرهم فى العلوم وتحقيقهم لمذهبهم وتاريخهم لفرقهم المختلفة تاريخا مضبوطا يساعد على حصرها حصرا صحيحا .

٤ - انهم كانوا - كما قلنا سابقا - سريعى التفرق اذ حصول اقل سبب تافه كان كافيا لتفرقهم الى فرق .

ولهذا تشعبت فرقهم واختلط امرها على المؤرخين .

وقد ذكر العلماء أقوالا كثيرة فى ندرة كتبهم وفى صعوبة الوصول الى حقيقة أمرهم وشكوا من هذا الامر الذى يوقف الباحث امام مشكلة هامة . وقد مر بنا الحديث فى هذه المسألة فى مقدمة الرسالة .

وقد نتج عن سرعة تفرقهم لاقل سبب يحدث ان كثر روءساءهم وفرقهم كثرة اختلط امرهم بسببها على المؤرخين وفى هذا يقول احمد امين رحمه الله " والخوارج لم يكونوا وحدة ولم يكونوا كتلة واحدة وانما كان واضحا فيهم الطبيعة العربية البدوية فسرعان مايختلفون وينضمون تحت الوية مختلفة يضرب بعضهم بعضا ولو اتحدوا لكانوا قوة فى منتهى الخطورة " (١) .

وكذلك يقول الشيخ ابوزهرة فانه يرجع سبب تفرقهم الى فرق متباينة الى " كثرة الاختلاف فيما بينهم وتحيز كل فرقة لما ارتأت وتجمعها حوله حتى صاروا مذاهب وجماعات متباينة " (٢) .

ويقول الاستاذ محمد الطاهر النيفر عنهم :

" وكانوا كثيرى التشاجر فيما بينهم لاتفه الاسباب وربما كان هذا هو السر فى انهزامهم مع قوة شكيمتهم فى القتال " (٣) .

وفيما يلى بيان للاختلاف البعيد بين علماء الفرق فى عد فرق الخوارج .

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٥٩

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٨٠

(٣) اهم الفرق الإسلامية ص ٦١

فالاشعرى يرى أنهم اربع فرق : الازارقة ، والنجدات ، والاباضية والصفرية ، ثم يقول " وكل الاصناف سوى الازارقة والاباضية والنجدية فانما تفرعوا من الصفرية " (١) .

ويشاركه فى هذا الحصر ابن عبد ربه ، الا انه ذكر البيهسية مكان النجدات فهى عنده من فرقهم الكبرى (٢) بينما هى عند غيره فرقة فرعية .

ويرى صاحب ابانة المناهج انها خمس فرق رئيسية وذكر الفرق التى تقدمت عند الاشعرى وابن عبد ربه مثبتا ان الكل من كبار فرقهم ويلاحظ عليه انه اختلط عليه اسم عبد الله بن اباض بعبد الله بن يحيى طالب الحق فنسب الاباضية اليه وهو خطأ تاريخى . (٣) .

ويرى البعض انها سبع فرق رئيسية ومنهم محيى الدين الدبس حيث أضاف الى ما تقدم فى ابانة المناهج فرقة المحكمة والعجاردة (٤) . وذكر ان فروع الاباضية عنده اربع فرق والعجاردة عشر فرق . ومثله الشاطبى فهو يعدها سبع فرق وهى " المحكمة والبيهسية ، والازارقة ، والحراث ، والعبدية ، والاباضية " .

والغريب فى هذا التقسيم ذكر فرقة الحراث فلم يذكرها غيره فى فرق الخوارج لا الرئيسية ولا الفرعية . وجوز الشيخ محمد رشيد رضا ان تكون هى النجدات وقد صحفها النساخ .

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٨٣

(٢) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٩١

(٣) ابانة المناهج ص ١٥٥

(٤) رسالة الدبس فى فرق الشيعة والخوارج وتكفير غلاتهم ص ٢٦ خ .

وأيضا ذكر الشاطبي المهدية وهي كذلك ليست مذكورة عند المؤرخين في فرق الخوارج الا ان يكون قصده المعبدية فهي وان كانت من فرق الخوارج الا انها فرق فرعية صغيرة من فرق الثعالبة وقد ذكرها هونفسه بانها من فرق الثعالبة حين ذكر تقسيم الثعالبة وقد قسم الاباضية الى اربع فرق والعجاردة الى احدى عشرة فرقة والثعالبة التي هي احدى فرق العجاردة اربع فرق . (١)

ويعدها الشهرستاني ثمان فرق وهي كبار فرق الخوارج عنده مضيفا الى ماذكره البغدادي فرقة الثعالبة بانها من فرقهم الكبار وبعد ان ذكر تلك الفرق قال " والباقون فروعهم " (٢) .

أما البغدادي فقد أوصلها الى عشرين فرقة ذاكرا لها جميعا في موضعين من كتابه الفرق بين الفرق وكان ذكره لفرق الخوارج في كل منهما عاما . لم يبين الفرق التي يعتبرها اصولا ولا الفرق التي يعتبرها فروعا وانما قال " واما الخوارج فانها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه اسماؤها " (٣) . ثم شرع في بيان تلك الاسماء سردا .

أما عند الرازي فهم احدى وعشرون فرقة (٤) . بينما هم عند الملطي خمس وعشرون فرقة (٥) .

---

(١) الاعتصام جـ ٢ ص ٢١٩ / ٢٢٠

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٥

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٤ و ٧٢

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٦ / ٥١

(٥) التنبيه والرد ص ١٦٧ .

وهكذا يجد الباحث نفسه امام اختلاف العلماء فى هذا العدد الكثير من فرق الخوارج كل واحد قد اختار لنفسه العدد الذى وصل اليه اجتهاده ونظره . ولقد صدق الاستاذ الترابى حين قال " ونتيجة لما تقدم من ان الخوارج يكونون على راى واحد ثم لا يلبث ان يحصل بينهم خلاف على راى فينقسمون ويخرجون على امامهم قد انقسمت الخوارج الى فرق كثيرة لم يتفق المؤرخون على عددهم " ويقول " والحق انه لا يمكن معرفة عدد فرق الخوارج ولا ضبطها لان الخلافات كانت توجد بينهم على اقل شىء ". ويقول ايضا " وانه كما قلت ليس من السهل الاتفاق على كيفية تقسيم فرق الخوارج وايها فروع كما انه ليس من السهل ضبط عدد فرقها كذلك لكثرة اختلافاتها وتقلباتها وخروج بعضها على بعض لامر قد يكون بسيطا " (١).

وعلى كل فسوف اقدم هنا تعريفا موجزا بجميع الفرق التى ذكرها المؤرخون سواء ما اتفقوا على ذكره او اختلفوا فيه وسواء ما اتفقوا كذلك على كونه اصليا او فرعيا وما اختلفوا فيه مركزين على الجانب التاريخى لكل فرقة . أما اراؤهم فموضعها القسم الثانى من هذا البحث ان شاء الله .

---

(١) تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٦٦ و ٢٦٨ و ٢٧١ .

٣ ـ التعريف بفرق الخوارج :

المحكمة :

وهو اول تجمع يعد بمثابة التجمع الام والاساس لكل الفرق التى أتت بعدها وهذه ـ كما لا يخفى ـ انفصلت عن جيش الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه حين تمت الموافقة على التحكيم ثم اشتد انفصالها بعد ان ظهرت النتيجة فى غير ماكانوا يؤملون .

وحينما خرجوا الى حروراء كانوا يعاملون المسلمين الذين يخالفونهم فى الرأى ابشع المعاملات واقساها يصفهم الملطى بقوله :

" فأما الفرقة الاولى من الخوارج فهم المحكمة الذين كانوا يخرجون بسيوفهم فيمن يلحقون من الناس فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا . وكان الواحد منهم اذا خرج للتحكيم لا يرجع او يقتل فكان الناس منهم على وجل وفتنة " (١) .

وهو يقصد بخروج الخارجى للتحكيم ان يحمل سيفه ثم يخرج مناديا فى الناس " لاحكم الا لله " . وكان اول رئيس لهم هو عبد الله بن وهب الراسبى الذى قاد المعركة ضد على بن ابى طالب فى النهر وان تقتلوا هناك شر قتلة . ومن أبشع جرائمهم قتلهم عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان حدثهم بحديث يوجب القعود عن الفتن فذبحوه على حافة النهر وبقروا بطن امرأته وكانت حبلى . وكان الذى تولى قتله فيما يذكر الاشعرى (٢) مسعد بن مدكى ويذكر البغدادى (٣) انه رجل يسمى مسمعا ويمكن الجمع

---

(١) التنبيه والرد .. ص ٥١

(٢) المقالات جـ ١ ص ٢١٠

(٣) الفرق بين الفرق ص ٧٧

بينهما بان يقال ان مسعر بن فدكى الذى تولى رئاسة الوفد الذاهب الى البصرة امر مسعما بقتل عبد الله بن خباب فقتله (١) ، ولعلهما شخص واحد حصل التصحيف فى اسمهما لتقارب الشكل .

الازارقة :

زعيم هذه الفرقة هو نافع بن الازرق المشهور بمسائله لابن عباس وقد ذكره بهذا الاسم كل من كتب فى التاريخ والفرق الا من شذ وكنيته ابوراشد وهو من بنى حنيفة ومن الذين اخطأوا فى اسمه الملطى رحمه الله فقد سماه عبد الله بن الازرق خلافا لتسمية الجمهور (٢) .

ومما يذكر عن ابتداء ظهور نافع بن الازرق انه اجتمع بالخوارج الذين يرون رايه وطلب اليهم ان ينضموا الى ابن الزبير لمقاتلة جيوش اهل الشام الذين حاصروا مكة قائلا لهم من خطبة له " قد جرد فيكم السيوف اهل الظلم واولوا العداء والغشم وهذا من ثار بمكة فاخرجوا بنا نات البيت ونلق هذا الرجل فان يكن على راينا جاهدنا معه العدو وان يكن على غير راينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك فى امورنا " فاطاعوه وخرجوا الى مكة .

واخيرا وبعد ان امتحنوا ابن الزبير وتبين لهم خلافه لرأيهم خرجوا عنه سنة ٦٤ هـ فخرجوا من مكة الى جهتين جهة الى البصرة وهم نافع بن الازرق وعبد الله بن الصفار السعدى وعبد الله بن اباض الصريمى وحنظلة بن بيهس وبنوا لماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير وجهة الى اليمامة وهم ابوطالوت وعبد الله بن ثور ابوفديك وعطية بن الاسود اليشكرى .

---

(١) وانظر الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٣٤١ ، العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٩٠ ، ايام العرب فى الاسلام ص ٣٨٥/٣٨٦ ، تلبيس ابليس ص ٩٣

(٢) التنبيه والرد ص ٥٤

فأما أهل البصرة فقد أمروا عليهم نافع واقام بالبصرة الى أن خشى من أهلها فخرج الى الاهواز وتبعه أتباعه الى هناك .

وأما أهل اليمامة فولوا عليهم أبوطالوت ثم خلعوه وولوا عليهم نجدة بن عامر . وقد استقر الامر بنافع ومن معه فى الاهواز " فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان فى أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحى " (١) الى أن قتل نافع فى سنة خمس وستين فى شهر جمادى الاخرة عندما اشتدت المعركة بينه وبين جيش اهل البصرة بقيادة مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فى ناحية الاهواز الذى جهزه عامل البصرة من قبل عبد الله بن الزبير عبد الله ابن الحارث الخزاعى وبعد قتل نافع فى هذه المعركة ولى الخوارج امرهم قطرى ابن الفجاءة الذى انشقت عليه الازارقة فيما بعد (٢) .

وقد تابع حرب الازارقة المهلب بن ابى صفرة الذى عينه ابن الزبير لحربهم فأثخن فيهم واوهن قوتهم على ماتميزوا به من قوة وكثرة يقول البغدادى " ولم يكن للخوارج قط فرقة اكثر عددا ولا أشد منهم شوكة (٣) " ولهذا فقد كان الناس منهم على وجل وفتنة لانهم كانوا يتابعون عليهم الغارات فى كل مكان لا يعرفون الهدوء ولا السلم ويقول ابن حزم انهم " انما كانوا اهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق واخرهم عبيدة بن هلال العسكرى — واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة" (٤) والمشهور فى هذا الاسم الذى ذكره ابن حزم انه عبيدة بن هلال

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٨/١١٩

(٢) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٦١٣ و ص ٥٦٤/٥٦٧ — الكامل لابن الاثير جـ ٤ ص ١٩٥ — الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٨١

(٣) الفرق بين الفرق ص ٨٣

(٤) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ١٨٩/١٩٠

اليشكرى وليس العسكرى كما قال .

وتعتبر فرقة الازارقة ام الفرق بعد المحكمة اذ ان النجدات انشقت عنها وانشقت عن النجدات العطوية وانشقت عن العطوية العجاردة وهكذا . ويعد نافع بن الازرق من مشاهير الخوارج فقد كان هو وفرقته السبب فى تشعب آراء الخوارج على هذا النحو فهو اول من فتح ابواب الخلاف بين الخوارج بتلك الاحداث التى بينها صاحب كتاب الاديان بقوله " ولم يزالوا على ذلك ـ أى الاتفاق على الحق ـ الى ان مرق عليهم نافع بن الازرق فشتت كلمتهم وفرق جماعتهم وخالف امرهم وحاد عن اعتقادهم احدث امورا خالف فيها المسلمين واهل الاستقامة فى الدين ـ يعنى بهم الاباضية ـ وتتابعت الخوارج وافترقت الى ستة عشرة فرقة بفرقة اهل الاستقامة " . ويقول عن مخالفة نافع لما عرف عند الخوارج من اعتقاد انه " أول من خالف اعتقاد اهل الاستقامة وشق عصا المسلمين وفرق جماعتهم انتحل المهجرة وسبى اهل القبلة وغنم اموالهم وسبى ذراريهم وسن تشريك اهل القبلة وتبرأ من القاعد ولو كان عارفا لامره تابعا لمذهبه واستحل اعراض الناس بالسيف وانتحل المهجرة وحرم مناكحتهم وذبائحهم وموارثتهم وابتدع اعتقادات فاسدة وآراء حايدة خالف فيها المسلمين واهل الاستقامة فى الدين وخرج من البصرة الى الاهواز فغلب عليها وعلى ماوالاها من بلاد فارس وكرمان وسجستان ومكران " (١) .

---

(١) قطعة من كتاب فى الاديان ص ٩٧/٩٨ .

النجدات :

تنتسب النجدات الى زعيمهم الاول نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفى او الثقفى كما يقول بعضهم • وقد سمى اتباعه بالنجدات العاذرية لعذرهم اهل الخطأ فى الاجتهاد إذا كانوا جاهلين بوجه الصواب فيه • وقد كان نجدة مع نافع يدا واحدة الى أن نقم عليه اشياء راى نجدة أنها من البدع المضلة ففارق نافعا واستقل عنه بمن تبعه من أصحابه •

ويختلف النقل فى خروجه • فبعضهم يرى انه كان من اليمامة ومنها انتشر امره الى بقية البلدان وهذا هو المشهور (١) بينما يذكر الملطى انه خرج من جبال عمان (٢) ولم ارى فيما تيسر لى الاطلاع عليه ان غير الملطى قد قال بقوله ويوصف نجده بانه كان شجاعا يتابع الغارات على من حوله حتى بلغ ملكه صنعا جنوبا والبحرين والقطيف اى انه أخذ مساحات واسعة من الدولة الاسلامية ولم يزل فى قوته الى ان اختلف عليه اصحابه وكان اشدهم عليه ابوفديك وكان نجده حين علم بتآمره ومن معه على قتله استخفى فى قرية من قرى حجر الا انه اكتشف أمره فاستخفى عند اخواله من بنى تميم وعندها عزم على المسير الى عبد الملك بن مروان فاتى بيته ليعهد الى زوجته بما يلزم ولكن الفديكية غشوه فقتلوه وكان يقاتلهم بشجاعة نادرة وهو يتمثل بهذا البيت :

وان جر مولانا علينا جريرة   صبرنا لها ان الكرام الدعائم

---

(١) انظر الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٠١ / ٢٠٦ ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٢٢ مقالات الاشعرى ج ١ ص ١٧٤ ـ تلبيس ابليس ص ٩٥ ـ الفرق بين الفرق ص ٨٧ ـ كتاب الاديان ص ١٠١

(٢) التنبيه والرد ٠٠ ص ٥٥ •

وكان قتله في السنة الثانية والسبعين من الهجرة .

وقد تعددت الاسباب التى ثار من اجلها اصحاب نجدة عليه وهى أسباب وقعت متفرقة الا ان الحقد الذى امتلئت به قلوب الخارجين عليه ساعد على تجميعها وتضخيمها حتى صارت بحيث لم يطق الفديكيون الصبر على طاعة نجدة فدبروا قتله وقد تم لهم ذلك . ومن هذه الاسباب مايلى :

١ ـ أن أبا سنان ويسمى حى بن وائل اشار على نجدة بان يقتل كل من اجابة تقية بعد أخذهم ولكن نجدة قابله بعنف وشتمه قائلا له : كلف الله احدا علم الغيب . قال لا . قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر .

٢ ـ ان نجدة سير سريتين الاولى منهما بحرا والثانية برا وعند القسمة فضل سرية البحر على سرية البر فأغضب ذلك عطية بن الاسود احد أتباعه وغضب نجدة ايضا عليه وشتمه فأخذ هذا يحرض الناس على الخروج عن طاعة نجدة وعصيانه .

٣ ـ ونقم عليه اصحابه بانه عطل حد الخمر وكان سبب ذلك ان رجلا من عسكره كان يشرب الخمر فبلغوا امره الى نجدة فقال لهم : " انه رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين ولكن هذا الجواب كان غير مقنع لهم .

٤ ـ انه حين أغار على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت جارية من بنات عثمان بن عفان فى يد احد جنوده فاشتراها منه وردها الى عبد الملك بن مروان فاغضب هذا اتباعه وقالوا له انك " رددت جارية لنا على عدونا " .

٥ ـ أنه جرت بينه وبين عبد الملك مكاتبات كان عبد الملك يطلب منه الدخول فى طاعته وان يوليه اليمامة ويهدر له كل ما اصاب من مال او دماء فقال عطية : ما كاتبه عبد الملك الا وهو يعرف انه مداهن فى الدين .

٦ — ومنها ان بعض قومه فارقوه وشرطوا لعودتهم ان يتوب علنا ففعل ذلك ولكنهم عادوا فقالوا انه لا ينبغى لنا ان نستتيبه وهو الامام والهوامنه ان يتوب من توبته تلك فوقع بينهم الاختلاف .

٧ — انه حكم بالشفاعة وذلك حينما كلمه اصحابه فى رجل فاعطاه فرسا .

٨ — ونقموا عليه ايضا عطاءه مالك بن مسمع مايقدر بعشرة الاف درهم حين امر عامله هميان بن عدى السدوسى بذلك . (١)

وهكذا القت تلك الاسباب الظاهرة وغيرها جوا من العداء المستحكم لنجدة وهى فى ظاهرها حجج واضحة ان صحت نسبتها اليه ولكن الحقيقة ان تلك الاسباب كان لها مايغذيها وهو التعصب القبلى بين بنى حنيفة وبنى قيس بن ثعلبة الذين ينتسب اليهم ابوفديك حيث اراد هؤلاء نقل السلطة من يد بنى حنيفة اليهم هم وفعلا تم لهم ما اراد وا وذلك بعد تولية ابوفديك مكان نجدة الحنفى. ثم نقل ابوفديك عاصمة الحكم من اليمامة الى البحرين مقر قبيلته قيس بن ثعلبة وبعد قتل نجدة اصبح النجدات على ثلاث فرق فريق مازال على تاييده له وفريق مع ابوفديك وفريق مع عطيه بن الاسود الحنفى .

أما ابوفديك فقد قتل سنة ٧٣ هـ حين ارسل له عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله الزبير معمر فى عشرة الاف مقاتل ساروا حتى التقوا بابى فديك فى البحرين بالمشقر فدارت بينهم معركة اسفرت عن قتل ابى فديك ونزل اصحابه على حكم عمر بن عبيد الله وقد قتل منهم نحو ستة الاف واسر ثمانمائة . (٢) وانتهى امر ابوفديك .

---

(١) انظر مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٧٥ / ١٧٦ — الفرق بين الفرق ص ٨٨ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٣ — الكامل لابن الاثير جـ ٤ ص ٢٠٥ — البحرين فى صدر الاسلام ص ١٣٢ / ١٣٣ .

(٢) انظر الكامل لابن الاثير جـ ٤ ص ٣٦٢ .

أما عطية فقد لاحقته جيوش المهلب بن ابى صفرة وهو يفر من قطر الى آخر حتى لحقته بالسند فقتل هناك وانتهى أمره .

ولقد كانت فرقة النجدات من الفرق المشهورة كالازارقة، وحينما يذكر العلماء سيرتهم يختلفون فبينما هم عند الملطى ومن يرى رأيه اذا خرجوا يقتلون الاطفال ويسبون النساء ويهرقون الدماء ويستحلون الفروج والاموال ، اذا هم عند آخرين من الرحماء يجوزون التقية ويردون الامانات الى اهلها ... وجوبا ولم يقبلوا بقتل الاطفال ويرون المقام بين مخالفيهم لابأس به وانهم يمثلون الاتجاه المعتدل الذى يقربهم الى آراء عامة المسلمين . وهذا نموذج لتضارب اقوال العلماء عنهم فمنهم من اشتد عليهم حتى حكم عليهم بالكفر الصريح ومنهم من قال عنهم غير ذلك . ومن الذين وقفوا منهم موقف التشدد ونسبوا اليهم الافعال القبيحة التى تخرج الشخص من الاسلام غير الملطى صاحب كتاب الاديان والدبسى . (١)

ومن الذين قالوا عنهم خيرا ونسبوا اليهم الاعتدال واللين في مسامحة مخالفيهم من المسلمين ابن الجوزى والاشعرى والبغدادى والشهرستانى وغيرهم (٢) .

---

(١) التنبيه والرد . ص ٥٥ . رسالة الدبسى ص ٢٦ ـ كتاب الاديان ص ١٠١ / ١٠٢ .

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٥ . الفرق بين الفرق ص ٨٩ ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٢٣ البحرين في صدر الاسلام ص ١٢٨ ـ مقالات الاشعرى ج ١ ص ١٧٥ .

" الاباضيـــــة "

زعيمهم الاول والحقيقى الذى يقدمونه على كل أحد هو جابر بن زيد الازدى ونسبوا الى عبد الله بن أباض لشهرة مواقفه مع الحكام المخالفين لهم وقد اشتهروا بهذا الاسم عند جميع من كتب عن الفرق لم يخالف فى هذا الا من شذ • اتفقوا جميعا على انه عبد الله بن يحيى بن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد وينسب الى بنى تميم ولكن سماه الملطى " اباض بن عمرو " (١) • وهذا خروج على ماذكره الجمهور من صحة اسمه والغريب ان الملطى ذكر بعد صفحات اسمه الصحيح فقال (ومنهم الاباضية سموا بعبد الله بن اباض)" (٢) •

اما صاحب ابانة المناهج فقد سماه يحيى بن عبد الله الاباضى (٣) وقد كان ابن اباض معاصرا لابن الزبير مع الخوارج الذين حاربوا معه ضد جيوش الشام كما يذكر ذلك الحافظ بن كثير• (٤) ولعل شبهة من سماه يحيى بن عبد الله انه التبس عليه اسم ابن اباض باسم يحيى بن عبد الله طالب الحق — كما ذكرنا من قبل — وهو الذى ثار بالجزيرة العربية باليمن [illegible] ولعل هذا الاختلاف فى اسمه هو الذى حدى بابن حزم الى ان يذكر ان الاباضية لا يعرفون ابن اباض وانه شخص مجهول (٥) • وهو بلا شك مبالغ فى هذا الحكم والصحيح انهم يعرفونه ويعترفون به كما تذكر مصادرهم ذلك•

---

(١) التنبيه والرد ص ٥٥
(٢) المرجع السابق ص ١٦٨
(٣) ابانة المناهج ص ١٥٥
(٤) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٣٩
(٥) الفصل .. جـ ٤ ص ١٩١ •

فقد رد عليه علي يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية واعتبر قوله ان الاباضية لا يعرفون عبد الله بن اباض غير صحيح بل يعرفونه ويعرفون كل تاريخه وان قوله انهم يتبرأون منه تناقض من ابن حزم اذ كيف يتبرأون من انسان لا يعرفونه . (١) .

ثم نتساءل من اين لهم نسبة الاباضية اذا لم يكن ابن اباض من اوائلهم ويقول البغدادي في هذا " اجمعت الاباضية على القول بامامة عبد الله بن أباض " (٢) .

ويقول السالمي :

انا مدين بتصويب الاولى نكروا	حكومة الحكمين حينما جهلا
والراسبي اوالي بعد جملتهم	ومن به نسب الاسلام قد وصلا
عنيت نجل اباض فهو حجتنا	اما ترى فخره للمسلمين جلا (٣)

ويرى الشهرستاني ان خروج عبد الله بن اباض كان في زمن مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطيه فقاتله بتبالة (٤) ولكن هذا غير صحيح فان عبد الله بن اباض توفي في اواخر ايام عبد الملك بن مروان . وفي هذا يقول علي يحيى معمر : " كثير من المؤرخين واصحاب المقالات يحسبون ان عبد الله بن اباض خرج في ايام مروان ابن محمد وانه قتل في معركة تبالة وهو خطأ تاريخي

---

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٨/٥٠

(٢) الفرق بين الفرق ــ ص ١٠٣ ــ وانظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٩

(٣) غاية المراد ص ١٨

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤ .

لان عبدالله بن اباض الذى تنسب اليه الاباضية توفى فى اواخر ايام عبد الملك وهو اكبر من جابر فى السن وتابع له فى المذهب والرأى ونسب المذهب اليه لانه كان اكثر ظهورا فى الميدان السياسى عند الدولة الاموية والتسمية منها (١) ".

وهكذا يقول عمرو خليفة النامى فى مقدمة كتاب " اجوبة بن خلفون " فهو يذكر ان مؤسس المذهب الاباضى هو ابوالشعثاء جابر بن زيد الازدى وهو من اخص تلاميذ بن عباس .

ثم يذكر ان نسبة المذهب الاباضى الى ابن اباض - وهو تابعى ايضا عاصر معاوية وتوفى فى اواخر ايام عبد الملك بن مروان - نسبة عرضية كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التى اشتهر بها ابن اباض وتميز بها نسب المذهب الاباضى اليه . ولم يستعمل الاباضية فى تاريخهم المبكر هذه النسبة فكانوا يستعملون عبارة " جماعة المسلمين " او "اهل الدعوة " واول ماظهر استعمالهم لكلمة الاباضية كان فى اواخر القرن الثالث الهجرى . (٢) .

أما فرقة الاباضية نفسها فقد اشتهرت باللين والمسامحة تجاه مخالفيهم وهذا مايذكره اكثر علماء التاريخ والفرق ولكن نجد بين العلماء من يذكر خلاف هذا كالملطى فانه يقول عنهم " الاباضية اصحاب اباض بن عمرو خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا الناس وسبوا الذرية وقتلوا الاطفال وكفروا الامة وافسدوا فى العباد والبلاد (٣) ".

---

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٥٣
(٢) اجوبة بن خلفون ص ٩
(٣) التنبيه والرد ص ٥٥

أما الدبس فهو لا يقل عنصفنا فقد قال " الفرقة السادسة من فرق الخوارج الاباضية يجب تكفيرهم لانهم كفروا عليا رضي الله عنه واكثر الصحابة" (١) .

بينما نراهم عند بعض العلماء اهل تواضع فهم " لا يسمون امامهم امير المؤمنين ولا انفسهم مهاجرين " (٢) .

ونرى ان منهم من يذكر ان قول عبد الله بن اباض هو اقرب الاقاويل الى السنة (٣) كما يستفيض النقل عنهم بان معاملتهم لمخالفيهم تتسم بكثير من التسامح واللين وهكذا .

ويقول الاستاذ ابوزهرة " الاباضية هم اتباع عبد الله بن اباض وهم اكثر الخوارج اعتدالا واقربهم الى الجماعة الاسلامية تفكيرا فهم ابعدهم عن الشطط والغلو ولذلك بقوا ولهم فقه جيد وفيهم علماء ممتازون (٤) .. الخ "

والواقع ان الاباضية شديدوا التمسك بمذهبهم يبغضون غيره من المذاهب ويرون انها كلها باطلة ماعدا مذهبهم وفي ذلك يقول المصعبي " الحمد لله الذي جعل الحق واحد في الديانات فنقول معشر الاباضية الوهبية الحق مانحن عليه والباطل ماعليه خصومنا لان الحق عند الله واحد ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق (٥)

(١) رسالة الدبس ص ٢٧
(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٤
(٣) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٨٠
(٤) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٨٥
(٥) الحجة في بيان المحجة ص ٣٧

وهذا نموذج ومن اراد الزيادة فى هذا فليراجع كتب الاباضية مثل اللمعة المرضية من اشعة الاباضية وكتاب الدليل لاهل العقول وكذا مخطوطة المارغينى (١) الخ " .

هذا وقد انقسمت الاباضية الى فرق منها ما يعترفون بها ومنها ماينكرونها واولى هذه الفرق :

الحفصية : وزعيمهم يسمى حفص بن ابى المقدام وله اقوال تخرجه عن الاسلام كانكاره النبوة وانكاره الجنة والنار واستحلال كثير من المحرمات .

وقد أثبت علماء الفرق بانها اولى فرق الاباضية (٢) ولكن على يحيى معمر ينفى أن تكون هذه الفرقة من الاباضية اشد النفى بل ويشك فيها وفى وجودها وينكر ان يكون لهذه الفرقة او زعيمها ذكر فى كتب الاباضية . (٣)

والفرقة الثانية من الاباضية تسمى اليزيدية نسبة الى امامهم المسمى يزيد بن انيسة (وابن ابى انيسه كما يسميه بعضهم . وليزيد هذا من الاقوال ماتخرجه عن الاسلام صراحة كاعتقاده مجىء رسول غير محمد "ص" (٤) وكقوله " أن فى هذه الامة شاهدين عليها هو احدهما والاخر لايدرى من هو ولا متى ولا يدرى لعله قد كان قبله (٥) .. الى غير هذا من الخلط .

---

(١) اللمعة المرضية من اشعة الاباضية ص ٥٤ ـ ٦٧ ـ الدليل لاهل العقول ص ٢٢ و ٣٥ و مخطوطة المارغينى ص ١٣

(٢) انظر مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٨٣ ـ الفرق بين الفرق ص ١٠٤ ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٥ ـ الفصل لابن حزم ص ١٩١ جـ ٤

(٣) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢١

(٤) مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٨٤ . الفرق بين الفرق ص ٢٧٩ ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٦ .

(٥) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ١٨٨

ورغم أن علماء الفرق قد قالوا بان هذه الفرقة من الاباضية الا ان على يحيى معمر ينفيها كما نفى الفرقة السابقة وهى الحفصية (١) ويستغرب من ابى الحسن كيف نسبها الى الاباضية مع انه حكم عليها بالكفر فى قوله " فترك يزيد بن انيسة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ودان بشريعة غيرها "

والفرقة الثالثة تسمى الحارثية نسبة الى حارث بن يزيد الاباضى . وهذه الفرقة تزعم انه لم يكن لهم امام بعد المحكمة الاولى الا عبد الله بن اباض وبعده حارث بن يزيد الاباضى (٢) ورغم هذا فان على يحيى معمر يقول عنه " وهذا الحارث أيضا لم يحدث عند الاباضية ولم يزرع لا اراء ولا حبوبا ولم يحصد الاباضية عنه او عن فرقته شيئا ان كان حقا حدث فى أى مكان " (٣) .

والفرقة الرابعة من فرق الاباضية يسميها اصحاب المقالات " اصحاب طاعة لا يراد بها الله " وذلك لاعتقادهم بان الشخص قد يفعل شيئا من أوامر الله دون قصد الله بذلك العمل ولا ارادة له فى تنفيذ امر الله ولكنه مع هذا يكون مطيعا لله . وهى مسألة تافهة لا يخرج الناظر فيها بفائدة . وهذه الفرقة من الفرق التى تنسب الى الاباضية حسب ماذكره الاشعرى والبغدادى والشهرستانى والدبس (٤) . غير ان على يحيى معمر الذى نفى تلك الفرق السابقة نفى هذه ايضا ورد على من قال بادخالها فى الاباضية ردا عنيفا كما فى قوله وهو يرد على

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٢٢

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٠٥

(٣) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٢

(٤) انظر مقالات الاشعرى ج ١ ص ١٨٥ ـ الفرق بين الفرق ص ١٠٥ ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥ . رسالة الدبس ص ٢٨ .

الاشعرى " ويبد و أن ابا الحسن لم يجد لهذه الفرقة اماما فلم يذكر لها اماما وانما جاء يسوق اتباعها كما يساق القطيع حتى ادخلهم فى حظيرة الاباضية وتركهم .. وعلى كل حال فهذه فرقة ليس لها امام وليس لها اسم وكل ما فى الامر انه نسب اليها قولا يناقض مناقضة كاملة ماعند الاباضية فى هذا الموضوع" (١)

وفيما يتعلق بنفى علطى يحيى معمر لصحة انتساب الفرق السابقة الى الاباضية فان انحراف زعماء هذه الفرق فى ارائهم لا يقوم دليلا قاطعا على عدم انتسابهم الى الاباضية . اذ يجوز ان يكون هؤلاء الزعماء فى صفوف الاباضية ثم انفصلوا عنها بارائهم الشاذة ومن شايعهم على تلك الاراء وتظل نسبتهم الى الاباضية بعد ذلك ثابتة نظرا لكونهم فى صفوف الاباضيين فى الاصل .

وهناك ست فرق للاباضية فى المغرب : هى :

" النكار ، النفاثية ، الخلفية ، الحسينية ، السكاكية ، الفرثية "

الفرقة الاولى :

فرقة النكار ، وتسمى ايضا النكاث والنجوية والشغبية ، ظهرت سنة ١٧١ بزعامة ابوقدامة يزيد بن فندين الذى انشق عن الاباضية لسبب سياسى وذلك ان عبد الرحمن بن رستم حينما احس بدنو أجله عين لمن يلى الخلافة بعده سبعة أفراد يختار الناس من بينهم من ارتضوه وكان من بين هؤلاء السبعة ولده عبد الوهاب وابوقدامة وبعد الخوض فى الموضوع انتخبوا عبد الوهاب وحين اريد ابوقدامة للمبايعة بايع ولكنه شرط فى بيعته قوله " نبايع على الا يقضى فى شىء دون مشورة جماعة مخصوصة من الناس " ولكن رد عليه أحد الحاضرين بقوله " لا نعرف شرطا للبيعة الا العمل بكتاب الله وسيرة السلف الصالحين " . ثم اغفل هذا الموضوع وتمت

---

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٣

البيعة لعبد الوهاب الا ان يزيد بن فندين كان يستثيره التطلع الى الخلافة والحكم فاعلن ان بيعة عبد الوهاب باطلة لانه لم ينفذ الشرط الذى اشترطه يزيد وهو استشارة تلك الجماعة • ثم قام بمحاولة انقلاب كان هو نفسه ضحيتها • وقد أوضحنا ذلك عند كلامنا فى دولة الخوارج بالمغرب • ثم تزعم النكار بعده رجل يسمى ابومعروف شعيب بن معروف ومن هنا اخذت حركة النكار فى التوسع الى أن قضى عليها العبيديون فى حروب طاحنة ومن اهم مبادئها انه لاتصح امامة المفضول مع وجود الافضل منه • وانه يصح الاشتراط عند مبايعة الحاكم واذا خالف تلك الشروط بطلت بيعته • ولهذا فهم يبررون خروجهم على عبد الوهاب بانه لم يف بتلك الشروط التى اشترطوها حين البيعة • وقد كفرهم المارغينى وذكر عددا من رجالاتهم بقوله " قالت المشائخ بتكفير النكار الفرقة الملحدة فى الاسماء واولهم عبد الله بن يزيد الفزارى وعبد الله بن عبد العزيز وابوالمؤرج عمرو بن محمد السدوسى وشعيب بن المعرف وحاتم بن منصور ويزيد بن فندين وابوالمتوكل " ثم استرسل فى ذكر كثير من ارائهم التى نقمها عليهم وان لم يذكر منها شيئا صالحا لتبرير ماذهب اليه فى تكفيرهم •

ويقول ابى اسحاق اطفيش انهم سموا ا نكاثا لنكثهم بيعة الامام عبد الوهاب وسموا نجوية لكثرة تناجيهم ليلة تامرهم على قتل الامام •

ولمزيد من الايضاح لتلك الوقائع المؤلمة بين ابن فندين والامام عبد الوهاب ارجع الى الازهار الرياضية فقد توسع كثيرا فى هذا الموضوع ولترى الحيلة التى دبرها ابن فندين واتباعه لاغتيال عبد الوهاب وكيف نجا منها وهى حيلة ان صحت فهى اشبه ماتكون بحيل الصبيان السذج •

الفرقــة الثانية : النفاثيــة

هذه الفرقة تنسب الى رجل يسمى فرجان نصر النفوسى ويعرف بنفـــات وسماه البارغنى نفاث بن نصر النفوسى ويوصف بانه كان على جانب كبير من الذكــاء والفهم العجيب وكانت نفسه ميالة الى ان يتولى منصبا كبيرا فى دولة امام الاباضيــة افلح بن عبد الوهاب وبالذات ولاية قنطرار المنطقة التى يعيش فيها فرجان وحيـــن خاب امله اخذ فى انتقاد الامام افلح علنا فكتب الامام الى اهل مملكته بمقاطعتــه وهجره وحين ضاقت على فرجان السبل ذهب الى بغداد واقام مدة ولكنه لـــم يطب له المقام فرجع الى بلده وهنا تختلف الرواية عنه فبعضهم يرى انه تـــاب وبعضهم يرى انه كان يعمل فى السر ضد افلح •

واهم ما اثاره من آراء :

ـ انه انكر الخطبــة فى الجمعة وقال انها بدعة •
ـ وانكر ارسال الامام الجباة لاخذ الزكاة
ـ وانه يرى ان ابن الاخ الشقيق احق بالميراث من الاخ لاب •
ـ وان بيع المضطر بالجوع لا ينفذ ••

وهناك انتقادات على افلح بخصوصه وهى انتقادات شخصية • وقد كفرهـــم البارغيني بعد ان ذكر غير هذه الاقوال •

الفرقة الثالثــة : الخلفية

من فرق الاباضية بالمغرب ـ الخلفية ـ هذه الفرقة تنسب الى خلف بـــن السمح بن ابى الخطاب عبد الاعلى المعافرى كان جده اماما للاباضية فى المغـــرب ثم عين السمح واليا .من قبل امام الاباضية حينذاك عبد الوهاب بن عبد الرحمـــن بن رستم ثم توفى السمح فبادر الناس بتولية خلف دون استشارة الامام وبدأ يتصـــرف تصرف الولاة ولكن حين بلغت هذه الاحداث الامام عبد الوهاب راى ان هذا التصـرف

غير صحيح ولا يمكن التغاضي عنه تكتب الى خلف يلومه على تصرفه بتلك المجلة ويأمره باعتزال امر الناس ولكن خلفا قد ذاق حلاوة الحكم فلم يمتثل لامره وهنا بدأت الفتنة في الظهور وصار كل واحد يعد العدة للاخر وقعت الحروب الطويلة بينهما التى انتهت بانتصار الامام وهزيمة خلف ونهايته . هذا ماقاله على يحيى معمر ويقول المارغيني عنهم " فليس بيننا وبينهم مسائل الا واحدة وهى قولهم لكل حوزة امام لايعدوها الى غيرها وضلوا ضلالا بعيدا لخلافهم الاجماع ونقضهم ماسارت به الامة اجمعين . "

الفرقة الرابعة : الحسينية

أما الفرقة الرابعة من تلك الفرق فهى الحسينية وتنسب الى رجل يسمى احمد بن الحسين الاطرابلسى ويلقب ابوزياد ظهر فى القرن الثالث الهجرى ويذكر ان له مؤلفات ولكن لم تعرف وقد امتزجت فرقته بفرقة اخرى تسمى العمدية تنتسب الى عبد الله بن مسعود وهى فرقة غامضة فيما يظهر ولهم بعض الاراء كقولهم بانه يسع الشخص جهل معرفة محمد عليه الصلاة والسلام ـ واباحوا الزنا واخذ الاموال لمن اكره على ذلك فيتقى بها ويغرم بعد ذلك . وان حجة الله تنال بالفكر فى دين الله اضطرارا . وقالوا بان الله لم ينه المشركين والبالغين عن غير الشرك ولم يامرهم بغير التوحيد فاذا وحدوا لزمتهم جميع الفرائض ونهوا عن جميع المعاصى .. الخ ارائهم .

ولهم عند المارغيني اقوال اخرى غير هذه . وقد كفرهم ايضا .

الفرقة الخامسة : السكاكية

تنسب هذه الفرقة الى عبد الله السكاك اللواتى وهو من سكان بلدة قنطرار كان صائغا ماهرا وله المام واسع بالكتب تخالف الاباضية فى مسائل كثيرة ووجد له اتباع

كثيرين • وكانت الاباضية تعامل اتباعه بأقسى المعاملة بحيث انهم كانوا اذا مات فيهم سكاكى ربطوا في رجليه حبلا ثم جروه الى حفرة فيلقى فيها دون صلاة ولا كفن • وقد حكموا على اتباعه بانهم مشركون وبعضهم يقول بانهم منافقون وكانت لهم اراء في غاية البعد والسقوط ومنها :

- انهم انكروا السنة والاجماع والراى ـ وزعموا ان الدين يفهم من القران فحسب •
- ويقولون بان صلاة الجماعة بدعة •
- ويقولون بان الاذان بدعة فاذا سمعوه قالوا نهق الحمار
- ويقولون لاتجوز الصلاة الا بما عرف تفسيره من القرآن •

واخيرا تاتى الفرقة السادسة من فرق الاباضية بالمغرب وهى فرقة الفرثية وتنسب الى عالم من علماء الاباضية وهو ابوسليمان بن يعقوب بن افلح كان بيته بيت علم وفتوى وقد انفرد اوخرج عن جمهور الاباضية ببعض الاراء التى جرت عليه نقمتهم ومن هذه الاراء انه كان يرى ان الزكاة لاينبغى اخراجها عن قرابة المزكى وان اكل الجنين لايجوز وحرم دم العروق ولو بعد غسل مكان الذبح وكان يرى بان عرق الجنب والحائض نجسان •

ومع ان مؤرخى الفرق يعدون هذه الفرق الست من الاباضية فان على يحيى معمر قد نفى كونها من الاباضية ونفى ان تكون بعضها مجرد فرقة بل هم عنده اناس غضبوا على الحاكم فخرجوا عنه كما يخرج غيرهم عن حكامهم بينما المارغينى منهم يقول بعد نهايته لبحثهم :

" وهذه فرق ست من الاباضية قد بينا ما الحدوا فيه ولم يقصدوا " (١)

---

(١) راجع فى بحث تلك الفرق مخطوط المارغينى فى افتراق فرق الاباضية الست بالمغرب ص ١ ـ ٧ • وانظر كتاب الاباضية بين الفرق ص ٢٥٨ ـ ٢٧٨ وانظر تعليق ابى اسحاق اطفيش على كتاب الوضع للجناونى • وانظر كتاب الازهار الرياضية جـ ٢ ص ١٤٨ ـ ١٥٢ ، ١٦٧ ـ ١٧٤ ، ١٠٢٦ ـ ١١٢ وكذا ص ٢٠٦ •

المجـــاردة :

تنسب المجاردة الى رجل يسمى عبدالكريم بن عجرد وقد اختلف في مبـــدأ أمره فذهب الاشعرى والبغدادى الى انه كان من أصحاب عطيه بن الاســـود الحنفي (١) .

وذهب صاحب كتاب الاديان (٢) الى انه ينتسب الى رجل يسمى ابى سعيـد ثم خالفه وذهب الشهرستاني (٣) الى انه ـ على قول ـ كان من اصحاب ابـى بيهس ثم خالفه . ويذكر بعضهم انه كان من اهل بلخ .

والعجاردة اوالعجردية كما يسميها الملطي (٤) فرقة من فرق الخوارج الكبيرة وقد انقسمت فيما بينها الى فرق كثيرة اختلف اهل المقالات في عددهم لكثـــــرة تفرعهم وكان تجمعهم في منطقة خراسان وهم اكثر الخوارج بها .

وفرقهم اجمالا عند الاشعرى (٥) خمس عشرة فرقة بما في ذلك الفرق الفرعيـــة للثعالبة احدى فرق العجاردة وهي الفرقة الاولى منهم / الميمونية / الخلفيـــة / الحمزية : الشعيبية / الخازمية / المعلومية / المجهولية / الصلتية / الثعالبـة / الاخنسية / المعبدية / الشيبانية / الرشيدية / المكرمية .

---

(١) انظر مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٧٧ / ١٧٨ ـ الفرق بين الفرق ص ٩٣ / ٩٤
(٢) كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤
(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٨
(٤) التنبيه والرد ص ١٦٨
(٥) المقالات جـ ١ ص ١٧٧ / ١٨٢ .

أما عند البغدادى (١) فهى عشر فرق ، وزاد الشهرستانى (٢) على الاشعرى فذكر فرقة تسمى الاطرافية منفصلة عن الحمزية ،

وعند الديسى (٣) عشر فرق الا انه سمى الصلتية الصلتية ولم يكفر من تلك الفرق الا الشيبانية وذلك " لانهم قالوا بالجبر ونفى القدرة الحادثة كالجهرية" وقد جعل ابن حزم (٤) المجاردة فرقة من الصفرية وذكرها غيره بانها فرقة قائمة بنفسها انشقت عن العطوية او البيهسية كما تقدم ، وفيما يلى نقدم تعريفا موجزا بفرق المجاردة السابقة ،

الفرقة الاولى منهم . ذكرها الاشعرى وذكر لها رايا واحدا فى الاطفال وهوانهم " يزعمون انه يجب ان يدعى الطفل اذا بلغ وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى الى الاسلام ويصفه هو " (٥) .

٢ — الميمونية : وهم اتباع ميمون بن خالد كان من المجاردة وهو من اهل بلخ كما ذكر الاشعرى وقد خرج ميمون عن المجاردة بسبب ميله الى القدرية وقوله بان خير العبد وشره من نفسه . " واثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا " ووافقهم فى الاستطاعة وقال بانها تكون قبل الفعل وفى الارادة ايضا فقد قال

(١) الفرق بين الفرق ص ٩٤
(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠
(٣) رسالة الديسى ص ٣١
(٤) الفصل ج ٤ ص ١٩٠
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٧٧ .

بأن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر وانه لا يريد معاصى العباد ولا مشيئة له فى ذلك . وقد كفرهم علماء الفرق لما عرف عنهم من اقوال تخرج صاحبها عن الاسلام كاستحلالهم نكاح ذوات المحارم وانكار سورة يوسف انها من القران (١)

٣ ـ الخلفية : وهى الفرقة الثالثة من فرق العجاردة قال الاشعرى انهم " اصحاب رجل يقال له خلف " قال الشهرستانى " الخلفية اصحاب خلف الخارجى وهم خوارج كرمان ومكران " (٢) .

٤ ـ الحمزية : تنسب هذه الفرقة الى رجل يسمى حمزه بن اكرك او ادرك كما يقول الشهرستانى ظهر سنة ١٧٩ فى خلافة هارون الرشيد وغلب على خراسان وسجستان ومكران وقهستان وكرمان وكان له اتباع كثيرون وكان له معارك عنيفة مع بعض فرق الخوارج وهزم الجيوش وعاث فى الارض فسادا لا يقف فى طريقه احد الا استحل دمه فخافه الناس وكانوا على وجل منه . فكان كلما ارسل اليه جيش لمحاربته هزمه الى ان انتصب لحربه والى خراسان على بن عيسى بن ماديان فنصره الله عليه وقتل منه قواده ستين قائدا سوى اتباعه فانهزم الى سجستان ومنها الى نهر شعبه ثم بسط نفوذه على خراسان وكرمان وقهستان وسجستان الى ان تمكن المامون من اخماد الثوراة التى كانت تشغله فكتب الى حمزه كتابا يدعوه فيه الى الدخول فى طاعته فتعاظم حمزه هذا الامر واستكبر فارسل اليه المامون قائده الشجاع طاهر بن الحسين فدارت بينهم معارك رهيبة انهزم فى نهايتها حمزه وهرب الى كرمان ثم عاد طاهر بن الحسين فطمع حمزه حينئذ فى استعادة ملكه وخرج بجيشه من كرمان ولكن الله قيظ له والى نيسابور عبد الرحمن النيسابورى حيث خرج اليه

---

(١) انظر كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤ ـ مقالات الاشعرى ج ١ ص ١٧٨ ـ الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

(٢) انظر كتاب المقالات ج ١ ص ١٧٧ ـ الملل والنحل ج١ ص ١٣٠

في عشرين الف مقاتل فهزمه وقتل اكثر جيشه فنجا حمزه من هذه المعركة مستخفيا بنفسه حيث مات بعد ذلك فاستراح منه الناس وتفرق من بقى من أتباعه .

يقول الملطي عن فرقة الحمزية :

" واما الفرقة الثامنة فهم الحمزية يقولون بكل قول الحرورية غير انهم لا يستحلون اخذ مال احد حتى يقتلوه فان لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال شيئا دون ان يظهر صاحبه فيقتلوه . فاذا قتلوه حينئذ استحلوا ماله قد جعلوا هذا شريعة لهم " (١) وكانهم يبنون استحلالهم للمال بعد قتل صاحبه على انه غنيمة حربية . ويقول عنهم الدبعي " الفرقة الثانية من العجاردة الحمزية يجب تكفيرهم لانهم وافقوا الميمونية الا انهم قالوا اطفال الكفار في النار " (١٠)

ومن الحمزية فرقة تسمى الاطرافية ورئيسهم يسمى غالب بن شاذك السجستاني وقد سموا الاطرافية نسبة الى مذهبهم القاضي بعذر اهل الاطراف في ترك مالم يعرفوه ولو كان من صميم الشريعة اذا فعلوا بعقولهم ما يوجبه العقل من الامور (٢) .

٥ ـ الشعيبية : هذه فرقة صغيرة تنسب الى رجل يسمى شعيب بن محمد كان من جملة العجاردة الا انه خرج عنهم حين قال بالقدر ووافق القدرية وقد كفرهم الدبعي ايضا كسابقتها .

---

(١) انظر مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٧٧ / الفرق بين الفرق ص ٩٨ / ١٠٠ / الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٩ ـ التنبيه والرد ص ٥٦ ـ رسالة الدبعي ص ٢٩ .

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٠ ـ رسالة الدبعي ص ٣٠

٦ ــ الخازمية : يسميها الاشعرى الخازمية بالخاء • ومثله البغدادى ويسميها الشهرستاني الحازمية وهم اتباع حازم بن على وهم اكثر عجاردة سجستان وقد كفرهم الدبسى فى [illegible] • وكانوا يعتقدون فى القدر بالاثبات كاهل السنة وبان الولاية والعداوة من صفات الله الذاتية • وقالوا بان الله يتولى الشخص بحسب مايصير اليه بعد موته •

٧ ــ ٨ المعلومية والمجهولية : هاتان الفرقتان كانتا من الخازمية ثم انفصلت عن الخازمية لاراء احدثوها ثم انفصلت كل منهما عن الاخرى وكفرت احداهما الاخرى فى مسألة معرفة الله بجميع اسمائه فالمعلومية ترى " ان من لم يعرف لله تعالى بجميع اسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر " بينما ترى المجهولية ان " من عرف الله ببعض اسمائه فقد عرفه " وبهذا كفرت المعلومية (١) ـ

٩ ــ الصلتية : اختلف اهل المقالات فى اسم زعيم هذه الفرقة فهو عند الاشعرى والشهرستاني عثمان بن ابى الصلت وهو عند البغدادى " صلت بن عثمان وقيل صلت بن ابى الصلت " •

وهو من العجاردة الحمزية ولكنه خرج عنهم بما قرره من اراء تخالفهم •

وفرقته عند اهل المقالات تسمى الصلتية ولكن الملطى سماها الصليدية وسماها الدبسى الصلهة ثم كفرها • يقول الملطى عن هذه الفرقة " والفرقة التاسعة الصليدية من الحمزية ايضا يقولون بقول الحرورية والحمزية ويقتلون ويستحلون الاموال على الاحوال كلها وهم اشر الخوارج واقذرهم واكثرهم فسادا ولهم عدد وجمع بناحية سجستان ونواحيها " (٢) •

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٧٨ / ١٧٩ ــ الفرق بين الفرق ص ٩٤ / ٩٥ / ٩٧ ــ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣١ / ١٣٣ ــ رسالة الدبسى ص ٢٩

(٢) انظر مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٧٩ / التنبيه والرد ص ٥٧ / رسالة الدبسى ص ٣٠ الفرق بين الفرق ص ٩٧ ــ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٩

١٠ ـ الثعالبة : الثعالبة فرقة من العجاردة ولكنها انفصلت عنها بزعامة ثعلبة بن مشكان كما سماه البغدادي والشهرستاني سماه ثعلبة بن عامر وسبب انفصال ثعلبة عن عبد الكريم ان رجلا خطب بنت ثعلبة فطلب منه ثعلبة بيان المهر وقبل ان يخبره الخاطب بالمهر ارسل امراة لترى البنت هل هي بالغ معترفة بالاسلام على الشرط المطلوب ام لا . فقالت امها للمرأة هي مسلمة سواء بلغت ام لا وتطور الامر الى ان بلغ عبد الكريم بن عجرد وثعلبة فكان راى عبد الكريم ان من كان دون البلوغ في حكم البراءة الى ان يبلغ فيقر بالاسلام وحينئذ تتم ولايته والا فيتبرأ منه . ولكن ثعلبة خالفه وقال نحن على ولايتهم صغارا وكبارا الى ان يتبين امرهم واشتد بينهما النزاع حتى تبرأ كل واحد من الاخر وانفصل كل واحد بمن وافقه عن الاخر وصارت الثعالبة فرقة براسها . وقد انقسمت هذه الفرقة ايضا الى الفرق الاتية :

الفرقة الاولى : الاخنسية : وينسبون الى رئيسهم الاخنس بن قيس وقد خرج عن قول الثعالبة حين توقف عن جميع من في دار التقية من منتحلي الاسلام واهل القبلة وحرم الاغتيال والقتل قبل الدعوة فبرئت منهم الثعالبة . (١)

الفرقة الثانية : المعبدية : تنسب هذه الفرقة الى رجل يسمى معبد بن عبد الرحمن وكان من الثعالبة ثم من الاخنسية ولكنه خالف الثعالبة والاخنسية فبرئت منه كلا الفرقتين خالف الثعالبة في تجويزه اخذ زكاة عبيدهم واعطاءهم منها اذا افتقروا وخالف الاخنسية في الخطأ الذي وقع له في تزويج المسلمات من مشرك

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٨٠ ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣١ / ١٣٢ ـ الفرق بين الفرق ص ١٠٠ / ١٠١ .

وهذه عبارة الشهرستاني ولم يذكر غيره ان الاخنس جوز تزويج المسلمات من المشركين[(١)].

الفرقة الثالثة من الثعالبة : الشيبانية :

تنسب هذه الفرقة الى شيبان بن سلمة خرج في ايام ابي مسلم الخراساني فأعانه شيبان وناصره في حربه وناصر ايضا على بن الكرماني على نصر بن سيار وكان من الثعالبة . فعند ذلك برئت منه الثعالبة وقالوا انه قتل الموافقين لنا في المذاهب واخذ اموالهم فادعى قوم من الثعالبة ان شيبان قد تاب ولكن الزيادية من الثعالبة اتباع زياد بن عبد الرحمن رفضوا توبته بحجة ان ذنوبه كانت من مظالم العباد التي لا تسقط بالتوبة ثم انقسموا فيه فمن قبل توبته صار شيبانيا قال بقوله ومن رفضها برىء منه " (٢)

الفرقة الرابعة : الرشيدية او العشرية

وهم ينسبون الى رشيد الطوسي الذي خرج عن الثعالبة حين اصر على ان زكاة ماسقى بالانهار والقنى العشر فبرئت منهم الثعالبة وسموهم العشرية وكان الذي افتى بان فيها العشر هو زياد بن عبد الرحمن وكان فقيه الثعلبية ورئيسهم وكانت له فرقة تسمى الزيادية وهم اعظم الثعالبة واكثرهم عددا .

اما الفرقة الخامسة والاخيرة من الثعالبة ومن العجاردة ايضا : المكرمية

تنسب هذه الفرقة الى رجل يسمى مكرم بن عبد الله العجلي كما قال الشهرستاني وسماه الاشعري وابن حزم ابي مكرم وكان ثعلبيا الا انه تفرد عنهم بآراء فبرئت منه الثعالبة عند ذلك[(٣)] .

---

(١) و (٢) المقالات ج١ ص ١٨٠/١٨١ ـ الفرق بين الفرق ص ١٠١/١٠٢ ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢

(٣) انظر المقالات ج ١ ص ١٨١/١٨٢ وانظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢/١٣٣ وانظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩١ .

البيهسية :

وهى احدى الفرق الرئيسية للخوارج وتنسب الى ابى بيهس وقد اقتصر الاشعرى وابن حزم وصاحب ابانة المناهج على هذه الكيفية ولكنه عند البغدادى هيصم بن عامر وعند الشهرستاني بن جابر وهو احد بني سعد بن ضبيعة . واما الملطى فيسميه هيصم ابن بيهس بن عامر وهو خلط في الاسم ويسميه محمد رشيد رضا بيهيسى بن جابر وعند صاحب كتاب الاديان الهيضم بالضاد بن جابر . وقد احدث امورا غضب عليه الحجاج بسببها وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك فطلب الحجاج ابا بيهيسى فهرب الى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به فاودعه السجن وكان له علاقة وصحبة ومسامرة مع عثمان ولكن هذه الصحبة فقدت عندما جاء الامر من الوليد بقطع يدى ابى بيهس ورجليه ثم بقتله بعد ذلك . فنفذ عثمان هذا الامر وفتبل بابى بيهس تلك المثلة المنكرة ثم قتله .

يقول صاحب كتاب الاديان عنه انه " ابتدع اشياء لم يبتدعها احد قبله منها انه استحل الهدى قبل محله والله سبحانه وتعالى يقول " يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد " (المائدة : ٢) . ولم يزل بهم الشيطان حتى استحلوا نكاح المجوس مالم يستحله احد ممن مضى . واستحل اكل كل ذى مخلب من الطير وذى ناب من السباع . وذهب الى قوله تعالى " قل لا اجد فى ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير " وما سوى ذلك عنده حلال الى ان يقول : "ومن عجائبه ان الامام اذا كفر كفرت الرعية الشاهد منهم والغائب .. الخ ماحكاه عنه " (١) .

---

(١) كتاب الاديان ص ١٠٤

وقد قال الدبس بان " الفرقة الثانية من الخوارج البيهسية يجب تكفيرهم لانهم وافقوا القدرية فى اسناد افعال العباد اليهم " (١)

وقد جعل الاشعرى ومثله الشهرستانى والبغدادى وصاحب كتاب الاديان والملطى (٢) هذه الفرقة من فرق الخوارج الرئيسية ولم يعزوها الى احدى الفرق ولكن ابن حزم يقول فيهم " وهم من فرق الصفرية " (٣) ولكن الاكثرية على خلافه كما هو ظاهر .

الصفريــــة :

هذه الفرقة الخارجية تنسب الى زياد بن الاصفر عند الاشعرى (٤) والبغدادى (٥) والشهرستانى (٦) وصاحب كتاب الاديان (٧) وغيرهم .

وقد ترجم لهم الشهرستانى باسم الصفرية الزيادية وقد نسبهم الاشعرى فى قول ضعيف فيما يظهر الى عبيدة وهو شخص لم يوضحه قال انه " كان ممن خالف نجده ورجع من اليمامة " . فحينما كتب نجدة الى اهل البصرة وجاء الكتاب قرئ عليهم وكان هناك ابن اباض وعبيدة هذا فاختلفوا بسبب ماجاء فيه نحو

(١) رسالة الدبس ص ٢٦

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٩١ ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٥ ـ الفرق بين الفرق ص ١٠٨ وانظر ابانة المناهج ص ١٥٥ ـ الاعتصام جـ ٢ ص ٢١٤

(٣) الفصل جـ ٤ ص ١٩٠

(٤) المقالات جـ ١ ص ١٨٢

(٥) الفرق بين الفرق ص ٩٠

(٦) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٧

(٧) قطعة من كتاب فى الاديان والفرق ص ١٠٤

مخالفيهم اذ كان يرى ابن اباض ان مخالفيهم كفار نعمة وكان عبيدة يـــرى أن مخالفيهم مشركون السيرة فيهم السيرة من اهل حرب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم الذين حاربوه من المشركين . "

اما الملطى فقد خلط رحمه الله فى نسبة هذه الفرقة وفى اسم زعيمها بما خالـــف به كل من كتب عن الصفرية فهو يقول عنهم " الصفرية وهم اصحاب المهلب بن ابى صفرة خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب فقاتلوا الحجاج ولم يؤذوا الناس ولا كفـــروا الامة ولا قالوا بشىء من اقوال الخوارج الذين تقدم ذكرهم حتى هزمهم الحجـــاج وابادهم ودخل يزيد فى طاعته بعد ذلك " (١) .

فنسبة هذه الفرقة الى المهلب بن ابى صفرة غير صحيح اذا كان المهلب مـــن اعدى اعداء الخوارج وهو الذى فتك بهم فتكا ذريعا فى عدة معارك رهيبة ، وقد عـــاد الملطى بعد عدة صفحات من قوله هذا فقال " ومنهم صنف يقال لهم الصفريـــــة سموا بعبيد بن الاصفر " (٢) . ولعل هذا هو الذى اشار اليه الاشعرى .

وقد قدمنا انه كان لهذه الفرقة دولة فى المغرب ظهرت بسبب وصول عكرمـــــة مولى بن عباس فكان يدعو الى ذلك المذهب فتاثر البربر كثيرا به اذ كان هو منهـــــم ايضا ويفهم طبيعتهم وما ينسجم معهم ليكون ادعى لقبولهم .

وقد أنشأ حلقة تدريس فى مسجد القيروان وتركه بنوا امية يعمل ظاهرا فى الحيـــاة العامة مما يدل على ان دعوته كانت سرية والا لما تركوه يواصل تدريسه . ثم اخـــذت الدعوة تنتشر بكثرة الدعاة حتى شملت كثيرا من البـــربر " (٣) .

وقد نسب ابن حزم اليهم (٤) فرقة الفضيلية وهى الفضلية عند الاشعـــــرى (٥)

---

(١) التنبيه والرد : ص ٥٦
(٢) المرجع السابق ص ١٦٧
(٣) الخلافة والخوارج فى المغرب ص ٢٨ / ٢٩ ـ وانظر ابانة المناهج ص ١٥٥ ورسالة الدبس ص ٢٧
(٤) الفصل جـ ٤ ص ١٩٠
(٥) المقالات جـ ١ ص ١٩٧

ومن اقوالهم ان من تلفظ بقول وهو يريد به خلافه فى قرارة نفسه فانه لا يكفر ولو كان هذا الكلام الذى اضمر المقصود منه يؤدى الى الكفر فى حقيقته .

وقد بين الملطى اسم صاحب هذه الفرقة بانه يسمى فضل او فضيل كما قال بعضهم .

هذا وفى نهاية بيان تلك الفرق المشهورة احب أن اذكر ان هناك فرقا صغيرة لم يهتم اصحاب المقالات بها اهتماما كبيرا ولم ينسبوها الى احدى الفرق المشهورة وهى :

١ ـ الحسينية : يقول الاشعرى عنها فيما يحكيه عن اليمان بن رباب " وذكر أن صنفا منهم يدعون الحسينية ورئيسهم رجل يعرف بابى الحسين (١) " ولعله يقصد بها فرقة الحسينية التى ظهرت فى المغرب .

٢ ـ البدعية : قال الشهرستانى " البدعية اصحاب يحيى بن اصدم " (٢) وكان من اعتقادهم انهم من اهل الجنة قطعا من قال ان شاء الله فهو شاك بل يجب القطع بانهم من اهل الجنة كما يزعمون لانفسهم .

٣ ـ الجعدية : قال الملطى " ومنهم الجعدية : وانما سموا بمسلم بن الجعد وكان من اهل الكوفة " (٣) .

٤ ـ التغلبية قال الملطى ايضا عن هذه الفرقة " ومنهم التغلبية سموا بتغلب راسهم " (٤)

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٩٨

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٤

(٣) التنبيه والرد ص ١٧٠

(٤) التنبيه والرد ص ١٦٨

٥ - وذكر فرقة اخرى تسمى العزرية فقال " ومنهم العزرية سموا براسهم بن عزرة " .

٦ - وذكر ايضا فرقة لم ينسبها الى احد وهى السرية فقال " ومنهم السرية " .

وقد ذكر الملطى ايضا فرقة سماها النجرانية ولم ينسبها الى احد ولعلها فرقة شبيب النجرانى . وقد ذكر لهذه الفرقة سببا قال بانه كان من اسباب تفرقهم وتكفير بعضهم بعضا وهو سبب تافه بل من اتفه الامور واحقرها حيث قال " ومنهم النجرانية افترقوا فى امرأة يقال لها ام نجران - ولعل الملطى نسب هذه الفرقة اليها غير ان المتبادر الى الذهن نسبتها الى شبيب لشهرة فرقته - هاجرت الى بعض خوارجهم فتزوجت رجلا فى الهجرة بالبصرة من قومها ثم استخفت فتزوجت رجلا من اصحابها سرا ثم ظهر عليها زوجها الاول من قومها فقربها اليه فتبرأ منها بعضهم وتولاها بعضهم وكفروا من خالفهم بعضهم بعضا " (١) .

وهكذا على هذا السبب يبلغ بهم التناحر والعداء فان لم يكن قد تحامل عليهم الملطى فهم حقا جديرون بكل ماقيل فيهم من ذم .

وذكر صاحب كتاب الاديان فرقة تسمى الاعسمية نسبة الى رئيسهم زياد بن الاعسم وكان من امره انه خرج غاضبا على الازارقة والنجدات والعطوية على احداثهم التى احدثوها والتى راى انهم استوجبوا بها البراءة منهم (٢).

هذا هو الوضع التاريخي لفرق الخوارج الاصلية والفرعية قدمناه امام عرضنا لارائهم ومناقشاتنا لها فى الباب التالى ان شاء الله .

---

(١) التنبيه والرد ص ١٦٩

(٢) قطعة من كتاب فى الاديان والفرق ص ١٠٢ / ١٠٣

الفصـــل الثامــن

خصائـــص الخــــــوارج

للخوارج من الخصائص الدينية والخلقية والعقلية مايميزهم عن غيرهم من الفرق وهى خصائص تعد من الظواهر التى تعم مجموعهم . ويتميز فيها الافراد منهم .

ونحب ان نعرض فى هذا الفصل لبيان اهم الخصائص مع ذكر بعض الامثلة والشواهد عليها .

أ - شجاعتهم وسرعة اندفاعهم :

لقد بلغ الخوارج القمة فى الاقدام على الموت فى ساحات القتال لا يهابون بطش احد ولا يقف دون غضبهم حاجز وقد اشتهروا شهرة لا يخطئها مطلع على احوالهم فى مجال الشجاعة النادرة والاستبسال فى المعارك . وقد ساعد على شجاعتهم النادرة وجود العدة الكافية من خيل جياد واسلحة تامة ذلك انهم كانوا سريعى الاغارة والتحرك من مكان الى مكان فكانوا يتخيرون ركوب الخيل الجياد وأعتقد ان تلك الشجاعة وذلك الاستبسال لو وجه وجهة صحيحة لكان له أثر بالغ فى مجرى التاريخ فكانوا جنودا عاملين فى نشر الفتوحات الاسلامية بدلا من حربهم للمسلمين واضعافهم لقوة الدولة الاسلامية وكذلك لو عومل الخوارج معاملة حسنة بالصبر والحكمة لخفت تلك الثورة العنيفة . ولكن موقف الحكام تجاههم كان موقفا عنيدا زاد الطين بلة . فلو عولجوا ببعض الحكمة والرأفة لقل او لربما انعدمت تلك المعارك التى ذهب ضحيتها الاف البشر مما لا يحصيهم الا الله . وهذا يذكرنا بموقف يزيد بن عبد الملك حين ارسل الى الخارجى عقفان اخاه يستعطفه حتى رده عن خروجه فلما ولى هشام بن عبد الملك ولاه امر العصاة فقدم ابنه من خراسان غاضبا فشده وثاقا وبعث به الى هشام فاطلقه لابيه وقال لو خاننا عقفان لكتم امر ابنه واستعمل عقفان على الصدقة فبقى عليها الى ان توفى هشام . (١)

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١١٨

فبنوا أمية وبعدهم بنو المهلب لو كانوا قد سلكوا معهم مثل هذا المسلك لتغير الوضع بالنسبة لهم او لم يكن على اقل تقدير بمثل ماكانوا عليه من الحدة والعنف ولكنهم كانوا لا يراعون فى الخوارج الا ولا ذمة يقتلونهم قتلا تقشعر منه الجلود مستعملين فى ذلك كل ما استطاعوه من بطش وارهاب ضدهم ، ومن هنا جاش غضب الخوارج اضافة الى ماكان فى اعتقادهم من أن المجتمع قد فسد ، والحكام قد خرجوا عن طاعة الله وتحكيم كتابه فاطاعوا الشيطان وخرجوا عن حكم الله كما كانوا يتصورون فكانت شجاعتهم واستبسالهم امرا طبيعيا ازاء هذه الاوضاع.

يقول عنهم ابن عبد ربه "وليس فى الفرق كلها واهل البدع اشد بصائر من الخوارج واكثر اجتهادا ولا اوطن نفسا على الموت فمنهم الذى طعن فانفذه الرمح فجعل يسعى الى قاتله ويقول وعجلت اليك ربى لترضى " (١) .

ويقول ابوزهرة عن شجاعتهم والسر فيها كما يرى " ولم تكن الحماسة والتمسك بظواهر الالفاظ وحدها ما امتاز به الخوارج بل هناك صفات اخرى منها حب الفداء والرغبة فى الموت والاستهداف للمخاطر من غير داع قوى يدفع الى ذلك وربما كان منشأه هوسا عند بعضهم واضطرابا فى اعصابهم لا مجرد الشجاعة " (٢) .

هذا ماقاله ابوزهرة رحمه الله وهو يصدق عليهم ككل بينما نجد ان من الخوارج من كان مشهورا بالثبات والاستبسال فى الساعات الحرجة ولهم فى هذا مجال واسع وقصص مشهورة كما نرى فى القصة الاتية التى يذكرها ابن الجوزى " عن الربيع قال كنت قائما على راس المنصور اذ اتى بخارجى قد هزم له جيوشا فاقامه ليضرب عنقه ثم قال له يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له الخارجى ويلك وسوءة لك بينى وبينك امس القتل والسيف واليوم القذف والسب وماكان يؤمنك أن ارد عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها ابدا فاستحى المنصور منه واطلقه " (٣) .

---

(١) العقد الفريد جـ ١ ص ٢١٩
(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٦٦/٦٧
(٣) الاذكياء ص ١٤١

ولقد أكثر شعراء الخوارج من التمدح بالشجاعة والاستبسال فى محاربة مخالفيهم الذين يسمونهم بذوى الجعائل تعبيرا لهم بانهم لايجاهدون فى سبيل الله وانما يجاهدون لاجل الجعل الذى يقدر لهم وان الفرق بينهم وبين مخالفيهم يتمثل فى صدق الجهاد والنية الخالصة لمرضاة الله فبينهم اذا هذا البون الشاسع من البعد وسناتى هنا بنماذج من شعرهم لتتضح الصورة التى يريدون افهامها للناس .

قال عيسى بن فاتك الخطى يصف حملة الخوارج على جيش الخلافة بقيادة عبد الله بن رباح الانصارى وكان معه من الجيش مابلغ الالفين بينما كان الخوارج اربعون رجلا يتزعمهم ابوبلال بن مرداس . ومع ذلك فقد انهزم جيش الخلافة وولوا هاربين من الخوارج فقال عيسى :

فلما اصبحوا صلوا وقاموا ... الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم ... فظل ذو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم ... سواد الليل فيه يراوغونا
ألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويهزمهم بآسك اربعونا (١)

الخ القصيدة .

ويقول عمرو القنانى يصف الخوارج :

---

(١) شعراء الخوارج ص ٥٤

القائلين اذا هم بالقنا خرجوا … في غمرة الموت في حوماتها عودوا
عادوا فعادوا كراما لا تنابلة … عند اللقاء ولا رعش رعاديد (١)
لاقوم اكرم منهم يوم قال لهم … محرض الموت عن احسابكم ذودوا

ولهم في هذا المعنى مالا يمكن استقصاؤه وكله مدح وثناء على شجاعتهم وصبرهم وطلبهم للشهادة في سبيل الله كما يتصورون .

ومن الامثلة المشهورة في ذكر شجاعتهم قول قطري بن الفجاءة :

اقول لها وقد طارت شعاعا … من الابطال ويحك لن تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم … على الاجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا … فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز … فيطوى عن اخ الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي … فداعيه لاهل الارض داع (٢)

ويقول ابن كثير فيهم " وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم انهم متقربون بذلك فهم لا يصطلى لهم بنار ولا يطمع في ان يؤخذ منها بثار " (٣)

نعم .. انهم بلغوا في الشجاعة مبلغا عظيما ولكنها كانت شجاعة غير محمودة اذ ان تلك الشجاعة قد جرتهم الى ارتكاب افظع الجرائم واشنعها بمخالفيهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩
(٢) انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٠
(٣) البداية والنهاية ص ٢٨٧ ج ٧

فقد اشتهروا بسفك الدماء دون تورع فكانوا يستعرضون الناس في الطرقات وفي اماكنهم فلا يسلم منهم أحد وقد اكثر المؤرخون ايراد شواهد تشمئز منها النفوس ويقشعر الجلود يقتلون الرجال والنساء والاطفال ويعقرون الدواب ويشقون اجواف الحبالى فلا يسمعون لقول ولا يلينون لترحم . فعندما كان الخوارج يسيرون الى حرب خصومهم من جيوش الخلافة " اخذوا رجلا اسمه ابن ابي يزيد ومعه بنت له فاخذوها ليقتلوها فقالت لهم يا اهل الاسلام ان ابى مصاب فلا تقتلوه . واما انا فجارية والله ما اتيت فاحشة قط ولا اذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشوفت قط . فلما ارادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها باسيافهم وبقى سماك معهم حتى اشرفوا على الصراة فاستقبل اهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عنقه وصلبوه " (١) . فهذه جارية بريئة تتلطف اليهم في ذل وخضوع ولكن دون جدوى ولقد كان من تاريخهم المشين ان الزبير بن الماحوز حينما اتى المدائن قام هو وأتباعه بمجازر رهيبة فقد " شنوا الغارة على اهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون اجواف الحبالى واقبلوا الى ساباط ووضعوا السيف في الناس يقتلون " (٢) . من هذا يتبين ان الخوارج كانوا متعطشين في حروبهم للقتل فحينما يخرجون من مكان يخرجون وكانهم بركان ثائر لا يفرقون بين مستحق للعقوبة وغير مستحق لانهم كانوا يرون ان جميع مخالفيهم لا وزن لدمائهم حيث تركوا سنة الهدى واتبعوا حكامهم الظلمة كما عبر عن هذا حيان بن ظبيان يحض اصحابه على الخروج في كلمة له زهدهم فيها في الحياة ثم قال لهم : " فانصرفوا بنا رحمكم الله الى مصرنا فلنأت اخواننا فلندعهم الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والى جهاد الاحزاب فانه لاعذر لنا في القعود وولاتنا ظلمة وسنة الهدى

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٨٤

(٢) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٨٣

متروكة (١) ..الخ " . فواقوه وخرجوا مقبلين الى الكوفة وكان اسعدهم من ظفر بصيد من مخالفيه يقتله قربة الى الله بزعمه وجهادا في سبيله لاعلاء كلمة الله وهذا من اعجب مافي الانسان متناقض .

ومن الشنائع التي تروى ايضا في شدتهم على مخالفيهم وغلظ قلوبهم عليهم مايروى عنهم من انهم اخذوا امراة فقتلوا اباها بين يديها وكانت جميلة ثم ارادوا قتلها فقالت اتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها . (٢) " .

وكما اشتهر رجالهم بالشجاعة اشتهرت نسائهم كذلك فاشتهرت عدة منهن بمواقف عجيبة في الثبات كانت المرأة يؤتى بها اسيرة حتى يوقف بها امام الحجاج ذلك الجبار المخيف فلا تخضع له بل ترى وكانها غير مكترثة به .

لقد كانت غزالة الخارجية مضرب الامثال ولقد عير بها الحجاج فقيل فيه :

اسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى ... ام كان قلبك في جناحي طائر

وذلك حينما نذرت ان تدخل مسجد الكوفة وتصلي فيه ركعتين وقد تم لها ذلك فدخلت المسجد في مائتين من نساء الخوارج متقلدات السيوف معتقلات الرماح وكان الحجاج قد اقفل ابوابه وجلس ينتظر ماياتي به القدر ولم يعد ذلك الجبار العنيد الى ان ذهبت غزالة (٣)

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٣ / ١٧٤

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٤

(٣) راجع الفرق بين الفرق ص ١١٣

ولقد صدق المسعودى حين قال فيها " وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالوضع العظيم وكذلك ام شبيب (١) . ومن اعجب المواقف الثابتة موقف امعلقمة هذه المرأة جىء بها اسيرة امام الحجاج فلم تلتفت اليه ولم تستمع لكلامه فاستغرب الحاضرون هذا الاعراض منها فقيل لها " الامير يكلمك يا امعلقمة وانت لاتنظرين اليه ؟ قالت انى لاستحى ان انظر الى من لاينظر الله اليه فامر الحجاج بقتلها " . ثم جىء باخرى فقال لها الحجاج " والله لاحصدنكم حصدا " فقالت الله يزرع وانت تحصد فاين قدرة المخلوق من الخالق " (٢) . وهذا الجواب قلما يخطر على البال فى ذلك الموقف الذى يتلمظ الحاكم فيه غيظا والسيوف تلمع من حوله، ولكنها الشجاعة والاستهانة بالموت . ومنهن ايضا كحيلة وقطام فكانتا محاربتين بارعتين . ولما اشتد على جيوش ابن عامر وقعهما جعلوا يعيرون جيش الخوارج ويصيحون بهم يا اصحاب كحيلة وقطام يعرضون لهم بالفجور فيجيبهم الخوارج كما يقول المبرد " بالدفع والردع ويقول قائلهم لاتقف ماليس لك به علم " (٣) .

ومنهن البلجاء تلك المرأة التى كانت لاتخاف سطوة ابن زياد او تهديده فكانت تذمه وتؤلب عليه الناس حتى اشفق عليها مرداس (وهو من زهاد الخوارج) فذكر لها ان ابن زياد قد ذكرها بشر وان عليها ان تستتر بالتقية فلم تفلح محاولة مرداس معها بل رات ان فى قتلها استشهادا تتطلع اليه، واخيرا وقعت فى قبضة ابن زياد فاستعمل معها ابشع انواع الجزاء واحطه لقد امر بها فقطعت يداها ورجلاها ثم القى بها فى السوق ولما دخل مرداس السوق راى من بعيد زحام

---

(١) مروج الذهب جـ ٣ ص ١٤٧
(٢) انظر "ابن جلا " ص ٢٣
(٣) انظر الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٥٤

الناس فجاء لينظر فاذا بالهلجاء فجعل شمر لحيته فى فمه متاسفا قـــال " لهذه اطيب نفسا بالموت منك يامرداس " ثم اشتد عزمه على الخروج فكانت هى الشرارة التى اشعلته وجعلت منه بركانا ثائرا يهزم جيوش الخلافة وهو فى اربعين من الخوارج .

ويقول الملطى عن شجاعتهن " وتقاتل نساؤهم على الخيل مخمرات كمـا يقاتل رجالهم " (١) وكن ينشأن اولادهن على الشجاعة والاقدام فى ساحات الحروب فلم يكن كفيرهن من النساء اللاتى يدللن اولادهن ويظهرن امامهم الخوف عليهم والتعلق بهم وهذا مانراه واضحا فى ام كهمس الذى صار ابنهما أحد شجعان الخوارج فقد كان بارا بامه وذات يوم قال لها يتحسر علـى عـدم خوض الحرب مع اصحابه الخوارج، يا امه لولا مكانتك لخرجت فاجابته قد وهبتك لله يابنى . (٢)

ومن الطرائف العجيبة لهن فى المعارك انه في اثناء محاربة يزيد بن المهلب للخوارج وفى معركة من معاركه معهم حمل يزيد عليهم فولى الجمع " وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخشنى مولى العتيك من لهذين قال انا احمل عليهما فعطف عليه احدهما فطعنه قيس الخشنى فصرعه وحمل عليه الاخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الخشنى اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقة امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد اما انت فبارزتها على انها رجل فقال ارايت لو قتلت اما كان يقال قتلته امرأة " .

---

(١) التنبيه والرد ص ٥٦

(٢) انظر الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٢٣٣

وهذه ام حكيم الخارجية تتبرم من حمل رأسها ودهنه وغسله وتتمنى أن يبارزها فارق فتاك يحمله عنها فتقول :

احمل راسا قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله
الا يافتى يحمل عني ثقله (١)

وقد كن يسارعن الى الخروج للقتال جنبا الى جنب مع الرجال فابتكر زياد طريقة بشعة جدا للحد من كسر جموحهن وفعلا نجحت هذه الطريقة يقول المبرد عنه " وله اخرى في الخوارج اخرجوا معهم امرأة فظفر بها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ". (١)

وهكذا ادت الشجاعة بالخوارج الى التهور في الحرب وسفك الدماء الى هذا الحد السيء .

---

(١) شعراء الخوارج ص ١٣٤

مبالغتهم في العبادة والزهد

اشتهر الخوارج بالمبالغة في العبادة فقد بلغوا فيها مبلغا عظيما وكذلك كان لهم اشتغالهم الدائم بقراءة القران قد لا يدركه الكثير من غيرهم .

يصفهم جندب الازدي بقوله " لما عدلنا الى الخوارج ونحن مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن واذا فيهم اصحاب البرانس (اي الذين كانوا معروفين بالزهد والعبادة) (١) . وقد وصف اول زعيم منهم وهو عبد الله بن وهب بانه ذي الثفنات (٢) لشدة عبادته واجتهاده وكثرة سجوده حتى اصبحت يداه كثفنات الابل من كثرة وضعها على الارض . وهذا ابو بلال مرداس كان من عبادهم وزهادهم مر باعرابي وهو يداوي بعيره بالقطران فهرج البعير من شدة القطران فوقف عليه ابو بلال فلما راه غشي عليه فقام الاعرابي يرقيه ظانا ان به مسا فلما افاق قال له قد رقيتك قال له ليس بي شيء مما خفته علي وانما ذكرت به قطران جهنم فاصابني ما رأيت " (٣) . بل لقد وصل الاجتهاد في العبادة ببعضهم الى حد المغالاة والخروج عن الرفق بالنفس الى الامر المذموم فقد طلب ابن زياد من مولى عروة بن حدير ان يصف له امر عروة بعد ما قتله قائلا له صف لي امره واصدق فقال اطنب ام اختصر فقال بل اختصر قال ما اتيته بطعام في نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط . قال الشهرستاني بعد ان ذكر هذه الحادثة " هذه معاملته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده " (٣) وقد ذكر ابن ابي الحديد في ترجمته المختصرة له انه كان له اصحاب واتباع وشيعة " (٤) .

---

(١) تلبيس ابليس ص ٩٣ ، فتح الباري ج ١٢ ص ٢٩٦

(٢) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٥

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٨

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٢

وكان الخوارج دائما يتواصون بالتقوى والرغبة فيما عند الله والزهد عن الدنيا وذكر لقاء الله والدار الاخرة وفراق الظالمين وائمة الجور كما تبين هذا في نصيحة صالح بن مسرح لاتباعه حيث قال لهم " واوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فان الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله " (١) وحينما جاءهم ابن عباس شاهد قوما ادهشوه باجتهادهم في العبادة فوصفهم بقوله " فأتيتهم قد خلت على قوم لم ارى اشد اجتهادا منهم ايديهم كانها ثفن الابل ووجوههم معلمة من آثار السجود " (٢)

وحتى نافع بن الازرق وهو المشهور بسفك الدماء يكتب الى اهل البصرة ويذم في كتابه الدنيا ويصفها بانها غرارة مكارة ينبغي الحذر منها ومن الركون اليها في كلام عذب اخاذ عليه فصاحة العرب وقوة حجتهم فمنه قوله " فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا واظهرت حبرة واضمت عبرة فليس اكل منها اكلقسرة ولا شارب شربة تؤنقه الا دنابها درجة الى اجله وتباعد بها مسافة من امله وانما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى " (٣) . واما خلف ابي حمزة الخارجي فله خطبة مشهورة خطبها حين دخل المدينة المنورة غازيا وصف في هذه الخطبة اصحابه بالعبادة قائلا :

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٦/٢١٧
(٢) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٩
(٣) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٩

" يا أهل المدينة بلغني انكم تنتقصون : اصحابي • قلتم شباب احداث واعراب جفاة ويلكم يا اهل المدينة وهل كان اصحاب رسول الله "ص" الا شبابا احداثا شباب والله مكتهلون في شبابهم غضية عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل اقدامهم قد باعوا الله عز وجل انفسا . تموت بانفس لاتموت قد خالطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم منحنية اصلابهم على اجزاء القران كلما مروا باية خوف شهقوا — : خوفا من النار واذا مروا باية شوق شهقوا شوقا الى الجنة" ثم يستمر في تزكيتهم والثناء عليهم الى ان يقول ..

" فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها في سجوده لله وكم من خد عتيق وجبين رقيق فلق بعمد الحديد رحمة الله على تلك الابدان وادخل ارواحها الجنان " .. الخ (١)

واجتهادهم في العبادة امر قد عرف لهم والذي يقرأ كتاب منهاج السنة لابن تيمية يجد الكثير من الشواهد التي تدل على ذلك حيث يجعلهم دائما ارجح واعقل من الشيعة والرافضة حينما يقارن بينهم وبين الخوارج كقوله عنهم " واين الخوارج من الرافضة الغالية ؟ فالخوارج من اعظم الناس صلاة وصياما وقراءة للقران ولهم جيوش وعساكر وهم متدينون بدين الاسلام باطنا وظاهرا (٢)

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٧ ص ٣٩٦ / ٣٩٧

(٢) منهاج السنة جـ ٢ ص ١٢٠

ولقد اكثر شعراؤهم فى ذكر وصفهم بالعبادة والرغبة الى الله والزهد فى الدنيا بقصائد من الشعر طويلة جدا لا يمكن استقصاؤها ولكن من اراد ان يستزيد من هذا النوع فعليه بكتاب « شعراء الخوارج » فقد جمع هذا الكتاب مجموعة نافعة من شعرهم فى مختلف الفنون فمما جاء فى وصفهم بالعبادة قول عيسى بن فاتك الخطى الخارجي فى رثاء ابى بلال ومن قتل معه من الخوارج :

اذا ما الليل اظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا واهل الأمن فى الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود انين منه تنفرج الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت وان خفضوا فربهم سميع (١)

وقال احد شعراء الخوارج يرثى بعض الخوارج الذين قتلوا ويصف عبادتهم فيقول :

فتية تعرف التخشع فيهم كلهم حكم القران غلاما
قد برى لحمه التهجد حتى عاد جلدا مصفرا وعظاما (٢)

وهذا النموذج من شعرهم الذى يصور فيه شعراؤهم ماهم عليه من الاجتهاد فى العبادة وشدة الخوف من خشية الله يوضح لنا مدى البعد بينهم وبين مخالفيهم فى نظرهم •

وقد روى عن ابن ملجم مايحير العقل من تناقضهم فى سلوكهم الدينى فبينما هم شديدوا الغلو فى الدين والعبادة اذا هم شديدوا الحقد على خيار الصحابة ومستحلون لدمائهم • فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقتل على بن ابى طالب ومع ذلك يقف عند القصاص منه كاثبت الناس واعبدهم يقول ابن الجوزى " فلما مات على رضى الله عنه اخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع

---

(١) انظر شعراء الخوارج ص ٣٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠

ولم يتكلم فكحل عينيه بمسمار محمى فلم يجزع وجعل يقرأ " اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم ••حتى ختمها " وان عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه فجزع فقيل له لم تجزع فقال اكره ان اكون فى الدنيا مواتا لا اذكر الله " (١) .

ومثله فى هذا عروة بن حدير الذى تحدثنا عنه آنفا فبينما هو يتبرأ من خيار الصحابة علنا دون خوف احد اذا به من اعبد الناس واصومهم وقد قتله ابن زياد بعد ان تمت بينهما المناقشة الحادة التى يحكيها الشهرستاني بقوله :

" وعروة بن حدير نجا بعد ذلك من حرب النهروان وبقى الى ايام معاوية ثم اتى : الى زياد بن ابيه ومعه مولى له فسأله زياد عن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال فيهما خيرا وسأله عن عثمان فقال كنت اوالى عثمان على احواله فى خلافته ست سنين ثم تبرأت منه بعد ذلك للاحداث التى احدثها وشهد عليه بالكفر وسأله عن امير المؤمنين على رضى الله عنه فقال كنت اتولاه الى ان حكم الحكمين ثم تبرأت منه بعد ذلك • وشهد عليه بالكفر وسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال اولك لزينة واخرك لدعوة وانت فيما بينهما بعد عاص ربك فأمر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاه فقال له صف لى امره واصدق فقال اطنب ام اختصر فقال بل اختصر • فقال ما اتيته بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط " (٢)

ومما يذكر عن ورع بعضهم وعفته ما وقع لداود بن عقبة العبدى وهو من عباد الخوارج وكان بالبصرة فطلبه واليها فاختفى عند احد اصحابه فاراد هذا الرجل ان يسافر فاوصى .. زوجته بداود فغاب اربعين ليلة ثم عاد فسأل ضيفه عن خدمة زوجته له وكانت زرقاء العينين فقال له زوجها كيف رايت خدمة الزرقاء فقال له والله ما ادرى ازرقاء هى ام كحلاء • وكان يوصف بغض البصر لا ينظر الى شىء من شعره

---

(١) تلبيس ابليس ص ٩٤

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٨

يتحسر على فرقة اصحابه قوله :

الى الله اشكو فقد فتيان غـارة شهدتهم يوم النخيلة والنهـر
شهدتهم اسدا اذا الحرب شمرت مساميح بهم بالمهندة البتـر
مضوا سلفا قبلى واخرت بعدهم وحيدا لاقوام تنابلة خـزر (١)

ولقد كان خليقا بهم وهم على هذه الدرجة من العبادة والورع ان يعفوا عن ما وقعوا فيه من المحارم وما ولغوا فيه من دماء المسلمين ولكن تدينهم على هذا النحو الذى كانوا عليه ليس هو الصورة الصحيحة للتدين المثمر الذى يحول بين صاحبه وبين محارم الله .

٣ - فصاحتهم وقوة تاثيرهم :

وقد اشتهر الخوارج بالفصاحة وقوة الاسلوب وعرض مذهبهم والدعاء اليه بصورة شيقة تجذ باليهم القلوب وتتاثر بكلامهم ايما تاثر فلهم خطب واشعار وامثال ومناظرات مشهورة فى كتب الادب تتميز بفصاحتها وقوة تاثيرها ومن امثلة ذلك :

"ان عبد الملك بن مروان اتى برجل منهم فبحثه فراى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فراى منه ماشاء اديا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع اقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له مذهبهم بلسان طلق والفاظ بينة ومعان قريبة . فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى ان الجنة خلقت لهم وانى اولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى ماثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له

---

(١) انظر شعراء الخوارج ص ٦٤ وص ١٤٢

لله الاخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لنا فيها واراك لست تجيب بالقول . والله لاقتلنك ان لم تطح ")(١) الخ .

وقد وصف ابن زياد اسلوب الخوارج وقوة بيانهم بقوله "لكلام هؤلاء اسرع الى القلوب من النار الى اليراع " (٢) .

وقد القى ابوحمزه الخارجى خطبة بليغة وصفت بانها قد حيرت المبصر وردت المرتاب . يقول الشيخ عبد الله بن حميد السالمى فى كتابه اللمعة المرضية " وقد اعترف لهم الخصم بذلك ـ يعنى بصواب مذهب الاباضية ـ والفضل ماشهدت به الاعداء فمن اعترف لهم قديما عالم المدينة مالك بن انس فانه قال خطبنا ابوحمزة خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب " ويقول ايضا " وابو حمزة هو المختار بن عوف قائد الجيش لامام المسلمين طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى رضوان الله عليهم " ..الخ .

وقد فسر قوله حيرت المبصر . اى جعلت العالم المتبصر فى مذهبه محتارا . وقوله وردت المرتاب : اى جعلت من كان مرتابا فى دينه ردته عنه الى مذهب ابى حمزه (٣) .

ويصفهم الشيخ ابوزهرة بقوله انهم " اتصفوا بالفصاحة وطلاقة اللسان والعلم بطرق التاثير البيانى وكانوا ثابتى الجنان لاتأخذهم حبسة فكرية ويقول " وكانوا يحبون الجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر وكلام العرب وكانوا يذاكرون مخالفيهم حتى فى ازمان القتال " ويقول ايضا " وقد كان التعصب يسود جدلهم فهم لا يسلمون لخصومهم بحجة ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن قريبة من الحق وواضحة الصواب بل لا تزيدهم قوة الحجة عند خصومهم الا امعانا فى اعتقادهم وبحثا عما يؤيده " (٤)

---

(١) انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٤٦
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٥
(٣) اللمعة المرضية ص ٥٤/٥٥
(٤) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٧٦ ـ ٧٨

٤ - صدقهم في الحديث

ومع فصاحة الخوارج ولباقتهم ، فقد اشتهروا بالصدق والنفرة عن الكذب لانهم يعتبرونه من صفات الجبناء الذين لامكان لهم عندهم . يقول المبرد " قال ابوالعباس والخوارج في جميع اصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة " (١)

وقد وصفهم ابن تيمية بانهم " ليسوا ممن يتعمد الكذب بل هم معروفون بالصدق حتى يقال ان حديثهم من اصح الحديث " (٢) . وقال في تفضيلهم على الرافضة " وهم اصح منهم عقلا وقصدا والرافضة اكذب وافسد دينا " (٣) . ويصفهم بان بدعتهم لم تكن عن زندقة والحاد بل كانت عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب . (٤)

٥ - ميلهم الى الجدل وقوتهم فيه

لقد بذل الخوارج في الدفاع عن ارائهم وجعل السيطرة لها على الناس جهدا كبيرا سواء كان ذلك بقوتهم الحربية او كان بقوتهم الجدلية وقد حفلت كتب التاريخ والادب بذكر مجادلاتهم مع الامام على وابن عباس وغيرهما من اعلام المسلمين كعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز ويطول بنا القول لو ذهبنا نذكر اخبار تلك المناظرات والمحاورات التى دارت بينهم وبين خصومهم وظهر فيها

---

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٦

(٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٥

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٤

(٤) منهاج السنة ج ١ ص ١٥

قوتهم فى الجدال ولددهم فى الخصومة وذلك لكثرة هذه الاخبار وطول تلك المناظرات وقد سبق ان ذكرنا ما دار بينهم وبين الامام على وابن عباس وعمر بن عبد العزيز من مناظرات تتعلق بأسباب خروجهم او بموقفهم من قضية التحكيم الى غير ذلك من الموضوعات التى كانت مثار خلاف بين الفريقين .

وقد وصفهم المبرد بعدة صفات من اهمها وصفهم بنفاذ البصيرة واللدد فى الخصومة والاحتجاج والبراعة الفائقة فى الخطابة والشعر بقوله :

" قال ابو العباس وكان فى جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين انفسهم على الموت " (١) ويخص المبرد منهم نافع بن الازرق (٢) فيصفه بانه كان متعمقا صاحب نظر وتوغل وبانه ايضا كان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة (٣) " ويصف بانه كان شجاعا مقدما فى فقه الخوارج " .

بل لقد كان عقلاء الخوارج ومفكريهم يشكون من كثرة انتشار الجدل بينهم الذى كان سببا مباشرا من اسباب تفرق الخوارج على نحو ما يصفه الصلت بن مرة بقوله :

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا اناسا على دين ففرقنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب
ماكان اغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال واغناهم عن الخطب (٤)

---

(١) الكامل للمبرد جـ٢ ص ١٣٩

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٤٠

(٣) الكامل جـ ٢ ص ١٧١

(٤) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٢٣٨

هذه بعض الخصائص الدينية والخلقية والعقلية التى كانت تغلب على الخوارج والتى كان لها أثرها الواضح فى سلوكهم مع أنفسهم ومع بعضهم ومع الامة والدولة على نحو ماعرضنا هذا السلوك فى فصول هذا الباب •

ولو استقامت بهم الوجهة لكان خليقا بهذه الخصائص ان تضع أقدامهم على الطريق الصحيح من العمل الى الله والدعوة الى دينه •

ـ • ـ

الباب الثاني

آراء الخوارج الاعتقادية وموقف الاسلام منها

الفصل الاول

مدخل في :

موقف الخوارج

بين العقل والشرع

وبين النص والتأويل

١ – بين العقل والشرع في التحسين والتقبيح

للعلماء اتجاهان في تحديد موقف الخوارج من العقل :–

الاتجاه الاول : وهو اتجاه من يذهب الى أن الخوارج يرون قدرة العقل على ادراك المعرفه بنفسه مستقلا عن السمع وان السمع انما يأتي مصدقا لاحكامه وبناء على هذا الاتجاه يصح لنا ان نصف الخوارج بانهم عقلانيون ، وذلك لانهم قدموا العقل في كثير من القضايا مدعين انه يستطيع ان يصل الى معرفة الاشياء الحسنة والاشياء القبيحه بنفسه وان العدل مايقتضيه العقل ، وهذا هو مذهب المعتزله وفي هذا يذكر الشيخ المفيد ان المعتزلة والخوارج والزيدية متفقون في هذا الاعتقاد ، أي القول باستطاعة العقل معرفة الواجبات الشرعية ، دون السمع يقول الشيخ المفيد في هذا " اما المعتزله والخوارج والزيديه فعلى خلاف ذلك اجمعوا وزعموا ان العقول تعمل بمجردها عن السمع " (١) وقد ظهر تمسك الخوارج بالتحسين والتقبيح العقليين في اكثر امورهم التي ادعوا ان العقل يدرك حقيقتها دون الرجوع الى الحكم الشرعي فيها لتصحيح الحكم بحسنها او قبحها بل العقل يدرك في كل خصلة مدى قبحها او حسنها بما في الفعل من خاصية يدرك – العقل حين ورودها عليه الحكم فيها والشروع حين يحكم فيها بحكم انما يأتي كمخبر عنه وليس مثبتا للحكم فيها وفي هذا يقول البغدادي بعد ان ذكر بعض الفرق التي اتفقت في الاعتقاد في هذا الباب وهم الثنوية والتناسخية والبراهمة والخوارج والكرامية والمعتزله الخ اتفق هوءلاء كلهم فيما يذكر " فصاروا الى ان العقل يستدل

---

(١) نقلا عن آراء الخوارج ص ١٦٥ .

به على حسن الافعال وقبحها على معنى أنه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الحسن ويجب عليه الملام والعقاب على الفعل القبيح والافعال على صفة نفسية من الحسن والقبيح واذا ورد الشرع بها كان مخبرا عنها لا مثبتا لها "(١)
بينما الامر عند اهل الحق فى التحسين والتقبيح كما يقول " ان العقل لا يدل على حسن الشىء وقبحه فى حكم التكليف من الله شرعا" (٢)

وقد اعتبر ابن الجوزى الخوارج هم اول من نادى بتحسين العقل وتقبيحه اى قبل ظهور المعتزله وما المعتزله عنده الا آخذه عن الخوارج هذا الاصل ومقلده لهم ويقول فى ذلك " ومن رأى هوءلاء (يعنى الخوارج) احدث المعتزله فى التحسين والتقبيح الى العقل وان العدل مايقتضيه " (٣)

ويقول عنهم عثمان بن عبد العزيز الحنبلى فى مخطوطة " منهج المعارج "
" ومن رأيهم (الخوارج) اخذت المعتزله التحسين والتقبيح بالعقل وضرب الامثال به وان العدل مايقتضيه " (٤)

وهناك فرقة من الخوارج وهى " الاطرافيه " تزعم ان العقل يعرف الواجبات العقلية وانه يعرف به ايضا الواجبات الدينيه ، ولهذا فقد رأوا ان اهل الاطراف النائية من البلدان معذورين فيما لم يعرفوا عن الشرع نصا فى امر من الامور اذا عملوا بما يقره العقل يقول الشهرستانى عن هذه الفرقة انهم " عذروا اصحاب الاطراف فى ترك مالم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما يعرف

---

(١) ، (٢) نهاية الاقدام ص ٣٧٠ ، ٣٧١
(٣) تلبيس ابليس ص ٩٦
(٤) نقلا عن آراء الخوارج ص ١١٧ .

لزومه من طريق العقل واثبتوا واجبات عقليه " (١) وقد وصف الشهرستانى كذلك المحكمة الاولى بأنهم من " اشد الناس قولا بالقياس " (٢) والقياس استعمال للعقل فى تعدية الحكم وان كان قائما على اساس من النص الشرعى بل لقد رأيناه يسند الى ذى الخويصرة الذى يعتبره زعيم الخوارج الاول القول بالتحسين والتقبيح العقليين حيث يقول " وذلك (يعنى به قول ذوى الخويصرة للنبى "ص" هذه قسمه ماأريد بها وجه الله ـ خروج صريح على النبى "ص" ولو صار من ـ اعترض على الامام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول احق بأن يكون خارجيا اوليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى فى مقابلة النص واستكبارا على الامر بقياس العقل " (٣)

الاتجاه الثانى :

وفى مقابل القول السابق ان الخوارج يقولون بقدرة العقل على الحكم على الاشياء والافعال نجد من يعكس الامر ويذهب الى ان الخوارج لا ترى للعقل اى ميزة فى الحكم على الافعال من حسن وقبح وهذا الرأى قد قال به احمد الصابونى الماتريدى فيما يرويه عنه الطالبى بقوله انه (اى الصابونى " يزعم ان الخوارج المحكمة يرون مع الملاحدة والروافض والمشبهة ان العقل لا يعرف به شىء ولا يوجب شيئا من الاحكام العقلية او الشرعية لا على الافعال ولا على الاشياء" وقد اعتبر الطالبى رأى احمد الصابونى كأنه خبر آحاد خاصة انه لم يبين لنا

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ١١٦ .

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٢١

سنده ولا مصدره بخلاف من تقدم النقل عنهم وهم القائلون بعقلانية الخوارج فانهم اولى — على حد تعبيره — بقبول قولهم منه لكثرة اطلاعهم على آراء الخوارج (١)

وما قاله الصابونى هنا عن الخوارج يتفق مع ماذكره الاشعرى عن حاك لم يعين اسمه حكى عن الخوارج انهم " لا يرون على الناس فرضا مالم تأتهم الرسل وان الفرائض تلزم بالرسل واعتلوا بقول الله عز وجل " وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٢) (١٧ : ١٥)

ولعلنا بعد أن عرضنا هذين الاتجاهين فى تحديد موقف الخوارج بين العقل والنقل فيما يتعلق بالمعرفة وادراك حسن الافعال وقبحها — لعلنا بعد عرضنا لهذين الاتجاهين — نجد ان الاتجاه الاول وهو القول بأن الخوارج عقليون قد تظافرت على توثيقه وشرحه اقوال كثرة من العلماء لم تتوافر للاتجاه الثانى وهو القول بأن الخوارج يرجعون بالمعرفة وبالتحسين والتقبيح الى الشرع.

فالاشعرى يحكى ذلك عن حاك مجهول لم يذكر اسمه كما قلنا ،وقد قلنا من قبل كذلك ان الطالبى قد جعل قبول اقوال العلماء الكثيرين فى الاتجاه الاولى اولى من قبول كلام الصابونى الذى لم يبين مصدره ولاسنده فيه ولا يفوتنا ان ننوه بالاسماء التى حكمت على الخوارج بانهم عقليون كالبغدادى والشهرستانى وابن الجوزى والشيخ المفيد ، وعثمان الحنبلى وان كنا نجد من الواجب علينا ان نختم هذه الكلمة بالاشارة الى تلك الصعوبة التى شرحناها فى مقدمة

---

(١) نقلا عن الخوارج ص ١٦٨ (البداية للصابونى ص ١٦٨ .)

(٢) المقالات : ج ١ ص ٢٠٦ .

هذه الرسالة وهي اننا في كثير من الاحيان نأخذ آراء الخوارج من كتب غيرهم وفيما يتعلق بهذه المسألة بالذات فانه لم يقع لي فيما اطلعت عليه من كتب الخوارج المطبوعة والمخطوطة نص فيها وانما رجحنا كفة الفريق الاول من العلماء لما قدمناه من مبررات • واذا اردنا ان نضع الاتجاه العقلي في ميزان الاسلام فالواجب في هذا المقام ان يقال ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية من ان " ما اخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الاخر وامرت به من تفاصيل الشرائع لايعلمه الناس بعقولهم كما ان ما اخبرت به الرسل من تفصيل اسماء الله وصفاته لايعلمه الناس بعقولهم وان كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك " (١)

ويجب ان يعتقد كل مسلم ان لاحسن ولاقبح ولاعقل في مقابلة الشرع فاذا صح النص عن الله تعالى او عن رسوله وجب التسليم له دون معارضة بأي نوع من المعارضة فان معارضة العقل للنقل خطأ واضح معلوم الفساد كما قال ابن القيم رحمه الله " (٢)

واخيرا فان مذهب السلف في هذا الباب هو الاعتقاد بأنه ليس في فعل من الافعال معنى حسن يقتضي وجوبه او ندبه او ثواب فاعله او معنى قبيح يقتضي كراهيته وحرمته وجزاء ذلك بل الافعال كلها سواسية بل حسن الفعل هو امر الله تعالى به وقبحه هو نهي الله تعالى عنه وليس فيه معنى يوجب ذلك حتى لو امر بشيء كان حسنا فاذا ما نهى عنه بعد ذلك صار قبيحا وبالعكس اذا نهى عن امر كان قبيحا فاذا امر به بعد ذلك كان حسنا ولا سبيل الى العلم بذلك الا بالشرع والوحي •

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٣ ص ١١٥ •

(٢) انظر مختصر الصواعق ص ٨٤ •

٢- بين ظاهر النص والتأويل

لعب التأويل دورا بارزا فى مفاهيم الناس ، وكانت له نتائج خطيرة فى حياتهم خصوصا تلك التأويلات المذمومة التي جرت على المسلمين محنا شتى بسبب سوء الفهم لكثير من القضايا الاسلامية ، فكانت له آثار سيئة اذ فرق بين كلمة المسلمين وباعد بينهم وبين جوهر الشريعة واساسها المتين .

ولقد تدرج اهل التأويل من سيء الى اسوء فى فهم المعانى التى يدعون معرفتها ، وذلك لانهم كلما زاد غلوا فى التأويل كلما بعدوا عن المعنى الصحيح الذى تهدف اليه النصوص وفيما يتعلق بموقف الخوارج بين الوقوف عند ظاهر النص الشرعى وتأويله ، نجد هناك أيضا اتجاهين فى تصوير موقفهم من هذه القضية .

الاتجاه الاول : القول بأنهم نصيون يقفون عند ظاهر النصوص الشرعية دون تأويل لها او اجتهاد فيها وهذا مايراه احمد امين رحمه الله ، فهو يرى انهم يقدمون النص على التأويل لانهم كما يذكر على بساطتهم البدوية التى لاتعرف التعمق فى المعانى واستخراجها كما هى عادة اهل المعرفة ويذكر انهم لو عاشوا فى العصر العباسى لكانوا ظاهرية تماما فيقول :-

" ومن اكبر مظاهر بساطتهم وعدم تفلسفهم ان الناظر فيما روى لنا من جدلهم ومناظراتهم يرى انهم التزموا حرفية الكتاب والسنة ولم يتعمقوا فى التأويل ، فلو أنهم عاشوا فى العصر العباسى لكانوا من اهل الظاهر الذين لايقولون بقياس ويرون اتباع ظواهر النصوص من غير تأويل ، وقد ادى تمسك الخوارج بظواهر النصوص الى سخافات " (١)

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٣٣٤ .

ويصفهم ابو زهرة بأنهم يتمسكون بظواهر الالفاظ تمسكا شديدا غير ملتفتين الى المعانى التى تطلب من وراء الالفاظ وهم على غاية مايتصور من التحمس والاندفاع الى تأييد مارأوه صوابا ، ولوادى ذلك الى ازهاق أرواحهم ثمنا للدفاع عن ذلك الرأى يصف ابو زهره هذا الاندفاع بقوله :ـ

" وهم فى دفاعهم وتهورهم مستمسكون بألفاظ قد اخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر دينا مقدسا لايحيد عنه مؤمن " (١) ولهذا كانت مناظرات الامام على لهم فى بعض المواقف ليست بالرجوع الى النصوص لانهم سطحيين فى فهمها يفسرونها بما يحبون من موافقة آرائهم وهذا ماعناه ابو زهرة بقولة " ولأنهم يتمسكون بظواهر الالفاظ نرى عليا عندما ناقشهم فى هذا لم يجادلهم بالنصوص لانهم لايأخذون الا بظواهرها بل كان يناقشهم بعمل الرسول " ص " (٢)

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .

الاتجاه الثانـــى

اما الاتجاه الثانى فى تصوير موقف الخوارج بين الالتزام بظاهر النص والتأويـــل فيذهب اصحابه الى القول بأن الخوارج خاضوا غمار التأويلات التى انتجت من المآسى والحروب ماجعلهم محل بغض لدى جميع مخالفيهم •

ويرد بن القيم افتراق الفرق الاسلامية الى ثلاث وسبعين فرقه الى بلية التأويل ، ويرى انه كان السبب فى نشأة الخوارج وفى مقتل الخليفتين الراشدين عثمان بن عفـان وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما ثم ادى بالخوارج الى تلك المعتقدات الباطلــــة التى اشتهرت عنهم مثل القول بتخليد اهل الكبائر فى النار ونكرانهم شفاعة سيدنـــا محمد " ص " وغيرهما من الاقوال الخاطئة يقول ابن القيم مقررا الاحداث الـــــتى وقعت بسبب التأويل ودور الخوارج فيه

هذا واصل بلية الاسلام مـــــن تأويل ذى التحريف والبطـــلان
وهو الذى قد فرق السبعين بـل زادت ثلاثا قول ذى البرهـــــان
وهو الذى قتل الخليفة جامع القر آن ذا النورين والاحســـــــان
وهو الذى قتل الخليفة بعـــده اعنى عليا قاتل الاقــــــــران

ويقول ايضا :

وهو الذى انشا الخــــوارج مثـــل انشاء اخبث الحيـــــوان
ولاجله شتموا خيار الخليـــــق بعد الرسل بالعدوان والبهتان
ولاجله قد خلدوا اهل الكبـــا ئر فى الجحيم كعابد الاوثـــان
ولاجله قد انكروا شفاعة المختـــــار فيهم غاية النكـــــــران (١)

---

(١) نونيـه بن القيم ص ٨٥•

ويذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان اهل البدع كالخوارج وغيرهم هم اهل اهواء وشبهات يتبعون فيما يحبون ويبغضون ماتحبه انفسهم ويوافق اهواءهم من تأويلات فاسدة " فكل فريق منهم قد اصل لنفسه دينا وضعه اما برأيه وقياسه الذى يسميه عقليات واما بذوقه وهواه الذى يسميه ذوقيات ، واما بما يتأوله من القرآن ويحرف فيه الكلم عن مواضعه ويقول انه انما يتبع القرآن كالخوارج . "

ولكن بدعة الخوارج كما يقول " كان قصد اهلها متابعة النص والرسول لكن غلطوا فى فهم النصوص وكذبوا بما يخالف ظنهم من الحديث ومعانى الايات " (١) ويقول ابن حجر عن انحراف الخوارج فى التأويل مع كثرة العبادة والزهد " وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم فى التلاوة والعبادة الا انهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم ويتنطعون فى الزهد والخشوع وغير ذلك " (٢) وقد وصف ابن عباس الخوارج الذين اشتهروا بقراءاتهم للقرآن وعباداتهم التى يبالغون فى آدائها بأنهم " يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه " (٣) وذلك بسبب ما اخطؤا فيه من تأويلات باطلة معتقدين صحتها وبالتالى طبقوها فى اقوالهم وافعالهم التى تميزت بالانحراف البين فى كثير من الاراء .

وقد ارسله على بن ابى طالب اليهم ليراجعهم ويطلب منهم المودة فلما رجع قال له على رضى الله عنه " مارأيت ؟ فقال ابن عباس : والله ماسيماهم بسيما المنافقين ان بين اعينهم لاثر السجود وهم يتأولون القرآن . (٤) "

---

(١) النبوات ص ٨٩ .

(٢) فتح البارى ج ١٢ ص ٢٨٣ .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٥٥ .

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣١٠ .

وكان من نتيجة تأويلهم القرآن وتتبعهم لمتشابهه ان كفروا الناس وائمة مخالفيهم لانهم حكموا بغير ما انزل الله فاستحقوا الكفر وهذا هو الباعث لهم على تكفير غيرهم فيما يراه سعيد بن جبير كما اخرج عنه ابن المنذر انه قال " المتشابهات آيات فى القرآن يتشابهن على الناس اذا قرأوهن ومن اجل ذلك يضل من ضل فكل فرقة يقرأون آية من القرآن يزعمون انها لهم فمنها يتبع الحرورية من المتشابه قول الله " ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ، ثم يقرأون معها والذين كفروا بربهم يعدلون ، فاذا رأوا الامام يحكم بغير الحق ؛ .... قالوا قد كفر فمن كفر عدل بربه ومن عدل بربه فقد اشرك به فهذه الائمة مشركون " (١) وقال السيوطى ايضا ومثله الشوكانى . " واخرج عبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابى امامة عن النبى "ص" فى قوله " فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه " قال هم الخوارج " (٢) وقد اخبر عمر بن عبد العزيز عن بعض جرائم الخوارج متأولين القرآن على غير وجهه وذلك فى قوله لوفد الخوارج الذين ارسلوهم لمناظرته فى المسائل التى نقموها على بنى امية فكان من كلام عمران قال لهم " فاخبرونى عن عبد الله بن وهب الراسبى حين خرج من البصرة هو واصحابه يريدون اصحابكم بالكوفة فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه وبقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بنى قطيعة فقتلوا الرجال واخذوا الاموال وغلوا الاطفال فى المراجل وتأولوا قول الله " انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " فلم يسعهم الا الاعتراف بذلك " (٣)

---

(١) تفسير الدر المنثور جـ ٢ ص ٤ .

(٢) الدر المنثور جـ ٢ ص ٥ فتح القدير جـ ١ ص ٣١٨ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٢٩ .

ومن اقبح تأويلات الخوارج واحقها بالمقت ماذكره علماء الفرق كالاشعري والبغدادي والشهرستاني وغيرهم عن فرقة الازارقة والحفصية من الاباضية من تأويلهم لبعض الايات كذبا وافتراء بتأويلاتهم الباطلة كما وقع لهم في حق الامام على رضي الله عنه . (١) مما سنذكره عند عرض موقفهم من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

ومما تقدم بيانه نعرف مدى تعلق الخوارج بالتأويل وانه كان السبب في كثير من اخطائهم الجسيمة التى ارتكبوها بحجة ان القرآن يطلب منهم ذلك حين فتحوا لانفسهم باب التأويل الذى لم يسبقهم اليه احد فيما يرى الطالبي ويقرر ذلك بقوله " ونحن نزعم ان الخوارج هم اول من فتح باب التأويل في تاريخ الفرق الاسلامية وفي تاريخ هذه الملة . وكان لتأويلاتهم نتائج عملية خطيرة اعقبتها بدورها آراء نظرية " ويرى ايضا ان تطور آراء الخوارج منذ نشأتهم كان اساسه التأويل والجدل ومجاوزة ظاهر النصوص الى مايوافق مايرونه من آراء ومايعتقدونه من اعتقادات . (٢)

وكان من مذهب قطرى وهو من رؤساء الخوارج ان المتأول المخطىء معذور لايستحق معاقبته ولهذا فقد قال لمن طلب اليه ان يقتل المقعطر وهو احد شجعانهم بقتيل منهم فقال لهم قطرى معتذرا له " رجل تأول فأخطأ في التأويل ما ارى ان تقتلوه " (٣).

والتأويل مظهر من مظاهر التفكير الحر الذى تميز به الخوارج ولجوء اليه في معارضة المذاهب الاخرى وهذا هو مايراه جولد زيهير حيث يقول :ـ

---

(١) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٨٣ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٤ ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٠ .

(٢) آراء الخوارج ص ١٠٧/١١٧ . (٣) تاريخ الطبري جـ ٧ ص ٢٠٢

" وفى العهد الذى كان المذهب الخارجى فيه لايزال مضطربا مهوشا لم يبلغ درجة التماسك والاستقرار ولم يصبح نظاما وضعيا محكما كانت قد ظهرت عند فقهاء الخوارج نزعات عقلية دفعت بهم الى التفكير فى المسائل الدينيه تفكيرا حرا وذلك عندما غلبت على مذهبهم المظاهر السلبية التى عارضوا بها مذهب اهل السنة (١)

وهكذا نجد انفسنا فى تصوير موقف الخوارج من النصوص الشرعية بين الوقوف عند ظاهرها واعمال العقل فيها بالاجتهاد والتأويل ـ تجد انفسنا فى هذه القضية ـ بين هذين الاتجاهين السابقين ولكننا فى الوقت ذاته نرى الامام الاشعرى لايطلق أيا من هذين الحكمين على الخوارج جميعا بل يمايز بين النصيين منهم والاجتهاديين فيقول " وهم صنفان فمنهم من يجيز الاجتهاد فى الاحكام كنحو النبدات وغيرهم ومنهم من ينكر ذلك ولايقول الا بظاهر القرآن وهم الازارقة " (٢) بل اننا نجد ان نجدة لايؤاخذ على اى فعل يفعله الانسان حتى ولو كان نكاح المحرمات مادام ذلك صادرا عن اجتهاد خاطئ وهذا مايرويه عنه ابن ابى الحديد فى قوله عند بيان الاحداث التى احدثها نجدة فجرت عليه نقمة اتباعه .. " ومنها قوله ان المجتهد المخطئ بعد الاجتهاد معذور ... فمن استحل محرما من طريق الاجتهاد فهو معذور . (٣)

والواقع ان الامام الاشعرى كان على حق عندما ادرك انه لايمكن وصف جميع الخوارج بانهم نصيون او بأنهم مؤولون ولايقتصر الامر على ماذكره من اعتبار بعض

---

(١) العقيدة والشريعة ص ١٩٣ .

(٢) المقالات جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة جـ ٤ ص ١٣٤ .

الفرق نصيين وبعضهم مؤولين مجتهدين ، وانما يتردد امر الخوارج بين هذين الموقفين داخل الفرقة الواحدة وعلى حسب اختلاف مواقفهم من مسائل العقيدة ويبدو ان الذين حكموا على الخوارج بأنهم نصييون كان لهم مايبرر حكمهم مما وجدوه فى موقف الخوارج من بعض مسائل الخلاف وان الذين حكموا عليهم بأنهم متأولون للنصوص على غير تأويلها الصحيح حاملون لها على غير محاملها وجدوا فى مواقف الخوارج من بعض مسائل العقيدة مايبرر حكمهم هذا وكل نظر الى ناحية معينة ولو نظرنا فى آرائهم واستدلالاتهم لوجدنا هاتين الظاهرتين موجودتين عند الخوارج فمرة يقفون هذا الموقف ومرة يقفون ذاك بل ربما ادى بهم التمسك بظاهر النص دون تأويل صحيح له ودون جمع بينه وبين غيره من النصوص ربما ادى بهم ذلك الى حمله على غير محمله الصحيح وسوف يتبين لنا ذلك بوضوح بعد عرضنا لمختلف آراء الخوارج ومواقفهم وانهم يقفون من النصوص احد هذين الموقفين تبعا لما يخدم اغراضهم ويساير آرائهم .

ويبدو لى ان التأويل الذى نفاه الاستاذ احمد امين والشيخ ابو زهره رحمهما الله انما هو التأويل الصحيح الذى يفهم فيه صاحبه النص الشرعى على ضوء الجمع بينه وبين غيره من النصوص الاخرى وعلى ضوء مقاصد الشريعة العامة .

أما التأويل الذى يثبته للخوارج اصحاب الاتجاه الثانى فهو حمل الكلام على غير محامله الصحيحه وتفسيره تفسيرا غير دقيق وهذا النوع من التأويل لا أظن ان الشيخين احمد امين وابا زهره كانا يطلبانه من الخوارج عندما ذموهم بأنهم كانوا نصيين لا مأولين وانما كانا يقصدان التأويل الصحيح الذى ذكرناه من قبل وهذا النوع الفاسد من التأويل مذموم شرعا وهو اساس انحراف الفرق الضالة عن جادة الصواب فى آرائها واحكامها وهو الذى ذم الله به اقواما تتبعوا متشابه القرآن ابتغاء

تأويله وما دخل على الفلاسفة والصوفية والمعتزله وغيرهم من المأولين للنصوص على هذا النحو الفاسد ـ ما دخل عليهم ـ خطأهم فى الرأى وفهم الشرع الا من قبل ميلهم الى التأويل واخراج النص عن ظاهره وهو الامر الذى ادى بهم الى حمل النصوص على غير محاملها الصحيحة وتفسيرها بغير مايصح فيها من تفسير .

وقد وصف ابن القيم التأويل بأنه شر من التعطيل لانه ـ كما يذكر ـ يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وآساءة الظن بها (١)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٢ .

الفصل الثانـي

" في بعض مسائل الالهيات والسمعيـات "

تمهيـــد :

لم يكن للخوارج بصفة عامة بحوث مدونة في المسائل الكلاميـة التـي تتعلق بالالهيـات والنبوات والسمعيات ، اللهم الا ما حكى عنهـم من آراء قليلة في بعض المسائل الاعتقاديـة مما لا يشـكل مذهبا متكاملا في العقيدة كمذاهب الفرق الاخرى ، وسـوف نورد في هذا الفصـل بعـض مسائل الالهيـات وما كان للخوارج او لبعضهم فيها من رأى .

آ - الالهيـات :

١ - " صفات الله تعالى " :

لم اجد - فيما اطلعت عليه - من كتب علماء الفرق بيانا لرأى الخـوارج في الصفات الالهية بصفة عامة والصفات الخبريـة بصفة خاصة اللهم الا ما ذكـره الشهرستاني عن رأى فرقـة الشيـبانية في صفـة العلم بقوله : " وينقل عـن زياد بن عبد الرحمن الشيباني ابي خالد انه قال : ان الله تعالى لم يعلـم حتى خلق لنفسه علما وان الاشياء انما تصير معلومة له عنـد حدوثها " . (١)

وبطلان هذا القول ظاهر فصفات الله قديمـة بقدمه غير مخلوقـة وما يخلق الله من الموجودات انما يخلقه عن علم وارادة فيستحيل التوجه الى ايجـاد المجهول ثـم كيف علم الله انه بغير علـم حتى يخلق لنفسـه علما هذا تناقـض ظاهر واما الاباضية فقد رجعنا الى كتبهم هم انفسهم لنرى رأيهم في الصفات الالهية

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٣

فتبين لنا انهم يقفون منها موقف النفى او التاويل بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبهة فيها ويرون ان اثباتها يؤدى الى التشبيه المذموم الذى حذروه بزعمهم ـ بينما هو لم يخطر على بال الصحابة الذين تلقوا تعليمهم الصافى من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم طريا قبل ان تعرف تلك التعمقات الباطلة والخوض في تلك المهامة المقفرة من علم الكلام •

وخلاصة ما يذهب اليه الاباضية في هذا المقام هو انهم يرجعون صفات العلم والقدرة والارادة الخ تلك الصفات التي اثبتها الله لنفسه والتى هي صفات كمال من لم يتصف بها كان فيه من النقص والعيب ما لا يدرك الا في الجمادات ـ ارجعوا تلك الصفات ـ الى الذات فقالوا انه عالم بذاته وقادر بذاته وهكذا كما يقول صاحب كتاب الاديان الاباضي : " وقال اهل الاستقامة ان الله سبحانه عالم بذاته وقادر بذاته لا بقدرة سواه وحى بذاته ومريد بذاته ومتكلم بذاته وسميع وبصير بذاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (١)

وقال احمد بن النضر وهو من الاباضية ايضا :

وهو السميع بلا ادات تسمع ... الا بقدرة قادر وحدانى

وهو البصير بغير عين ركبت ... في الرأس بالاجفان وللحظان

جل المهيمن عن مقال مكيف ... او ان ينال دراكه بمكان

او ان تحيط به صفات معبر ... او تعتريه هماهم الوسنان (٢)

ويقول السالمي :

اسماؤه وصفات الذات ليس بغير الذات بل عينها فافهم ولا تحلا

---

(١) الاديان والفرق ص ٥٧

(٢) كتاب الدعائم ص ٣٤ •

ولا يحيط به سبحانه بصر
دنيا واخرى فدع اقوال من نصلا

وهو على العرش والاشياء استوى واذا
عدلت فهو استواء غير ما عقلا

وانما استوى ملك ومقدرة
له على كلها استيلاء وقد عدلا

كما يقال استوى سلطانهم فعلا
على البلاد فحاز السهل والجبلا (١)

وانهم يشاركون في تاويل الصفات الخبرية غيرهم من الفرق المأولة كالمعتزلة والاشاعرة وفيما يتعلق بالصفات الخبرية التي ذكرنا تأويلها التي اولها السالمي في ابياته السابقة .

فقد شنع الورجلاني ايضا على الذين يثبتونها لله مدعيا انهم رجعوا بذلك الى التشبيه الذى وقع فيه عباد الاوثان ومن هذه الصفات التي اوردها صفات ، اليد ، والوجه ، والجنب والساق والعين واليمين والاستواء وهو يرى ان مخالفي الاباضية المثبتين لتلك الصفات " يمتنعون — كما يقول من مذهب المسلمين الذين صرفوا هذه المعاني الى ما يليق بالبارى سبحانه وتعالى وموجود في لغة العرب ان اليد النعمة والقدرة والوجه ذاته واليمين القدرة والقوة والجنب والكتف والساق الشدة " ثم قال ايضا " ولم يصرحوا (اى الاباضية) بالمعنى المكروه والاولون (اى المثبتين لتلك الصفات بدون تأويل) وقد ردوا على الله عز وجل قوله " ليس كمثله شيء ، فالاولون مشركون والاخرون (ويعنى بهم الذين توقفوا في هذه الصفات فلم يقولوا فيها بشيء "

---

(١) غاية المراد ص ٧ .

تجاهلوا فهم جاهلون • (١)

وقد استدل الميزابي عقليا على ضرورة تأويل تلك الصفات بقوله في الاستواء : " الحمد لله الذى استوى على العرش اى ملك الخلق واستولى عليه والا لزوم التحيز وصفات الخلق ". (٢)

وقال في الحجاب " الحمد لله الذى احتجب عن خلقه لا بحجاب اذا الحجاب من خلقه بمنعه اياهم عن مشاهدته " (٣)

وهكذا قال في النزول والمجيء وغيرها من صفات اخرى ذكرها ثم اولها تأويلا باطلا لا معنى له غير التعطيل •

وقد عقد الربيع بن حبيب فصلا في مسنده " الجامع الصحيح " اورد فيه عدة احاديث عن الصحابة كلها تشير الى التاويل المحض للصفات التي تقدم ذكرها وغيرها عن على بن ابى طالب وابن عباس وغيرهما من الصحابة بما لا يمكن استقصاؤه هنا •

فقد فسر فيما يرويه عن ابن عباس وغيره قوله تعالى :

" والسماوات مطويات بيمينه " اى في ملكه ، وفسر اليد " بالملك والقدرة " ومثلها اليمين ، وأن قوله تعالى " بل يداه مبسوطتان " اى بل رزقه مبسوط على جميع خلقه •

وفسر مجيء الله بمجيء امره لفصل القضاء •

واول قوله تعالى الرحمن على العرش استوى " الى معنى ارتفاع

---

(١) الدليل لاهل العقول ص ٣٢

(٢) الحجة في بيان المحجة ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ١٨

ذكره وثناؤه على خلقه وفسر الوجه بالذات والعين بالحفظ والنفس بالعلم والساق بالشدة وهكذا . يورد الربيع بن حبيب الاحاديث والاثار الكثيرة في تأويل الصفات وانكار الرؤية . (١)

والواقع ان موضوع الصفات الالهية من اهم الموضوعات في مباحث الالهيات وذلك لعلاقته بتوحيد الله تعالى في ذاته وصفاته .

ولسنا بصدد عرض اختلافات المذاهب في تلك القضية بين التعطيل والتمثيل والتاويل ولكننا نقتصر في هذا المقام على مجرد التعقيب على رأي الاباضية مبينين ما فيه من زيف وبطلان على هدى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

ففيما يتعلق بنفيهم لصفات الكمال الالهي من العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والحياة وانه ليس هناك الا الذات مجردة عن صفاتها القائمة بها — فان الله سبحانه وتعالى — قد اثبت لنفسه تلك الصفات قال تعالى في اثبات صفة العلم " أنزله بعلمه "

وقد تعالى " حتى يسمع كلام الله " .

وقد سمى الله تعالى نفسه بالاسماء الحسنى كالحي القيوم وعالم الغيب والشهادة والقوى المتين والسميع البصير الى غير ذلك من الاسماء المشتقة التي يستحيل تسمية الله تعالى بها دون ان تقوم به مصادرها الاشتقاقية وهي الصفات القائمة بذاته تعالى من العلم والحياة والسمع والبصر الخ ولو لم يكن الا الذات لكان العلم قدرة والقدرة ارادة ثم كيف تكون الذات الالهية مجردة عن كمالاتها ثم يكون لها علم بالاشياء .

---

(١) انظر الجامع الصحيح من ص ٣٥ الى ص ٦٠

أو قوة عليها او ارادة لها .

ان من المستحيل وجود الذات بدون صفات وهكذا يستحيل خلو الذات الالهية من صفاتها القائمة بها .

هذا ولم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة او السلف الصالح مثل هذا النفي لصفات الله تعالى عن ذاته بل نعتوه سبحانه وتعالى بكل نعوت الكمال والعظمة والجلال ، دون ان يجدوا فيما اثبتوه له تشبيها له سبحانه وتعالى بخلقه فكما تنزهت ذاته عن مشابهة ذوات المخلوقين فكذلك تتنزه صفاته عن مشابهة صفاتهم .

وفيما يتعلق بالصفات الخبرية التي اولها الاباضية - سواء منها صفات الذات او صفات الفعل - فانهم لم يفعلوا اكثر من ترديدهم لما قاله غيرهم من المأولة .

ومذهب السلف في امثال هذه الصفات هو ما قاله عنهم ابن تيمية من " أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل " (١) وهذا هو التوحيد في الصفات كما سماه بذلك في كتابه الرسالة التدمرية . (٢)

ويقول ابن القيم " لا ريب ان الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه باسماء واخبر عن نفسه بأفعال واخبر انه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط ويجيء ويأتي وينزل الى السماء الدنيا وانه استوى على عرشه وان له علما وحياة وقدرة وارادة وسمعا وبصرا ووجها وان له يدين وانه فوق عباده وان الملائكة تعرج اليه وتتنزل من عنده وأنه قريب وانه مع المحسنين ومع

---

(١) الفتوى الحموية ص ١٠١

(٢) الرسالة التدمرية ص ٦

الصابرين ومع المتقين وان السموات مطويات بيمينه ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وان قلوب العباد بين اصابعه وغير ذلك " (١)

ثم استمر ابن القيم بعد هذا الكلام في مناقشة المتأولة لتلك الصفات مثبتا في مواضع كثيرة راى السلف وطريقتهم في اثبات تلك الصفات لله تعالى على ما يليق بجلال الله وعظمته دون تعطيل او تمثيل او تأويل مما يطول المقام لو نقلنا كلامه فيه .

ويقول ابن تيمية " ومن تمام التوحيد ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ويصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل " . (٢)

فقد وصف الله نفسه بعدة صفات فقال تعالى " ويبقى وجه ربك " وقال تعالى " بل يداه مبسوطتان " وقال تعالى اخبارا عن عيسى انه قال " تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك " وقال تعالى " وجاء ربك " وقوله " هل ينظرون الا ان يأتيهم الله " وقوله " رضي الله عنهم ورضوا عنه " وقوله " يحبهم ويحبونه " وقوله في الكفار " غضب الله عليهم " وقوله " اتبعوا ما اسخط الله " وقوله " كره الله انبعاثهم " وقوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " وكذا قوله " أأمنتم من في السماء " .

ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله " ينزل ربنا الى سماء الدنيا " وقوله " يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة " وقوله

---

(١) مختصر الصواعق من ص ١٦ الى ص ٢٩ .
(٢) درء تعارض العقل والنقل ص ٢٨٤ جـ ١

" يضحك الله الى رجلين قتل احدهما الآخر ثم يدخلان الجنة " وقوله للجارية " اين الله قالت في السماء قال اعتقها فانها مؤمنة " وفي اثبات ما تقدم يقول ابن قدامه رحمه الله " فهذا وامثاله مما صح سنده وعدلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين ونعلم ان الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " وكل ما يتخيل في الذهن او خطر بالبال فان الله تعالى بخلافه ".(١)

وهكذا يرد مذهب السلف في الصفات الخبرية كل ما ادعاه الاباضية وغيرهم من المأولة من ان اثبات هذه الصفات يؤدي الى التشبيه واثبات الجوارح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاثبات الكتاب والسنة لتلك الصفات هو في حدود قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله تعالى " قل هو الله احد الله الصمد " وهذا التنزيه لا يتنافى مع اثبات الكمالات لله تعالى ، وحسبك ان ترى آية التنزيه في القرآن اثبتت لله صفتي السمع والبصر قال تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " فسمعه وبصره ليس كأسماعنا وابصارنا وهكذا كل ما وصف الله به من الصفات واسند اليه من الافعال .

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد ص ١٢ـ١٤

٢ - رؤيـة الله تعالى :

لقد كثر الجدل بين علماء الفرق حول مسألة رؤية الله ، واخذ كل فريق يؤيد مذهبه بأدلة يزعم انها تؤيد ما يذهب اليه من اثبات الرؤية او نفيها .

اما فيما يتعلق بفرضنا هنا وهو بيان موقف الخوارج بصفة عامة والاباضية منهم بصفة خاصة من هذه المسألة ، فان الخوارج يذهبون الى استحالتها تنزيها لله بزعمهم - يقول النووى " زعمت طائفة من اهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا " (١)

ويقول ابن ابي العز " المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والامامية " (٢)

وقد استدل الاباضية على نفيها من القرآن الكريم بقوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " الانعام : ١٠٣

ويصف صاحب كتاب الاديان هذا الدليل بانه يقرر ان " الله سبحانه نفى عن نفسه الرؤية بآية محكمة غير متشابهة ولا متصرفة في المعانى وهو قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " (٣)

ويستدلون ايضا بقوله تعالى " قال رب ارنى انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني " الاعراف : ١٤٣

---

(١) شرح النووى ج ٣ ص ١٥

(٢) شرح الطحاوية ص ١٢٩

(٣) كتاب الاديان والفرق ص ٥١

ويرد صاحب كتاب الاديان على من يحتج بقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " سورة القيامة : ٢٢: ٢٣

الذي يستدل به على اثبات الرؤية ـ يرد عليه ـ بتأويل الآية تأويلا بعيدا لا يخفى فيه التكلف والتعسف وهو من التأويلات المذمومة .
فقد فسر ناضرة بانها حسنة مشرقة مستبشرة بثواب ربها " وفسر " الى ربها ناظرة " اى منتظرة لما يأتيها من خيره واحسانه " .

واستشهد بعدة ابيات شعرية على ان ناظرة تأتي بمعنى منتظرة ومنها قول الشاعر :

فان يك صدر هذا اليوم ولى   فان غدا لناظره قريب

وبعد ان اورد تلك الشواهد قال : " فقد دل الكتاب واللغة على صحة ما ذهبنا اليه وبطلان ما ذهب اليه مخالفونا " (١) ويعني بهم المثبتون للرؤية .

اما من السنة فقد استدلوا باحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم " في حديث مسروق الذي يرويه عن عائشة رضى الله عنها " يا امتاه هل رأى محمد ربه ليلة الاسراء فقالت لقد قف شعرى (اى قام فزعا) مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء " الخ الحديث كما رواه صاحب وفاء الضمانة الاباضى (٢) . ثم قال معقبا عليه " والحديث دليل لاصحابنا كالمعتزلة على نفى الرؤية

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢
(٢) وفاء الضمانة ص ٣٧٦/ ٣٧٧

دنيا واخرى لان ما كان نفيه تنزيها يكون عاما في الدنيا والاخرة •

وقد اورد الربيع بن حبيب الاباضي في صحيحه عدة احاديث في نفي الروئية منها قوله : " قال الربيع بلغني عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه خرج ذات يوم فاذا هو برجل يدعو ربه شاخصا بصره الى السماء رافعا يده فوق رأسه فقال له ابن عباس ادعو ربك بأصبعك اليمنى واسأل بكفك اليسرى واغضض بصرك وكف يدك فانك لن تراه ولن تناله فقال الرجل ولا في الاخرة ؟ قال ولا في الاخرة فقال الرجل فما وجه قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال ابن عباس الست تقرأ قوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " ثم قال ابن عباس ان اولياء الله تنضر وجوههم يوم القيامة وهو الاشراق ثم ينظرون الى ربهم متى يأذن لهم في دخول الجنة بعد الفراغ من الحساب " ثم اورد روايات كثيرة عن ابن عباس في نفي الروئية لله تعالى •

والملاحظ هنا ان المؤلف اورد اولا في هذا الحديث عن ابن عباس انه نفى روئية الله في الدنيا والاخرة في اجابته للسائل ، ثم اورد اخيرا عن ابن عباس اثبات الروئية لاولياء الله وذلك في قوله " ثم ينظرون الى ربهم متى يأذن لهم في دخول الجنة " • (١)

ومن الامثلة ايضا قوله " قال حدثنا افلح بن محمد عن ابي معمر السعدى عن على بن ابي طالب في قوله " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال تنظر وجوههم وهو الاشراق " الى ربها ناظرة " قال تنظر متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة " ثم قال الربيع ايضا " وقال على ابن ابي طالب

---

(١) مسند الربيع ج ٣ ص ٣٥ •

وعبد الله بن عباس وعائشة ام المؤمنين ومجاهد وابراهيم النخعي ومكحول الدمشقي وعطا ابن يسار وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وابو صالح صاحب التفسير وعكرمة ومحمد بن كعب وابن شهاب الزهرى ان الله لا يراه احد من خلقه • (١)

ومما يجدر ذكره هنا تعليقا على ما اسند الى هؤلاء الصحابة والتابعين من نفى الرؤية ان ابن تيمية نفى ان يكون قد ورد عن احد من السلف نفى الرؤية في الاخرة بقوله " ولم يثبت عن احد منهم (يعنى ابن عباس وعائشة وابي ذر رضى الله عنهم) اثبات الرؤية بالعين في الدنيا كما لم يثبت عن احد منهم انكار الرؤية في الاخرة " (٢) وما كان للصحابة ان ينفوا الرؤية بعد ما اثبتها الله لنفسه واثبتها رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ناقش الورجلاني ايضا بحث الرؤية بفصل طويل في كتابه الدليل لاهل العقول ورد على الاشعرى اثباته لرؤية الله في الدار الاخرة وخطأه فيما لم يخطيء فيه • (٣)

ويقول صاحب كتاب العقود الفضية منهم كذلك نافيا امكان رؤية الله تعالى •

" فالاباضية يمنعون ذلك ، والمنع قول عائشة من الصحابة وقتادة والزمخشرى وغيرهم من المعتزلة والشيعة والحجة " قوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " والادراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير ، فنفى ذلك عن نفسه ، وقوله تعالى لموسى عليه السلام " لن تراني ، وهو يقتضى

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ٤ ص ٦٥

(٣) الدليل لاهل العقول ص ٦٣ ـ ٦٨

التأييد ، والاحاديث الواردة احادية ، وتقبل التأويل لتنطبق مع الايات ، ولأنه يلزم من يقول بالروئية اثبات الجهة واللون لله تعالى وهو باطل " (١)

وكل هذه الحجج التي اوردها الحارثي حجج باطلة مردودة على من قال بها لان استدلاله بالايات غير صحيح وليست قاطعة في نفى الروئية في الدار الاخرة .

وما اسنده الى ام الموءمنين عائشة وغيرها من الصحابة في نفي الروئية في الاخرة فهو غير صحيح ايضا عند السلف كما يذكر شيخ الاسلام ابن تيمية . (٢)

واما الزمخشرى والمعتزلة والشيعة ، فليسوا بحجة في مثل هذه المسائل التي لا تثبت الا بالنقل الصحيح ، والنقل الصحيح ولله الحمد انما هو في جانب اهل الحق القائلين باثبات روئية ربهم يوم القيامة .

نعم ان الابصار لا تدركه تعالى ولا تحيط به ولكنها تراه كما يليق بجلاله وهذا لم تنفه الآية بل قد تفيد اثبات الروئية اذ ان نفى الادراك يقتضى اثبات الروئية من غير ادراك ولا احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره كما قال النووى . (٣)

وهو ... ما عليه اكثر العلماء ، يقول ابن تيمية :

" وكذلك لا تدركه الابصار انما نفى الادراك الذى هو الاحاطة كما قاله اكثر العلماء " (٤)

---

(١) العقود الفضية ص ٢٨٧
(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل جـ٤ ص ٦٥
(٣) شرح النووى على مسلم جـ ٣ ص ٦
(٤) الرسالة التدمرية ص ٢٥

وقد جزم اسماعيل بن علية بان المراد بقوله تعالى " لا تدركه الابصار " أي في الدنيا . (١)

واما استدلاله بقول الله لموسى " لن تراني " على نفى الرؤية مطلقا فهو غير صحيح وقد علق الله رؤيته على ممكن وهو استقرار الجبل والمعلق على الممكن ممكن .

واما تفسير صاحب كتاب الاديان لناظرة بمعنى " منتظرة " فانه غير صحيح في هذا المقام وذلك لان النظر " اذا وصل بالى تعين للرؤية ولا يجوز حمله على الثواب فان نفس رؤية الثواب لا يكون انعاما وقد اورد النظر في معرض الانعام واللفظ نص في رؤية البصر بعد ما نفيت عنه التأويلات الفاسدة " . (٢)

وقد قال الهراس عن تأويل ناظرة بمعنى منتظرة وان الى بمعنى النعمة والتقدير ثواب ربها منتظرة) قال عن هذا التأويل انه " تأويل مضحك " . (٣)

ويقول الميزابي مستدلا على نفى الرؤية " الحمد لله الذى لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة لان الرؤية توجب الحلول واللون والتحيز والطول والعرض والجهات والتركيب والعجز والحدوث وغير ذلك من صفات الخلق " (٤)

ويقول على يحيى معمر ان المتطرفين من الاباضية " يفرون من كل

---

(١) كتاب السنة ص٥٨ جـ ١

(٢) نهاية الاقدام ص ٣٦٩

(٣) شرح العقيدة الواسطية ص٨٦

(٤) الحجة في بيان المحجة ص ٥ وانظر غاية المراد ص ٧ .

ما يوهم التشبيه ولو بتأويل بعيد فرارا شديدا " (١) ويذكر عن امامهم جابر بن زيد انه اقتدى بالصحابة في نفي الرؤية مثل حديث عائشة رضى الله عنها " من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية " (٢)

والواقع ان هذا النفى هنا انما هو في الدنيا اى ان ام المؤمنين لم تنف وقوع الرؤية في الاخرة وانما نفت وقوعها قبل يوم القيامة ٠

ولكن الاباضية وهم ينفون الرؤية عمموا دلالة الحديث ليستقيم لهم الاستدلال به على نفى الرؤية مطلقا ٠

وقد حاول على معمر ان يوفق بين المثبتين للرؤية من السلف والنافين لها من الخوارج والمعتزلة وغيرهم من اهل البدع فذهب الى القول بأن بعض علماء اهل السنة يقولون بأن الرؤية معناها حصول كمال العلم بالله تبارك وتعالى وعبر عنها اخرون منهم بان الرؤية ـ فيما يقول ـ تقع بحاسة سادسة هي كمال العلم ، ثم قال :

" واختلف تعابيرا لكثير منهم ولكنها تتلاقى في النهاية على نفى كامل الصورة التي يتخيلها الانسان لصورة رائى ومرئي وما تستلزمه في حدود وتشبيه وتتفق في النهاية على الابتعاد عما يشعر بأى تشبيه في اى مراتبه بالمحدودية في كل اشكالها " (٣) وقال مثبتا رأى المعتدلين منهم في الرؤية " المعتدلون من الاباضية لا يمنعون ان يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى ويمنعون الرؤية بالصورة المتخيلة

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٢٢٧ ٠

(٢) الاباضية في موكب التاريخ ص ٦٠

(٣) الاباضية بين الفرق ص ٢٤٥

عند النـــاس ". (١)

والواقع ان كمال العلم شيء والروئية شـــيء آخر لان الروئيـــة انكشاف تام لا يكون الا عن طريق الابصار ، اما كمال العلم فهو بالعقل .

وتفسير الروئيـة بالكمال في العلم تاويل للفظها بغير ما يستعمـل به في العربية .

ثم ان الروئية لا تستلزم التشبيه في جانب الله تعالى والاتصـاف باوصاف الحوادث التي ذكروها لانها روئيـة لله كما يليق بذاتـه ويجـرى الامر في مسألة الروئيـة على نحو ما يجـرى عليه من صفات الله تعالـى وافعالـه من تنزهه فيها عن مشابهة المخلوقيـن وحيث لا تتساوى ذاته بذواتهـم فلا يلزم من روئيتهم له ما يلزم من روئية بعضهم لبعض .

واذا انتهينا الى هذا الحد من الرد على المانعين لروئية الله تعالـى نقلا وعقلا ، فاننا نقرر هنا ان السلف يذهبون الى اثبات ما اثبته الله لنفسـه وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم اثباتا حقيقيا بعيدا عن تأويلات اهل البدع الذين يذهبون الى نفى روئية الله تعالى التي ثبتت صحتها ووجب اعتقادهـا على كل مسلم بعد ان دلت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية على صحـة وقوعها يوم القيامة .

لقد ثبت باجماع السـلف والائمة ان الله تعالى يرى في الاخـرة يراه اهل محبته ورضـوانه وهو خير ما وعد الله به عباده المؤمنين بل هو كمـال

(١) المصدر السابق ص٢٤٦

النعيم في الدار الاخرة كما قال ابن القيم (١) رحمه الله ، لا يشك في صحة وقوعه الا اهل البدع والضلالات .

ويطول بنا القول لو اردنا اثبات الأدلة على الرؤية واقوال السلف في هذا الامر ومن تلك الادلة التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " وقوله تعالى " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " فقد فسرت الزيادة بأنها النظر الى الله تعالى كما ذهب اليه علماء السلف . (٢)

وقوله تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون " يقول الدارمي " ففي هذا دليل ان الكفار كلهم محجوبون عن النظر الى الرحمن عز وعلا وان اهل الجنة غير محجوبين عنه " (٣)

ومثله قوله تعالى " ولدينا مزيد " فسرها انس بن مالك " بأن الله يتجلى لهم كل جمعة " . (٤)

ومن السنة ما جاء عن جرير قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر قال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا " . (٥)

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم أيما والد جحد ولده احتجب الله

---

(١) طريق الهجرتين ص ٥٩

(٢) انظر الرد علي الجهمية ص ٤٦ وانظر ص ٥٢ وانظر كتاب السنة ص ٤٥

(٣) الرد على الجهمية ص ٤٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٥) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٧٩ .

منه وفضحه على رؤوس الاولين والآخرين " قال ابو سعيد " ففي هذا الحديث دليل انه اذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض " (١)

وكذا ما جاء عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " (٢)

فلا اعتبار لكلام هؤلاء المبطلين في نفى الرؤية مع قول الله عز وجل وقول رسوله الكريم وقول السلف الصالح الذين لهم القدم الراسخة في العلم .

يقول الطحاوى " والرؤية حق لاهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " ويقول ابن ابي العز معلقا على هذا الكلام " المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والامامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وائمة الاسلام المعروفون بالامامة في الدين واهل الحديث وسائر طوائف اهل الكلام المنسوبون الى السنة والجماعة " (٣)

ويقول ابن تيمية " ان كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت باجماع السلف والائمة مثل ما روى اللالكائي عن علي بن ابي طالب انه قال ان من تمام النعمة دخول الجنة والنظر الى الله في جنته .

وعن عبد الله بن مسعود انه قال في مسجد الكوفة وبدأ باليمين قبل الحديث فقال : " والله ما منكم من انسان الا ان ربه سيخلو به يوم القيامة

---

(١) الرد على الجهمية ص ٤٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٩ .
(٣) شرح الطحاوية ص ١٢٩

كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ماغرك بي يا ابن آدم (ثلاث مرات) ماذا اجبت المرسلين (ثلاثا) كيف عملت فيما علمت "

وعن اشهب قال : وسئل مالك عن قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " اينظر الله عز وجل قال نعم ، فقلت ان اقواما يقولون ينظر ما عنده ، قال بل ينظر اليه نظرا .

وعن الاوزاعي انه قال اني لأرجو ان يحجب الله جهما واصحابه افضل ثوابه الذى وعده اولياءه حيث يقول (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ـ فجحد جهم واصحابه افضل ثوابه الذى وعد اولياءه "

وعن عبد الله بن المبارك قال ما حجب الله عنه احدا الا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) قال بالرؤية " (١)

ومن اراد التوسع في هذا فان في كتابات شيخ الاسلام ابن تيمية غنى لكل طالب وقد جاء في كتابه " بيان تلبيس الجهمية " بعدة اقوال عن علماء السلف كلها تثبت وقوع رؤية الله تعالى ولابن القيم في كتابه " حادى الارواح "(٢) فصل طويل اورد فيه مالا مزيد بعده من النقل والاحتجاج لاثبات الرؤية وابطال كل ما احتج به اهل البدع من نفيها ادلة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واقوال الائمة الاربعة .

وخلاصة القول في هذه المسألة ان رؤية الله تعالى تعتبر عند السلف امرا معلوما من الدين بالضرورة لا يمارى فيها احد منهم .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ص ٤١٥/٤١٨

(٢) انظر حادى الارواح ص١٩٦ الى ص ٢٤٠ وانظر الابانة ص١٠ و ص ١٢ـ١٩ وانظر " الرد على الجهمية ص ٥٣/ ٥٤ ، لمعة الاعتقاد ص ١٩ .

٣ ـ القول بخلق القرآن :

هذه المسألة من المسائل التي اخذت من الوقت والجهد وشدة الجدال بين ارباب المذاهب الكلامية اكثر مما ينبغي لها ، فقد سفكت بسببها دماء كثيرة وجرت من اجلها محن عظيمة وبلايا متتالية على العلماء في زمن المأمون والمعتصم ، واشتد الامر وغصت السجون بالمخالفين فيها القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود .

وكان اكبر من تزعم تلك الفتنة ابن ابي دؤاد الذى اشتهر بانه من اكابر من ناضل في سبيل القول بخلق القرآن فغلب المأمون على امره ووقع تحت تاثيره وجرى ما قد كتبه الله في سابق علمه .

ولست الان بصدد التاريخ لما حدث في تلك الفتنة وانما نقصد هنا بيان رأى الخوارج في مسألة القول بخلق القرآن ، الذى لم يعد ولله الحمد يذكر على لسان احد الا في بطون الكتب وبين العلماء .

لقد ذكر علماء الفرق ان الخوارج قد قالوا بخلق القرآن واعتقدوه حقا لا يمارى فيه بزعمهم ولهم شبه واهية وتاويلات بعيدة وفي ذلك يروى الاشعرى ان الخوارج كلهم يقولون بأن القرآن مخلوق باجماع منهم على هذا الحكم فيقول :ـ " والخوارج جميعا يقولون بخلق القرآن " .(١)

ويقول ابن جميع الاباضى في مقدمة التوحيد " وليس منا من قال ان ـ القرآن غير مخلوق " (٢) وقد بين الورجلاني الاباضى ادلتهم على خلق القرآن وناقش فيه المخالفين لهم بقوله " والدليل على خلق القرآن ان لاهل الحق

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٣

(٢) مقدمة التوحيد ص ١٩ .

عليهم ادلة كثيرة واعظمها استدلالهم على خلقه بالادلة الدالة على خلقهم هم فان أبوا من خلق القرآن أبينا لهم من خلقهم ، وقد وصفه الله عز وجل في كتابه وجعله قرآنا عربيا مجعولا " (١)

ثم جاء بالادلة وهي الآيات التي ذكر فيها نزول القرآن وهي كثيرة مثل قوله تعالى :

" انا انزلناه في ليلة القدر " القدر : ١ وقوله تعالى : " نزل به الروح الامين " الشعراء : ١٩٣ وقوله " انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين " الدخان : ٣ وغيرها من الآيات ، ويقول الحارثي الاباضي في اثبات رأي الخوارج في القول بخلق القرآن ايضا " فعند المحققين من الاباضية انه مخلوق اذ لا تخلو الاشياء اما ان تكون خالقا او مخلوقا وهذا القرآن الذي بايدينا نقرؤه مخلوق لا خالق لانه منزل ومتلو وهو قول المعتزلة " (٢).

وفيما يتعلق بموقف السلف في هذه القضية فانهم يمتنعون عن وصف القرآن بما لم يوصف به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى السنة الصحابة من انه مخلوق او غير مخلوق وفي هذا يقول ابن تيمية مبينا راى السلف في هذه المسألة :

" وكما لم يقل احد من السلف انه مخلوق فلم يقل احد منهم انه قديم لم يقل واحدا من القولين احد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا من بعدهم من الائمة ولا غيرهم بل الاثار متواترة عنهم بانهم كانوا يقولون القرآن كلام الله " (٣)

---

(١) الدليل لاهل العقول ص ٥٠ ثم انظر ص ٦٨ـ٧٢

(٢) العقود الفضية ص ٢٨٧

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢٠ (كتاب مذهب السلف القديم).

ويقول ابن قدامه " ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود " (١)

وقد كفر كثير من علماء السلف من قال بخلق القرآن اورد منهم الاشعرى عددا كثيرا ثم قال " ومن قال ان القرآن غير مخلوق وان من قال بخلقه كافر من العلماء وحملة الاثار ونقلة الاخبار لا يحصون كثرة " ويقول ايضا " وقد احتججنا لصحة قولنا ان القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل وما تضمنه من البرهان واوضحه من البيان ولم نجد احدا ممن تحمل عنه الاثار وتنقل عنه الاخبار ويأتم به المؤتمون من اهل العلم يقول بخلق القرآن وانما قال ذلك رعاع الناس وجهال من جهالهم لا موقع لقولهم " (٢)

ومثله ما اورده الدارمي والامام احمد بن حنبل من اقوال العلماء السلف يكفرون فيها من قال بخلق القرآن (٣) وهي اقوال كثيرة لا حاجة بنا الى سردها هنا لأن مضمونها كما قلنا واحد وهو اثبات القول بعدم خلق القرآن وتكفير من قال بخلقه .

واما احتجاج القائلين بخلق القرآن بقوله تعالى " انا جعلناه قرآنا عربيا " الزخرف : ٣ اى خلقناه قرآنا عربيا فهذا احتجاج باطل اذ ان جعل التي بمعنى خلق تتعدى الى مفعول واحد وهنا تعدت الى مفعولين فهي ليست بمعنى خلق .

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ١٧

(٢) انظر الابانة ص ٢٩ وانظر شرح الطحاوية ص ١٠٦

(٣) انظر كتاب السنة ص ١٥ الى ص ٢٩ الرد على الجهمية من ص ٨٥ الى ٨٩

وينقض ايضا احتجاجهم هذا قوله تعالى " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا " سورة الزخرف : ١٩ "

وكذا قوله تعالى " ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا " النحل : ٩١ .

فهل يصح جعل في هاتين الآيتين وامثالهما بمعنى خلق هذا لا يمكن . فلو كانت جعل تأتي بمعنى خلق دائما على ما قالوه لكان المعنى واضحا وهو أن قريشا خلقت الملائكة ، وكذا الاية الاخرى " وقد جعلتم الله عليكم كفيلا " تعالى الله وتقدس .

واما الاحتجاج على خلقه بانزاله فان هذا لا دلالة لهم فيه وذلك ان الانزال او النزول لا يعرف من اطلاقه على الحقيقة الا انه هبوط من مكان عال الى مكان اسفل منه وقد اثبت الله تعالى ان القرآن منزل منه تعالى بمعنى انه تكلم به الى نبيه عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام الذى نزل به الى قلب سيد المرسلين وهذا هو الواضح والمعروف فيه ولهذا فقد فهمه الصحابة ولم يبحثوا فيما وراءه لعلمهم بانه غير مقصود ، ولكن الجهلة من المبتدعة القائلين بخلقه تجاوزوا هذا الامر الواضح وتعسفوا النصوص على ما يوافق اهواءهم المنحرفة ، مع ان النزول والتنزيل والانزال في الحقيقة كما يقول العلامة ابن القيم " مجيء الشيء او الاتيان به من علو الى اسفل هذا المفهوم منه لغة وشرعا " (١) ولا يلزم منه خلق المنزل فقد أسند النزول الى الله عز وجل وهو قديم ، كما وصفه به رسوله انه ينزل الى سماء الدنيا .

---

(١) مختصر الصواعق ص ٢٧٨

وقد حاول على يحيى معمر الاباضى ان يجعل الخلاف بين القائلين بخلق القرآن وبين النافين له خلافا لفظيا اذا اهمل جانبا التطرف ـ كما يقول ـ ويعني به انه لما اشتد الجدل بين الطرفين في مسألة خلق القرآن انقسموا الى فريقين " فتطرف جانب حتى زعم ان المصاحف والحروف قديمة ، وتطرف جانب اخر حتى نفى صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى " (١) ويرى أنه " يكفي ان يلتقى المسلمون على حقيقتين في هذا الموضوع هي ان الله تبارك وتعالى سميع بصير متكلم ، وان القرآن الكريم كلام الله عز وجل انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم " (٢) ولا شيء فيما يريد على معمر ان يجمع عليه الناس في هذه القضية لولا انه لم يوضح رأيه في خلق القرآن بل اكتفى بالقول بانه كلام الله انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو كذلك لولا ان الاباضية يستدلون على خلق القرآن بانزاله فلا يكفى اذا ما رآه كافيا للتوفيق بين القائلين بخلق القرآن او انزاله وبين القائلين بعدم خلقه .

هذا ولا بد من الاشارة الى ان بعض العلماء من الاباضية قد خرج عن القول بخلق القرآن ، فصاحب كتاب الاديان وهو اباضى يرد على المعتزلة ويبطل قولهم بخلقه فيقول " فان عارض معارض واحتج بقول الله سبحانه (خلق السموات والارض وما بينهما) السجدة : ٤ فكل شيء بين السماء والارض فهو مخلوق قلنا لهم وقد قال الله تعالى " وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق " الحجر : ٨٥ فالحق الذى خلق به السموات والارض وما بينهما هو كلامه وهو خارج عن الاشياء " (٣)

---

(١) و (٢) الاباضية بين الفرق ص ٢٤٤/ ٢٤٥

(٣) نقلا عن اراء الخوارج ص ١٥٤/ ١٥٥

ومن ائمة الاباضية القائلين بان القرآن غير مخلوق ايضا ابو النضر العماني فانه كان ينكر ذلك القول انكارا شديدا وله قصيدة طويلة يرد بها على القائلين بخلق القرآن بلغت خمسة وسبعون بيتا وهي قصيدة جيدة فيها ابطال كل ما احتج به القائلون بخلقه يقول في هذه القصيدة :

يا من يقول بفطرة القرآن   جهلا ويثبت خلقه بلسان

لا تنحل القرآن منك تكلفا   ببدائع التكليف والبهتان

هل في الكتاب دلالة من خلقه   او في الرواية فأتنا ببيان

الله سماه كلاما فادعه   بدعائه في السر والاعلان

الا فهات وما اظنك واجدا   في خلقه يا غر من برهان (١)

ثم شرع في الرد بالتفصيل مبينا ان الجعل في قوله تعالى " انا جعلناه قرآنا عربيا " ليس نصا صريحا في الخلق ثم استدل بدعاء ابراهيم الوارد في قوله تعالى " رب اجعل هذا البلد آمنا " ابراهيم : ٣٥ وقوله " ربي اجعلني مقيم الصلاة " ابراهيم : ٤٠ الخ .

وعلى كل حال فان الخوارج لم يقتصروا على القول بخلق القرآن بل كانت منهم طائفتان اقدمتا على ما لم يخطر على بال مسلم مؤمن بأن القرآن كله كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وانه كله حق من فاتحته الى خاتمته لم يدخله باطل في كل آياته ـ لم يخطر هذا القول في حسبان مسلم يؤمن بالله ربا ومحمد نبيا فضلا عن اعتقاده ، هاتان الطائفتان هما العجاردة والميمونية فقد انكرتا سورة يوسف وادعتا بانها ليست من القرآن وحجتهم في هذا ان القرآن جاء بالجد وسورة يوسف اشتملت على قصص الحب ـ

---

(١) انظر كتاب الدعائم ص ٣١ ـ ٣٥

والعشـــق ، وقد جزم كثير من العلماء بصحة ما نسب الى الميمونية والعجـــاردة في هذا الاعتقاد وان كان الاشعرى قد حكى عنهم هذا القول وهو غير جـــازم بصحته حيث قال " وحكى لنا عنهم ما لم نتحققه انهم يزعمون ـ يعنـــى العجاردة ـ ان سورة يوسف ليست من القرآن " (١)

وتبعه الشهرستاني فذكر هذا القول على انه قد حكى عنهـــم ، ولكن صاحب كتاب الاديان يقول عنهم " وينكرون سورة يوسف انها ليست من القرآن ويقولون هي قصـــة من القصص خلافا لأهل الاستقامـــة ـ يعنى بعضهم الاباضية ـ يقولون القرآن كله كلام الله " (٢) وكما قال الاشعرى في العجاردة ، قال فـــي الميمونية ،فحكى عنهم هذا القول وهو غير متثبت من صحته ، ولكن البغدادى قـــد بين سـند هذا القول اليهم بأنه من حكاية الكرابيسى وذلك في قوله :

وحكى الكرابيسى عن الميمونية من الخوارج انهم انكروا ان تكـــون سورة يوسف من القرآن ومنكر بعض القرآن كمنكر كله " (٣) ويزيد الشهرستانـــي في السند الكعبى والاشعرى فيقول " وحكى الكعبي والاشعرى عن الميمونيـــة انكار كون سورة يوســـف من القرآن " (٤) ويجزم صاحب كتاب الاديـــان والفرق بأن ميمونا انكر ســورة يوسـف انها من القرآن وذلك في قولـــه عنه " وانكر سورة يوسف انها ليســت من القرآن على قول عبد الكريـــم بن عجرد " (٥)

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٨ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨
(٢) قطعة من كتاب في الاديان ص ١٠٤
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨١
(٤) الملل والنحل ج١ ص ١٢٩
(٥) الاديان والفرق ص ١٠٤ .

٤ ـ القـــدر :

الخوارج في مسـألة القدر ثلاث طوائــف •

الطائفة الاولى : منهم ذهبت الى القول بانكار القدر ، والقول بخلق الانســان لافعاله الاختيارية وهم بهذا الرأى يذهبون الى قول القدرية •

وتضم هذه الطائفة من فرق الخوارج الميمونية ، والحمزية والحارثيـــة والشبيبية • وقد ذهبت الميمونية الى القول بان الله تعالى لما خلق الخلق اودع فيهــم القدرة على اختيار كل ما يريدون من افعال واعمال ليس لله مع مشيئتهم مشيئـــة فهم الخالقون لافعالهم خيرها وشرها دون ان يكون لله في ذلك اى اثـــر قال الاشعرى عنهم " والذى تفردوا به القول بالقدر على مذهب المعتزلة وذلـــك انهم يزعمون ان الله سبحانه فوض الاعمال الى العباد وجعل لهم الاستطاعـة الى كل ما كلفوا فهم يستطيعون الكفر والايمان جميعا ، وليس لله سبحانه وتعالى في اعمال العباد مشيئة وليست اعمال العباد مخلوقة لله " (١)

ومثل هذا ما اورده البغدادى عنهم (٢) ويقول عنهم الشهرستانـــي " الميمونية اصحاب ميمون بن خالد كان من جملة العجاردة الا انه تفرد عنهـــم باثبات القدر خيره وشره من العبد واثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا واثبـــات الاستطاعة قبل الفعل والقول بأن الله تعالى يريد الخير دون الشـــر وليـــس له مشيئة في معاصى العباد " (٣)

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٧•
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٠
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩ •

ومثل قول الميمونية في القدر قالت الحمزية فصارت هذه الفرقة قدرية ، وهم ينسبون الى زعيمهم حمزة بن اكرك الذى كان في الاصل من العجاردة الخازمية فلما قال في القدر بقول القدرية اكفرته الخازمية وتبرأت منه . (١)

وقد خرجت عن فرقة الاباضية فرقة تسمى الحارثية اتباع حارث الاباضي هذه الفرقة قد مالت الى القدرية فقالوا بقولهم مخالفين سائر فرق الاباضية فيذكر الاشعرى عنهم انهم " قالوا في القدر بقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر الاباضية " (٢) ولكن " اكفرهم سائر الاباضية في ذلك " (٣)

وممن قال في القدر بقول القدرية من الخوارج ايضا الشبيبية وهم اتباع شبيب فقد قالت هذه الفرقة بقول المعتزلة فبرئت منهم البيهسية وكانت تقول " ان الله تعالى فوض الى العباد ، فليس لله في اعمال العباد مشيئة " (٤)

الطائفة الثانية :

وهم الذين ذهبوا الى القول بالجبر كما قال جهم بن صفوان وهم طائفة من الازارقة زعموا ان العبد مجبر على افعاله وانه لا استطاعة له اصلا ، وقد ذكرهم ابن حزم ووصفهم بانهم يوافقون قول جهم بن صفوان في هذا الباب. (٥)

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٧ ، الفرق بين الفرق ص ٩٨ .
(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٤ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٥
(٤) المقالات ج ١ ص ١٩٤ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧ .
(٥) الفصل : ج ٣ ص ٢٢

ومثل هذه الطائفة من الازارقة فرقة الشيبانية فانها تقول بالجبر ايضا كالجهم فيما يذكر الشهرستاني عنهم بقوله " ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر ووافق جهم بن صفوان في مذهبه الى الجبر " (١)

أما الطائفة الثالثة : فهم المعتدلون الذين قالوا بقول اهل السنة في اثبات القدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى وان الله خالق كل شيء وان الانسان فاعل لافعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها .

وقد ذهب الى هذا القول بعض فرق الخوارج كالاباضية ، وكفرق اخرى مثل الشعيبية اصحاب شعيب الذى انفصل عن الميمونية فاثبت شعيب خلافا لميمون خلق الله لاعمال العباد وعموم مشيئته كما قال الاشعرى ومثله البغدادى والشهرستاني في حكايتهم لاعتقاده بانه يقول " ان الله تعالى خالق اعمال الخلق والعبد مكتسب لها قدرة وارادة مسئول عنها خيرا او شرا مجازى عليها ثوابا وعقابا ولا يكون شيء في الوجود الا بمشيئة الله تعالى " (٢)

وعلى مثل هذا الاعتقاد فرقة الخلفية ، اصحاب خلف ، هذه الفرقة اثبتت القدر والاستطاعة والمشيئة وقالت في هذه الثلاثة بقول اهل السنة فاضافوا القدر خيره وشره الى الله تعالى " (٣) ، وكانت لهم معارك حامية مع الحمزية اتباع حمزة بن اكرك في بلاد كرمان حربا وجدالا ، ومثلها تماما في الاعتقاد فرقة الخازمية كما نص على ذلك الاشعرى والبغدادى والشهرستاني فقالوا لا خالق الا الله ولا يكون الا ماشاء الله وان الاستطاعة مع الفعل ، وكفروا الميمونية لميلهم الى القدرية في هذا الباب .

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٣

(٢) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣١ المقالات ج ١ ص ١٧٨ الفرق بين الفرق ص ٩٥

(٣) المقالات ج ١ ص ١٧٧ الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠ ، الفرق ص ٩٦ رسالة الدبسى ص ٣٠ .

ومن قال باثبات القدر وان افعال العباد مخلوقة لله تعالى من فرق الخوارج المجهولية كما اثبت الاشعرى والشهرستاني وغيرهما من علماء الفرق عنهم ذلك الاعتقاد .

اما رأى الاباضية في باب القدر فهم يؤمنون بان الله خالق كل شيء خلق العبد وفعله وهم يبتعدون عن مذهبي الجبرية والقدرية فيقولون افعالنا خلق من الله ونحن المكتسبون لها والمجازون عليها ثوابا او عقابا يقول النفوسي في متن عقيدة التوحيد الاباضية :

فأفعالنا خلق من الله كلها ومنا اكتساب بالتحرك بالبدن (١)

ويقول السالمي :

وبالقضاء ، وبالرحمن قدره وانه خالق افعالنا جللا
لكنه لا يجبر كان منه لنا وعلمه سابق في كل ماجهلا
وانما الفعل مخلوق ومكتسب فالخلق لله والكسب لمن فعلا (٢)

وقال الميزابي منهم : الحمد لله الذى افعالنا خلق منه وكسب منا لا جبر ولو كانت اجبارا لم يكن عليها مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب ولا أمر ولا نهى ولا كتاب ولا رسول ولا نصب دليلا " (٣)

ويقول علي يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية :
" يبدو انه لا خلاف بين الاباضية واهل السنة في موضوع القدر " (٤) . ثم قال في موضع اخر مبينا عقيدة الاباضية في القدر وان من اعتقادهم " ان الايمان لا يتم حتى يؤمن المسلم بالقدر خيره وشره انه من الله تبارك وتعالى ، وان افعال

---

(١) متن النونية ص ١٢
(٢) غاية المراد ص ٩
(٣) الحجة في بيان المحجة ص ٢٣
(٤) الاباضية بين الفرق ص ٢٤٨

الانسان خلق من الله واكتساب من الانسان ويبتعدون عن رأى المجبرة كما يبتعدون عن رأى ... من يقول بان الانسان يخلق افعاله (١) " وهكذا في كتابه الاخر الاباضية في موكب التاريخ وزاد مستدلا على ذلك بالايات الاتية " والله خلقكم وما تعملون " الا له الخلق والامر " " هل من خالق غير الله " — " والله خلق كل شيء " (٢)

وقد نقل عنهم علماء الفرق هذا الرأى كالاشعرى والشهرستاني فيما يحكيه عن الكعبي والبغدادى . (٣)

والاستطاعة عند جمهورهم مع الفعل وليس قبله وهي التي يحصل بها الفعل قال قطب الائمة " واما الاستطاعة فهي عندنا مع الفعل لا قبله " (٤)

ويقول الحارثي في بيانه لاعتقاداتهم " ومن ذلك انهم يؤمنون بالقضاء والقدر انه من الله وان الخير والشر من الله وكسب من العباد وهم يوافقون اهل السنة في هذا والحجة قوله تعالى " والله خلقكم وما تعملون " " والله خالق كل شيء " " الا له الخلق والامر " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ولو ثبت للعباد خلق لزم ثبوت شريك " هل من خالق غير الله " — " هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه " (٥) .

والواقع ان الرأى الاخير وهو القائم على الايمان بالقدر الأزلي وخلق الله لكل شيء في الكون وفعل العبد لافعاله الاختيارية ومسؤوليته عنها وهو مذهب

---

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٥٧

(٢) الاباضية في موكب التاريخ ص ٦٠

(٣) انظر مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٨٧ / الفرق بين الفرق ص ١٠٥ / الملل والنحل ص ١٣٤

(٤) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٨٤

(٥) العقود الفضية ص ٢٩٠ .

السلف الصالح - الواقع - ان هذا الرأي هو اصح الآراء في هذا المقام فهو مقتضى الايمان بالله المتفرد بالربوبية والالوهية في الكون ومقتضى ما جاء في الشرع من التكليف والجزاء ، فمذهب كل من الجبرية والقدرية مردود وقد اخطأ الخوارج الذين قالوا بهذين المذهبين الباطلين .

ب - السمعيات :

١ - وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة :

ينكر الخوارج وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة ويقولون ان خلقهما لا يتم الا في الدار الاخرة وهذا ما ذكره ابن حزم عنهم بقوله :

" ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج الى ان الجنة والنار لم يخلقا بعد " ويقول عن ادلتهم على دعواهم هذه : " وما نعلم لمن قال لنهما لم يخلقا بعد حجة أصلا اكثر من ان بعضهم قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وذكر اشياء من اعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة ويقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون انها قالت " رب ابني لي عندك بيتا في الجنة قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى " (١)

والواقع ان الجدال في كونها موجودتين الان اوغير موجودتين جدال لا ينبغي ان يحتدم بهذه الحدة بين اولئك النافين لوجودهما الان سواء كانوا من الخوارج اومن غيرهم ،فالجنة والنار موجودتان قد اعدت كل منهما لاهلها كما تقرره الايات البينات والاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هومذهب جمهور المسلمين كما حكاه ابن حزم . (٢)

---

(١) و (٢) الفصل ج ٤ ص ٨١

واما ما احتج به المنكرون سابقا من ان الجنة لو كانت موجودة الان لما ذكر في الاحاديث ان الاعمال الصالحة يغرس بها لصاحبها شجر في الجنة ، فهو قول غير صحيح اذ ان البيت الجميل المتكامل البناء والحسن لا يمنع ان يزاد فيه من انواع التحسينات والنقوش والزخرفة ما يزيده جمالا وحسنا .

واما الادلة على وجودهما الان فهي كثيرة جدا ، من الكتاب والسنة وقد ذكر العلماء كثيرا من تلك الادلة ومن ذلك قوله تعالى عن الجنة انها " اعدت للمتقين " آل عمران : ١٣٣ وعن النار انها " اعدت للكافرين " آل عمران : ١٣١ وقوله تعالى " ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى " النجم : ١٣

ومن الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاسراء والمعراج " ثم انطلق بي جبرائيل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها الوان لا أدرى ما هي قال ثم دخلت الجنة فاذا هي جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك " (١)

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " (٢)

وقد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رأى الجنة وتناول منها عنقودا وقال لهم " ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا " (٣).

وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت في الجنة

---

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٠٧
(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٥
(٣) اخرجه مسلم ج ٣ ص ٣٤

فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر اهلها النســاء" (١)

وفي حديث آخر عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قال ابردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم" (٢) الى آخر ما ورد من الاحاديث في هذا الباب تدحض رأى القائلين بعدم وجود الجنة والنار الآن كالخوارج ومن قال بقولهم من المعتزلة والقدرية .

٢ — عذاب القبر :

واما عذاب القبر فاكثر الخوارج تنكره ، وتزعم انه غير صحيح ولـــم يلتفتوا الى ما جاء فيه من الاحاديث الصحيحة التي تؤكد ثبوته .

يقول الاشعرى " والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا تـــرى احدا يعذب في قبره" (٣)

ويقول ابن حزم كذلك " قال ابو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني احد شيوخ المعتزلة الى انكار عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج" (٤)

واما الاباضية فالظاهر انهم غير متفقين على نفي عذاب القبر او ثبوته بل انقسموا الى فريقين فريق يقول بثبوته واخر ينفيه ، وهذا ما يذكره النفوسي بقوله :

واما عذاب القبر ثبت جابر ... وضعفه بعض الائمة بالوهن
واما ورود الناس للنار انه ... ورود يقين العلم واللمح بالعين (٥)

واما رأى السلف في عذاب القبر فهو الاعتقاد بان ذلك كائن لا محالة كما اخبر

---

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٥ وانظر صحيح مسلم ج ٣ ص ٣٤
(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٩
(٣) المقالات ج ١ ص ٢٠٦
(٤) الفصل ج ٤ ص ٦٦
(٥) متن النونية ص ٢٧

بذلك الصادق المصدق وان الشخص يعذب فيه اوينعم على هيئة لا يعلمها الا الله تعالى وحده ، وهذا العذاب هو جزء بسيط من عذاب يوم القيامة كما قال تعالى في ثبوت ذلك عن آل فرعون " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب " المؤمن : ٤٦

يقول الطبرى عن تعذيب آل فرعون " انهم لما هلكوا وغرقهم الله — جعلت ارواحهم في اجواف طير سود فهي تعرض على النار كل يوم مرتين غدوا وعشيا الى ان تقوم الساعة " (١)

وقد جاءت الاحاديث بصحة القول بوجود عذاب القبر او نعيمه بروايات عديدة توجب الاعتقاد الجازم بصحة وقوعه ومنها :

١ — عن ابي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال "

٢ — ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من انه دعا لجنازة بدعاء قال فيه " وادخله الجنه واعذه من عذاب القبر او من عذاب النار " (٢)

٣ — عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال " استعيذوا من عذاب القبر " مرتين او ثلاثا " (٣)

---

(١) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧١

(٢) انظر صحيح البخارى ج ٢ ص ١٠١ — ١٠٣ / صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٩

(٣) سنن ابي داود ص ٥٤٠ ج ٢

والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا كلها تدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض على حقيقة عذاب القبر فلا يكذب به بعد ورود هذه الاحاديث الا من هلك فالايمان بذلك عند السلف من الضروريات المسلمة يقول ابن ابي العز عن حديث البراء الانف الذكر " وذهب الى موجب هذا الحديث جميع اهل السنة والحديث وله شواهد من الصحيح " ثم اورد عدة شواهد للبخارى وابي حاتم ثم قال " وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمة لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والايمان به ، ولا يتكلم في كيفيته اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار " (١)

واما انكار من ينكر عذاب القبر بحجة ان الميت يفنى فيه ويصبح ترابا اوبحجة ان من احرق او اكلته السباع لا يمكن تعذيبه فانه امر لا ينبغى اعتباره في مقابلة النصوص الثابتة ، اذ ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعذب الميت ويحاسبه في اى صورة كان فان التعذيب ليس على الجسد المعهود فقط فاذا ذهب انتهى عذابه ، وانما الروح هو الذى يعذب او ينعم في القبر قبل يوم القيامة ولا مانع في قدرة الله ان يصل العذاب الى الجسد بأى طريقة وعلى اى نحو كان لأن " عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصله به" (٢) وليس على الله شيء مستحيل ،

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣٤٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٨ ،

٣ - الشفاعة :

ينكر معظم الخوارج ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت الشفاعة لأهل المعاصى من امته كما وردت بذلك الاحاديث الصحيحة المتواترة والايات القرآنية .

قال ابن حزم " قال ابو محمد اختلف الناس في الشفاعة فانكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لا يخرج احد من النار بعد دخولها " (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان موقف الخوارج من الشفاعة " واما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعته انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات ومنهم من انكر الشفاعة مطلقا " ويقول ايضا " وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لأهل الكبائر لان الكبائر لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد ان يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها " (٢)

ويقول على بن علي الحنفى شارح الطحاوية " والمعتزلة والخوارج انكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره في اهل الكبائر " (٣)

ويقول المرداوى" شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات قد وردت بها الاثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى وانعقد عليها اجماع اهل الحق قبل ظهور الخوارج الذين ينكرون الشفاعة" (٤)

---

(١) الفصل جـ٤ ص٦٣

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص١٠ و ١١ ، التوسل والوسيلة ص١٣١

(٣) شرح الطحاوية ص١٨١

(٤) اللآلى البهية ص٩٤

وقد ذكر صاحب احدى الرسائل المخطوطة في الفرق الاسلامية اعتقاد طائفة من الخوارج فقال " وهم قوم يرون القرآن مخلوقا وينكرون الميزان والصراط والشفاعة والحوض وعذاب القبر وقولهم قول المعتزلة " (١)

وقد استند الخوارج في نفيهم الشفاعة الى ايات من القرآن الكريم - اخذوها على ظاهرها وقصروا معناها على ما يريدون من حكم ، غير ملتفتين الى غيرها من الايات والاحاديث التي تثبت الشفاعة ، ومن هذه الايات التي استندوا اليها في نفي الشفاعة :

قوله تعالى " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " المدثر : ٤٨ وقوله تعالى " ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة " البقرة : ١٢٣ وقوله تعالى " فما لنا من شافعين " الشعراء : ١٠٠ وقوله تعالى " يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " البقرة : ٢٥٤ وأمثال هذه الايات التي يدل ظاهرها على ابطال الشفاعة . (٢)

اما الشفاعة عند الاباضية فانهم يثبتونها ولكن لغير العصاة بل - للمتقين ، وكأن المتقى احوج الى الشفاعة من المؤمن المذنب في رأيهم.

يقول صاحب كتاب الاديان منهم " والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين " (٣) .

---

(١) رسالة في افتراق الفرق الاسلامية ص ٢٩٩

(٢) انظر الفصل جـ ٤ ص ٦٣ ، التوسل والوسيلة ص ١١ ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١١٦ جـ ١ .

(٣) كتاب الاديان ص ٥٣

وقال السالمي :

" وما الشفاعة الا للتقى كما قد قال رب العلا فيها وقد فصلا (١)

وقد استشهد الربيع بن حبيب لهذا الرأى في مسنده بما رواه عن جابر بن زيد امام الاباضية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " ليست الشفاعة لاهل الكبائر من امتى " يحلف جابر بن زيد عند ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة لان الله قد اوعد اهل الكبائر النار في كتابه وان جاء الحديث عن انس بن - مالك ان الشفاعة لاهل الكبائر فوالله ما عنى القتل والزنى والسحر وما اوعد الله عليه النار " ويقول الربيع ايضا " حتى بلغنا ان الشهيد يشفع في سبعين من اهل بيته اذا كانوا مؤمنين متقين ".

واستشهد الربيع بن حبيب لهذا الرأى ايضا بما رواه من قوله صلى الله عليه وسلم " يا بنى عبد المطلب ان الله امرني ان انذركم فانى لا اغنى عنكم من الله شيئا الا ان أوليائي منكم المتقون الا لا اعرفن ما جاء الناس غدا بالدين فجئتم بالدنيا تحملونها على رقابكم ، يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشتريا انفسكما من الله فاني لا اغنى عنكما من الله شيئا" (٢)

وهذا ما قرره الحارثي ايضا في نفى الشفاعة في كتابه " العقود الفضية " (٣) .

والواقع ان الايات التي استدل بها الخوارج على نفي الشفاعة والتي ذكرناها من قبل انما تدل على نفي الشفاعة عن اهل الشرك او نفى الشفاعة التي يثبتها الكفار لشركائهم من الاصنام او نفي الشفاعة التي تكون

(١) غاية المراد ص ٩

(٢) الجامع الصحيح جـ ٤ ص ٣١ - ٣٤

(٣) انظر العقود الفضية ص ٢٨٦

بغير اذن الله ورضاه (١) كما تدل على ذلك ظواهر الايات" اما ما ورد في مسند الربيع بن حبيب فهو خال من السند الصحيح ومعارض بما ورد في الـ الصحيحين من الاحاديث التي تثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انواع - الشفاعات المختلفة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " يخرج قوم من النــار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين ".

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " يخرج من النار ..... بالشفاعــة كأنهم الثعارير قلت ما الثعارير قال الضغابيس ،وكان قد سـقط فمه فقلـت لعمرو بن دينار ابا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول سـمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يخرج بالشفاعة من النار ؟ قال نعم " .

ومنها ما ورد في حديث انس رضى الله عنه وهو حديث طويـــــــل ورد في طلب اهل الموقف من الانبياء عليهم السلام، من يشفع لهم الى اللـــه لفصل القضاء وكل يعتذر بذنب اصابه حتى يأتوا نبينا محمد صلى الله عليـــه وسلم فيشفع لهم عند ذلك " (٢) .

وقد اخرج الامام مسلم احاديث كثيرة في ثبوت الشفاعة فذكر منهـــا قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابو هريرة قال " قال رسول الله صلـــى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاهـــا ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة " .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٨

(٢) انظر لهذه الاحاديث صحيح البخاري جـ ٧ ص ٢٠٢-٢٠٣

لأمتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا " الى غير هذا من الاحاديث التي اوردها الامام مسلم في هذا الباب . (١)

(والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ولسنا بصدد البحث في تفاصيل الشفاعة من اقسامها وشروطها الخ ... وانما الغرض هو اثبات وجودها الذى ينفيه الخوارج) والايمان بثبوت الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على ما صح فيها من الاحاديث هو اجماع الامة وهو مذهب السلف الصالح رضى الله عنهم جميعا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى " اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأل الناس ذلك وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة" .

ويقول ايضا " والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله اى يطلب منه ان يسأل ربه الشفاعة من الخلق ان يقضى الله بينهم وفي ان يدخلهم الجنة ويشفع في اهل الكبائر من امته ويشفع في بعض من يستحق النار ان لا يدخلها ويشفع في من دخلها ان يخرج منها ، ولا نزاع بين جماهير الامة انه يجوز ان يشفع لأهل الطاعة المستحقين للثواب".

ويقول ايضا " ومذهب اهل السنة والجماعة انه يشفع في اهل الكبائر ولا يخلد احد في النار من اهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة ايمان او مثقال ذرة " (٣)

---

(١) [illegible]
(٢) = = = صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣١
(٣) انظر مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ١٠-١١ وكذا التوسل والوسيلة ص ١١ و ١٣١ وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ١ ص ١١٦ .

٤ - الميزان :

اما الميزان فيعتقد الاباضية فيه انه ليس ميزانا له عمود وكفتان ولسان كما هو المشهور وانما يثبتون وزن الله للنيات والاعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيء وان الله يفصل بين الناس في امورهم ويقفون عند هذا الحد .

يقول النفوسي الاباضي في متن النونية :

فوزن افاعيل العباد تميز لينظر في عقبى مسيء ومحسن
وليس بميزان العمود وكفة بل الوزن للنيات من كل دين (١)

ويقول السالمي :

وما هنالك ميزان يقام كما قالو عمود وكفات لما عملا
وانما الوزن حق منه عز الم تسمع الى آية الاعراف محتفلا (٢)

وقد اراد معمر ان يوفق بين رأى الاباضية ورأى اهل السنة فقال :

" ان كلا من الاباضية واهل السنة مؤمنون ان الله سبحانه وتعالى يوم الجزاء يفصل بين عباده وان قوله تعالى الفصل ووزن الحق وحكمه العدل وكفى هذا لقاء بينهما " (٣) ولكن هذا التوفيق غير كامل لنفيهم حقيقة الميزان الثابت بالكتاب والسنة وان كان هناك اتفاق بينهم على ما ذكر من المعانى الاخرى .

---

(١) متن النونية ص ٢٥
(٢) غاية المراد ص ٩
(٣) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٤٦

والواقع ان الايات والاحاديث كلها تشير الى ان هناك ميزان توضع فيه الحسنات والسيئات وذلك ان الله تعالى قال " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ويعتقد علماء السلف انه ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به اعمال العباد (١) بناء على الاحاديث الواردة في ذلك ـ وان امتنعوا عن تكييفهما ـ فقد اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك كله لا ينكره الا اهل البدع يقول الاصفهاني :

كل ما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من اهوال القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فهو حق لانه ممكن وقد اخبر به الصادق فيلزم صدقه " (٢)

ويقول ابن تيمية انه قد استفاضت باخبار يوم القيامة تلك الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكرها الا اهل البدع من خوارج ومعتزلة " (٣)

ويقول علي بن علي الحنفي مثبتا وزن الاعمال والعباد انفسهم وكفتي الميزان :

" والذى دلت عليه السنة ان ميزان الاعمال له كفتان حسيتان ـ مشاهدتان " .

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد ص ٢٢ ، مختصر الواسطية ص ٩٠

(٢) شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤٦ ضمن الفتاوى الكبرى ج ٥ .

(٣) الفتاوى الكبرى ص ١٤٩ ج ٥ .

ثم استدل بحديث صاحب البطاقة قال " فثبت وزن الاعمال والعامل وصحائف الاعمال وثبت ان الميزان له كفتان والله تعالى اعلم بما بما وراء ذلك من الكيفيات" (١)

وقد اراد الله تعالى لبيان كمال عدله وظهور امره للعيان ان ينصب الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل ، واما نفى وزن الاعمال باى حجة من الحجج كالقول بانها اعراض لا تقبل الوزن بخلاف الاجسام فان هذا قول خاطيء سببه قياس قدرة الله تعالى بقدرة العبد الضعيفة فلا يستحيل على الله تعالى ان يزن الاعمال وزنا ظاهرا يرى للعيان بل ويوزن العبد نفسه كما جاء في الحديث " توضع الموازين يوم القيامة فيوتى بالرجل فيوضع في كفة " وروى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة " قال اقروا ان شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وقال صلى الله عليه وسلم في حق ابن مسعود حين ضحك الصحابة من دقة ساقيه " والذى نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد " (١)

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٣٣٦ - ٣٣٧

٥ - الصـــراط :

وكما انكر الاباضية الميزان انكروا كذلك الصراط وقالوا انه ليس بجسـر على ظهـر جهنـم كما وصف في الاحاديث النبوية ، يقـــول السالمي :

وما الصراط بجسر مثل ما زعموا   وما الحساب بعد مثل من ذهلا (١)

اما السلف فانهم يعتقدون بأن الصراط هو جسر جهنم وقد بوب البخارى رحمه الله على هذا بقوله :

" باب الصراط جسر جهنم " ثم اورد حديثا عن ابي هريـــرة وفيه يقول صلى الله عليه وسلم " ويضرب جســر جهنم قال رسول اللــه صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم ســلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان غيرانها لا يعلم قدر عظمها الاالله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو" (٢)

ويقول ابن قدامه " والصراط حق وتجوزه الابرار ويزل عنه الفجار" (٣)

ويقول ابن حجر عن الصراط انه " الجسر المنصوب على جهنـم لعبور المسلمين عليه الى الجنة " (٤) وكذا عند الشوكاني (٥) وهـذا هو اعتقاد السلف فيه . (٦)

---

(١) غاية المراد ص ٩
(٢) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٢٠٥
(٣) لمعة الاعتقاد ص ٢٣
(٤) فتح البارى جـ ١١ ص ٤٤٦
(٥) فتح القدير جـ ٣ ص ٣٤٤
(٦) مختصر الواسطية ص ٩٣ وانظر شرح النووى جـ ١ ص ٢٠

الفصل الثالث
الايمان

* تمهيد :

بحث العلماء فى حقيقة الايمان واختلفوا فى ذلك اشد الاختلاف فمنذ ان خرج الخوارج والنزاع قائم فيه بين عامة الطوائف كما قال ابن تيمية (١) .

واختلافهم فى حقيقته وفى الفرق بينه وبين الاسلام هل هما سواء او هما مختلفان او بينهما عموم وخصوص وهل الايمان يزيد وينقص ام انه لا يتغير وهل الاعمال من الايمان وداخلة فى حقيقته ام انها من مكملاته .

وقد بحث الخوارج فى موضوع الايمان على هذا النحو كما بحثه غيرهم .

وقد رتب الخوارج على بحثهم فيه نتائج خطيرة ولاسيما فى حكمهم على مرتكبى الذنوب وما اذا كان قد بقى من ايمانهم او زال عنهم .

والواقع انهم - شان غيرهم من الفرق - قد اختلفوا فيما بينهم فى مبحث الايمان كاختلافهم فى غيره من المباحث واختلفوا كذلك فيما بينهم فيما رتبوه على ارائهم فى الايمان من احكام وان كنا سنرى ان كل هذه الاختلافات فى الراى لم تكن لفرق رئيسية فيهم وانما كان بعضها لافراد ولطوائف شذت عن معظمهم فى الراى وهذا هو ماسنبينه فى عرضنا التالى لارائهم فى حقيقة الايمان ومنزلة العمل منه .

٢ - حقيقة الايمان :

فى بيان حقيقة الايمان عند الخوارج نجد ان لهم فى ذلك اتجاهين :

---

(١) الايمان ص ٣ .

أما الاتجاه الاول :

فهو مايراه ابوبيهس زعيم فرقة البيهسية ووافقته عليه فرقة الشبيبية احدى فروع البيهسية وهو ان الايمان عبارة عن المعرفة والاقرار . المعرفة بالله ورسله وماجاء به محمد جملة والولاية لاولياء الله سبحانه والبراءة من اعداء الله والاقرار بكل ذلك .

يقول الاشعرى فى تقريره لراى ابوبيهس هذا

" وزعم ابوبيهس انه لا يسلم احد حتى يقر بمعرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة ماجاء به محمد والولاية لاولياء الله سبحانه والبراءة من اعداء الله " (١)

ويقول الشهرستانى فى بيانه لاراء ابوبيهس :

" والايمان هوان يعلم كل حق وباطل وان الايمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ويحكى عنه انه قال : الايمان هوالاقرار والعلم وليس هواحد الامرين دون الاخر وعامة البيهسية على ان العلم والاقرار والعمل كله ايمان " (٢) .

اى انهم يخالفون ابا بيهس فى حقيقة الايمان .

ومما يجدر ذكره ان ابا بيهس انفرد عن اكثر الخوارج بهذا الراى وهو اخراج العمل من الايمان بينما إن دخول العمل فى حقيقة الايمان هو مايقول به عامة الخوارج كما سنرى فيما بعد .

وهكذا عند الشبيبية حيث " زعموا ان الرجل يكون مسلما اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتولى اولياء الله وتبرأ من اعدائه واخذ بما جاء من عند الله جملة وان لم يعلم سائر ما افترض الله سبحانه عليه مما ... ـــ ،

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٩١ وقد قال بعد ان ذكر تلك الاراء التى زعمها ابوبيهس : " فتابعه على ذلك ناس كثير من الخوارج " .

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٦

مما سوى ذلك افرض هو ام لا فهو مسلم حتى يبتلى بالعمل به فيسأل " (١)

ونحو هذا عند الشهرستانى الا انه قال فى تمام النص انهم يقولون " ولا يضره ان لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل " (٢) . وتعبير الشبيبة هنا بالاسلام لا يختلف عن تعبير سابقيهم بالايمان فهما عند الخوارج بمعنى واحد كما سنرى فيما بعد واذا كانوا قد أضافوا الشهادتين كجزء منه ولا يكون ذلك الا نطقا باللسان الا انهم كما رأينا لا يذكرون العمل بانه جزءا من الاسلام بل يكون الشخص مسلما حتى يبتلى بالعمل فيسأل كما يقول الاشعرى والشهرستانى . وفى هذا تظهر موافقتهم لابى بيهس .

أما الاتجاه الثانى :

فهو اتجاه عامة الخوارج وهو ان حقيقة الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان والعمل بكل ماجاء به الشرع فالايمان لاحد عندهم لا يتحقق فيه القول والعمل باوامر الشرع ونواهيه وهو مالا طريق لناسواه للاستدلال على مافى قرارة نفسه من تصديق .

يقول ابن حزم " وذهب سائر الفقهاء واصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار به باللسان والعمل بالجوارح ويثبت ابن حزم ايضا ان الخوارج " يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال " (٣) . اى ان الايمان لا يتجزأ فاما ان يأتى به الشخص كاملا وحينئذ يسمى مؤمنا او ينقص منه بعض الاعمال فيخرج عن الايمان .

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٩٤
(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٧
(٣) الفصل .. جـ ٣ ص ١٨٨ / ١٨٩ .

ويثبت ابن تيمية أن الخوارج ترى ان " الايمان المطلق يتناول جميع ما امر الله به ورسوله ، وأنه لا يتبعض " فمتى ذهب بعض ذلك فيلزم تكفير اهل الذنوب " (١) ، كما قال .

ويقول احمد امين " واهم ماقرره الخوارج فى ذلك ان العمل باوامر الدين من صلاة وصيام وصدق وعدل جزء من الايمان وليس الايمان الاعتقاد وحده ، فمن اعتقد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر " (٢) .

ويقول الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان " وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يسمى مؤمنا الا من ادى الواجبات واجتنب الكبائر ويقولون ان الدين والايمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص ، فمن اتى كبيرة كالقتل واللواط وقذف المحصنات ونحوها كفر عند الحرورية واستحلوا منه مايستحلون من الكفار " (٣) لانه فى نظرهم قد خرج عن الايمان بفعل هذه المعاصى التى عملها والتى ايضا تحل منه مايحل من الكفار ، ويقول صاحب كتاب الاديان مثبتا لحقيقة الاعمال فى الايمان :

" ولا ينفع ايمان الا بالعمل كما قال المسلمون الايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان " . (٤)

---

(١) الايمان ص ١٨٥

(٢) فجر الاسلام ص ٢٥٩ وانظر الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ٦٣ وكذا قصة الديانات ص ٥٥٠

(٣) مختصر الواسطية ص ٨٥ وراجع ايضا الخلافة والخوارج ص ١٥ وكذا اراء الخوارج ص ١٢٨

(٤) كتاب الاديان ص ٥٣ وانظر غاية المراد ص ٧

والخوارج يتفقون فى الرأى من مذهب السلف فى حقيقة الايمان من انه تصديق قول وعمل . وقد اشار القاسم بن سلام الى عدم انفراد الخوارج فى قولهم بدخول الاقوال والاعمال فى حقيقة الايمان والى مشابهتهم للسلف فى ذلك وان اختلفوا عنهم فى ماترتبوه على ذلك من نتائج يقول فى كتابه الايمان " ولم ينفرد الخوارج بالقول بان الايمان قول وعمل وانما هو قول اهل السنة وكل ما انفرد به الخوارج انهم كفروا من لم يعمل واقر باللسان " (١) .

ـ واعتبار العمل جزءا من الايمان هو ما اطبق عليه السلف جميعا .

يقول الامام ابوالحسن على بن خلف بن بطال المالكى المغربى فى شرح صحيح البخارى عن دخول الاقوال والاعمال فى حقيقة الايمان " مذهب جماعة اهل السنة من سلف الامة وخلفها ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص .. فايمان من لم تحصل له الزيادة ناقص " (٢) .

ويقرر شيخ الاسلام ابن تيمية انه لا ايمان بلا عمل فيقول : " ففى القران والسنة من نفى الايمان عمن لم يات بالعمل مواضع كثيرة .. ودلالة الشرع على ان الاعمال الواجبة من تمام الايمان لاتحصى كثرة " (٣) . ثم ذكر تعاريف السلف للايمان وانهم يعرفونه بعبارات مختلفة وكلها صحيح وموء داها واحد فهم " تارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة

---

(١) نقلا عن كتاب الخلافة والخوارج ص ١٦

(٢) شرح النووى على مسلم جـ ١ ص ١٤٦

(٣) الايمان ص ١٢٠

وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح " (١) .

وقد عرفه الشيخ بدر الدين الحنبلي في مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية بقوله " هو قول وعمل يزيد وينقص يزيد بالطاعة والحسنات وينقص بالفسوق والعصيان " (٢) .

وقال البخاري " هو قول وعمل " (٣) . وقال علي بن علي الحنفي " ولا خلاف بين اهل السنة ان الله تعالى اراد من العباد القول والعمل واعني بالقول التصديق بالقلب والاقرار باللسان " (٤) . ويروى ابن حجر عن ابي القاسم اللالكائي قوله " وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال : لقيت اكثر من الف رجل من العلماء بالامصار فما رايت احدا منهم يختلف في ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص " (٥) ونحو هذا عند الشافعي فقد " قال الحاكم في مناقب الشافعي : حدثنا ابو العباس الاصم اخبرنا الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : "الايمان قول وعمل يزيد وينقص" (٦) . ثم قال " وقد استدل الشافعي واحمد وغيرهما على ان الاعمال تدخل في الايمان بهذه الاية " وما امروا الا ليعبدوا الله ـ الى قوله ـ دين القيمة (سورة البينة ١ ـ ٥) . قال الشافعي ليس عليهم احج من هذه الاية " (٧) .

---

(١) الايمان ص ١٤٢

(٢) مختصر الفتاوى ص ٢٦٧

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٢

(٤) شرح الطحاوية ص ٢٧٩

(٥) و (٦) فتح الباري ج ١ ص ٤٧ .

(٧) فتح الباري ج ١ ص ٤٨ .

وقد اورد البخاری فی صحیحه عدة تراجم کلها تشیر الی ان الاعمال من الایمان کقوله " باب قیام لیلة القدر من الایمان باب الجهاد من الایمان ، باب تطوع قیام رمضان من الایمان ، باب صوم رمضان احتسابا من الایمان ، باب الصلاة من الایمان ..الی اخر ماذکره من امثال هذه التراجم " . (١)

ویقول النووی عن دخول الاعمال فی الایمان عند السلف " واما اطلاق اسم الایمان علی الاعمال فمتفق علیه عند اهل الحق ودلائله فی الکتاب والسنة اکثر من ان تحصر واشهر من ان تشهر قال تعالی : " وماکان الله لیضیع ایمانکم " (البقرة : ١٤٣) اجمعوا علی ان المراد صلاتکم " (٢) .

واذا کانت الاعمال داخلة فی حقیقة الایمان عند السلف ـ کما راینا ـ فان ذلك باعتبارها شرط کمال فیه قال ابن حجر بعد ان عرف الایمان عند السلف بانه " هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالارکان " قال " وارادوا بذلك ان الاعمال شرط کماله ومن هنا نشأ لهم القول بالزیادة والنقص " (٣) . بینما هی عند الخوارج جزء من حقیقة الایمان ولهذا رتبوا علیها کفر مرتکبی الذنوب وبناءا علی اعتبار العمل شرطا من کمال الایمان فان السلف لا یطلقون اسم الایمان الکامل علی احد الا اذا کان غیر مرتکب لکبیرة ولا یطلقون علی من اخل بفریضة من فرائض الاسلام الایمان الا مقیدا بمعصیة فیقال مؤمن بایمانه فاسق بکبیرته

---

(١) صحیح البخاری ج ١ ص ١٤/١٥

(٢) شرح مسلم ج ١ ص ١٤٩

(٣) فتح الباری ج ١ ص ٤٦ .

قال النووى " ولهذا لايقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة او بـدل فريضة لان اسم الشىء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل فى الناقص ظاهـرا الا بقيد ولذلك جاز اطلاق نفيه عنه فى قوله "ص" لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن " (١) اى كامل الايمان .

ويذكر ابن تيميه فى حق من لم يستكمل الايمان ان التحقيق عنده فيـه " ان يقال انه مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ولا يعطى الاسم المطلق فان الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق واسم الايمان يتناوله فيما امر الله بـه ورسوله لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزمه غيره وانما الكـلام فى اسم المدح المطلق " (٢) .

ويقول السلمان فى هذا الحكم " وأما اهل السنة فقالوا الايمان قول باللسـان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية " وان " من اتـى كبيرة فهو عندهم مؤمن ناقص الايمان وعبارة اخرى مؤمن بايمانه فاسـق بكبيرته وفى الاخرة تحت مشيئة الله " (٣) .

---

(١) النووى ج ١ ص ١٤٨

(٢) الايمان ص ٢٠٢

(٣) مختصر العقيدة الواسطية ص ٨٥

وهكذا يتضح لنا مذهب الخوارج بصفة عامة فى حقيقة الايمان ومشابهتهم للسلف فى قولهم بدخول الاقوال والاعمال فى تلك الحقيقة وان اختلفوا عنهم فى جعل الاعمال جزءا حقيقيا من الايمان يضيع الايمان بضياعه ، وفيما رتبوه على ذلك من احكام تتصل بمرتكب الكبيرة كما سنرى فيما بعد ، بينما جعله السلف جزءا مكملا يتوقف عليه كمال الايمان .

وان كان لنا مانلاحظه على تعبيرابن حجر فهو اعتباره شرطا لكمال جزءا من الحقيقة . وليس الامر كذلك والا للزمه مارتبه الخوارج من ضياع الحقيقة بضياع جزئها ثم ان شرط الشىء غير جزئه لان الشرط خارج عن الحقيقة والجزء داخل فيها .

واذا كنا قد ذكرنا فيما سبق اجماع كتاب المقالات على ان الخوارج يعتبرون العمل جزءا اساسيا من الايمان بل لايكون الايمان الا بالعمل عندهم فاننا نجد ان الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله فى كتابه " التفكير الفلسفى فى الاسلام " يخرج عن هذا الاجماع ويقرر بان الخوارج لم يبحثوا مسألة الايمان والعمل وذلك فى قوله " ان الخوارج باعتبارهم خوارج ـ لا راى لهم خاصا بهم فى مسائل الدين الاساسية من ايمان بالله ومن بحث فى صفاته ومن دراسة فى البعث " (١) .

والواقع ان الخوارج باعتبارهم خوارج كان لهم رايهم الخاص فى الايمان وعلاقة العمل به ، وهو الذى بنوا عليه موقفهم من الخلفاء خاصة والمسلمين عامة الذين

---

(١) التفكير الفلسفى ص ١٩٠ ج ١

خرجوا عليهم حيث كفرهم الخوارج واستحلوا منهم مايستحلون من الكفار على اسلس رأيهم في دخول العمل في حقيقة الايمان كما ذكرنا فهو مبحث متصل بقضيــــة الخروج نفسها الى جانب مبحث الامامة العظمى وغيرها مما يتصل بخروجهـــم او يكون من مباحث الدين وان لم يكن له علاقة بذلك الخروج .

٣ — زيادة الايمان ونقصه :

وبناءا على ما قدمنا من ان الخوارج يقولون باعتبار العمل جزءا من الايمان يقوم رأيهم فى مسألتى زيادة الايمان ونقصه وحكم مرتكب الكبيرة وسوف نبين رأيهم فى حكم مرتكب الكبيرة فى الفصل التالى •

أما فيما يتعلق بالمسألة الاولى وهى زيادة الايمان ونقصه فان الخوارج ينقسمون فيها الى فريقين : الاباضية منهم بصفة خاصة وبقية غيرهم من الخوارج بصفة عامة فغير الاباضيين من الخوارج يرون ان الايمان لا يزيد ولا ينقص فهو اما ان يبقى كله واما ان يذهب كله (١) وذهاب الايمان عندهم يكون بنقص بعض الاعمال اوارتكاب بعض الكبائر وعلى هذا فان نقص البعض يؤدى الى ذهاب الكل فى نظرهم •

وقد سبق ان ذكرنا عند عرضنا لحقيقة الايمان عندهم ما اثبته ابن حزم عنهم من انهم " يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال " اى انه ليس هناك زيادة ولا نقص فيه • "

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى معرض بيانه لاهل البدع فى زيادة الايمان ونقصانه " واما قول القائل ان الايمان اذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا ممنوع، وهذا هو الاصل الذى تفرعت عنه البدع فى الايمان فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شىء ثم قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع ما امر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق كما قاله اهل الحديث قالوا فاذا ذهب شىء منه لم يبق مع

---

(١) انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤٣ ، ١٤٤ •

صاحبه من الايمان شيء فيخلد في النار" (١) • ويستطرد ابن تيمية في هذا الموضوع ويكرر ان راى الخوارج هو القول بذهاب الايمان جملة عن اهل الذنوب وانهم متى خرجوا عن الايمان خرجوا عن الاسلام ايضا اذ لافرق بين الاسلام والايمان عندهم فيقول : " واما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام •

ومما يجدر ذكره هنا ان الخوارج وان اشبهوا المعتزلة في قولهم بعدم زيادة الايمان ونقصه وخروج مرتكب الكبيرة من مفهوم الايمان الا ان المعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين ويحكمون عليه بالخلود في النار اما الخوارج فانهم يحكمون عليهم بالكفر كما سنفصل رايهم بعد قليل في حكم مرتكب الكبيرة •

ويقول بدر الدين الحنبلي في مختصره لفتاوى ابن تيمية عن راى الخوارج في زيادة الايمان ونقصه •

" فأولئك — يعني بهم الخوارج والمعتزلة — اعتقدوا ان الايمان متى ذهب بعضه ذهب جميعه ". (٢)

وعلى هذا فان الايمان عندهم لا ينقص بالمعصية بل ان الشخص يخرج عن الايمان ويحبط ماقدم من خير بمجرد ان يرتكب اى كبيرة لان الايمان اما ان يبقى جملة او يذهب جملة فلا زيادة ولا نقص ولا مغفرة لكبيرة فهي تهدم الايمان ولا تنقصه •

---

(١) الايمان ص ١٨٦

(٢) مختصر الفتاوى المصرية ص ٢٠٤

كما يقول ايضا فى تاكيد ماسبق " وخالف الخوارج والمعتزلة فقالوا ان من اتى كبيرة استحق العقوبة حتما فتحبط جميع حسناته بتلك الكبيرة ويستحق التخليد فى النار لا يخرج منها بشفاعة ولاغيرها " (١)

أما الفريق الثانى من الخوارج : " وهم الاباضية كما قلنا " فانهم يرون ان الايمان يزيد وينقص وهم بذلك يخالفون عامة الخوارج ويتفقون فى هذا القول مع مذهب السلف ومن يذهب اليه من غيرهم من المتكلمين .

يقول على يحيى معمر الاباضى " يرى الاشاعرة ان الايمان يزيد وينقص ويرى الحنفية وامام الحرمين انه لا يزيد ولا ينقص ويتفق الاباضية مع الاشاعرة فى هذه المقالة " (٢)

وقد اورد الربيع بن حبيب فى مسنده الجامع الصحيح (وهو اصح كتب الحديث عند الاباضية) هذين الحديثين الذين يدلان على ان الايمان يتفاضل فقال " وسئل النبى "ص" اى المؤمن افضل ايمانا فقال احسنهم خلقا " وقال "ص" الايمان مائة جزء اعظمها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق " (٣) .

وسوف نرى عند دراستنا التالية لحكم مرتكب الكبيرة عند الخوارج كيف ان الاباضية مع موافقتهم فى القول بزيادة الايمان ونقصه للسلف والاشعريين انهم وان لم يحكموا على

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٧٦

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٤٤١

(٣) الجامع الصحيح جـ ٣ ص ٧

مرتكب الكبيرة بالكفر كفر ملة كبقية الخوارج الا انهم يخالفون السلف والاشعريين فيحكمون عليه بالكفر كفر نعمة • ولقد كان مقتضى القول بزيادة الايمان ونقصه ان لا يخرج مرتكب الكبيرة عن حقيقة الايمان عند الاباضية وهذا ما ذهبوا اليه فعلا ـ كما ذهب اليه السلف والاشعريون ـ الا ان الاباضية خالفوهم فغالوا بالحكم عليه بلقب الكفر وان لم يكن كفر ملة كما قلنا وبغض النظر عما يبنيه الخوارج من احكام على مايرونه في مسألة زيادة الايمان ونقصه ـ مما سيكون موضع دراستنا وتحقيقنا قريبا ـ فانه يتبين لنا مما سبق انهم يذهبون في هذه المسألة الى رأيين :

الراى الاول هو القول بعدم زيادته ونقصه بل هو اما ان يبقى كله او يذهب كله بذهاب بعضه وهذا راى عامة الخوارج •

الراى الثاني : وهو القول بزيادة الايمان ونقصه وهو ماتقول به الاباضية منهم والواقع ان الحق الذى يؤيده الكتاب والسنة ويشهد له صحيح المعقول وتؤكده اقوال السلف في هذه المسألة هو القول بزيادة الايمان ونقصه • فان الناس يختلفون في اداء الاوامر واجتناب النواهي وفي الرضى بما قدر الله واليقين به تعالى والتوكل عليه على درجات يلحظها الشخص في نفسه وفي غيره ففي بعض الاوقات يحس الانسان ان ايمانه وثقته بالله اقوى منها في بعض الاحيان •

وهذا هو مادل عليه كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء من سلف الامة وخلفها •
قال تعالى اخبارا عن المنافقين الذين في قلوبهم مرض في مساءلتهم غيرهم عند نزول الايات " واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون " (التوبة ١٢٤) • وقال تعالى في وصف المؤمنين عندما راوا الاحزاب من حولهم " ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا

ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما " (الاحزاب اية ٢٢) . وقال تعالى مبينا حالة الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه حينما خوفوا من قريش وغيرهم " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا " (ال عمران : ١٧٣) .

وقال تعالى في السبب الذى من اجله جعل اصحاب النار ملائكة وفي عدتهم ايضا " وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا " . (المدثر : ٣١) . وقال تعالى في اصحاب الكهف " انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى " (الكهف ١٣) وقال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى " والايات في هذا المعنى كثيرة في كتاب الله تعالى واذا ثبتت الزيادة فان مقابلها وهو النقص ثابت ايضا لان ماقبل الزيادة يقبل النقص وقد استدل البخارى رحمه الله في صحيحه ... بهذه الايات واثبت ان الايمان " يزيد وينقص " (١) .

واما الادلة من الحديث فقد وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة تشير الى ان الايمان يزيد وينقص وان الناس يتفاضلون فيه .

قال صلى الله عليه وسلم " لايؤ من احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين " (٢) . قال على الحنفى " والمراد نفى الكمال " (٣) وقد وصف صلى الله عليه وسلم النساء بنقصان العقل ونقصان الدين وذلك في قوله من حديث عبد الله بن عمر " وما رأيت من ناقصات عقل ودين اغلب لذى لب منكن قالت يارسول الله وما نقصان العقل والدين قال اما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٧ وانظر شرح الطحاوية ص ٢٨٨ .
(٢) اخرجه مسلم ج ١ ص ٤٩
(٣) شرح الطحاوية ص ٢٩٠

رجل . فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ماتصلى وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين " (١)

فقد وصفهن عليه السلام بنقص الدين وذلك بسبب نقص الطاعات . قال النووى " واذا ثبت هذا علمنا ان من كثرت عبادته زاد ايمانه ودينه ومن نقصت عبادته نقص دينه " (٢)

اما نقص الايمان بالمعاصى فقد وردت عدة احاديث فيها مجموعة من المعاصى تنقص ايمان من ارتكب منها واحدا كما ورد في حديث ابى هريرة رضى الله عنه وهو " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وفي رواية عن ابى هريرة " ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن " (٣) الا ان هذا الحديث وما في معناه ليس المراد به نفى الايمان مطلقا ولكن المقصود به نفى كمال الايمان . يقول النووى " فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وهذا من الالفاظ التى تطلق على نفى الشىء ويراد نفى كماله " (٤) .

وورد في الحديث ان الاعمال تتفاضل وان بعضها يفضل بعضا والمفضول يكون ناقصا عن الفاضل كما يشير اليه حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه في روايته الاتية : "قالوا يارسول الله اى الاسلام افضل ؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده " وقد اورده البخارى شاهدا على قبول الايمان للزيادة والنقص(٥) لانه كما قال ابن حجر " الاسلام والايمان عنده مترادفان " (٦) .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٦١
(٢) شرح النووى ج ١ ص ٦٨
(٣) مسلم ج ١ ص ٥٤
(٤) شرح النووى ج ١ ص ٤١ وانظر اللمع ص ١٢٤
(٥) صحيح البخارى ج ١ ص ٩
(٦) فتح البارى ج ١ ص ٥٥

ويشهد لهذا ايضا حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبـــى صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقول اللـــه تعالى " اخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منهـــا قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا ـ او الحياة شك مالك "(وهو احد رواة الحديث)" فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل الم تر انها تخرج صفراء ملتوية " (١)

وقد وردت عن السلف اقوال كثيرة فى زيادة الايمان ونقصه اورد منها البخـــارى ماقاله معاذ لاحد الصحابة " اجلس بنا نؤمن ساعة " وقول ابن مسعود اليقيـــن الايمان كله " وقول ابن عمر : لايبلغ العبد حقيقة التقوى حين يدع ماحاك فـــى الصدر " (٢) .

ومثل ماسبق عند البخارى ماورد عن ابى الدرداء رضى الله عنه حيث قال : " مـــن فقه العبد ان يتعاهد ايمانه وماانقص منه ومن فقه العبد ان يعلم ايزداد هو ام ينقص " . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول فى دعائه "اللهم زدنا ايمانا ويقينا وفقها " (٣)

وقد استفاض النقل عن السلف انهم يرون ان الايمان يزيد وينقص .

يقول بدر الدين الحنبلى فى مختصر الفتاوى بعد ان عرف الايمان بانه قـــول وعمل قال : وهو ـ اى الايمان ـ " يزيد وينقص يزيد بالطاعة والحسنات وينقـــص بالفسوق والعصيان " (٤) .

ويقول ايضا " والايمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه " (٥)

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١١

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٨

(٣) شرح الطحاوية ص ٢٩٠

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص ٢٦٧ وانظر الابانة للاشعرى ص ١٠

(٥) المرجع السابق ص ١٤٢ وانظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤٤ .

ويقول الاشعرى فى ابانة قول اهل الحق والسنة انهم يقولون ان "الايمان قول وعمل يزيد وينقص(١)" وهذا هو مايذهب اليه اصحاب الحديث واهل السنة ويقرون به(٢).

واخيرا نقول انما يراه اهل السنة والجماعة من ان الايمان يزيد وينقص وان اهله يتفاضلون فيه كل بما رزقه الله ووفقه وشرح صدره لذلك هو مايشهد به العقل ويثبته الواقع اذ ان من اول البدهيات التى تدل على تفاضل الناس فى الايمان مايشاهد من اخلاص بعضهم وقوة صبرهم على احتمال اوامر الله ونواهيه بصدر رحب وطمانينة تامة بينما نرى البعض الاخر لايؤدى ما اوجبه الله عليه الا بكره من نفسه وكسل تام وهذا امر ظاهر. ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وهم خير الامة يعرفون تفاضلهم فيه كما تشهد بذلك اقوالهم، وانه لمن غير الانصاف والعدل ان نقول ان ايمان ويقين اى شخص كان كايمان ابى بكر ويقينه وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه له الا اذا كابرنا الحق وتجنبنا الطريق الواضح كما هو راى الخوارج فى عدم زيادة الايمان ونقصه وقد قدمنا كثيرا من النصوص والبراهين التى تبطل زعمهم هذا ويكفى دليلا على بطلانه — بعد تلك الادلة — ما رتبوه عليه من نتائج خطيرة كتكفيرهم لعصاة المسلمين وتخليدهم فى النار واستحلالهم اخذ اموالهم وسبى نسائهم وذراريهم كما سنبين هذا فى بحث الكبيرة ان شاء الله.

---

(١) الابانة عن اصول الديانة ص ١٠

(٢) المقالات ج ١ ص ٣٤٧

٤ - العلاقة بين الاسلام والايمان :

لا يرى الخوارج ان هناك فرقا بين مفهومى الايمان والاسلام فهما بمعنى واحد عندهم وفى هذا يقول ابن تيمية فى معرض بيانه لاقوال الناس فى الايمان والاسلام " واخرون يقولون : الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من اهل الحديث والسنة " (١) .

ويقول الطالبى " ومن هنا فان الخوارج وحدوا بين مفهوم الايمان ومفهوم الاسلام اى بين الاعتقاد والعمل - على حد تعبيره - ففلسفتهم فلسفة عملية واقعية " (٢)

وقد وافق الخوارج بهذا القول مايراه بعض اهل السنة كالبخارى رحمه الله فانه يرى ان الاسلام والايمان مترادفان كما نقل عنه ابن حجر ذلك (٣) .

وهو ايضا راى لبعض علماء الفرق كابن حزم الظاهرى فانه يرى ان الاسلام هو الايمان والايمان هو الاسلام لا فرق بينهما واستدل بهذه الاية الكريمة " فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " (الذاريات ٣٥ - ٣٦) قال : " فهذا نص جلى على ان الاسلام هو الايمان وقد وجب قبل بما ذكرنا ان اعمال البر كلها هى الاسلام والاسلام هو الايمان فاعمال البر كلها ايمان وهذا برهان ضرورى لا محيد عنه " (٤)

ويذكر الاشعرى ان من اعتقاد اصحاب الحديث واهل السنة ان الاسلام عندهم غير

---

(١) الايمان ص ٣٥٤

(٢) اراء الخوارج ص ١٣٩

(٣) فتح البارى جـ ١ ص ٥٥

(٤) الفصل .. جـ ٣ ص ١٩٥ .

غير الايمان " (١) .

وقد قال الشهرستاني ايضا بالتفريق بين معنى الاسلام والايمان والاحسان وذلك في قوله " فكان الاسلام مبدئا والايمان وسطا والاحسان كمالا " (٢)

ويرى ابن تيمية ان بين الاسلام والايمان تداخلا فالايمان اخص من الاسلام واذا ثبت الاخص ثبت الاعم ولا عكس بحيث لا يوصف بالايمان من ثبت له وصف الاسلام فقط الا بدليل منفصل يقول ابن تيمية " فتبين ان ديننا يجمع الثلاثة لكن هو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن فالاحسان يدخل فيه الايمان والايمان يدخل فيه الاسلام والمحسنون اخص من المؤمنين والمؤمنون اخص من المسلمين " (٣) . ويؤكد ابن تيمية هذا المعنى ايضا بقوله " الاسلام فرض والايمان فرض داخل فيه فمن اتى بالايمان الذى امر به فلا بد ان يكون قد اتى بالاسلام المتناول لجميع الاعمال الواجبة ومن اتى بما سمى اسلاما لم يلزم ان يكون قد اتى بالايمان الا بدليل منفصل (٤) " وقد اكثر في كتابه الايمان من اثبات الفرق بين مسمى الايمان ومسمى الاسلام ومن " جعل مسمى هذا مسمى هذا فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك " (٥) . ويثبت انه اذا ذكر الايمان مع الاسلام فانه يجعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة كالشهادتان والصلاة والزكاة والصوم الخ . ويجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الخ . واذا ذكر اسم الايمان مجردا فانه حينئذ يدخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة " (٦)

---

(١) المقالات ج ١ ص ٣٤٧
(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٤٠/٤١
(٣) كتاب الايمان ص ٧
(٤) المصدر السابق ص ٣٥٠
(٥) الايمان ص ٣٥٢
(٦) الايمان ص ١٠

وهذا مايؤكده ايضا الشيخ بدر الدين الحنبلي في مختصره لفتاوى ابن تيمية حيث يقول : " فالايمان المطلق يدخل فيه الاسلام كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوفد عبد القيس أتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم .قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا الخمس من المغنم "(١) فاما اذا اقترن لفظ الايمان بالعمل وبالاسلام فانه يفرق بينهما . واستدل على هذا بقوله تعالى " الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وحديث جبريل حيث سال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان ثم قال " فلما فرق بين الايمان والاسلام لما فرق السائل بينهما وفي ذلك النص ــ يعني به حديث عبد القيس ــ ادخل الاسلام في الايمان لما افرده بالذكر " (٢) .

وغاية القول عند ابن تيمية ان الايمان اذا ذكر وحده كان الاسلام لازما له ومدخلا فيه دون العكس الا بدليل منفصل اما اذا ذكر امعا فانه يجب التفريق بينهما في المفهوم وهذا خلاف ماراه الخوارج من الترادف بينهما مجتمعين او مفترقين .

وللشوكاني راى يخالف كل ماتقدم من اراء فيقول موضحا الفرق بين الاسلام والايمان ومعتبرا ماعداه اقوالا مضطربة متناقضة " وقد اوضح الفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان في الحديث في الصحيحين وغيرهما الثابت من طرق انه سئل عن الاسلام فقال " ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان " وسئل عن الايمان فقال " ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر

---

(١) اخرجه البخارى ج ١ ص ١٩ ومسلم ج ١ ص ٣٦ وهذا لفظ البخارى

(٢) مختصر الفتاوى ص ١٣٢

خيره وشره " فالمرجع فى الفرق بينهما هو هذا الذى قاله الصادق المصدوق ولا التفات الى غيره مما قاله اهل العلم فى رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة متناقضة . واما مافى الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الاسلام والايمان فذلك باعتبار المعانى اللغوية والاستعمالات العربية والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية والحقيقة الشرعية هى هذه التى اخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب سؤال السائل له عن ذلك بها " (١) .

والشوكانى بهذا القول يوافق بعض المتكلمين الذين يجعلون الايمان هو التصديق فقط ويجعلون العمل خارجا عن حقيقته .

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ٨٩

الفصل الرابـــــع

حكم الخوارج على مرتكبي الذنوب

يختلف الخوارج في الحكم على مرتكبي الذنوب بالكفر كفر ملة او بالكفر كفر نعمـــة او بالنفاق ويختلف القائلون بكفر المذنبين كفر ملة فى تعيين سبب هذا الحكــم ومتى يكون ذلك باختلاف المعاصى بين صغيرة وكبيرة وباختلاف مرتكبيها اذا كـان منهم او من غيرهم وباختلاف احواله بين الاصرار عليها او عدمه ٠٠ الخ ٠

حسب هذه الاختلافات السابقة فى ارتكاب المعاصى تختلف اراء الخـــوارج واحكامهم على مرتكبيها وذلك على النحو الاتى :

أ ـ الحكم بتكفير العصاة كفر ملة :

وهذا هو الراى الاول : وهو انهم كفار ملة خارجون عن الاسلام بارتكابهـــم الكبائر مخلدون فى النار مع سائر الكفار بتلك المعاصى وهذا راى الازارقة بالاجمـــاع كما يذكر الشهرستانى فيقول " اجتمعت الازارقة على ان من ارتكب كبيرة من الكبائـــر كفر كفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا فى النار مع سائر الكفار " (١) ٠

ويقول الاشعرى عنهم كذلك " والازارقة تقول ان كل كبيرة كفر ٠٠ وان كل مرتكـــب معصية كبيرة ففى النار خالدا مخلدا " ٠ وهذا هو مايذكره عنهم غيـــره من العلماء كالملطى وابن الجوزى والجيطالى من الاباضية وابن تيمية وابن حـــزم وغيرهم " (٢)

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٢

(٢) انظر المقالات جـ ١ ص ١٧٠

ـ التنبيه والرد ص ٥٤ ـ تلبيس ابليس ص ٩٥ ٠

ـ قواعد الاسلام ص ٣٧ ٠ الايمان ص ٢٠٢ ـ الفصل جـ ٤ ص ٤٥

ابانة المناهج ص ١٦٣

ويذكر الشهرستاني ان العجاردة ايضا كالازارقة يكفرون اهل الكبائر الا انه لم يبين نوع الكفر الذي يقولون به فقال في معرض تعداده لارائهم " ويكفرون بالكبائر " (١) وهذا يتبادر منه الى الذهن انهم يكفرونه كفر ملة ولكن صاحب كتاب الاديان الاباضي يذكر ان راى العجاردة هذا وراى اهل الاستقامة ـ ويعني بهم الاباضية ـ واحد وهو الحكم على مرتكب الكبيرة بانه كافر كفر نعمة على حسب ماتقوله الاباضية وذلك في قوله الاتي : " ويكفرون اهل الكبائر كفر نعمة على قول اهل الاستقامة " (٢) .

ومن الفرق الاخرى التي توافق الازارقة ايضا في الحكم على مرتكبي الكبيرة بانه كافر المكرمية الا انهم يختلفون عنهم في سبب كفره فعند المكرمية ان كفره ليس من من حيث تركه للواجبات التي امر الله بها او ارتكابه للمحظورات بل من حيث انه جهل حق الله عليه فلم يقدره حق قدره وذلك في كل كبيرة يرتكبها بينما هو عند الازارقة كافر بسبب ما ارتكب من محظورات . يقول الاشعري عن راى المكرمية هذا " ومما تفردوا به انهم زعموا ان تارك الصلاة كافر وليس هو من قبل تركه الصلاة كفر ولكن من قبل جهله بالله وكذلك قالوا في سائر الكبائر وزعموا ان من اتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه وتعالى وبتلك الجهالة كفر لابركوبه المعصية " وكذلك نقل عنهم البغدادي والشهرستاني وابن حزم " (٣) .

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٨

(٢) كتاب الاديان ص ١٠٤

(٣) انظر : المقالات ج ١ ص ١٨٢ الفرق بين الفرق ص ١٠٣ . الملل والنحل ج ١ ص ١٣٣ الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩١ .

ولم يكن الازارقة هم اول من كفر مرتكب المعاصى من الخوارج بل ان ذلك الحكم بدأ عند المحكمة الاولى الذين يسميهم الملطى بالشراة ويذكر عنهم بانهم يكفرون اهل الكبائر والمعاصى ، فاذا كانت المحكمة تكفر بالمعاصى فان الازارقة قد قالوا بقولهم ايضا ولم يشتهر القول بتكفير المحكمة لاهل الذنوب كاشتهاره عند الازارقة . قال الملطى : " والشراة كلهم يكفرون اصحاب المعاصى ومن خالفهم فى مذهبهم مع اختلاف اقاويلهم ومذاهبهم " (١) . ومثل هذا عند البغدادى ايضا فقد ذكر عن المحكمة الاولى انهم يكفرون اهل الكبائر وخيار الصحابة رضوان الله عليهم بقوله " فهذه قصة المحكمة الاولى وكان دينهم اكفار على وعثمان واصحاب الجمل ومعاوية واصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم واكفار كل ذى ذنب ومعصية " (٢)

وتكفير اهل الذنوب هو راى للشبيبيه من البيهسية الا انها غالت فيه فحكمت بالكفر على من اجترح ذنبا ولو كان جاهلا الحكم فيه فقالوا انمن " واقع حراما لم يعلم تحريمه فقد كفر " (٣) .

ونجد نحو هذه المقالات عند يزيد بن انيسه واصحابه حيث يكفرون كل مذنب حتى مرتكب الصغيرة فعنده ان " اصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير او كبير فهو شرك " (٤) .

---

(١) التنبيه والرد ص ٥١

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨١

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧

(٤) رسالة الدبسى ص ٢٨ : الملل والنحل ج١ ص ١٣٦

أما النجدات فقد فصلوا القول فى مرتكب الذنوب وجزائه وذلك باختلاف حاليه الاصرار على الذنب وعدمه فهم يرون ان من ارتكب من المعاصى شيئا وهو مصر عليه فهو كافر مشرك ولو كانت هذه المعاصى من صغائر الذنوب كالنظرة الصغيرة والكذبة الصغيرة وان من ارتكب من تلك المعاصى شيئا وهو غير مصر عليه فهو مسلم ولو كانت هذه المعاصى من كبائر الذنوب كالزنى والسرقة وشرب الخمور وغيرها . يقول الاشعرى : " وزعموا ان من نظر نظرة صغيرة اوكذب كذبة صغيرة ثم اصر عليها فهو مشرك وان من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم " (١) . وكذا عند البغدادى والشهرستانى وابن حزم، ولهم تفصيل اخر بالنسبة لمرتكبى الذنوب اذا كانوا من موافقيهم او مخالفيهم وهو ان مرتكب الكبيرة اذا كان منهم فهو غير كافر بل هو من اهل الولاية . واذا كان من مخالفيهم فهو كافر من اهل النار . ثم زعموا ان موافقيهم ان عذبهم الله فلعله يعذبهم بذنوبهم فى غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة . قال الاشعرى " وتولوا اصحاب الحدود والجنايات من موافقيهم وقالوا لا ندرى لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم فان فعل فانما يعذبهم فى غير النار بقدر ذنوبهم ولايخلدهم فى العذاب ثم يدخلهم الجنة " . ونحو هذا قال البغدادى والشهرستانى (٢) وقال ابن حزم عنهم " وقالوا (اى النجدات) اصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارا واصحاب الكبائر من غيرهم كفار " (٣)

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٥ الفرق بين الفرق ص ٨٩ . الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤ الفصل ج ٤ ص ١٩٠

(٢) المقالات ج ١ ص ١٧٥ ـ الفرق بين الفرق ص ٨٩ . الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤

(٣) الفصل ج ٤ ص ١٩٠ .

هذا بالنسبة لارتكاب الكبائر ، اما الصغائر فلا يكفرون بها كما قال عنهم الجيطالى في نصه الاتى : " وقالت النجدية منهم الكبائر كلها شرك واما الصغائر فلا " (١)

ومثل هذه التفرقة في حكم مرتكب الكبيرة بين من يكون من الخوارج ومن يكون من غيرهم نجدها عند الحسينية وهم من اباضية المغرب فيرجأون الحكم في موافقيهم واما مخالفوهم المرتكبون للكبائر فهم عندهم كفار مشركون وهذا هو ما يرويه الاشعرى عن اليمان بن رباب من ان الحسنية . يقولون " بالارجاء في موافقيهم خاصة كما حكى عن نجدة ويقولون فيمن خالفهم : انهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون " (٢) وكانهم بهذا الحكم الخاطىء يحاكون اليهود والنصارى فيما ذكره الله عنهم بقوله تعالى " وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه " (المائدة : ١٨) والغريب في هذا التفكير ان يتصور الشخص ان صدور ذنب ما من الذنوب ثم يختلف الناس في حكم ارتكابه فبعضهم يكفر به والبعض الاخر لا يكفر به او مسكوت عنه مع ان الكل من اهل التكليف هذا هو اتباع الهوى والاماني الباطلة .

ولا شك ان النجدات بقولهم هذا يجمعون بين الخطأ في الراى والتناقض في المذهب فالى جانب خطإهم في القول بتكفير مرتكبي الذنب كما سنبين ذلك فيما بعد ـ يتناقضون مع انفسهم فيفرقون في ذلك الحكم بين من هو منهم ومن هو من غيرهم بينما لا فرق بين الاثنين في ارتكاب كل منهما المعصية وهو مناط الحكم بالكفر عندهم بل لقد كان من هو منهم اولى بالتزام الشريعة والتكفير اذا اقترف معصية ما دام رايهم تكفير مرتكبي الكبيرة

---

(١) قواعد الاسلام ص ٣٧
(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٨

بخلاف غيرهم ممن لا يرون هذا الرأي ولا مجال للعصبية المذهبية في التفرقة بينهم وبين غيرهم ما دام مناط الحكم بالتكفير واحدا ٠ والا فهو التفرقة بين المتماثلين والتناقض في الجمع بين النقيضين التكفير وعدمه في حق مرتكب الكبيرة بصفة عامة ومثل ماقلناه هنا عن النجدات نقوله عن الحسينية فالمعنى للارجاء والتوقف في حكم مرتكب الكبيرة اذا كان منهم ما دام مناط الحكم بالتكفير كما قلنا واحدا وهو ارتكاب الكبيرة والا فهو التفرقة بين المتماثلين والعصبية المذهبية ٠

ورغم ما تقدم من اقوال مؤرخي الفرق من ان النجدات يكفرون اهل الكبائر الا ان هناك روايات تخالف ما ذكر عنهم وهو انهم لا يكفرون صاحب الكبيرة او يكفرونه كفر نعمة لا كفر ملة على نحو ما تقوله الاباضية وهذا ما اشار اليه الطالبي بقوله :

" واما النجدات فيروى عنهم انهم لا يكفرون صاحب الكبيرة وانهم لا يكفرون عليا " (١) ثم عزا هذا الراى الى عثمان العامري الحنبلي في كتابه المخطوط " منهج المعارج " وقد ذكر البغدادي عنهم تكفيرهم لمرتكبي الكبيرة كفر نعمة فقال : " وقالت النجدات منهم انه ـ يعني صاحب الكبيرة ـ كافر بنعمة وليس بمشرك " (٢) وهذا القول قاله البغدادي في كتابه " اصول الدين " بينما هو يذكر في كتابه الفرق بين الفرق كما اشرنا اليه سابقا ان المصر على الذنب يكون مشركا وان صغر هذا الذنب وكما فرق القائلون بتكفير مرتكبي الذنوب بين مرتكب الكبيرة والصغيرة وكذلك بين من كان مصرا ومن لم يكن كذلك الى غير ذلك من الاعتبارات السابقة فان هناك من اصحاب هذا الراى من يفرقون في هذا الحكم حسب اعتبارات اخرى فالصفرية كغيرهم

---

(١) اراء الخوارج ص ١٤٢ عن منهج المعارج ص ٣٥٠

(٢) اصول الدين ص ٢٥٠

من الفرق السابقة يرون ان اهل الذنوب كنار . قال الاشعري " ومن قول الصفرية واكثر الخوارج ان كل ذنب مغلظ كفر وكل كفر شرك وكل شرك عبادة للشيطان " ونحوه عند البغدادي والجيطالي " (١) . لكن قوما من الصفرية يذهبون الى التفرقة بين من ارتكب ذنبا فحد عليه وحينئذ يكفر او لم يحد عليه فيبقى على الايمان الى ان يحد وهذا ما يرويه الاشعري حكاية من اليمان بن رباب الخارجي بقوله " وحكى اليمان بن رباب الخارجي ان قوما من الصفرية وافقوا بعض البيهسية على ان كل من واقع ذنبا عليه حرام لا يشهد عليه بانه كفر حتى يرفع الى السلطان ويحد عليه فاذا حد عليه فهو كافر الا ان البيهسية لا يسمونهم مؤمنين ولا كافرين حتى يحكم عليهم . وهذه الطائفة من الصفرية يثبتون لهم اسم الايمان حتى تقام عليهم الحدود " . وهكذا عند البغدادي (٢) وينظر بعض الصفرية في الحكم بالتكفير الى العمل نفسه فان وجد له حد في كتاب الله كالزنا والسرقة والخمر والقتل فلا يسمى صاحبه الا بذلك الاسم فيقال له زان وسارق وشارب خمر وهكذا وحكمه انه غير كافر ولكنه ليس بمؤمن ايضا وفي هذا رفع للنقيضين كما لا يخفى . او لم يوجد له حد مبين في كتاب الله كترك الصلاة والحج والصوم ونحو ذلك فمرتكبه كافر وليس بمؤمن كذلك . يقول البغدادي " وقد زعمت فرقة من الصفرية ان ما كان من الاعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه الا بالاسم الموضوع له كزان وسارق وقاذف وقاتل عمد وليس صاحبه كافرا ولا مشركا وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وان المؤمن المذنب يفقد اسم الايمان في الوجهين جميعا " (٣) ونحو هذا

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٩٦ ـ الفرق بين الفرق ص ٩١ . قواعد الاسلام ص ٣٩

(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٧ . الفرق بين الفرق ص ٩١

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩١ . الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ ـ الفصل ج ٤ ص ١٩١ .

عند الشهرستانى وابن حزم ٠

وفيما يتعلق بالبيهسية فانهم يرون ان أهل الذنوب مشركون ومثلهم من جهل الدين الا فى ذنب لم يحكم الله فيه بتغليظ عذاب فاعله فهذا مغفور ٠ والتائبون من الذنوب فى مواضع الحدود المقرون على انفسهم بارتكابها هؤلاء مشركون كفرة ايضا لان الحدود عندهم لاتقع الا على كافر معلوم الكفر وباقراره وتوبته علم كفره حين ذاك وهذا من اغرب مايكون اى أن نحكم على الشخص بالكفر حين يعلن توبته ٠ قال الاشعرى " وقالت البيهسية : الناس مشركون بجهل الدين مشركون بمواقعة الذنوب وان كان ذنب لم يحكم الله فيه حكما مغلظا ولم يوقفنا على تغليظه فهو مغفور ٠٠ وقالوا التائب فى موضع الحدود وفى موضع القصاص والمقر على نفسه يلزمه الشرك اذا اقر من ذلك بشيء وهو كافر لانه لا يحكم بشيء من الحدود والقصاص الا على كل كافر يشهد عليه بالكفر عند الله " (١)

ويقابل هذا التشدد منهم تساهل وتسامح من السكارى حتى كان السكران حين يرتكب جريمة سكر تسقط عنه جميع التكاليف الشرعية وجميع مايصدر عنه فى تلك الحال من آثام " وكل ماكان فى السكر من ترك الصلاة او شتم الله سبحانه فهو موضوع لاحد فيه ولا حكم ولا يكفر اهله بشيء من ذلك ماداموا فى سكرهم " (٢) ٠ الا ان طائفة منهم تسمى العوفية تقول " السكر كفر اذا كان معه غيره من ترك الصلاة ونحوه " (٣) ٠

وبعض البيهسية يقولون " من واقع زنا لم نشهد عليه بالكفر حتى يرفع الى الامام او الوالى ويحد " (٤) ٠ وقبل الرفع الى الامام الوالى يبقى حكمه معلقا لا مؤمنا ولا كافرا والبغدادى ينسب هذا الراى لكل البيهسية ، وكأن الطهارة من الاثام بالحدود لاتترفع

---

(١) المقالات جـ ١ ص ٢٩٥ ٠ الفرق بين الفرق ص ١٠٩
(٢) المقالات جـ ١ ص ١٩٥ ٠ الفرق بين الفرق ص ١٠٩
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٩ ٠ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٧
(٤) المقالات جـ ١ ص ١٩٤ ٠ الفرق بين الفرق ص ١٠٩ ٠ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٧

عنه الاثم . وهذا خلاف ماعليه المسلمون فان وقوع الحد على المذنب وخصوصا التائب المقر بذنبه تجعله في عداد التائبين الذين عفى الله عنهم كما قال عليه الصلاة والسلام في حق ماعز " لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم " (١) . وفي حق الغامدية قال عليه السلام لعمر حين نهاه عن الصلاة عليها " لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم " (٢) . وقال عليه الصلاة والسلام في بيان ان الحدود كفارة لمن وقعت عليه " بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ هذه الاية كلها : فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه " (٣) .

ولا يستبعد منهم هذا التشدد والتنطع فقد خالفوا ماقرره القرآن في بعض الاحكام فبينما الله تعالى يقول : " ولا تزر وازرة وزر اخرى " . اذا بهم يقررون انه اذا كفر الامام كفرت الرعية " (٤) .

ويجدر بنا في نهاية سياقنا لآراء الخوارج القائلين بتكفير العصاة ان نذكر ان منهم من تردد بين الحكم بتوليهم او التبري منهم او التوقف في شأنهم وهم فرقة الضحاكية من الخوارج وهذا ماذكره الاشعري عن هذه الفرقة بقوله /:

---

(١) صحيح مسلم جـ ٥ ص ١١٩

(٢) صحيح مسلم جـ ٥ ص ١٢١

(٣) صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٥

(٤) المقالات جـ ١ ص ١٩٤ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩
ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٦

" واختلفوا فى اصحاب الحدود فمنهم من برئ منهم ومنهم من تولاهم ومنهم من وقف، واختلف هؤلاء فى اهل دار الكفر عندهم فمنهم من قال عندنا كفار الا من عرفنا ايمانه بعينه ومنهم من قال هم اهل دار خلط فلا نتولى الا من عرفنا فيه اسلاما ونقف فيمن لم نعرف اسلامه ونتولى بعض هؤلاء بعضا على اختلافهم وقالوا الولاية تجمعنا " (١)

– – –

(١) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٨٩

٢ — الحكم بتكفير العصاة كفر نعمة :

وهذا هو الرأى الثاني من آراء الخوارج وهو للاباضية وهم يرون فى ذلك ان من ارتكب كبيرة من الكبائر فهو موحد اذ انه غير مشرك لكنه ليس بموءمن اذ انه يخلد فى النار خلود الكافرين اذا مات وهو على كبيرته وهو لذلك كافر كفر نعمة لاكفر ملة .

يقول قطب الائمة منهم فى رسالته المخطوطة لدى سالم بن يعقوب الجبرى " واما كون مرتكب الكبيرة موحدا غير موءمن فهو مذهبنا " (١)

ويقول الاشعرى عنهم " وقالوا ان كل طاعة ايمان ودين وان مرتكبى الكبائر موحدون وليسوا بموءمنين " (٢) . وقال ايضا " والاباضية يقولون : ان جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه ايمان وان كل كبيرة فهى كفر نعمة لاكفر شرك وان مرتكبى الكبائر فى النار خالدون مخلدون فيها " (٣)

وكذا الشهرستانى فيما يرويه عن الكعبى ان هذا الراى هو راى الاباضية بالاجماع وهو ما أكده الحارثى الاباضى . (٤)

ولا ندرى وجها للتفرقة بين التوحيد والايمان فى حكم مرتكب الكبيرة حيث يثبتون له التوحيد وينفون عنه الايمان . فالتوحيد ايمان بالله الواحد . اللهم الا ان يكون مرادهم هو وصفه بالتوحيد لمجرد نطقه بكلمة التوحيد ولو ظاهرا . ثم انهم عندما ينفون عن

---

(١) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٤٨٤

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٨٥ وانظر الاباضية بين الفرق ص ٣٢٠

(٣) المقالات جـ ١ ص ١٨٩ وانظر ص ٢٠٤ وانظر الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٤٦
وانظر العقود الفضية ص ٢٨٥

(٤) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٥
وانظر العقود الفضية ص ١٧٠ وص ٢٨٨ .

المذنب الايمان يلزمهم القول بتكفيرهم له كفر ملة فنفي احد النقيضين يستلزم ثبوت الاخر فما وجه حكمهم على المذنب بالتكفير كفر نعمة لاكفر ملة وهو عندهم غير مؤمن ومخلد فى النار كما هو مذهب عامة الخوارج ثم انهم يستدلون على عدم ايمانه بخلوده فى النار بينما ان خلوده فى النار انما هو نتيجة لعدم ايمانه وهذا خلط وتناقض فى الرأى وماذكرناه سابقا من حكم الاباضية على مرتكبى الكبائر بالخلود فى النار خلود الكافرين انما هو فى شان من مات مصرا على كبيرته وفى هذا يقول النفوسى من علمائهم :

ودنا بانفاذ الوعيد وحكمه ... وتخليد اهل النار فى النار والهون
فحد الكبير الحد فى عاجل الدنيا ... وسوء عذاب النار ياشر مسكن
ثلاثة اسماء معان تجاورت ... كبير وكفر والعقاب بمقرن
فمن مات من اهل الكبائر ابينا ... مصرا فما اقصاه عن جنة العدن (١)

وصاحب كتاب الاديان وهو اباضى ايضا بعد ان استشهد بقوله تعالى " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا " (الزمر : ٧٣) وقوله تعالى " وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا (الزمر : ٧١) وقوله تعالى " واتقوا النار التى اعدت للكافرين " (آل عمران : ١٣١) قال " فقد سمى الله من دخل النار كافرا الميناوكل من عصى الله بكبيرة ومات مصرا عليها فقد كفر بنعمة الله ويخلد فى النار بكبيرته " (٢) . ثم اثبت ايضا ان هذا هو اعتقاد اهل الاستقامة ويعنى بهم الاباضية وان من اعتقادهم "ان صاحب الكبيرة اذا مات مصرا يرى حسناته محبطة وسيئاته مثبتة وصاحب التوبة والاقلاع عن المعصية يرى حسناته مثبتة وسيئاته محبطة " (٣) .

---

(١) متن النونية فى عقيدة التوحيد ص ١٨
(٢) من كتاب فى الاديان والفرق ص ٥٥
(٣) المرجع السابق ص ٥٨ .

وفى هذا يقول الاشعرى ايضا " وقالوا الاصرار على اى ذنب كان كفر " (١)

وهو عندهم فى منزلة البراءة والبعد حتى يتوب من ذنبه كما تقول مصادر الاباضية (٢)

والحكم على مرتكب الكبيرة بانه كافر كفر ملة لا كفر نعمة قائم على تفرقتهم بين التكذيب بالعقائد وارتكاب الكبائر بحيث يستوجب اولهما الشرك وثانيهما مجرد كفر النعمة وفى هذا يذكر السالمى ان الكفر عند الاباضية ينقسم الى كفر شرك والى كفر نعمة ومثل لكلا النوعين بامثلة فمثل لكفر الشرك بالله "بالتكذيب لشىء من كتب الله او تكذيب نبى من انبيائه او رد حرف من كتب الله وكانكار الموت والبعث او الحشر او الحساب او الجنة " . ومثل لكفر النعمة" بارتكاب شىء من كبائر الذنوب من المعاصى الظاهرة والباطنة " ومثل للمعاصى الباطنة "بالعجب والكبر والحسد والريا وماتولد منها من الاخلاق الردية " . ومثل للمعاصى الظاهرة والكبائر الظاهرة" بالزنا والربا وظلم العباد وايذاء المسلمين وتخويفهم ومكابرة الحق ومعاندة اهله وشرب الخمر ولبس الذهب والحرير " (٣) الخ .

ومع ماتقدمنا من تكفير الاباضية لمرتكب الكبيرة كفر نعمة لا كفر ملة فاننا نجد بعضهم يخرج عن هذا المبدأ بل يغالى فى خروجه فيعتبر ارتكاب صغيرة من الصغائر شركا

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٨٧
(٢) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٧ وانظر العقود الفضية ص ٢٨٩
(٣) تلقين الصبيان ص ١٢٣ _ ١٢٧

وهذا هو ما يذكره ابن حزم عن فرقة الحارثية من الاباضية ويعده من حماقاتهم فيقول " ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنب صغيرا وكبير، ولو كان اخذ حبة خردل بغير حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار الا ان يكون من اهل بدر فهو كافر مشرك من اهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم " (١)

وقد رد عليه معمر الاباضي ردا عنيفا مدعيا بان هذا البكر المجهول النسب الذي لا يعرف الا بابن اخت عبد الواحد شخص مجهول لا يعرفه الاباضية وانما اثبته ابن حزم من الاباضية لانه ـ على حد تعبير معمر ـ لم يجد له مكانا فوضعه مع الاباضية وكانه لقيط مجهول فقد قال مانصه " وهذه كما يرى القارىء الكريم ليست من حماقات الاباضية وانما هي من حماقات العالم الكبير ابن حزم الاندلسي وللعلماء الكبار حماقاتهم .. ان العالم الكبير ابا محمد بن حزم وهو يصنف المسلمين على فرق يعثر على هذا الرجل فلا يجد له مكانا ثم ياتي به يسوقه حتى يجد فراغا بين صفوف الاباضية فيلقيه هناك ثم ينسبه اليهم ثم يلقي عليهم تبعة حماقاته " (٢)

ومهما يكن من راى على يحيى في رواية ابن حزم عن الحارثية هؤلاء فان ابن حزم يروي عنهم كذلك ان العصاة اهل الحدود يجب استتابتهم بعد اقامة الحد عليهم فان تابوا تركوا وشانهم وان ابوا فيجب قتلهم وذلك في قوله الاتي " وقالت طائفة من اصحاب الحارث الاباضي ان من زنا او سرق او قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة " (٣) . وقد رد على معمر

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ١٩١

(٢) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٥١

(٣) الفصل جـ ٤ ص ١٨٩ .

على ابن حزم فى ذلك ايضا فقال : " ولم يذكر احد ان ائمة الاباضية تجاوزوا حدود الله فى اقامة الحد فقتلوا من لا يلزمه القتل . والاباضية لا يحكمون على من لزمه الحد بالردة تاب او لم يتب واسناد هذا القول اليهم كذب عليهم " (١)

ثم ذكر ان الشخص المحدود " لا يخلو ما ان يقام عليه الحد بعد اعترافه واعلانه للتوبه كماعز مثلا فهذا لا يختلف اثنان فى صدق توبته ووجوب ولايته واما ان يجب عليه الحد ويقام وهو مصر على معصيته ولا يعلن التوبة مما ارتكب وهذا الاخلاف بين اثنين من الاباضية فى وجوب البراءة منه " . (٢)

والواقع ان مذهب السلف هو انهم لا يبرأون من اقيم عليه الحد ولا يعتبرونه كافرا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه والصحابة من بعده يصلون على من مات فى الحد بل ويترحمون عليه كما قال عليه الصلاة والسلام لاصحابه " استغفروا لماعز بن مالك ـ قال ـ الراوى ـ فقالوا غفر الله لماعز بن مالك " (٣)

والى جانب من يذكر عن الاباضية ـ ماعدا الحارثية منهم ـ حكمهم على مرتكب الكبيرة بكفر النعمة نجد من ينسب اليهم القول بانه منافق وانهم يوافقون بذلك اهل السنة وهذا هو ما يفكره على يحيى معمر وغيره من الاباضية ـ كما سياتى ـ من ان راى الاباضية فى مرتكب الكبائر انه منافق وليس بمشرك وان اهل السنة والاباضية يتفقون ويلتقون لقاء كاملا ـ كما قال ـ فى ان مرتكب الكبيرة يدخل النار وهذا فى الاخرة اما فى الدنيا فاحكامه لا تختلف عن احكام المسلمين وانهم فى هذا تبع لراى الحسن البصرى ونفى ان يكون راى الاباضية فى اهل الكبائر كراى الخوارج فان الاباضية فيما يقول " لا يرون راى الخوارج

---

(١) و (٢) الاباضية بين الفرق ص ٤٧

(٣) صحيح مسلم جـ ٥ ص ١١٩

وانما يرون راى الحسن البصرى فيعتبرون مرتكب الكبيرة منافقا وليس مشركا وهنا يلتقى الاباضية واهل السنة لقاءا كاملا بقطع النظر عن التسميات _ فيتفقون جميعا على أن مرتكب الكبيرة اذا لم يتب يدخل النار اما معاملته فى الدنيا فهى لاتختلف عن غيره من المسلمين " (١)

والواقع ان قول معمر باتفاق الاباضية واهل السنة على دخول مرتكب الكبيرة النار ليس على اطلاقه فاهل السنة يقولون انه تحت المشيئة ان شاء الله عذبه ثم ادخله الجنة وان شاء عفا عنه . ثم انه اغفل القول بالتخليد فى النار وعدمه مكتفيا بحكمه على مرتكب الكبيرة بدخول النار بينما راينا ان الاباضية يحكمون بخلوده فيها كما هو مذهب عامة الخوارج ويقول قطب الائمة مفرقا بين النفاق والشرك " ونحن لا نتوقف فى النفاق بل نجزم انه غير شرك ونقطع بذلك " (٢)

بينما الاشعرى يذكر انهم لم يجزموا بحكم فيه بل اختلفوا على ثلاث فرق :

الفرقة الاولى منهم يزعمون ان النفاق براءة من الشرك _ زاد البغدادى قوله " براءة من الشرك والايمان جميعا _ " واحتجوا فى ذلك بقول الله عز وجل " مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء " (النساء : ١٤٣) .

والفرقة الثانية منهم يقولون ان كل نفاق شرك لانه يضاد التوحيد

والفرقة الثالثة منهم يقولون لسنا نزيل اسم النفاق عن موضعه وهو دين القوم الذين عناهم الله بهذا الاسم فى ذلك الزمان ولا نسمى غيرهم بالنفاق .. وقال القوم

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٤٧ . وانظر الاباضية فى موكب التاريخ ص ٩١ ج ١ .

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٤٨٤

الذ ين زعموا ان المنافق كافر وليس بمشرك ان المنافقين على عهد رسول الله صلى اللـــــه عليه وسلم كانوا موحد ين . وكانوا اصحاب كبائر . ـ زاد الشهرستانى " فكفروا بالكبيـــرة لا بالشرك " (١)

وننتهى من عرضنا لراى الاباضية فى حكم مرتكب الكبيرة ـ اذ ا استثنينا قـــــول الحارثية بتكفيره كفر ملة ـ انهم يحكمون عليه بكفر النعمة والنفاق فهل هما بمعنى واحد عند هم فلا يكون بينهم خلاف فى هذ ا الحكم ؟ وهل يعتبر كفر النعمة والنفـــــا ق منزلة بين منزلتى الشرك والايمان . ؟

هذ ا ماتجيب عليه اقوال الاباضيين فى بحثنا التالى عن حقيقة القول بالمنزلــــــة بين المنزلتين عند هم .

ـــ ـــ ـــ ـــ

(١) انظر المقالات جـ ١ ص ١٨٥ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٦ ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٥

٣ - حقيقة القول بالمنزلة بين المنزلتين عند الاباضيــــة :

يقف الاباضية من هذه المسألة بين امرين . بين النفي من جهة ، والاثبــــات من جهة اخرى . وذلك باعتبارين مختلفين :

فاثباتهم للمنزلة بين المنزلتين يقصدون به النفاق الذى يحكمون به على مرتكــــب الكبيرة - كما قدمنا - حيث يثبتونه منزلة بين منزلة الايمان والشرك وبين كذلــــك ان النفاق عندهم معنى مرادفا لمعنى كفر النعمة بل هذا هو مايؤكده كلام ابواسحــــاق الاباضي مثبتا رأيهم فى أنهم يطلقون النفاق على الكبائر المرادفة لكفر النعمة حيــــث يقول : " ولهذا اطلق اصحابنا النفاق عليها - يعنى بها الكبائر - كما اطلقــــوا الكفر فصار النفاق فيها مرادفا لكفر النعمة " (١)

وكذلك يعتبر تبغورين الاباضى ان الحكم بالنفاق على مرتكبى الكبائر يتساوى مع الحكم عليه بكفر النعمة فهو يقسم الناس الى ثلاث فرق مؤمنون ومشركون ومنافقون . وهذا القسم الاخير يعتبرهم موحدين وليسوا بمشركين ولا بمؤمنين وهو يقول فى ذلك " الفــــريق الثالث - ويعنى بهم المنافقين - هم قوم اعلنوا كلمة التوحيد واقروا بالاســــلام ولكنهم لم يلتزموا به سلوكا وعبادة فهم ليسوا مشركين لانهم يقرون بالتوحيد وهــــم ليسوا بمؤمنين لانهم لا يلتزمون مايقتضيه الايمان " (٢) .. الى ان يقــــول " وقد اطلق الاباضية على هذا القسم الثالث اسم المنافقين وكفار النعمة " (٣)

---

(١) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٣٤٢

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٣٢٠

(٣) المرجع السابق ص ٣٢١

فالنفاق كما وضح مرادف لكفر النعمة وهو المراد بالمنزلة بين المنزلتين عندهم وقد قال ايضا فى تاكيد هذا " الاصل الخامس فى المنزلة بين المنزلتين وهوالنفاق بين الشرك والايمان " (١) .

ويقول الجناونى ايضا فى هذا المعنى بالاضافة الى بيان تفوربن السابق " واما المنزلة بين المنزلتين فهى منزلة النفاق بين منزلة الايمان ومنزلة الشرك " (٢)

ثم استدل بقوله تعالى " ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما " (سورة الاحزاب: ٧٢)

فالاباضية يعتبرون المنافق فى منزلة بين المنزلتين هما منزلة الشرك والايمان كما قدمنا ثم يجعلون المنافق موحدا فمنزلة التوحيد هذه تقع اذا بين منزلتى الشرك والايمان كما قال ابومحمد عبد الله بن سعيد السدويكشى فى حاشيته على متن الديانات لابى ساكن عامر بن على الشماخى شارحا ماقاله ابوساكن فى هذا الموضوع " قوله ندين بان منزلة النفاق بين منزلة الايمان ومنزلة الشرك يعنى ان المنافق ليس بمشرك ولا بمؤمن بل هو موحد " . ثم يمضى فى شرحه الى ان يقول " الحاصل انا نقول بمنزلة النفاق بين منزلة الايمان والشرك ونقول بان لامنزلة بين الايمان والكفر " (٣) .

ثم ان الاباضية يرون بعد هذا ان النفاق لايكون الا فى الافعال لا فى الاعتقاد

---

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣١٦
(٢) كتاب الوضع
(٣) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية عن كتاب المقالات فى القديم والحديث ص ٣١٥ .

كما يقول السدويكشي ايضا " والذى عليه اصحابنا ومن وافقهم ان النفاق في الافعال لا في الاعتقاد " (١)

والمعروف ان المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نفاقهم في الاعتقاد د .. واما الافعال فكانت افعالهم كافعال المؤمنين ظاهرا وانما كان النفاق فيهم في اعتقادهم ان طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير صحيحة وانهم على الهدى والحق مع اتيانهم بافعال الاسلام . ولعل هذا هو الذى جعل السدويكشي يربط النفاق بالافعال حيث جاءت منهم على غير تصديق واذعان .

وغاية القول في هذا المقام ان الاباضية حينما يحكمون على مرتكب الكبيرة بالنفاق فانهم يجعلونه في منزلة بين منزلتي الشرك والايمان ويساوون بينه وبين ما يحكمون به على مرتكب الكبيرة من كفر الملة .

اما نفي الاباضية للمنزلة بين المنزلتين في بعض اقوالهم فمرادهم به نفي ان يكون بين الايمان والكفر منزلة فهما ضدان لا يتقابلان تضاد الحياة والموت والحب والبغض باجماع الائمة عندهم وفي ذلك يقول تبغورين الاباضي فيما ينقله عنه على بن يحيى في كتابه الاباضية بين الفرق :

" الاصل السادس لا منزلة بين المنزلتين وذلك ان معناه لا منزلة بين المنزلتين اى بين الايمان والكفر وهما ضدان كالاضداد كلها شبه الحركة والسكون والحياة والموت وقد اجمعت الامة في اصلهم على ان من ليس بمؤمن فهو كافر " (٢)

ولقائل ان يقول ان هذا هو راى الخوارج الذين تتبرأ منهم الاباضية اى القول بان الشخص اما ان يكون مؤمنا بفعل الطاعات او كافرا بارتكاب المعاصي وقد استدل

(١) المرجع السابق ص ٣١٥
(٢) ص ٣١٨

يتبغورين بالايات والاحاديث الاتية التى هى ادلة الخوارج انفسهم الذين يكفرون اهل الذنوب كفر ملة ومن الايات التى استدل بها قوله تعالى : " هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " (سورة التغابن : ٢) وقوله " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " (سورة الانسان : ٣) وقوله " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون " . وقوله تعالى " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ، اولئك هم الكفرة الفجرة " . (عبس : ٢٨/٢٩/٤٠/٤١/٤٢)

واستدل من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم "من ترك الصلاة كفر " " ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة " " الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " " الرشا فى الحكم كفر " .. الخ .

ومما قدمناه عن الاباضية من اثباتهم للنفاق انه منزلة بين منزلتى الشرك والايمان وانه لا منزلة بين منزلتى الكفر والايمان يظهر لنا خطأ الجناونى عندما فسر نفيهم للمنزلة بين المنزلتين بانهم ينفون وقوعها بين الشرك والايمان وهو خلاف ماذكره غيره من الاباضية حيث يقول : " واما قولهم لا منزلة بين المنزلتين — اى لا منزلة بين منزلة الايمان ومنزلة الشرك — بدليل قوله تعالى " اما شاكرا واما كفورا " اى اما مقر بالوحدانية واما جاحد لها " (١)

---

(١) انظر كتاب الوضع (بتعليق اطفيش)

وقد قدمنا ان اثبات المنزلة بين المنزلتين يريدون به اثبات النفاق منزلة بين منزلتي الايمان والشرك - وقد نقلناه عن الجناوني سابقا - وان نفي تلك المنزلة انما يقصدون به نفي وجود منزلة بين الكفر والايمان ، وبهذا يظهر تناقض الجناوني مع نفسه بالاضافة الى خطئه في التفسير .

- - -

٤ - وجوب الوعد والوعيد :

ظهر فيما سبق ان الخوارج يقولون بان العصاة اهل الكبائر اذا ماتوا على كبائرهم دون توبة انهم ليس لهم الا مصير واحد وهو النار مخلدين فيها ، وقولهم هذا وقول المعتزلة في هذا الموضوع قول واحد وهو تخليدهم في النار الا ان الخوارج يرون ان عذابهم كعذاب الكفار والمعتزلة تخالفهم في هذا وترى ان عذابهم ليس كعذاب الكفار (١) بل هم اقل منهم في الدرجة حتى مع خلودهم في النار . قال الاشعري " واجمع اصحاب الوعيد من المعتزلة ان من ادخله الله النار خلده فيها " (٢)

فالخوارج كما هو المشهور عنهم وكما تبين مما سبق بحثه انهم من اشد الفرق الاسلامية مبالغة في مسألة ارتكاب الذنوب واخراج اهلها من الايمان اذ ان الايمان قول وعمل فاذا خالف عمله الحق بارتكاب بعض الذنوب فلا بقاء لايمانه وهو من اصحاب النار وقد وصف الله نفسه بانه عدل يجازي كل واحد بما عمل وهو علام الغيوب فلا يمكن ان يكون المؤمن والكافر والطائع والعاصي والبر والفاجر في ميزانه تعالى واحدا فهذا خلاف العدل الذي تنزه الله عنه والا كان الامر بالايمان والطاعة والنهي عن الكفر والمعاصي لا معنى له . ثم قالوا ان الله صادق وقد قال في كتابه الكريم " ان الله لا يخلف الميعاد " (الانعام / ١٤٦) وقال تعالى " لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد " (ق : ٢٨ / ٢٩) فلا يتصور ان يخلف الله وعده او وعيده والا جاز عليه القول بانه يقول شيئا ثم يبدو له ان المصلحة

---

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤
(٢) المرجع السابق ص ٣٣٤

فى خلافه فيترك الاول وهذا مستحيل على الله وهو من صفات الناس لنقص عقولهم وتجدد الامور لديهم .كذلك فان المعروف بداهة ان من استحق العذاب لا يستحق الثواب ومن استحق الاحسان لا يستحق الاساءة والا لزم الجمع بين النقيضين، وعلى هذا فان الناس فى الدار الاخرة ينقسمون الى قسمين شقى وسعيد • فمن استحق الشقا لا يستحق السعادة ومن استحق السعادة لا يستحق الشقاء •قال تعالى " فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ " (هود ١٠٨/١٠٩) وكذا قوله تعالى " فريق فى الجنة وفريق فى السعير " (الشورى : ٧) الى غير هذه الايات التى فى هذا السياق •

وبهذه النظرة الضيقة "يكونون غير مراعين لايات الرحمة والعفو لان الرحمة كما يقال فوق العدل ومذهبهم هذا يؤدى الى شىء من اليأس فى ظاهر الامر ولكنهم يقولون ان من تاب فقد نجا) (١) " وبهذا يفتحون للمذنب طريقا الى الرحمة واملا ضعيفا الا انه طريق محفوف بالمخاطر فاقل زلة قد تجعله من اهل النار •

والاباضية فى ذلك كبقية الخوارج يرون ان الله لا يخلف وعده ولا يبطل وعيده كما قال صاحب كتاب الاديان الاباضى " ومن اعتقاد اهل الاستقامة ان الله لا يخلف وعده ولا يبطل وعيده " (٢) ويقول على معمر ايضا فى هذه المسألة " كما لا يجوز خلف الوعد كذلك لا يجوز خلف الوعيد " (٣) • فهم مجمعون على ان الله لا يخلف وعده

---

(١) اراء الخوارج ص ١٤٦
(٢) من كتاب الاديان والفرق ص ٥٥
(٣) الاباضية بين الفرق ص ٤٤٠

ولا وعيده كماقال تعالى " مايبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد " (ق : ٢٩) .

وهذا هو استدلالهم من القران . واستدلوا من الشعر العربى ببيت لاحد الشعراء وهو قوله :

قوم اذا وعدوا او اوعدوا عمروا ... صدق الرواية ماقالوا بما فعلوا

وهذا مايعبر عنه [illegible] الجناونى فى قوله " واما الوعد والوعيد فقد اتفق الموحدون كلهم على ان الله صادق فى وعده ووعيده " (١) . ثم استدل بالاية السابقة وبقول الشاعر المتقدم .

ويرد ابواسحاق اطفيش على القائلين بتخلف وعد الله بان هذا القول والقول بالبداء على الله واحد لافرق بينهما . فقال " والحق انه لادليل على تخلف وعد الله بل هو من القول بالبداء على الله " (٢) . ويقول النفوسى منهم مثبتا اعتقادهم فى هذا الباب :

ودنا بانفاذ الوعيد وحكمه ... وتخليد اهل النار فى النار والهون (٣)

وفيما يتعلق بوجوب الوعد والوعيد فان اهل السنة يقولون ان اخلاف الوعد مذموم وذلك غير اخلاف الوعيد فهو كرم وتجاوز كما يفعل اهل الشرف بعبيدهم حين يتوعدونهم ثم يعفون عنهم ويخلفون ماتوعدوهم به من العقاب ولهذا فقد " قال اهل السنة واخلاف الوعيد كرم ويمدح به بخلاف الوعد " (٤)

---

(١)(٢) كتاب الوضع للجناونى

(٣) كتاب متن النونية فى عقيدة التوحيد ص ١٨

(٤) الاسئلة والاجوبة على الواسطية ص ٨٤

وقد اجاب ابوعمرو بن العلا/عمرو بن عبيد القدرى حين قال له ابن عبيد " وقد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد والله تعالى يصدق وعده ووعيده " قال البغدادى " فاراد بهذا الكلام ان ينصر بدعته التى ابتدعها فى ان العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون فى النار) . اجاب ابوعمرو بن العلا عن قول ابى عبيد بقوله " فاين انت من قول العرب (ان الكريم اذا اوعد عفا واذا وعد وفى وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وانى اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم .(١)

ووجوب الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب عند الاباضية لا يرجع الى الايجاب على الله لان احدا لا يوجب عليه سبحانه وتعالى شيئا بل هو مقتضى الحكمة الالهية . فيرون وجوب الثواب والعقاب فى حق الحكمة لان الحكمة تقتضى ان يثاب المحسن باحسانه والمسىء باساءته ويرون ان الذين يقولون بوجوب الثواب والعقاب على الله وهم المعتزلة قد اساءوا الادب مع ربهم لانهم لم يحترزوا بكلمة " فى حق الحكمة " وهذا ماقاله احد ائمتهم ابى يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى " ان الله لا يجب عليه شىء لانه لا موجب عليه . وانما الوجوب فى الحكمة واجب عليه الثواب فى حق الحكمة والعقاب كذلك " (٢) . ويقول ايضا فى ايضاح وجوب الثواب والعقاب اضافة الى ماتقدم " واما الصنف الثانى من المكلفين بنوا ادم والجن فهؤلاء من واجب الحكمة ان يجب لهم الاجر والثواب على الله تعالى من جهة الحكمة ومقتضاها لا من جهة ايجاب موجب " (٣) .

والقول بايجاب شىء على الله فيه اساءة ادب لا يليق بجناب الله كما قال الوارجلانى ايضا يرد على الموجبين " فالذين قالوا ان الثواب حتم على الله قد اساءوا الادب انما كان ينبغى لهم ان يقولوا حتم فى واجب الحكمة " (٤) الخ .

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٦٥

(٢) و (٣) الدليل لاهل العقول ص ٥٦

(٤) المرجع السابق ص ٥٨

بعد بيان هذا الاختلاف عند الخوارج في حكم مرتكبي الذنوب احب ان اشير الى ان ماذكره الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ ابوزهرة رحمهما الله عن الخوارج من انهم على راى واحد في امر العصاة وهو حكمهم عليه جميعا بالتكفير فيه تساهل فقد راينا كيف اختلفوا في موقفهم من اهل الكبائر بين تكفيرهم كفر ملة او تكفيرهم كفر نعمة وكذلك اختلف حكمهم على مرتكبي المعاصي من حيث هي كبيرة او صغيرة ومن حيث الاصرار عليها وعدمه وكذلك من حيث كون العصاة منهم او من غيرهم الخ .

فقول الدكتور عبد الحليم " ورايهم في مرتكب الكبيرة يتفقون جميعا عليه " (١) وقول الشيخ ابوزهرة " فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويعدونه مخلدا في النار " (٢) لا يتفق مع تلك الاحكام المختلفة .

ولعلهما استندا في هذا القول الى الكعبي ـ وهو من شيوخ المعتزلة ـ الذى ادعى اجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب وكذلك ابن ابي الحديد حيث يقول " واعلم ان الخوارج كلها تذهب الى تكفير اهل الكبائر " (٣) . وذلك يخالف قول الاشعرى " واجمعوا على ان كل كبيرة كفر الا النجدات فانها لاتقول ذلك " (٤)

ولهذا قال البغدادى " والصواب ماحكاه شيخنا ابوالحسن عنهم وقد اخطأ الكعبي في دعواه اجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم " (٥)

---

(١) التفكير الفلسفي ص ١٩١
(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٥٥ جـ ٢
(٣) شرح نهج البلاغة جـ ٨ ص ١١٣
(٤) المقالات جـ ١ ص ١٦٧
(٥) الفرق بين الفرق ص ٧٣

ومثل هذا التعميم فى اطلاق الاحكام على الخوارج ما نراه عند القاضى عبد الجبار فى ادعائه ان الخوارج جميعا لا يفرقون بين الصغيرة والكبيرة بل يعتبرون كل الذنوب من الكبائر فيقول " وقد انكرت الخوارج ان يكون فى المعاصى صغيرة وحكمت بان الكل كبيرة " (١)

وقد رأينا من قبل تفرقتهم جميعا بين الصغيرة والكبيرة وتفرقتهم كذلك بين مرتكب كل منهما فى الحكم ، اللهم الا الحارثية من الاباضية .

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٦٣٢

٥ - ادلة الخوارج على تكفير العصاة والرد عليها

رأينا كيف ان معظم الخوارج كفروا مرتكب المعاصى كفر ملة او كفر نعمة ولهم على ذلك ادلة من الكتاب والسنة يستشهدون بها على صحة ماذهبوا اليه وهى ادلة مردودة كما سياتى وسوف نقتصر على اهم ادلتهم عرضا وردا • (١)

أ - ادلتهم من الكتاب والرد عليها :

استدل الخوارج على مذهبهم بقوله تعالى :

١ - ومن لم يحكم بما انزل الله فالئك هم الكافرون " (المائدة ٤٤) •

ووجه استدلالهم بالاية انهم ادعوا شمولها للفساق لان الفاسق لم يحكم بما انزل الله فيجب ان يكون كافرا كما هو ظاهر الاية " وهذا نص صريح فى موضع النزاع " (٢) كما قالوا ان كل مرتكب للذنوب لابد وانه قد حكم بغير ما انزل الله فهو داخل تحت هذا الخطاب •

والرد عليهم انا نقول لهم اما ان يكون الشخص مستحلا للحكم بغير ما انزل الله ولم يجعله له دستورا ولم يرجع اليه بالكلية فهذا لا شك فى كفره ولا خلاف حينئذ • واما ان يكون الشخص غير مستحل للحكم بغير ما انزل الله ويعترف بان القرآن هو المرجع الوحيد للاحكام ولكنه يحكم فى بعض اموره بغير ما انزل الله فهذا لا يخرج عن دائرة الايمان مادام انه غير مستحل لمخالفته الكتاب والسنة بل يدعى انه مسلم وانه يطبق حكم الله ولكنه يخرج عنه احيانا •

---

(١) انظر العقود الفضية ص ٢٨٥ / ٢٨٦

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٢ •

وفى هذا يقول ابن عباس فى معنى قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما انزل الله ..الخ " الاية " من جحد الحكم بما انزل الله فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق " (١)

وقال ايضا " انه ليس بالكفر الذى يذهبون اليه وانه ليس كفر ينقل من الملة بل دون كفره " (٢) . وقال عطاء ابن ابى رباح معنى قوله تعالى " ومن لم يحكم بما انزل الله فالئك هم الكافرون ـ هم الظالمون ـ هم الفاسقون ـ " قال : كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق " (٣) .

وقد اورد الشوكانى فى معناها عدة اقوال ومنها ان هذا الحكم " محمول على ان الحكم بغير ما انزل الله وقع استخفافا او استحلالا او جحدا " (٤) .

وقد اجاب ابوجعفر بن احمد عن استدلال الخوارج بالاية هذه بقوله " وجوابنا ان هذا مما لا يصح لكم التعلق به لان صريح هذه الاية ينطق بان من لم يحكم بجميع ما انزل الله فهو كافر لان " ما " تقتضى العموم والاستغراق وهذا مما لا نخالفكم فيه فانا نقول من لم يحكم بكل ما انزل الله فهو كافر ولكن ليست هذه حال الفاسق الذى اختلفنا فيه فانه مامن فاسق الا وقد حكم بكثير مما انزل الله .

ثم بين وجها اخر لمعنى الاية وهو ان تكون واردة فى المستحل ـ كما قدمنا ـ قال " فيتاول الاية على ماذكرناه اولا من ان من لم يحكم بشىء مما انزل الله فهو كافر وعلى ان من لم يحكم بما انزل الله مستحلا [illegible] على الله فهو كافر " (٥)

(١ ـ ٣) فتح القدير ج ٢ ص ٤٥
(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢
(٥) ابانة المناهج ص ١٦٤

ويقول القاضى عبد الجبار " ان الاية وردت فى شان اليهود ولاشك فى كفر اليهود " (١)

وهو قول بعض المفسرين ، فقد اورد الطبرى رحمه الله فى تفسيره لهذه الاية اربعة اقوال فى المراد بهذه الصفة ونسب كل قول الى من قال به من السلف . وهذه الاقوال الاربعة نلخصها بايجاز فيما يلى :

١ ـ ان الكفر فى هذا الموضع يراد به اليهود بخصوصهم لجحدهم الكثير من الاحكام التى كانت فى التوراة كحكمهم فى الزانين المحصنين وكتمانهم الرجم وقضاءهم فى بعض قتلاهم بدية كاملة وفى بعض بنصف الدية على حسب هواهم وكحكمهم فى الاشراف بالقصاص وفى الادنياء بالدية .

القول الثانى ان الله عنى بالكافرين اهل الاسلام وبالظالمين اليهود وبالفاسقين النصارى .

القول الثالث . ان الاية نزلت فى اهل الكتاب وهى مراد بها جميع الناس مسلموهم وكفارهم .

القول الرابع : ان معنى الكفر فى الاية اى " ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فاما الظلم والفسق فهو للمقرية " (٢) .

وقد قصر ابن ابى الحديد حكم الاية على اليهود فقط فقال :

" والجواب ان هذا مقصور على اليهود لان ذكرهم هو المقدم فى الاية " (٣)

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٢

(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٥

٢ - واستدل الخوارج على ما اعتقدون من كفر مرتكبي الذنب بقوله تعالى " فانذرتكم نارا تلظى ٠لا يصلاها الا الاشقى ٠الذى كذب وتولى " (الليل : ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ٠ ووجه استدلالهم بها ان الله تعالى قد اخبر بان هذه النار التى تتلظى هى لشقى مكذب متول عن امر الله فهو فاسق والفاسق فى النار وقد بين الله تعالى ان النار اعدت للكافرين وصاحب الكبيرة الفاسق من اهل النار واذا كان من اهل النار فهو كافر لانها اعدت لهم لا للمؤمنين ٠ والجواب عن هذا ان الله وصف هذا الذى يصلى هذه النار بانه مكذب ومتول عن امر الله ونهيه ولاشك ان من كانت هذه صفته فهو كافر ٠ ولكن هذه الصفة لاتنطبق على فاسق مصدق بايات الله وهذا ما ننازعهم فيه بل ان هذا الدليل هو عليهم اكثر مما هو لهم كما يرى القاضى عبد الجبار حيث يقول جوابا عن الاستدلال بهذه الاية " وجوابنا لاتعلق لكم بظاهر الاية لانه قال " لايصلاها الا الاشقى ٠ الذى كذب وتولى " وليس هذا حال الفاسق فاذا لوكنا مستدلين بها عليكم لكان اولى " (١) ٠ على ان العصاة وان دخلوا النار بذنوبهم فان دخولهم ليس بلازم لهم يقول الشوكانى فى معنى قوله تعالى " لايصلاها الا الاشقى " اى لايصلاها صليا لازما على جهة الخلود الا الاشقى وهو الكافر وان صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه " (٢) ٠

وقد اجاب ابن ابى الحديد وجعفر بن احمد بجواب اخر :

يقول ابن ابى الحديد " وغير ممتنع ان يكون فى الاخرة نار مخصوصة لا يصلاها الا الذين كذبوا وتولوا ويكون للفساق نار اخرى غيرها " (٣)

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٣
(٢) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٥٣
(٣) شرح نهج البلاغة جـ ٨ ص ١١٥

ويقول جعفر بن احمد " وجوابنا ان الاية لاتدل على شيء مما ذهبوا اليه لانه ذكر النار بلفظ التنكير فصريح الخطاب يقتضي ان في جهنم نارا مخصوصة لا يصلاها الا شقي مكذب فمن اين انه ليس هناك نارا اخرى يصلاها الفاسق وهذا الكلام لا يقتضي نفيها بل قد ثبت ان في جهنم طبقات ودركات بعضها يختص بالكفار وبعضها يختص بالفساق . على ان الله تعالى وصف هذا الاشقى المذكور بصفة لاتوجد في الفاسق وهو كونه مكذبا ومتوليا عن امر الله وهذه ليست حال الفاسق فان كلا منا معهم في فاسق مصدق بايات الله وهو موضع الخلاف . فاما المكذب فلا خلاف بيننا وبينهم في انه كافر " (١)

وهذا الجواب منهم قائم على اساس مايراه المعتزلة من وجود نار خاصة بالفاسقين . والقول في هذا ان الله يعذب الفاسق في اى مكان اراد من النار ثم يعفو عنه ويدخله الجنة ولا يخلده في النار كماتقول الخوارج ومن يرى رايهم .

وقد فسر الطبرى معنى قوله تعالى " لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى " اى الذى كذب بآيات الله واعرض عنها ولم يصدق بها " (٢) . وعلى هذا فان الفاسق ليس ممن كذب بايات ربه واعرض عنها ولم يصدق بها فان هذا كافر وهو ماوردت الاية فيه بخلاف الفاسق فانه لا يزال تحت كلمة الاسلام وتحت مشيئة الله تعالى .

٣ ـ واستدل الخوارج بقوله تعالى " ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور " . ووجه استدلالهم بالاية : ان صاحب الكبيرة لابد ان يجازى وقد اخبر تعالى انه لا يجازى الا الكافر والفاسق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافرا بثبوت الجزاء

---

(١) ابانة المناهج في نصيحة الخوارج ص ١٦٤
(٢) جامع البيان ج ٣٠ ص ٢٢٦

فلافرق بينهما .

وهذا الدليل مردود عليهم . اذ انه ينتقض بان الله يجازى الانبياء والمؤمنين وليسوا كفارا وبان الاية كانت تعقيبا لبيان ذلك العقاب الذى حل باهل سبأ وهو عقاب الاستئصال وهذا ثابت للكفار كما اوضحت الاية .

يقول ابن ابى الحديد " والجواب ان المراد بذلك وهل نجازى بعقاب الاستئصال الا الكفور لان الاية وردت فى قصة اهل سبأ لكونهم استوء صلوا بالعقوبة " (١)

وفى هذا يقول ايضا جعفر بن احمد " ظاهر الاية يقتضى ان المجازاة لاتثبت الا لمن هو كافر وقد اجمعنا على خلافه فان الانبياء والمؤمنين يجازون وليسوا بكفار " الى ان قال " ثم قالوا انا اثبتنا مجازاة الانبياء والمؤمنين بدلالة اخرى قلنا فنحن ايضا اثبت مجازاة الفساق بدلالة اخرى فاما هذه الاية فانها محمولة عندنا على عقاب الاستئصال وفيه وردت فان الله تعالى ذكرها فى اخر قصة سبأ وعقب بها حكاية حالهم وما جرى لهم وعليهم " (٢)

٤ ـ واستدلوا بقوله تعالى " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون " (ال عمران ١٠٦)

ووجه استدلالهم بذلك ان مسودى الوجوه هم الكفرة والفساق ليسوا ممن ابيضت وجوههم فيلحقون بمن اسودت وجوههم وهم الكفرة بدليل ان الله قسم المكلفين الى قسمين قسم ابيضت وجوههم فهم مؤمنون فى الجنة وقسم اسودت وجوههم فهم كفار فى النار خصوصا وان الله قد نص على كفرهم وهذا مايثبت ان الفاسق كافر .

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ ٨ ص ١١٦

(٢) ابانة المناهج ص ١٦٥ وانظر شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٥

والحقيقة ان هذه الاية لاتدل على الحصر المانع من وجود قسم اخر وذلك لما ياتي :

١ ـ ان ذكر فريقين بخصوصهما لا يدل على الحصر ونفي ماعداهما كما يشهد لهذا ايات من القران الكريم كقوله تعالى " والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله مايشاء " . فالاية لاتدل على حصر جميع المخلوقات فيها بل " قد ثبت بالمشاهدة ان فيه دواب تمشي على اكثر من اربع " فتخصيص الاية بذكر هذين الفريقين لاينفي وجود فريق ثالث وهم العصاة من المؤمنين ويكون عذابهم غير عذاب الكفار الاصليين والمرتدين المخلدين في النار .

٢ ـ ان الله تعالى ذكر في هذه الاية المرتدين بعد ايمانهم ولم يذكر بقية اصناف الكفار من يهود ونصارى ووثنيين وغير هؤلاء من اصناف الكفار فهي ليست حاصرة لاصناف الكفار فضلا عن ان تكون حاصرة لاصناف الناس بصفة عامة في المؤمنين والكافرين فقط .

ويقول جعفر بن احمد " وجوابنا ان هذه الاية لاتدل على شيء مما ذهبوا اليه ولا تبين عن موضع الخلاف لان غاية مافيها انه ذكر فريقين موصوفين بصفتين وذلك لا يقتضي نفي ماعداهما من ثالث ورابع لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ماعداهما " الى ان يقول " فبان ان تخصيص الله تعالى بهذين الفريقين بالذكر لا يقتضي نفي ماعداهما فيجوز على هذا ان يكون الفسقة فريقا ثالثا ويكون حكمهم المصير الى النار وان لم يذكرهم في هذه الاية بل قد ذكرهم في ايات اخر ولا يدل على كفرهم على ان الله تعالى ماذكر في هذه الاية من الكفار الا المرتدين بعد الاسلام بدليل قوله تعالى " اكفرتم بعد ايمانكم " ولم يذكر فيها الكافر الاصلي كالملحد والثنوي واليهودي والنصراني فاذا لم يكن تخصيصه للمرتدين بالذكر دالا على نفي من عداهم من اهل الكفر ولا على دخولهم في جملة الكفار " (١)

---

(١) ابانة المناهج ص ١٦٤/١٦٥

وقال القاضي عبد الجبار مجيبا عن هذا الاستدلال وراداً على الخوارج قولهم " ثم نقول لهم ليس في تخصيص الله تعالى بعض مسودي الوجوه بالذكر ما يدل على ان لا مسودي الوجوه غيره فان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه " (١)

٥ ـ واستدلوا بقوله تعالى : " فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه " وقوله " واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه " (الايات الحاقة / ١٩ ـ ٢٤) .

ويقوم استدلالهم بهذه الايات ونحوها على ان الله تعالى قسم الناس الى قسمين . القسم الاول يؤتى كتابه بيمينه وهم المؤمنون والقسم الاخر يؤتى كتابه بشماله وهم الكافرون، والفاسق لا يؤتى كتابه بيمينه بل بشماله فاذا هو كافر .

ويرد عليهم بان الله ذكر فريقين ثم وصفهما بهذه الصفات فلا يمنع ان يكون هناك فريق اخر لم يذكره له صفة اخرى وهم الفساق ثم ان قوله تعالى فيما بعد في شان من اوتي كتابه بشماله " انه كان لا يؤمن بالله العظيم " يدل على انه غير مؤمن وهذا لا شك في كفره . ولا خلاف . وانما الخلاف في الفاسق المؤمن بالله والذي يعترف بان الله سبحانه سيجازيه على اعماله ولا يجحد تحريمها وانما غلبت عليه شهوته وهذا مالم تذكره الاية . (٢) وهو تحت المشيئة .

٦ ـ واستدلوا بقوله تعالى " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " (التغابن : ٢) على ان الله تعالى حصر الناس في هذين القسمين اما مؤمن او كافر وقد امتدح المؤمنين وذم الكفار والفساق ليسوا من القسم الممدوح وهم المؤمنون فاذا هم من القسم الاخر المذموم وهم الكفار . ولان الفاسق ليس بمؤمن فيكون كافرا .

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٣ وانظر شرح منهج البلاغة ج ٨ ص ١١٦
(٢) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٤ / ٧٢٥ وانظر ابانة المناهج ص ١٦٥

ويرد عليهم بماتقدم في قوله تعالى " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه " من أن التخصيص لاينفي ماعدا المخصص واثبات الصنفين لايدل على نفي الثالث .

٢ — ان الاية واردة على سبيل التبعيض بمن اى ان بعضكم كافر وبعضكم مؤمن وهذا لاشك في وقوعه الا ان اهل الكبائر لم يذكروا هنا كما يدعي الخوارج .

يقول جعفر بن احمد " وهذا لا يمنع من ان يكون بعضهم فاسقا الا ترى انه لو ذكره عقب قوله " ومنكم مؤمن " لم يكن مناقضا في الكلام . ولو كان تخصيصه لمن ذكر يدل على نفي من عداه لكان متى ذكر الفاسق مناقضا وهذا مما لاشك في فساده "(١)

ويقول الملطي في بيان احتجاجهم بالاية مع قوله تعالى " ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله " (المائدة : ٥) وقوله " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " .

وما ورد من امثال هذه الايات انهم يقولون " لم يجعل الله بين الكفر والايمان منزلة ثالثة . ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والايمان راس الاعمال واول الفرائض في عمل ومن ترك ما امره الله به فقد حبط عمله وايمانه ومن حبط عمله فهو لا ايمان والذي لا ايمان له مشرك كافر "(٢)

وقد رد عليهم الملطي بان "الفاسق له منزلة بين الايمان والكفر واستدل باية القذف " والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون " . ثم قال " فهم فساق لا مؤمنون ولا كافرون — وهو راى المعتزلة — كما قال الله عز وجل واجمعت عليه الامة والامة مجمعة على اسم الفسق لاهل الكبائر "(٣)

---

(١) ابانة المناهج ص ١٦٥ وشرح نهج البلاغة جـ ٨ ص ١١٨

(٢) التنبيه والرد ص ٥٢

(٣) المصدر السابق ص ٥٣

ونود هنا ان ننبه الى اننا اذ اكنا قد رددنا على احتجاج الخوارج بالايات السابقة بانها لاتمنع وجود قسم ثالث وهم الفاسقون فنحن لانقول بقول من نقلنا عنهم في رد الاحتجاج بهذه الايات بان هؤلاء الفاسقين في منزلة بين المنزلتين منزلتي الايمان والكفر فذلك اصل من اصول المعتزلة لانقول به وانما نقول بان هؤلاء الفاسقين فريق غير كاملي الايمان فهم غير كفار وغير كاملي الايمان بل يقال لاحدهم انه مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وانهم من الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا .

٧ ـ ومما استدلوا به على تكفير مرتكبي الكبائر أن تارك الحج ـ وهو مرتكب للكبيرة بتركه الحج ـ وقد سماه الله كافرا فقال تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين " (ال عمران : ٩٧) .

ووجه استدلالهم بهذه الاية انهم قالوا ان الله تعالى قد نص على ان تارك الحج كافر وهذا الاستدلال لايسلم لهم وذلك لان الاية مجملة فيها احتمال ان يريد تارك الحج وفيها احتمال ان يريد تارك اعتقاد وجوبه لان الله تعالى لم يذكر الترك فلم يقل ولله على الناس حج البيت ومن تركه فقد كفر وانما بين ان الحج واجب على المستطيع ثم اثبت ان من كفر بالله فا الله غني عنه او يكون المراد به من ترك الحج مستحلا لتركه فهو كافر وهذا لاشك في كفره . وهذا ما اجاب به كثير من العلماء عن هذه الشبهة من شبه الخوارج في تكفير اهل الذنوب .

يقول جعفر بن احمد " هذه الاية لاتدل على ماراموه لانه لاذكر فيها لترك الحج ولا لذكر تاركه وانما ذكر الله تعالى فيها ان من كفر فان الله غني عنه وبين فيها وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا فان اوجبوا تعليق اخر الاية

بأولها ود أبوا على ذلك لم يضرنا تسليمه فان المذكور فى اول الاية هو وجوب الحج لا ن لفظة على موضوعه للايجاب ولا شك ان من لم يعترف بوجوب الحج ولم يقر بلزومه فهو كافر وهذه ليست حال الفاسق فان الخلاف واقع بيننا وبينهم فى فاسق اقر بوجوب الحج ولم يفعله . وليس فى هذا ذكر حكم هذا . (١)

وقد اجاب الطبرى عن معنى الآية بقوله " يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته فانكره وكفر به فان الله غنى عنه وعن حجه وعمله وعن سائر خلقه من الجن والانس " . وقد ذكر اقوالا اخرى الا ان هذا القول هو اجمعها .(٢)

ويقول الاستاذ ابوزهرة فى الرد على الخوارج فى استدلالهم بهذه الاية :

" واية الحج ليس الكفر وصفا لمن لم يحج انما الكفر فيها لمن انكر فريضة الحج "

وقال فى تفنيد تلك الادلة التى استدل بها الخوارج : " وكل هذه الدلائل تمسك بظواهر النصوص واكثرها كان الحديث فيه عن مشركى مكة فهى اوصاف لهم ". (٣)

---

(١) انظر ابانة المناهج ص ١٦٦ . شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٢
— شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٤
(٢) جامع البيان ص ١٩ ج ٤
(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٧٣ ج ١

ب - أدلة الخوارج من السنة والرد عليها

قدمنا فيمامضى ادلة الخوارج من القرآن الكريم على بدعتهم فى تكفير العصاةمن اهل الذنوب . والان سنستعرض ادلتهم من السنة النبوية مع ابطال ما أستدلوا به ورد شبهاتهم حول الاحاديث التى استندوا اليها فى تلك البدعة (١)

ومن هذه الاحاديث :

١ - حديث ابى هريرة رضى الله عنه ولفظه عند البخارى " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن " (٢) . فقد فهم الخوارج من هذا الحديث نفى الايمان عن مرتكبى هذه المعاصى نفيا تاما . واذ انفى عنهم الايمان فانهم يكونون من الكفار ذلك ان الكفر والايمان نقيضان اذا انتفى احدهما ثبت الاخر .

والواقع ان قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى .. الخ جاء مقيدا لنفى الايمان بحين مواقعة الزنا ومقتضاه كما يقول ابن حجر " انه لا يستمر بعد فراغه " قال " وهذا هو الظاهر (٣) " ويؤيد هذا ما ورد من روايات كثيرة عن ابن عباس وابى هريرة رضى الله عنهما تفيد رفع الايمان عن الشخص المقترف لجريمة الزنا فى حالة

---

(١) انظر العقود الفضية ص ٢٨٦
(٢) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٣ - صحيح مسلم ج ١ ص ٥٤
(٣) فتح البارى ج ١٢ ص ٥٩

مواقعته له ويكون فوقه كالظلة فاذا اقلع عاد اليه .

وهذا المعنى على فرض ان الحديث لاكلام فى صحته بينما الواقع ان فيه كلاما كثيرا للعلماء .قال الطبرى "اختلف الرواة فى اداء لفظ هذا الحديث وانكر بعضهم ان يكون صلى الله عليه وسلم قاله " (١) . ويرى ابن حجر ان الحديث مصروف عن ظاهره وذلك لاختلاف الحكم فى حد الزنا ونحوه فقال " ومن اقوى ما يحمل على صرفه عن ظاهره ايجاب الحد فى الزنا على انحاء مختلفة ـ فى حق الحر المحصن والحر البكر وفى حق العبد .فلو كان المراد بنفى الايمان ثبوت الكفر لا استووا فى العقوبة لان المكلفين فيما يتعلق بالايمان والكفر سواء " (٢)

ويذكر النووى ان "هذا الحديث مما اختلف العلماء فى معناه " ثم يذكر ان الصحيح من هذه المعانى هو نفى ان يكون الفاعل كامل الايمان ولاعبرة عنده بتلك الاختلافات " فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان " . ثم يذكر ان السبب الحامل له على هذا التاويل ورود نصوص كثيرة تشهد بخلافه فيقول " وانما تاولناه على ما ذكرناه لحديث ابى ذر وغيره من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور انهم بايعوه صلى الله عليه وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا الى اخره ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم فمن وفى منكم فاجره على الله ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه . فهذان الحديثان مع نظائرهما فى الصحيح مع قول الله عز وجل

---

(١) نقلا عن فتح البارى ج ١٢ ص ٥٩
(٢) المصدر السابق ص ٦٠

" ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مع اجماع اهل الحق على ان الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصوا الايمان ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فان شاء الله تعالى عفا عنهم وادخلهم الجنة اولا وان شاء عذبهم ثم ادخلهم الجنة . وكل هذه الادلة تضطرنا الى تاويل هذا الحديث وشبهه . " وهذا التاويل كما يقول " ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيرا " وهناك اقوال للعلماء في تاويله تلمسوها باجتهادهم وهي محتملة الا ان بعضها غلط . قال النووي ينبغي تركه فقد " تاول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلا له مع علمه بورود الشرع بتحريمه " وبعضهم قال " ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به اولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال سارق ، وزان وفاجر ، وفاسق .

" وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه ينزع منه نور الايمان " وقال المهلب ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى " وذهب الزهري الى ان هذا الحديث وما اشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاءت ولا يخاض في معناها وانا لا نعلم معناها . وقال امروها كما امرها من قبلكم " . وقال النووي بعد ان اورد تلك الاراء " وقيل في معنى الحديث غير ما ذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها غلط فتركتها وهذه الاقوال التي ذكرتها في تاويله كلها محتملة والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه اولا . " (١)

وقد زاد ابن حجر فذكر اقوالا لم يذكرها منها :

١ ـ ان هذا الحديث " خبر بمعنى النهي " والمعنى : لا يزني مؤمن ولا يسرقن مؤمن . وقد اخرجه الطبري من طريق محمد بن زيد بن واقد بن عبد الله ابن عمر .

---

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٤١/٤٢

٢ ـ "ان يكون بذلك منافقا نفاق معصية لا نفاق كفر " ويعزى هذا الرأى الى الاوزاعى .

٣ ـ ان معنى نفي كونه مؤمنا انه شابه الكافر في عمله .

٤ ـ معنى قوله ليس بمؤمن اى ليس بمستحضر في حال تلبسه بالكبيرة جلال من امن به .

٥ ـ معنى نفي الايمان نفي الامان من عذاب الله .

٦ ـ ان المراد بها الزجر والتنفير ولا يراد ظاهره .

٧ ـ انه يسلب الايمان حال تلبسه بالكبيرة . فاذا فارقها عاد اليه .

وقد بين المازرى فائدة هذه التاويلات بانها " تدفع قول الخوارج ومن وافقهم من الرافضة ان مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار اذا مات من غير توبة وكذا قول المعتزلة انه فاسق مخلد في النار فان الطوائف المذكورين تعلقوا بهذا الحديث وشبهه واذا احتمل ماقلناه اندفعت حجتهم " (١) .

وقد اشار البخارى رحمه الله الى الجمع بين حديث " لا يشرب الخمر وهو مؤمن " وبين قوله صلى الله عليه وسلم في رجل يسمى عبد الله ويلقب حمارا كان يشرب الخمر فلما جلده رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم " اللهم العنه ما اكثر مايؤتى به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتلعنوه فوالله ماعلمت انه يحب الله ورسوله " . ان المراد به ـ كما قال ابن حجر ـ نفي كمال الايمان لا انه يخرج عن الايمان جملة " (٢)

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٦١ ـ ٦٢ وانظر كتاب الايمان لابن تيمية ص ٢٦٩ / ٢٧٥

(٢) فتح البارى جـ ١٢ ص ٧٦ .

٢ ـ واستدل الخوارج على تكفير اهل الذنوب بما ورد في الاحاديث التي يدل ظاهرها على تكفير المسلمين المتقاتلين فيما بينهم وذلك كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " فحملوه على انه وارد في تكفير الموصوفين بما ذكر .

وللعلماء في معنى هذا الحديث سبعة اقوال وهي :

(١) أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق .

(٢) ان المراد كفر النعمة وحق الاسلام .

(٣) انه يقرب من الكفر ويؤدي اليه .

(٤) انه فعل كفعل الكفار .

(٥) المراد حقيقة الكفر ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين .

(٦) حكاه الخطابي وغيره ان المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح وهذا بعيد ـ فيما اري ـ .

(٧) وهو للخطابي ايضا ان معناه لا يكفر بعضكم بعضا فتستحلوا قتال بعضكم بعضا . (١)

وقد رجح النووي من تلك الاقوال القول الرابع وهو ان فعل القتل يشبه فعل الكفار ويقول ابن حزم أن الحديث " على ظاهره وانما في هذا اللفظ النهي عن ان يرتدوا بعده الى الكفر فيقتتلوا في ذلك فقط وليس في هذا اللفظ ان القاتل كافر " (٢) .

وهذا ـ حسب رايي ـ هو احسن الاقوال واقربها الى معنى الحديث اي ان المنع متوجه الى النهي عن ان يرتدوا الى الكفر الذي يترتب عليه ضرب بعضهم رقاب بعض

---

(١) شرح النووي جـ ٢ ص ٥٥

(٢) الفصل جـ ٣ ص ٢٣٧

لعدم المانع لهم حينئذ وهو الاسلام • ومثل قول ابن حزم فى القوة الاول والسابع من الاقوال التى ذكرها النووى رحمه الله •

وقول الخوارج بتكفير المتقاتلين غير سديد ، فقد سمى الله المتقاتلين من المؤمنين اخوان مع انهم من اهل الكبائر بتلك المقاتلة فقال تعالى مخاطبا جميع المؤمنين بما فيهم القتلة " يا أيها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم " (البقرة : ١٧٨) •

فقد خاطب الله الناس بوجوب القصاص واصفالهم جميعا بالايمان بما فيهم القتلة وقد نص تعالى فى هذه الاية على ان القاتل الذى وجب عليه القصاص وولى المقتول اخوان • وقد سمى المقتللين مؤمنين بقوله تعالى " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما " (الحجرات : ٩) وقوله تعالى " انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم " (الحجرات : ١٠) •

٣ ـ واستدلوا ايضا بحديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " •

يطلق الفسق فى الشرع على الخروج عن الطاعة •

والسباب من الامور القبيحة واقبح مايكون اذا كان بغير حق فانه " حرام باجماع الامة وفاعله فاسق كما اخبر النبى " • (ص)

قال النووى " واما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند اهل الحق كفرا يخرج به من الملة كما قدمناه • وفى مواضع كثيرة الا اذا استحله فاذا تقرر هذا فقيل فى تاويل هذا الحديث اقوال :

١ ـ انه في المستحل .

٢ ـ ان المراد كفر الاحسان والنعمة واخوة الاسلام لا كفر الجحود .

٣ ـ انه يؤول الى الكفر بشؤمه .

٤ ـ انه كفعل الكفار .

---

٤ ـ واستدل الخوارج بقوله صلى الله عليه وسلم " ايما امرئ قال لاخيه ياكافر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه " (٢) وما ورد في معناه من احاديث، مذهب السلف اهل الحق انه لايكفر المسلم بالمعاصي والسباب نوع من انواع المعاصي ولهذا فقد ذكر النووي رحمه الله ان " هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث ان ظاهره غير مراد " ثم ذكر اوجه التاويله وهي :

١ ـ ان يكون الحديث واردا في حق من استحل تكفير اخاه المسلم معتقدا ذلك

٢ ـ ان يكون المراد رجوع معصية تكفيره ونقيصته عليه هو

٣ ـ التحذير من ان يسترسل الشخص في مثل هذا القول فيؤول به الى الكفر لان المعاصي كما قيل بريد الكفر (٢)

---

٥ ـ واستدل الخوارج على تكفير مرتكبي الكبائر بحديث ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن شرب سما فقتل

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٧

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٥٠

فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه

نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا " (١) .

قال النووي " واما قوله " ص " فهو في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا فقيل فيه اقوال :

(١) انه محمول على من فعل ذلك مستحلا مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته .

(٢) ان المراد بالخلود طول المدة والاقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام كما يقال خلد الله ملك السلطان .

(٣) ان هذا جزاؤه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فاخبر انه لا يخلد في النار من مات مسلما " (٢)

واهل السنة على ان قاتل نفسه ليس بكافر كما في حديث جابر رضي الله عنه " ان الطفيل بن عمرو الدوسي اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة قال حصن كان لدوس في الجاهلية فابى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم للذي ذخر الله للانصار . فلما هاجر النبي عليه السلام الى المدينة هاجر اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فاخذ مشاقص له فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة ورآه مغطيا يديه فقال له ماصنع بك ربك فقال غفر لي بهجرتي الى نبيه عليه السلام . فقال مالي اراك مغطيا يديك قال قيل لي لن نصلح منك ما افسدت فقصها الطفيل على رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم وليديه فاغفر " (٣)

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٧٢

(٢) شرح النووي جـ ٢ ص ١٢٥

(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٧٦

البراجم : مفاصل الاصابع

قال النووى ان فى الحديث " حجة لقاعدة عظيمة لاهل السنة ان من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبه فليس بكافر ولا يقطع له بالنار بل هو فى حكم المشيئة " قال " وهذا الحديث شرح للاحاديث التى قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من اصحاب الكبائر " (١)

---

٦ ـ ادلة الاباضية على تكفير المذنبين كفر نعمة والرد عليها

أما أدلة الاباضية على تكفيرهم المذنبين من اهل القبلة كفر نعمة فقد قال ابن حزم " قال ابومحمد ومانعلم لمن قال هو منافق حجة اصلا . ولا لمن قال انه كافر نعمة الا انهم نزعوا بقول الله تعالى " الم ترى الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار " (ابراهيم ٢٨) قال ابومحمد وهذا لاحجة لهم فيه لان كفر النعم قد يقع من المؤمن والكافر " (٢)

والواقع ان الربيع بن حبيب الاباضى اورد فى مسنده احاديث كثيرة يستدل بها على صحة مذهب الاباضية وكثير منها قد استدل به غيرهم من الخوارج على تكفير العصاة كفر ملة فقد اورد المؤلف تحت قوله " باب الحجة على من قال ان اهل الكبائر ليسوا بكافرين " عدة احاديث تحت هذه الترجمة لم يذكر اسانيد الكثير منها نذكر منها ماياتى :

١ ـ قال صلى الله عليه وسلم "اذا قال رجل لرجل انت عدوى فقد كفر احدهما "

٢ ـ قال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه " لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " .

---

(١) شرح النووى جـ ٢ ص ١٣٢
(٢) الفصل جـ ٣ ص ٢٣١

٣ — وكان ابن مسعود يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال " الرشوة فى الحكم كفر " .

٤ — وقال صلى الله عليه وسلم " اذا زنا الزانى سلب الاسلام فاذا تاب الهمه ". ثم قال المؤلف " فهذه الاحاديث كلها تثبت الكفر لاهل القبلة وهى اكثر من ان تحصى . " (١)

٥ — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " لا ايمان لمن لا صلاة له " .

٦ — عن النبى عليه السلام قال : (ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة) (٢)

وبغض النظر عن مدى صحة هذه الاحاديث او بعضها فان الوصف بالكفر الوارد فى هذه الاحاديث وغيرها قد حمله الاباضية على كفر النعمة لا كفر الملة .

وفيما يتعلق بادلة الخوارج على مذهبهم من القرآن الكريم فقد ذكر على يحيى معمر منها قوله تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " (ال عمران : ٩٧) . وقوله تعالى " ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم " (النمل : ٤٠) وقوله تعالى " ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون " (المائدة : ٤٤) وتداول كل ما ورد فى هذه النصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على انها واردة فى كفر النعمة ولهذا يقول " يحسب كثير ممن لا علم له ان الاباضية يتفقون مع الخوارج فى تكفير العصاة كفر شرك ولا يعرفون ان الاباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحدين الذين ينتهكون حرمات الله ويقصدون بذلك كفر النعمة " . (٣).

---

(١) انظر مسند الربيع بن حبيب ج ٣ ص ٢ — ٦

(٢) الجامع الصحيح ج ١ ص ٨٢/٨١

(٣) الاباضية فى موكب التاريخ ص ٨٩ ج ١

٧ - تعقيب على آراء الخوارج في أمر العصاة

ان الاجتراء على تكفير أحد يدعى الاسلام بذنب من الذنوب لا يجوز . الا اذا جاء بما يدل على كفره بمقتضى الاحكام الشرعية التى يثبت بها كفره فى الدنيا وعذابه فى الاخرة . وليس للعقل الحكم بكفر احد بسبب معصية من المعاصى الا بدلالة شرعية تبين مايستحق الشخص المسلم بفعله الكفر ومالا يستحق من كتاب الله او سنة نبيه او اجماع العلماء عليه .

ونقول ان الكفر لا يجوز اطلاقه على احد الا بحق لان الكفر له احكام خاصة فتهرق به دماء وتبطل به حقوق وغير ذلك من احكام الدنيا وفى الاخرة قد توعد الله صاحبه بالعذاب الشديد لهذا فلا يجوز الاجتراء على القول بكفر احد وتخليده فى النار الا بما وافق الحق .

ولهذا كان لابد من التفرقة الواضحة بين الكفر والفسق حتى نبطل تكفير الخوارج لاصحاب الذنوب . فالواقع ان دراستنا السابقة لمذهب الخوارج فى حكم العصاة وادلتهم تدلنا على انهم خلطوا بين حقيقتى الكفر والفسق فسموا الفاسق كافرا واثبتوا له احكامه .

ونحب ان نكشف هنا عن خطأهم فى هذا المقام ذلك ان توحيدهم بين الكفر والفسق يكون على احد وجهين :

(١) اما ان يكون التوحيد بينهما فى اللفظ فقط دون اثبات احكام احدهما للاخر فيسمون الفسق كفرا والفاسق كافرا ولو لم تثبت له شىء من احكام الكفار وهذا الوجه لم يقل به الخوارج وهو باطل فى نفسه كذلك لان الكفر فى الشرع قد ورد لمعاص مخصوصة فلا يسمى كافرا الا من ارتكبتها كالكفر بالله واستحلال محارمه وانكار ماعرف من دينه بالضرورة بخلاف الفسق الذى يتمثل فى ارتكاب الذنوب الاخرى دون استحلال لها .

وقد مايز الله تعالى بين الكفر والفسق والعصيان بقوله تعالى " وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الئك هم الراشدون " (الحجرات : ٧) فقد فصل الله تعالى بين الكفر والفسق وجعل كل واحد مستقلا بنفسه والمعطوف غير المعطوف عليه . فصار الكفر نوعا والفسق نوعا اخر . والعصيان كذلك فكرهها جميعا الى قلوب المؤمنين وحبب اليهم الايمان . وفى بيان هذه الانواع يقول محمد بن نصر المروزى " لماكانت المعاصى بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلاثة انواع : منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق واخبر انه كرهها كلها الى المؤمنين . ولماكانت الطاعات كلها داخلة فى الايمان وليس فيها شىء خارج عنه لم يفرق بينها فيقول حبب اليكم الايمان والفرائض وسائر الطاعات بل اجمل ذلك فقال (حبب اليكم الايمان) فدخل فى ذلك جميع الطاعات " (١) الخ .

ويقول الشوكانى فى تفسير الاية " اى جعل كل ماهو من جنس الفسوق ومن جنس العصيان مكروها عندكم والعصيان جنس مايعصى الله به " (٢)

ـــ

(٢) واما أن يكون توحيدهم بين الكفر والفسق لفظا ومعنى وحكما فيدعون ان احكام الكفار واحكام العصاة الفسقة سواء لافرق بينهما فى الحكم الدنيوى والاخروى . وهذا هو مايذهب اليه الخوارج وهو باطل ايضا لان الله تعالى قد اثبت الايمان للعصاة الفسقة فى احكام كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ماورد فى

---

(١) نقلا عن كتاب " الايمان " لابن تيمية ص ٣٤

(٢) فتح القدير جـ ٥ ص ٦٠

آية اللعان بين الزوجين فان مما لاشك فيه ان احد الزوجين كاذب فيما نفاه عن نفسه • واذا كان كاذبا والكذب كبيرة فانه فاسق كما نص القرآن الكريم على فسقه ان كان كاذبا وقد شرع الله بينهما اللعان لان بقاء الزوجية قبل اللعان غير منتف مع فسق احد الزوجين -كما قلنا- قال في ابانة المناهج " فلو كان الفسق كفرا والكافر فاسقا لكانت الزوجية مرتفعة بينهما اذ لا مناكحة بين مؤمن وكافر سيما اذا كان كفره ردة بعد اسلام متقدم فكان يجب ان لا يصح وقوع الملاعنة بينهما لان الملاعنة انما شرعت بين الزوجين لا بين الاجنبيين • فلما علمنا صحة اللعان بين القاذف وزوجته علمنا انه لم يكفر واحد منهما مع ان احدهما فاسق بلا مرية وذلك يوضح بطلان مذهب الخوارج في ان كل فاسق كافر وفي ذلك غنى لكل منصف " (١) .

ثم انه لم ينقل عن الصحابة ولا عن التابعين انهم حكموا في الفساق بحكم الكفار في الحقوق والواجبات بل اعتبروا الفاسق مسلما وعاملوه معاملة المسلمين في جميع الحقوق يقول جعفر بن احمد مبينا الفرق بين معاملة الكافر والمسلم عند سلف الامة :

" ومما يدل على ذلك ما ظهر من اجماع الصحابة والتابعين فانه معلوم من احوالهم انهم لم يحكموا في الفاسق باحكام الكفار فلم يحرموا ميراثه من المسلمين ولا حكموا بحرمة زوجته عليه لاجل فسقه ولا منعوا من دفنه في مقابر المسلمين وهذا اظهر من ان يخفى على متامل لولا شدة الميل عن الصواب والانحراف وقوة التعصب للآباء والاسلاف " (٢)

---

(١) ابانة المناهج في نصيحة الخوارج ص ١٦٤
(٢) ابانة المناهج ص ١٦٤

هذا قد تبين مما سبق انه لاحجة للخوارج في كل ما استدلوا به من احاديث على كفر مرتكب الكبيرة اذ ان تلك الاحاديث لم تدل دلالة صريحة على كفره كفر ملة بينما نجد في الجانب الاخر مايضاد هذا القول من نصوص صريحة واضحة ، لا تحتمل اى تاويل أو جدل ذلك ان قوله تعالى " قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم " (الزمر : ٥٣) دليل على ان الله يغفر الذنوب جميعا لولا أنها خصصتها الاية الاخرى وهي قول الله تعالى " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء " (النساء : ٤٨) فهذه الاية بيان واضح بان الله يغفر الذنوب كلها ماعدا الشرك به تعالى وهذا هو القول الحق في هذا الباب وهو الاعتقاد بان الله يغفر الذنوب مهما كانت مادام ان العبد قد اجتنب الاشراك بربه الذى هو المحبط الوحيد للعمل واما من مات على كبيرة غير تائب فامره الى الله ان شاء عذبه ثم اخرجه الى الجنة برحمته وان شاء عفا عنه ولا يخلد في النار غير الكافرين .(١)

واما ما استدلوا به من تلك الاحاديث السابقة فهى كما رأينا كلها اما ان تحمل على انها واردة في حق المستحل لذلك او تكون واردة للزجر او غير ذلك مما قاله العلماء . على انه قد وردت احاديث صريحة في ان العصاة تحت مشيئته اذا ماتوا من دون توبة ووردت احاديث اخرى تدل دلالة صريحة على ان اهل الكبائر يدخلون الجنة وان عذبوا بالنار بقدر ذنوبهم لكنهم يخرجون منها ولا يخلدون خلود الكافرين وهذا هو مايقتضيه العدل ومن هذه الاحاديث :

---

(١) انظر اللآلىء البهية ص ٧٦

(١) ماجاء عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه " ان رسول الله عليه الصلاة والسلام قال وحوله عصابة من اصحابه بايعونى على ان لاتشركوا بالله شيئا ولاتسرقوا ولاتزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولاتعصوا فى معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له . ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه " (١) .

فالحديث صريح فى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يحكم على مرتكب الكبيرة الذى يمات قبل ان يتوب بانه كافر وانما قال " فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه " . فالاحتمال قائم فى ان يعفو الله عنه تلك الذنوب مادام قد اجتنب الشرك .

واما ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان اهل النار يجازون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فمثل قوله عليه السلام " يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقول الله تعالى اخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحياء اوالحياة شك مالك ـ احد رواة الحديث ـ فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل الم تر انها تخرج صفراء ملتوية " (٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم "يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير" وفى رواية من ايمان " بدل خير " . (٣)

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١٠
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦

وقال صلى الله عليه وسلم " انى لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا " الخ الحديث (١) .

وعن ابى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مامن عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة . قلت وان زنى وان سرق ثلاثا . ثم قال فى الرابعة . على رغم انف ابى ذر . قال فخرج ابوذر وهو يقول وان رغم انف ابى ذر " (٢) .

ولا يخفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتيه مرتكب الكبيرة فيقيم عليه الحد ولا يطلب اليه أن يعلن اسلامه من جديد ولو كان مرتكب الكبيرة كافرا لا استتابه عليه الصلاة والسلام ولطلب منه اعلان اسلامه من جديد . وهذا مالم يروه احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فى كبيرة ولا فى صغيرة على ماروى عنه صلى الله عليه وسلم من جلد الزناة او رجمهم وجلد اهل الخمر . كما انه لم ينقل عن الصحابة ولا عن احد من العلماء انه قال بتكفير اهل الذنوب كفر ملة . او قال بتخليدهم فى النار . واما ما ورد من الاحاديث التى تصف من يزن عملا من اعمال الجاهلية بانه منهم كقول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين عير رجلا بامه " انك امرء فيك جاهلية " فان هذا لا يدل على ان من وجدت فيه خصلة من خصال الجاهلية انه يكفر بذلك وقد بوب البخارى رحمه الله على هذا الحكم بقوله " باب المعاصى من امر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك " (٣) فلا دلالة للخوارج على

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١١٨
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٦٦
(٣) صحيح البخارى جـ ١ ص ١٣

تكفير اهل الذنوب وتخليدهم فى النار .

فمذهب اهل السنة والجماعة اذا انه لايخلد احد من المؤمنين فى النار مهما كان جرمه فان تاب فلا كلام فيه وان لم يتب فامره مفوض لربه .قال النووى " واعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه اهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال .... واما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى فان شاء عفا عنه وادخله الجنة اولا .... وان شاء عذبه القدر الذى يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة ...... وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به من الامة على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعى فاذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من احاديث الباب وغيره فاذا ورد حديث فى ظاهره مخالفة وجب تاويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع " (١)

ولكن لماذا تمسك الخوارج ببدعة القول بتكفير العصاة وتخليدهم فى النار يقول الدكتور عزت عطيه جوابا عن هذا السوءال :

" الواقع ان القول بهذه البدعة كان وسيلة ساذجة لتجويز قتل المخالفين من المسلمين والتنفيس عن الاحقاد الكامنة فى النفوس والوصول الى اغراض اخرى لهم عن هذا الطريق . " (٢) . ومع موقف الخوارج هذا من خصومهم من المسلمين الا اننا نستبعد ان يكون هو الدافع الى تكفيرهم العصاة . فقولهم هذا مبنى

(١) النووى جـ ١ ص ٢١٧

(٢) البدعة ص ٤٠٨

على مذهبهم فى الايمان وعلاقة العمل به وفى ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ان "الذى حمل الخوارج على القول بتخليد اهل الكبائر فى النار انهم اعتقدوا ان الايمان المطلق يتناول جميع ما امر الله به ورسوله فمتى ذهب بعض ذلك فيلزم تكفير اهل الذنوب" (١) . والقول بذهاب الايمان بذهاب بعض الاعمال قد نفاه اهل السنة ولم يقولوا به . قال ابن تيمية "فان هذا القول من البدع المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين على انه لا يخلد فى النار احد ممن فى قلبه مثقال ذرة من ايمان واتفقوا ايضا على ان نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن ياذن الله له بالشفاعة فيه من اهل الكبائر من أمته" (٢)

-----

(١) الايمان ص ١٨٥ . وانظر الابانة للاشعرى ص ١٠
(٢) انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤

الفصل الخامس

الامامة العظمى

١ : تمهيد :

نشأ الخوارج كقوة مستقلة بعد قضية التحكيم ـ كما قدمنا ـ وصار لهم نفوذ وكلمة وقوة فعلية كان لها اثرها البالغ في شغل الخلفاء والولاة وتصدع كيان الامة الاسلامية زمنا طويلا ، وقد كانت مشكلة الامامة من اهم العوامل التي ادت الى نشأتهم وشغلت اكبر قسط من نشاطهم منذ ان اختلفوا على امامة الامام علي رضي الله عنه وطوال عهد الخلفاء الامويين والى زمن متقدم في الدولة العباسية وهم ناقمون على هؤلاء الخلفاء سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار امامهم بانفسهم ثم سياستهم الداخلية في الناس ، ولقد شغلتهم مشكلة الامامة فكريا بتحديد شخصية الامام وخصائصه ودوره في المجتمع وعمليا بالسعي المتواصل ولو بالقوة في سبيل اصلاح سياسة الائمة ، ومن هنا كان الخوارج يزعمون ان خروجهم كان لأجل اسقاط الحكام الظلمة وائمة الجور ـ كما يعبرون عنهم ـ واقامة حكمهم العادل الذى يطبق احكام الاسلام كما هي قولا وفعلا وكان خطباؤهم وقوادهم يركزون على هذه الناحية في كل مقال لهم ، فكانوا يرون ان في سكوتهم عن ولاة الدولة الاموية والعباسية وعدم مقاومتهم بكل ما يستطيعون من قوة مداهنة في الدين ورضا بالكفر وان دينهم يحتم عليهم مقاومة ائمة الجور مهما كانت التضحيات ولهذا فهم يخوضون معارك يعلمون تمام العلم انهم لن يخرجوا منها الا اشلاء ، ولكنهم يخوضون غمارها رجاء ان يهدوا من قوة الحكام شيئا فشيئا امتثالا لما يوجبه عليهم الغضب لله واعزاز دينه بقتال ـ

آلئك الظلمة واسقاط حكمهم الجائر وليس لهم — كما يقولون — مطمع من مطامع الدنيا ولا يريدون اكتساب فخر من مفاخرها البراقة التي يسعى اليها اكثر الناس من جمع الاموال والسيطرة وبناء القصور الفاخرة وطلب العيشة الناعمة التي يتهالك عليها مخالفوهم — كما يقولون — فليس منصب الخلافة عندهم مغنما بل هو مسئولية خطيرة امام الله لا يستهين بها الا جاهل لا يقدر ثقلها لذا فانهم عندما يكون الامر لهم يزهدون عن توليها ويتدافعون فيما بينهم هربا من تبعاتها فمما يذكر عن زهدهم عنها انهم حينما ارادوا تولية عبد الله بن وهب خليفة عليهم ابى وتحرج من ذلك ولكنهم كرروا الطلب والالحاح عليه حتى قبلها المبرد " قال ابو العباس ذكر اهل العلم من الصفرية ان الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي من الازد تكره ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبينوا الرأى اى دعوه يغب " (١) .

ويقول الشهرستاني " وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستقبلهم ويومىء الى غيره تحرزا فلم يقتنعوا الا به " (٢) وهذا موقف اول رئيس لهم فكان عمله هذا قدوة لمن بعده اذ كان في نظرهم من احق اهل الارض بالخلافة عن جدارة ومقدرة ، ومع ذلك فانه خاف على نفسه وتحرج ولم يقبلها الا بعد الالحاح الصادق منهم فقبلها كما يذكر عن نفسه لا حبا في الامارة ولم يدعها خوفا من الموت ومما يجدر ذكره انه لم يقبلها الا بعد ان عرضت على زملاء له في مثل قدرته وكفاءته لا يختلفون عنه ولكنهم رفضوها رفضا باتا وذلك حينما قرروا الخروج الى بعض كور الجبال فاخذوا في التشاور وتداولوا

---

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١١ .

الرأى فيما بينهم في انتخاب خليفة لهم " فقال حمزة بن سنان الاسدى ـ كما يروى المبرد ـ يا قوم ان الراى ما رايتم فولوا امركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح بن اوفى العبسى فأبيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها اما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا ادعها فرقا من الموت فبايعوه " (١)

ومثل هذا الموقف موقف اخر كان في زمن الدولة الاموية في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة حيث يروى المحل بن خليفة تدافع الخوارج عن تولى الخلافة وكان ابرزهم ثلاثة اشخاص هم المستورد بن علفة التيمى من تيم الرباب وحيان بن ظبيان السلمى ومعاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسى قال المحل بن خليفة فيما يرويه عنه الطبرى " ان الخوارج في ايام المغيرة بن شعبة فزعوا الى ثلاثة نفر منهم المستورد بن علفة التيمى من يتم الرباب والى حيان بن ظبيان السلمي والى معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي ..... فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمى فتشاوروا فيمن يولون عليهم قال : فقال لهم المستورد : يا ايها المسلمون والمؤمنون اراكم الله ما تحبون وعزل عنكم ما تكرهون ولوعليكم من احببتم فوالذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ما ابالى من كان الوالي علي منكم وما شرف الدنيا نريد وما الى البقاء فيها من سبيل وما نريد الا الخلود في دار الخلود فقال حيان بن ظبيان اما انا فلا حاجة لي فيها وانا بك وبكل امرىء من اخواني راض

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص٣٣٦ عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٥ .

فانظروا من شئتم منكم فسموه فانا اول من يبايعه فقال لهم معاذ بن حوين بن حصين اذا قلتما انتما هذا وانتما سيدا المسلمين وذوا انسابهم في صلاحكما ودينكما وقدركما فمن يرئس المسلمين وليس كلكم يصلح لهذا الامر وانما ينبغي ان يلى على المسلمين اذا كانوا سواءا في الفضل ابصرهم بالحرب وافقههم في الدين واشدهم اضطلاعا بما حمل وانتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الامر فليتوله احدكما قالا فتوله انت فقد رضيناك فانت والحمد لله الكامل في دينك ورايك فقال لهما انتما اسن منى فليتوله احدكما فقال حينئذ جماعة من حضرهما من الخوارج : قد رضينا بكم ايها الثلاثة فولوا ايكم احببتم فليس في الثلاثة رجل الا قال لصاحبه : تولها أنت فاني بك راض واني فيها غير ذى رغبة فلما كثر ذلك بينهم قال حيان بن ظبيان فان معاذ بن جوين قال : انى لا الى عليكما وانتما اسن منى وانا اقول لك مثل ما قال لي ولك لا الى عليك وانت أسن منى ابسط يدك ابايعك فبسط يده فبايعه ثم بايعه معاذ بن جوين ثم بايعه القوم جميعا ". (١)

من هذه المحاورة يظهر عدم رغبتهم في تولى الخلافة حينما يكون الامر فيما بينهم فانهم يعتبرونها عبئا ثقيلا ومسئولية عظمى امام الله يوم القيامة .

ويذكر المبرد ان مرداسا واصحابه حينما خرجوا " ارادوا ان يولوا امرهم حريثا فابى فولوا مرداسا " (٢) ويذكر البارونى انه بعد وفاة الامام عبد الرحمن بن رستم تحيروا فيمن سيقبل الخلافة من السبعة الاشخاص الذين عينهم الامام لتوليها بعده ومن بينهم ولده عبد الوهاب وانهم

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٧٥ .

(٢) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٦ .

صاروا - كما يذكر - يتداولون الامر شهرا كاملا دون ان يتحملها احد لحرج موقفها فيقول في وصف ذلك •

" ثم اجتمع اهل الشورى منهم والصالحون للنظر فيمن يولونه الامر بعده ولشدة تحريهم رحمهم الله لم يقصدوا احدا الا وتبرأ منها ودفعها علما بحرج موقفها ، وبقى الامر كذلك موقوفا نحو شهر كامل لم يثبت لهم فيها قرار ولم يستقر لهم رأى " (١) ••• الخ ،

وايا كان الراى في زهدهم عن تولى الامامة فانها كانت - كما قلنا - اهم عامل في نشأتهم وكان اصلاح امرها اهم ما يشغلهم ، بيانا لحكمها وشرائطها وكيفية اصلاح سياسة الائمة فيها على نحو ما سنبينه في هذا الفصل •

---

(١) الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية ص ٩٩ ج ٢ •

٢ : حكم الامامة :

الامامة منصب خطير لا بد من اقامته اذ لا يمكن ان ينعم الناس بالحياة ويسود الامن بينهم وتنتظم الامور الا بحاكم يكون المرجع في تطبيق الشرع وحماية الامة واقامة العدل بين افرادها .

وقد أطبق على هذا جميع العقلاء فماذا كان موقف الخوارج ازاء هذه المسألة .

والجواب انا نجدهم قد انقسموا فيها الى فريقين :

الفريق الاول: وهم عامة الخوارج وهؤلاء يوجبون نصب الامام والانضواء تحت رايته والقتال معه مادام على الطريق الامثل الذي ارتأوه له .

الفريق الثاني: منهم وهم المحكمة والنجدات والاباضية فيما يقال عنهم ، وهؤلاء يرون انه قد يستغنى عن الامام ولا تعود اليه حاجة اذا عرف كل واحد الحق الذي عليه للآخر فوفاه حقه ولم يتعد احد على أحد بظلم او اذى ، ولكنهم يقولون ان احتيج اليه فمن اى جنس كان مادام كفئا لتولى الامامة وهو ما تقول به عامة الخوارج .

قال ابن حزم " اتفق جميع اهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة ، وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التي اتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم " (١)

---

(١) الفصل ج ٤ ص ٨٧ .

ويقول المسعودى ان النجدات يقولون " ان الامامة غير واجب نصبها " (١)

ويقول الاشعرى " وحكى زرقان عن النجدات انهم يقولون : انهم لا يحتاجون الى امام وانما عليهم ان يعلموا كتاب الله فيما بينهم " (٢)

ويقول الشهرستاني عن النجدات حاكيا عن الكعبى " واجمعت النجدات على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا فيما بينهم فان هم رأوا ان ذلك لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز " (٣)

فالامر اذا عندهم راجع الى المصلحة وما تقتضيه لا الى انه واجب وجوبا شرعيا يتحتم عليهم انفاذه .

اما المحكمة فيقول الشهرستاني عن رأيهم في الاستغناء عن نصب الامام " وجوزوا ان لا يكون في العالم امام اصلا " (٤) فهم كما يذكر رحمه الله كانوا اسبق الى القول بالاستغناء عن الامام من النجدات ولكن لم يشتهر هذا القول على السنة العلماء كما اشتهر عن النجدات اللهم الا ما ذكره الشهرستاني عنهم وربما كان ذلك منهم في اول امرهم حيث نادوا " لا حكم الا لله " وفهم الامام علي من شعارهم هذا قولهم بعدم الحاجة الى امير ولهذا رد عليهم قائلا " كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة وانه لا بد للناس من امير برا وفاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو

---

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) المقالات ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤ وانظر تاريخ الفكر العربي ص ٢٠٧ .

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٦ .

وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستبريح بر ويستراح من فاجر " (١)

ولكن المحكمة لم يبقوا على هذا الراى فيما بعد بل كان اول ما عملوه بعد انفصالهم عن الامام علي هو تولية عبد الله بن وهب الراسبى ولهذا قال ابن ابي الحديد مجيبا عن قول الامام علي في الخوارج انهم يقولون لا امرة ".

" قيل انهم كانوا في بدء امرهم يقولون ذلك ويذهبون الى انه لا حاجة الى الامام ثم رجعوا عن ذلك القول لما امروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى " (٢)

اما ما قيل عن الاباضية من ان رأيهم هو القول بالاستغناء عن نصب الامام فقد ذهب اليه ج مج . لوريمر وفي ذلك يقول :

" ويختلف الاباضيون الاول عن كل من السنة والشيعة في رفضهم الراى القائل بن الاسلام في حاجة الى رئيس ظاهر دائم " ويقول ايضا " وفي حين سمحوا بتعيين امام او زعيم روحي تعيينا قانونيا اذا ما اقتضت الظروف اصروا بشكل خاص على ان يكون منتخبا في كل حالة والا تكون الخلافة او الامامة وراثية " (٣)

ولكن الاباضيون ينفون هذا القول عنهم ويعدونه من مزاعم خصومهم وانها اشاعة من الاشاعات المغرضة وان " من يزعم ان الاباضية يجيزون ان تبقى الامة المسلمة بدون دولة " مخطيء وجاهل بالمذهب الاباضي وقواعده ، كما

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٨ ج ٢

(٣) دليل الخليج ج ٦ ص ٣٣٠٣/٣٤٠٤ .

قال علي يحيى معمر •

وينقل في هذا عن العلامة نور الدين السالمي في شرحه على مسند الربيع بن حبيب قوله :

" والامامة فرض بالكتاب والسنة والاجماع والاستدلال " (١)

ويقول السالمي في كتابه غاية المراد :

ان الامامة فرض حينما وجبت شروطها لا تكن عن فرضها غفلا
وباطل سيرة فيها الامامة في اثنين لو بلغا في المجد ما كملا (٢)

وبهذا يتبين موقف الاباضية من الامامة وينتهي القول الى انهم يوجبون نصب الامام كغيرهم من الناس •

ولا بد من وقفة امام رأي النجدات في الاستغناء عن الامام فهي التي تزعمت هذا القول وان كنا سنرى فيما بعد انها هي ايضا لم تطبق هذا القول ولم تعمل بمقتضاه بالفعل حيث بايعوا نجدة بن عامر بالامامة •

ان ما ذهب اليه النجدات في هذا المقام يعتبر خروجا على اجماع عامة الخوارج الذين يرون ضرورة نصب الامام •

والواقع انه لا يشك انسان عاقل في ان بقاء الامة من دون امام يؤدي بالحياة الى الفوضى والظلم وتشتيت الكلمة واثارة الحروب المدمرة •

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق ص ٢٨٩/ ٢٩٠ •
(٢) غاية المراد ص ١٨ •

فالقول بالاستغناء عن الامام قول في غاية البعد والسقوط ، يقول النووى " واجمعوا ـ اى المسلمون ـ على انه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا بالعقل " (١) ويقول القاضى عبد الجبار " اتفقت الامة على اختلافها في اعيان الائمة أنه لا بد من امام يقوم بهذه الاحكام وينفذها " (٢) وهو رأى واضح لا حاجة الى الاطالة فيه ولكن النجدات لم تلتفت الى الناحية الشرعية بل التفتت الى العقل ورأت انه لا يمنع ان يتناصف الناس فيما بينهم اذا وجدت الالفة والمحبة وهذا اقرب الى الخيال •

يريد النجدات بزعمهم هذا ان ينشأ مجتمع مثالى يعرف فيه كل شخص واجبه تجاه مجتمعه فيقف عند حقه تحجزه اخلاقه عن ارتكاب اى ضرر بالغير كل شخص قد جعل القرآن امامه وحاكمه يعرف فيه واجبه نحو الغير ولعل هذا بعض ما يمكن ان يتعلل به القائلون من النجدات وغيرهم بالاستغناء عن نصب الامام •

فلننظر الى الواقع هل طبق النجدات هذا القول فاستغنوا عن نصب امير منهم •

لا شك ان الامر كان بالعكس فنجدة نفسه وهو اول زعيم لهم لم يطبق هذا الراى بل كان هو الحاكم على فرقته بعد ازاحة ابى طالوت ولقد كان يرسل ولاته على المناطق التي تحت سيطرته ثم كان لا يرسل سرية او جيشا الا اختار لهم اميرا كما ارسل ابنه الى القطيف اميرا على سرية ، ومن هنا يشك الطالبي في صحة ما نسب الى نجدة وانه كما قال " يمكن ان يكون اصحابه هم

---

(١) شرح النووى ج ١٢ ص ٢٠٥ •

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٧٥١ •

الذين احدثوه من بعده ولعلهم اولوا قول المحكمة الاولى لا حكم الا لله وفهموا منه انه لا حاجة الى امام ولا الى حاكم " (١) ولكنه عاد فاعتذر لهم عن هذا الرأى الذى ينسب اليهم بانه ناتج عن حياتهم القبلية وذلك في قوله " ومن جهات النظر التي ابداها هؤلاء يبرر - يبدو انه من طبيعة الحياة العربية القبلية - وهو ان الناس متساوون كاسنان المشط فكيف تجب طاعة احدهم لمن هو ند له ونظير هذا بالنسبة لعامة الناس كذلك القول بالنسبة للمجتهدين فاذا تساووا في الفضل والتدين والاجتهاد والمعارف فكيف نستطيع ان نلزمهم - بطاعة احدهم " (١)

ونضيف الى التبرير السابق الذى قدمه الطالبي لمبدأ النجدات عوامل اخرى يرجع اليها بعض الدارسين الاباضيين هذا المبدأ الذى يجيز النجدات فيه الاستغناء عن الامامة فيذكر السالمى عن نظر النجدات في هذه المسألة ما حاصله :

١ - ان النظرية الاساسية التي ارتكزت عليها فكرة الخوارج وخصوصا الازارقة والصفرية والنجدات كانت المبدأ القائل لا حكم الا لله والمعنى الحرفي لهذا المبدأ يشير صراحة الى انه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقا .

٢ - ان الحكم " ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية " .

٣ - ان الضرورى هو تطبيق احكام الشرع والتمشى بموجب القرآن الكريم والسنة ، واذا استطاع المسلمون تطبيق هذه الاحكام والتمشى حسب ما جاء به الاسلام فانه لا ضرورة مطلقا لوجود خليفة او امام وعلى هذا فالامامة ليست التزاما دينيا يجب تنفيذه .

---

(١) آراء الخوارج ص ١٢٥ .

٤ - قالوا ان وجود الخليفة اوالامام لا يكون مفيدا في الاوقات كلها لانه ربما يكون بسبب من الاسباب عاجزا عن الاتصال بجميع اتباعه وينحصر في بطانة قليلة من الافراد وينعزل عن الاغلبية ... وبالتالي يكون ابعد ما يكون عن التفهم لمشاكل المسلمين .

٥ - ان على الخليفة ان يتمتع بكفاءات معينة خاصة تجعله جديرا بتولى امور المسلمين ، ومن المحتمل ان لا يكون هذا الرجل الذى يحمل تلك الكفاءات متوفرا في جميع الاوقات وينتج عن القول بضرورة وجود الخليفة ان نقع في مسالتين محذورتين :

آ - انتخاب خليفة لا تتوفر فيه الكفاءات المطلوبة وبذلك نخالف النصوص والمنطق .

ب - اوان لا نعين اماما وبذلك نخالف الافتراض القائل بضرورة وجود الخليفة .

٦ - ان انتخاب الامام قد يكون سببا في ايجاد حرب اهلية بين المسلمين انفسهم .

٧ - ان النبي صلي الله عليه وسلم لم يشر صراحة او وضع شروطا لوجود خلفاء من بعده .

٨ - ان كتاب الله لم يبين حتمية وجود امام وانما ابان " وامرهم شورى بينهم " (١)

ولا شك ان كل تلك المبررات التي قيلت عن راى النجدات كلها اعتذارات غير مفيدة في تبرير رايهم هذا في مقابل اجماع السلف وعامة الامة

---

(١) راجع " عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٣ .

ومنهم الخوارج على وجوب نصب الامام وما يستند اليه هذا الوجوب من ادلة شرعية وضرورات اجتماعية قال ابن حزم بعد ان ذكر ان القول بوجوب الامامة قد اجمعت عليه جميع اهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج " قال ابو محمد وقول هذه الفرقة (يعني النجدات) ساقط يكفي من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه " (١)

والواقع ان تلك المبررات التي ذكرت لرأي النجدات مبررات باطلة فليس الناس سواءا بل هم متفاوتون في الكمال بحيث يمكن اختيار افضلهم لامامة الجماعة الاسلامية والتزام الناس بالاحكام الشرعية يمنع من وقوع الحرب الاهلية بينهم بسبب اختيار الامام كما يقال .

واما القول بعدم وجود الانسان الكامل فانه لا يمنع من نصب الامام حيث يختار لهذا المنصب افضل الموجودين ومن التصور الساذج القول بتناصف الناس فيما بينهم وقيامهم بواجباتهم وحفظهم لحقوق الاخرين دون وجود قيادة حاكمة يرجع اليها الناس في كل ذلك طوعا او كرها حتى تستقيم امور الامة ومدار الامر بعد ذلك على التزام الامام بواجباته الشرعية فلا يجعل بينه وبين الامة من الحجب ما يحول بينه وبين رعاية مصالحهم فذلك مناط الحكم بضرورة الامام شرعا وعقلا .

---

(١) الفصل ج ٤ ص ٨٧ .

٣ : وحدة الامامـــة :

يرى اكثر الخوارج كغيرهم من الفرق ان الامامة يجب ان تسند الى امام واحد وان البيعة تلزم للمتقدم فمهما كان صلاح الاخير وفضله لا ينبغى العدول اليه بل يجب قتاله حتى يعود الى من رضيت به الامة والقول باقامة امام واحد مسألة بدهية اطبق عليها جميع العقلاء اذ لا يمكن ان تتحقق المصلحة وتجتمع الكلمة الا برجوع الجميع الى امام واحد تختاره الجماعة من اهل الحل والعقد يرعى المصالح ويرد الظالم عن ظلمه ويوصل كل حق الى صاحبه فهل خرج عن هذا الامر الواضح احد ؟ نعم لقد خرج عنه بعض الخوارج وهم الحمزية والخلفية من الاباضية فجوزوا ان يجتمع امامان في وقت واحد ، فيذكر الشهرستاني عن رئيس فرقة الحمزية قوله " وجوز حمزة امامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم تقهر الاعداء " (١)

اما الخلفية من الخوارج الاباضية فقد رات ان كل اقليم ينبغى ان يكون مستقلا عن الاخر لا يخضع اقليم لاقليم او منطقة لمنطقة اخرى ويكون لهذه المناطق ائمة بعدد مناطق تلك الحوزة من الارض قال ابي حفص عمرو بن جميع الاباضى " وذهبت الخلفية من الاباضية الى ان كل اقليم او حوزة يستقل بها امامها فلا يجوز لامام ان يجمع بين حوزتين " (٢) .

والواقع ان هذا مما لا يتفق مع روح الاسلام واهدافه فان تاريخ المسلمين الاوائل لم يعهد فيه منهم الا اختيار امام واحد للمسلمين

---

(١) الملل والنحل جـ الى ١٣٠

(٢) نقلا عن اراء الخوارج ص١٢٨ ولكن عموم الاباضية لا تجيز هذا انظر مدارج الكمال ص١٧٢ .

جميعا ويكون هو الذى يعين ولاته على الامصار والجهات المختلفة فلا يستقل كل وال باقليمه وانما يكونون جميعا تحت قيادة هذا الامام الواحد ، ولأن المؤمنين امة واحدة فلا ينبغى ان يكون لها الا امام واحد ، وتعدد الائمة في الاقاليم المختلفة كما تدعو اليه الخلفية لا ينتج عنه الا كثرة المشاحنات وظهور الاختلافات بين هذه الاقاليم وضعف المسلمين كما يدلنا تاريخهم عندما تفرقت دويلاتهم وانفردت كل مجموعة من الناس برئيس حتى ضعفوا •

وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبى خلفه نبي وانه لا نبى بعدى وستكون خلفاء فتكثر قالوا فما تامرنا قال فوا ببيعة الاول فالاول واعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم " (١) وفي حديث اخر قال عليه الصلاة والسلام " من بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء اخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر " (٢) وهذا يرشدنا الى المنع من تعدد الائمة الذى ينتج عنه كثرة الاختلافات والمشاحنات كما يدل عليه تاريخ المسلمين قديما وحديثا حتى تفرقت كلمة المسلمين وضعفت الرابطة الاسلامية التي كانت مصدر عز الاسلام وقوته •

---

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص١٧ •

(٢) المصدر السابق ص١٨ ج ٦

٤ : شـروط الامام :

يشترط الخوارج في من يرتضونه اماما ان تتوفر فيه عدة صفات ـ تجعله جديرا بحمل الامانة واهم هذه الشروط ما ياتي :

١ ـ أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الاسلامية مخلصا في عبادته وتقواه كثير التعبد والطاعات .

٢ ـ أن يكون قويا في نفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم كما يقول السالمي :

وليك ذا شجاعة وحزم مرتديا بعفة وحلم
وغيرة عن انتهاك الحرم وذا وفا بعهده والذمم (١)

٣ ـ ان لا يكون فيه ما يخل بايمانه من حب المعاصي واللهو واتباع الهوى يقول السالمي ايضا :

" ولم يكن على كبير حدا حتى ولو تاب وابدى الرشدا " (٢)

٤ ـ ان يكون انتخابه برضى الجميع لا يغني بعضهم عن بعض في ذلك .

٥ ـ لا عبرة بالنسب او الجنس او اللون .

هذه بعض شروطهم التي ذكرتها المصادر عنهم وقد وصف الاستاذ ابو زهرة رحمه الله موقفهم من طريقة اختيار الخليفة بانه من ارائهم السديدة المحكمة فقال في معرض بيانه للاراء التي تجمع فرق الخوارج " واول هذه الاراء ـ وهو من بين ارائهم السديد المحكم ـ ان الخليفة لا يكون الا بانتخاب حر صحيح يقوم به عامة المسلمين لا فريق منهم " (٣)

---

(١) و (٢) مدارج الكمال ص ١٧١ .
(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٧١ .

ويقول فيه الدكتور عبد الحليم محمود " اما رايهم في الامامة فانه هو الراى الذى يؤيده الاتجاه الحديث ويؤيده كل مخلص لدينه ووطنه " (١)

ويكون هذا المنتخب من اى جنس كان سواء كان عربيا ام اعجميا قرشيا ام غير قرشي بل يرون ان الافضل تولية من لانسب له ولا عشيرة معه ليسهل توجيهه الى ما يريدون ويسهل ايضا خلعه اوقتله عند ما يستحق ذلك في نظرهم " وليست لعربي دون اعجمي والجميع فيها سواء بل يفضلون ان يكون الخليفة غير قرشي ليسهل عزله او قتله إن خالف الشرع وحاد عن الحق اذ لا تكون له عصبية تحمية ولا عشيرة تؤويه وعلى هذا الاساس اختاروا منهم عبد الله بن وهب الراسبى وامروه عليهم وسموه امير المؤمنين وليس بقرشي " (٢)

ويقول ابن الجوزى عن شروط الخوارج في الخليفة " ومن راى الخوارج انه لا تختص الامامة بشخص الا ان يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان اماما نبطيا " (٣)(اى من اخلاط الناس واوباشهم) وبالاضافة الى ما تقدم فانهم يولون جانب الشجاعة والمهارة اهتماما خاصا كما عبر عن هذه المسألة معاذ بن جوين الخارجي حين يقول " وانما ينبغى ان يلى على المسلمين اذا كانوا سواء في الفضل ابصرهم بالحرب وافقههم في الدين واشدهم اضطلاعا بما حمل " (٤) .

اى ان الخوارج يرون ان المهارة الحربية والشجاعة من صفات الخليفة الضرورية وذلك نظرا لحروبهم الدائمة مع مخالفيهم ، وهذا ما يعبر عنه الاباضية

---

(١) التفكير الفلسفي ص ١٩١ جـ ١
(٢) تاريخ المذاهب جـ ١ ص ٧١
(٣) تلبيس ابليس ص ٩٦ .
(٤) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١٧٥ .

بالامام الشارى وهو بمعنى الفدائي وقد عرفه السالمي بقوله : " هو الـــذى يتمتع بالثقة المطلقة من قبل اتباعه جميعا ويعلن الجهاد ولا يجوز له الهرب من ساحة الميدان ويقوده شعاران في المعركة النصر او الموت " (١) لان الائمة عند الخوارج ينحصرون في اربعة :

١ ـ الامام الشارى وقد تقدم تعريفه .

٢ ـ امام الدفاع : وهو الذى يتولى القيادة وزعامة اتباعه في الحرب في الظروف العصيبة .

٣ ـ امام الظهور : وهو الذى يتم بيعته في السلم عن اختيار ورضى جميع المسلمين .

٤ ـ امام الكتمان : وهو الامام الذى ترجع اليه الاباضية في حل مشكلاتهم عندما يكونون تحت سيطرة حكومة من غير الاباضية ولا يستطيعون مناوئتها بالقوة .

وقد راينا فيما سبق ان الخوارج ينادون بالاختيار الحر لرئيس الامة يكون من بين افرادها لا يتمتع باى ميزة غير كفاءته في ادارة شوءون المسلمين وقد وصفوا بذلك بانهم جمهوريون وانهم ديمقراطيون الخ ... وان نظرتهم هذه تستند الى قوله تعالى " وامرهم شورى بينهم " .

يقول الطالبي " تعتبر الخوارج ممثلة للنزعة الاجماعية او الاتجاه الجمهورى في الفقه السياسي وهي نظرة قرآنية لان مصدر السلطة في الشريعة الاسلامية انما هو اختيار الامة وانتخابها ومبدأ الشورى نص عليه القرآن بلا نزاع ولا فرق في ذلك بين مسلم ومسلم ولا نظر الى الجنس او اللون " (٢)

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص١٢٦ .

(٢) اراء الخوارج ص ١٢١

وقد زعم الاستاذ البير نصرى بان الخوارج هم اول من نادى بأن الامة هم مصدر السلطة وبالتالي كانوا اول من نادى بالاختيار الحر للامام فيقول " ان الخوارج هم اول من ادعى في الاسلام ان الامة هي مصدر السلطة فكان موقفهم هذا خطوة اولى نحو القول بحق الاختيار الحر لرئيس الامة وهذا هو لب الديمقراطية وان جعلوا هذه الديمقراطية محدودة " (١) ويقول السالمي عن الامامة في عمان " كانت الامامة تستند الى قواعد وجذورقوية كانت تستند الى اساس ديمقراطي يتساوى فيه الغني والفقير والقوى والضعيف امام قوانين الشريعة السمحاء ولذا فان بذور الحكم الجمهورى قد نبتت في عمان ومجتمعها الاباضى وكانت بذورا صالحة في تربة صالحة " وقال ايضا " ولذا فان بذور الديمقراطية قد نشأت في هذا المجتمع وتطورت في سبيل مصلحة الشعب نفسه " (٣)

والواقع ان ما زعمه البيرنصرى من ان الخوارج هم اول من نادى بالانتخاب الحر للامام زعم باطل تاريخيا وموضوعيا فاننا بتتبعنا لتاريخ المسلمين الاول نجد انهم قد اختاروا الخلفاء اختيارا حرا كما في اختيارهم للخلفاء الراشدين رضى الله عنهم اجمعين وانهم لم يخرجوا عن قوله تعالى " وامرهم شورى بينهم " فاذا ليس الخوارج هم اول من نادى باختيار الخليفة عن طريق الشورى ورضى الناس يقول رفعت فوزى " ولم يكن الخوارج هم اول من نادى بان تكون الخلافة شورى بين المسلمين " (٤)

---

(١) اهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية ص١٢ .

(٢) عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٩ / ١٣٠

(٣) المصدر السابق ص١٢٦ .

(٤) الخلافة والخوارج في المغرب العربي ص ١٤ .

اما القول الذى انفرد به الخوارج في موضوع الامامة فهو عدم اشتراط القرشية فيها ، فمسألة احقية قريش بالخلافة غير واردة في مفهوم الخوارج اذ انها مسؤولية عظمى يتساوى الناس في صلاحيتهم لتوليها فما معنى ربطها باناس بخصوصهم وهم في هذا الاتجاه لا ينظرون الى ما ورد في ذلك من احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الى ما قاله جمهور الصحابة والتابعين وسلف الامة بل حكموا فيها مجرد رأيهم وما تميل اليه نفوسهم .

يقول الاشعرى " ويرون ان الامامة في قريش وغيرهم اذا كان القائم بها مستحقا لذلك ولا يرون امامة الجائر " (١)

واعتبر الشهرستاني تجويز الخوارج للامامة في غير قريش من بدعهم التي خرجوا من اجلها في الزمن الاول فبعد ان ذكر خرافتهم في القول بالاستغناء عن الامام قال مصورا رايهم " وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبدا او حرا او نبطيا او قرشيا " (٢)

وقال ابن حزم " وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جايزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان اوعربيا او ابن عبد " (٣)

وهذا الراى قد قال به قدماء المعتزلة ايضا فيما يرويه ابن ابى الحديد بقوله :

" وقد اختلف الناس في اشتراط النسب في الامامة فقال قوم

---

(١) المقالات جـ١ ص٢٠٤

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٦ .

(٣) الفصل جـ ٤ ص ٨٩ .

من قدماء اصحابنا - يعني المعتزلة - ان النسب ليس بشرط فيها اصلا وانها تصلح في القرشي وغير القرشي اذا كان فاضلا مستجمعا للشرائط المعتبرة واجتمعت الكلمة عليه وهو قول الخوارج " (١)

ويقول ابن حجر " وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة يجوز ان يكون الامام غير قرشي وانما يستحق الامامة من قام بالكتاب والسنة سواء كان عربيا ام اعجميا " (٢)

ولهذا فهم كما يذكر تسموا بالخلفاء لانهم لا يعتبرون القرشية شرطا في الخلافة كما ينص على هذا بقوله " ان الخوارج في زمن بنى امية تسموا بالخلافة واحدا بعد واحد ولم يكونوا من قريش" (٣)

وهذا بناء على ان " الخلافة حق لكل مسلم وغايتها اقامة الاحكام " (٤)

اما راى الاباضية في اشتراط قرشية الامام فهو لا يخرج عن راى عامة الخوارج في عدم اشتراط هذا الشرط وعدم ارتباطها بجنس او لون او اسرة او قبيلة بل المدار في من يصلح (له) ان يكون كفئا في دينه وخلقه وعلمه وعقله فاذا وجد عدد من الناس فيهم هذه الكفاءة امكن حينئذ النظر الى ناحية الجنس وغيره من اسباب المفاضلة وهذا ما يقوله على معمر ومثله الحارثي الاباضي عن الخلافة انها " لا يمكن ان تخضع لنظام وراثي

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ ٩ ص ٨٧

(٢) فتح البارى جـ ١٣ ص ١١٨

(٣) المصدر السابق جـ ١٣ ص ١١٩

(٤) تاريخ الفكر العربي ص ٢٠٧ .

ولا ان ترتبط بجنس او قبيلة او اسرة او لون وانما يجب ان يشترط فيها الكفاءة المطلقة ، الكفاءة الدينية والكفاءة الخلقية والكفاءة العلمية والكفاءة العقلية فاذا تساوت هذه الكفاءات في مجموعة من الناس امكن ان تجعل الهاشمية او القرشية او العروبة من اسباب المفاضلة او من وسائل الترجيح اما في غير ذلك فليس لها حساب"(١) ونحو هذا عند السالمي .

ويقول علي معمر ايضا " ولم يكن الاباضية او الخوارج هم اول من قال بهذا وانما سبقهم اليه كبار الصحابة عندما ناقشوا اول خليفة في الاسلام" - واستدل المؤلف على هذا بالادلة الاتية :

١ - قول الانصار يوم السقيفة " منا امير ومنكم امير " اذ لو لم يكن الانصار يعرفون انه يجوز ان يتولى الامارة غير قرشي لما قالوا ذلك " ولكن هذا الدليل يتطرق اليه ضده وهو احتمال ان يكونوا قالوا هذا القول قبل ان يعرفوا النص الذى يثبت الخلافة في قريش ولهذا فقد رجعوا الى رشدهم لما بين لهم ابو بكر هذه المسألة .

٢ - من ادلتهم ايضا قول عمر رضى الله عنه " لو كان سالم مولى حذيفة حيا لبايعته فلو كان غير القرشي لا يصح ان يتولى لما قال غير ذلك" وقد اجيب عن هذا وما في معناه مما ورد على لسان عمر رضى الله عنه باحتمالين ذكرهما ابن حجر وهما :

١ - اما ان يكون الاجماع انعقد بعد عمر على اشتراط ان يكون الخليفة

---

(١) الاباضية في موكب التاريخ ص٦٣ وانظر " عمان تاريخ يتكلم ص١٢٩ وانظر العقود الفضية ص٢٩٠ .

قرشيا .

٢ - واما ان يكون قد تغير اجتهاد عمر في ذلك . (١)

٣ - استنتجوا من قول ابي بكر رضى الله عنه - ان العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش - بان هذا تعليل لطاعة العرب لهم فاذا تغير الحال تغير موضع الاختيار (٢) هكذا عللوه مع انه ظاهر في احقية قريش بالخلافة وهذا ما فهم منه الصحابة المهاجرون منهم والانصار بدليل تسليمهم بالطاعة لابي بكر رضى الله عنه حينما بين لهم هذا الدليل .

وهذا القول عليه اكثر المعتزلة كما يذكر ابن ابي الحديد ذلك بقوله :

" وقال اكثر اصحابنا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " الائمة من قريش " ان القرشية شرط اذا وجد في قريش من يصلح للامامة فان لم يكن فيها من يصلح فليست القرشية شرطا فيها " (٣)

ولا يخفى ان دعوى الخوارج استحقاق الخلافة لمن كان اهلا لها من اى طبقة كان ، هذه الدعوى قد اجتذبت بعض الموالى والعجم متطلعين الى الخلافة ومن الدلائل على ذلك انه لما اشتد النزاع بين الخوارج انفصل قسم كبير منهم عن قطرى وولوا عليهم عبد ربه الصغير وكان اكثرهم من الموالى والعجم وكان سبب انفصالهم هذا انهم طلبوا من قطرى ان يعزل المقعطر " فابي قطرى ان يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا

---

(١) انظر فتح البارى جـ ١٣ ص ١١٩

(٢) انظر الاباضية بين الفرق ص ٤٦٤

(٣) شرح نهج البلاغة جـ ٩ ص ٨٧

عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه اكثر من الشطر وجلهم الموالى والعجم وكان هناك منهم ثمانية الاف وهم القراء " (١)

ولنا ان نتساءل هل كان الخوارج صادقين في قولهم ان الامامة حق مشاع لكل من كان كفئا لها وهل وصل احد من الموالى الى الحكم مصداقا لهذه النظرية على كثرة عدد الموالى الذين كانوا في تلك الحروب مع الخوارج ؛

والواقع ان الخوارج وان نادوا بتلك الشعارات البراقة كانوا في غاية العصبية للعروبة ؛ وكان اكثرهم من ربيعة وكانت تلك العصبية ظاهرة فيهم فان تولى احد الموالي ولاية فانما هي حالة طارئة املتها الظروف ريثما ينتخبون عربيا مكانه كما وقع لابي طالوت وثابت التمار وغيرهما من الموالي يقول عبد الرحمن النجم " وقد انضم الى الخوارج عدد من الموالى واشتركوا في الثورات التي قامت ضد الحكم الاموى ووصل بعضهم الى مركز الرئاسة ومنهم ابو طالوت سالم بن مطر .... الذى قاد الحركة في مراحلها الاولى في اليمامة وثابت التمار الذى اختاره الخوارج رئيسا لهم بعد عزل نجدة ولكنه خلع بسرعة " (٢) وقد ارجع النجم هذه السرعة في عزله الى العصبية التي كانت مستعرة بين عرب الخوارج " (٣)

وقد رد كثير من العلماء على الخوارج رايهم في جواز تولى الامامة من غير قريش بناء على الاحاديث الواردة في احقية قريش بالخلافة وهذه الاحاديث منها ما جاء خبرا مطلقا عن الخلافة انها في قريش ومنها ما جاء مقيدا بشرط

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٢٣٧
(٢) البحرين في صدر الاسلام ص ١٣٣
(٣) المصدر السابق ص ١٣٧ .

اما الاحاديث المطلقة فمنها :

١ - جاء في حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقى منهم اثنان " (١)

٢ - حديث ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم " (٢)

٣ - حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال " الناس تبع لقريش في الخير والشر " (٣) فهذه هي الاحاديث العامة وقد ورد ما يقيد عمومها باستقامة قريش على الدين والمحافظة عليه كما جاء في حديث معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه انه قال " اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين " (٤)

وقد اورد ابن حجر رحمه الله روايات عدة في حصر الخلافة في قريش ثم استشهد بكلام العلماء في هذا الباب ومنه قول القرطبي " هذا الحديث - يشير الى حديث ما بقي منهم اثنان المتقدم - خبر عن المشروعية اى لا تنعقد الامامة الكبرى الا لقريش مهما وجد منهم احد " وقال القاضى عياض :

" اشتراط كون الامام قرشيا مذهب العلماء كافة وقد عدوها في

---

(١) صحيح البخارى جـ ٨ ص ١٠٥ .

(٢) و (٣) صحيح مسلم جـ ٦ ص ٢

(٤) صحيح البخارى جـ ٨ ص ١٠٥ ، مسلم جـ ٦ ص ٣

مسائل الاجماع ولم ينقل عن احد من السلف فيها خلاف وكذلك من بعدهم في جميع الامصار " ولكن ابن حجر يذكر انه لا يتم القول بالاجماع الا بتاويل ما ورد عن عمر رضى الله عنه في اراد ته جعل الخلافة في معاذ بن جبل وهو انصارى ليس من قريش وذلك في قوله " ان ادركني اجلي وابو عبيدة حي استخلفته " .... فان ادركني اجلي وقد مات ابو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل " فاجاب ابن حجر عن دعوى الاجماع هذه التي ذكرها القاضي بانه " لعل الاجماع انعقد بعد عمر على اشتراط ان يكون الخليفة قرشيا او تغير اجتهاد عمر في ذلك " (١) وقد ذكر الاجماع على حصر الخلافة في قريش النووى فقال بعد ذكره للاحاديث الدالة على ذلك " هذه الاحاديث واشباهها دليل ظاهر ان الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لاحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم ومن خالف فيه من اهل البدع او عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج باجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالاحاديث الصحيحة " (٢)

وقال ايضا " ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج واهل البدع انه يجوز كونه من غير قريش " (٣) ويذكر البغدادى ان من اصول السلف انهم " قالوا من شرط الامامة النسب من قريش " (٤) ويؤكد هذا المعنى ايضا ابن حزم الاندلسي فيقرر عن عدد من الفرق الاسلامية انهم يرون وجوب جعل الامامة في قريش في ولد فهر بن مالك ، وان من

---

(١) فتح البارى جـ ١٣ ص ١١٩

(٢) و (٣) شرح النووى عن مسلم جـ ١٢ ص ٢٠٠

(٤) الفرق بين الفرق ص ٣٤٩

هذه الفرق فرقة اهل السنة فقال " ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة الى ان الامامة لا تجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك ... ..." (١) ثم قال " فصح انه ليس يجوز البتة أن يوقع اسم الامامة مطلقا ولا اسم امير المؤمنين الا على القرشي المتولي لجميع امور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المؤمنين .... وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز ايضا الا لمن هذه صفته " (٢)

وقد جعل الشيخ ابو عبدالله محمد بن علي الحنبلي الاحاديث التي وردت في استحقاق قريش الخلافة بانها تدل ان قريشا يشتركون جميعهم في استحقاقها حيث قال " من الاحكام ما تشترك فيه قريش كلها نحو الامامة الكبرى " (٣)

ومع ما ورد من الاحاديث في هذا المقام واقوال العلماء فان الخوارج لم يعبئوا بذلك يقول الدكتور عزت عطية :

" واما الخوارج فلم يعبئوا بالنصوص والاخبار الواردة في ذلك وتمسكوا ببدعتهم " (٤) ولا شك ان الخوارج او بعضهم - قد سمع ما قيل في يوم السقيفة اذ ان هذا الموقف كان معروفا في ذهن كل واحد ، فانه لا زال طريا في مسامع الناس حين خرج الخوارج على علي ، فيبعد ان لا يسمع احد منهم بما روى هناك من ان الائمة في قريش ويقول ابن حجر مبطلا احتجاج

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ٨٩

(٢) المصدر السابق ص ٩٠

(٣) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٦٦

(٤) البدعة ص ٤٠٩ .

من احتج بتولية الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة واسامة وغيرهم على ان الخلافة غير لازمة في قريش بقوله :

واما ما احتج به من لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة واسامة وغيرهم في الحروب فليس من الامامة العظمى في شيء بل فيه انه يجوز للخليفة استنابة غير القرشي في حياته " (١) ولنا ان نتساءل هل شرط القرشية على اطلاقه وهل الاحاديث الواردة في ذلك دالة على الوجوب مطلقا ام هناك احتمالات اخرى في الموضوع ؟ قبل الاجابة على هذا التساؤل نورد ما ذكره ابن حجر من ان : -

الاحاديث التي وردت في استحقاق قريش الخلافة جاءت على ثلاثة اوجه وهي :

١ - وعيدهم باللعن اذا لم يحافظوا على المأمور به .... لقوله صلى الله عليه وسلم الامراء من قريش ما فعلوا ثلاثا ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله " قال ابن حجر "وليس في هذا ما يقتضي خروج الامر عنهم ."

٢ - وعيدهم بان يسلط عليهم من يبالغ في اذيتهم لقوله صلى الله عليه وسلم " يا معشر قريش انكم اهل هذا الامر ما لم تحدثوا فاذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب ". يقول

---

(١) فتح الباري جـ ١٣ ص ١١٩

ابن حجر " وليس في هذا ايضا تصريح بخروج الامر عنهم وان كان فيه اشعار به "

٣ - الاذن في القيام عليهم وقتالهم والايذان بخروج الامر عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فابيدوا خضراءهم فان لم تفعلوا فكونوا زارعين اشقياء " (١)

وهذا الحديث صريح في جواز الخروج عليهم عندما يتطبق عليهم حكمه وهو عدم استقامتهم اذ انهم حينئذ كغيرهم من اهل الضلال عندما انتفى عنهم موجب تقديمهم وهو لزوم شرع الله ولا يلتفت الى نسبهم .

ولعل هذا هو ما يمكن ان يكون المدار الذى تجتمع عليه الاحاديث بحيث يقال انهم اولى بالامامة من غيرهم اذا كانوا صالحين ، وان كان في المجتمع غيرهم من اهل الصلاح واما اذا لم يكونوا كذلك وكان غيرهم اصلح منهم وجب تولية الصالح حيث لم يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بتولية غير الصالحين من قريش او من غيرهم .

والامر بين في هذا لولا ان الخوارج غلب عليهم الحقد واتباع ما تهوى انفسهم فانفوا من الرجوع الى ما تقتضيه الاحاديث من اولوية قريش اذا كانوا صالحين وحكموا بالاولوية لغير قريش .

ولا ينبغي جحد فضل قريش وميزتهم على غيرهم عند صلاحهم فقد وردت احاديث كثيرة في بيان ذلك ويكفيهم فضلا اختيار الله لرسوله منهم .

---

(١) فتح البارى جـ ١٣ ص ١١٦

ويشهد لما ذهبنا اليه في معدى اشتراط القرشية في الامام ما انتهى اليه اجتهاد الشيخ ابو زهرة رحمه الله في هذا الامر فقد جمع بين الاحاديث التي توجب طاعة وليّ الامر مهما كان جنسه وان كان عبدا حبشيا وبين قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا الامر في قريش وغيره من الاحاديث بان " النصوص في مجموعها لا تستلزم ان تكون الامامة في قريش وانه لا تصح ولاية غيرهم بل ان ولاية غيرهم صحيحة بلا شك ويكون حديث " الامر في قريش " من قبيل الاخبار بالغيب كقول النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضا او يكون من قبيل الافضلية لا الصحة ". (١)

---

(١) تاريخ المذاهب جـ ١ ص ٩١

٥ : محاسبة الامام والخروج عليه :

يرى الخوارج ان الامام هو المثل الاعلى ، ولهذا فيجب ان يكون متصفا بذلك قولا وفعلا فان خطأه ليس كخطأ غيره من الناس ، فاذا اخطأ خطيئة ما يجب فورا محاسبته والخروج عليه فاما ان يعتدل واما ان يعتزل ولو ادى هذا الى قتله فانه حق مشروع لهم حينئذ وهكذا يعيش الامام عندهم بين فكي الاسد يحاسب على كل ما يصدر منه محاسبة دقيقة لا تأخذهم فيه لومة لائم فلا طاعة لجائر لانهم ينكرون الجور اشد الانكار ولا يعترفون بامام يعتقدون انه قد جار في حكمه قال الاشعرى " ولا يرون امامة الجائر " (١) ويحل عليه الخروج عندهم اذا ارتكب ذنبا ولم يتب منه او ظهر جور في حكمه او كان فيه تقصير عن اقامة الحدود فان الخروج عليه حينئذ يكون واجبا وقتاله حق واستشهاد " فهم مشهورون بتشددهم وصراحتهم وجرأتهم في محاسبة رؤسائهم " (٢)

واشهار السيف في وجهه ووجوه اتباعه من اقامة الدين واظهاره عاليا لان الظلمة لا ولاية لهم ولا تجب طاعتهم فقد قال تعالى " لا ينال عهدى الظالمين " البقرة : ١٢٤ وهذا دليل واضح عندهم على وجوب اقصائه عن الحكم اذا ظلم في حكمه او جار يقول الشهرستاني في بيانه لموقف الخوارج من الامام " وان غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله او قتله " (٣)

---

(١) المقالات جـ١ ص ٢٠٤ وانظر الاسلام والحضارة العربية جـ٢ ص ٦٢/٦٣

(٢) انظر الطرماح بن حكيم ص ٥٥

(٣) الملل والنحل جـ١ ص ١١٦ .

ويقول البغدادى فيما يرويه عن الكعبي ان من الامور التي اجمعت عليها الخوارج اجماعهم على " وجوب الخروج على الامام الجائر " (١)

وهم كما سبق لا يرون للامام ميزة الا اقامة الاحكام الشرعية ولهذا فمراجعته وانتقاده امر عادى ، ولقد ادت هذه النظرة من سلفهم القديم الى المغالات والشطط التي دفعت بذى الخويصرة بغرورالى نقد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فيما توهمه ظلما في توزيع الغنائم قال ابن حزم في كلامه عن خروج الخوارج علي علي ومحاربته وعدم الرضى بخلافته وان هذا كان بسبب جهلهم وقلة علمهم قال " ولكن حق لمن كان احدى يمينه ذو - خويصرة الذى بلغ ضعف عقله وقلة دينه الى تجويره رسول الله في حكمه والاستدراك ، ورأى نفسه اورع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حمارا او اضل " (٢)

فاذا كانت هذه حال سلفهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بمن بعده من الخلفاء ، ولهذا فهم قلما يثبتون على امام ويخضعون له خضوعا تاما الا قليلا ، فنتج عن هذا الموقف ثم من المواقف الاخرى وهو كثرة حروبهم مع مخالفيهم او مع بعضهم البعض كثرة ائمتهم .

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة العوفية فقد اعتبرت كفر الامام سببا في كفر رعيته وذلك في قولهم " اذا كفر الامام فقد الرعية الغائب

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٣

(٢) الفصل جـ ٤ ص ١٥٧

منهم والشاهد " (١) لهذا فينبغي ان يحال بينه وبين الحكم عندما يبدو منه امر مكفر باى وسيلة كانت ، والا فقد كفروا هم ايضا فلا اشد من هذه المبالغة في تكفير الناس بغير حق ، فاذا كفر الامام بالمشرق فمن اى وجه تكفر رعيته بالمغرب بل من اى وجه يكفر حتى ولده الذى هو في بيته ما دام متمسكا ـ بالاسلام . ومن هذا القبيل ما قاله الملطي حاكيا عن رئيس البيهسية هيصم بن عامر بانه قد افترى " فزعم ان حكم الامام بالكوفة حكما يستحق به الكفر ففي تلك الساعة يكفر من كان في حكم ذلك الامام بخراسان والاندلس وعلى الامام اذا ابصر كفره فتاب منه ارسل الى اهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وان لم يشعروا به فان ابى ان يتوب منه وقال ما لي ان اتوب مما لا اشك فيه ولم اعلم به ضربت عنقه " (٢) وهذه احكام خاطئة لا تصدر الا عن عقول جاهلة بمعاني الشريعة واحكامها وعلى هذا فما نراه من كثرة حروبهم وخروجهم على ائمتهم او ائمة مخالفيهم يعتبر امرا طبيعيا ازاء هذه الاحكام الخاطئة تجاه الامام فهو عندهم مراقب مراقبة صارمة لا تغتفر له خطيئته ولا يقبل له عذر في الخطأ الا بعد الاعتراف والتوبة امام طائفة من المؤمنين فقد " كان المجتمع الاباضي ـ كما يقول السالمي ـ يحرص حرصا شديدا على مراقبة ائمته طيلة الوقت . . . فقد كانت جميع خطواته محسوبة عليه ، وغلطة بسيطة غير متعمدة تبدر منه عفوا كانت كافية لاثارة الضجة من حوله وربما ادت الى عزله وان كان الخطأ بسيطا جدا فعلية ان يعترف به امام كبار اعلام المسلمين

---

(١) انظر المقالات جـ ١ ص ١٩٤ الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٦ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩ .

(٢) التنبيه والرد ص ١٦٩ ، الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ١٩٠ .

وان يطلب المغفرة من الله وان يتوب اليه وقد قيل بان كبار العلماء قاموا بمحاسبة الامام عزان بن قيس لانه ارسل الى بلده الرستاق بعض القطع النحاسية التي كسبوها في المعركة وقد اعترف بخطئه وطلب المغفرة من الله (٣)

[illegible]

ومع ان النص يشير الى الغلو والتشدد المفرط اذ ان الخطأ اليسير غير المتعمد يكون كافيا لاثارة الضجة والمداولات العنيفة التي قد تؤدى الى عزل الامام وسقوطه، وما يتبع سقوطه من فتن ومخاوف لا يرى الاباضية ان هذا تشددا بل هو مثل عليا تمثل عصر الخلفاء الراشدين في بساطتهم وعدلهم كما يذكر السالمي ذلك عن فرقة الاباضية فيقول " وبحكم بساطتها وعدم غلوها ومثلها العليا استطاعت ان تعيش حتى يومنا هذا واستطاعت ان تقيم حكم الامامة الذى انقطع بموت الخلفاء الراشدين وان توصل حبله " (٣)

واضافة الى ما ذكره السالمي فيما سبق فان الاشعرى يقول عنهم " ولكنهم يرون ازالة ائمة الجور ومنعهم ان يكونوا ائمة بأى شيء قدروا عليه بالسيف او بغير السيف " (٢) ولكننا نجد من علماء الاباضية من ينكر ان يكون من رايهم وجوب الخروج على الائمة الجورة بل من رايهم جواز الخروج وعدمه وايضا يستثنون من جواز الخروج اذا لم يؤد ذلك الى فتنة اكبر من فتنة الخروج

---

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٦

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨

[illegible]

(٢) مقالات الاشعرى ج١ ص٢٠٤

عليه ، وان نازعهم في صحة هذا الاستثناء بعض الكتاب المحدثين مثل احمد صبحي الذى اعتبر قول الاباضية المتاخرين وخصوصا على يحيى معمر بانه يجوز الخروج اذا لم يؤد ذلك الى فتنة اكبرانه لم يكن من اراء الخوارج الاصيلة بما فيهم الاباضية - واتهم على يحيى معمر بتقريب مذهب الاباضية الى مذهب الاشعرية القائلين بهذا التحفظ . (١)

ولكننا نجد نصوصا كثيرة عن علماء الاباضية تشهد لما ذهب اليه على يحيى من جواز الخروج على الائمة ما لم تكن فتنة اكبر .

قال ابو يعقوب الوارجلاني " واجزنا الخروج عليهم والكون معهم فان خرجنا عليهم قاتلناهم حتى نزيل ظلمهم على البلاد والعباد وان لم نخرج عليهم ورضينا بالكون معهم وتحتهم فجائز لنا " (٢)

ويقول قطب الائمة محمد يوسف اطفيش " ونحن بعد لا نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين ومن نسب الينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا " (٣)

ويقول على يحيى معمر " يجب على الامة المسلمة ان تقيم دولة عادلة فاذا كانت الدولة القائمة جائرة جاز البقاء تحت حكمها وتجب طاعتها في جميع ما لا يخالف احكام الاسلام على انه ينبغى للمسلمين ان لا يستنيموا على الظلم وانما ينبغي لهم ان يحاولوا تغيير الحكم اذا كان ذلك لا يسبب في احداث اضرار جسيمة بالامة " (٤)

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٤٥٦ .

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩١ .

(٤) الاباضية بين الفرق ص ٢٩٢ .

ويقول ابو يعقوب الوارجلاني ايضا " اعلم يا اخي ان مذهب اهل الدعوة في الخروج على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز وليس كما تقول السنية انه لا يحل الخروج عليهم ولا قتالهم بل التسليم لهم على ظلمهم اولى قالوا وقد اختلفت الامة في هذه المسألة على ثلاثة اقوال :

قول اهل الدعوة انه جائز الخروج عليهم وقتالهم ومناصبتهم والامتناع من اجراء احكامهم علينا اذا كنا في غير حكمهم واما اذا كنا تحت حكمهم فلا يسعنا الامتناع في كثير من احكامهم وان اردنا الشراء والخروج جاز لنا " (١) ويقول الشماريتي عن الامام " وللامة عزله بموجب كأن يقع منه ما يخل بامور المسلمين فان ادى عزله الى الفتنة ارتكب اخف الضررين (٢) "

وبعد فهل كان الخوارج فيما ذهبوا اليه من وجوب الخروج على الحكام - هل كانوا فيه على صواب ام على خطأ - وذلك بالاستناد الى ما ورد من نصوص واضحة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقبل ايراد بعض تلك النصوص نقول انه لا يخفى على احد مقدار الخسارة التي تلحق بالامة حين يخرج بعض الناس على الامام الشرعي ويؤيده البعض الاخر وما ينتج عن هذا من تشتت الكلمة ودخول الاهواء في كل امر وتعاظم الحقد في صدور الناس وسفك الدماء المستحقة والبريئة على حد سواء من جراء تلك الفتن الاهلية كما وقع ذلك في كل وقت من الاوقات التي يغلب فيها الجهل على العلم والظلم على العدل ، ولهذا فقد حث الاسلام على الوحدة واجتماع الكلمة .

---

(١) نقلا عن المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٢) نقلا عن المصدر السابق ص ٤٨٥ .

يقول الله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا " آل عمران : ١٠٣

ويقول الله تعالى آمرا عباده بالتعاون فيما بينهم على الخير واجتناب الشر " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " المائدة : ٢ .

وقد امر الله بطاعة اولى الامر اذ انه لا بد لكل مجتمع من وال لامرهم يكون مرجعا في قضاياهم والا لفسد الامر واختل النظام ووقعت الفوضى وبطل تنفيذ شرع الله ، فلهذا اوجب طاعتهم التامة بعد ان امر بطاعته هو جل وعلا وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى " يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم " (١) والولاة من اولى الامر .

وقد ورد عدة احاديث تشير الى وجوب طاعة اولى الامر وتحريم الخروج عليهم ومنها :

١ - حديث ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني " (٢) اى انه اعتبر طاعة الامير كانها طاعة له وعصيانه كانه عصيان له .

٢ - عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة " (٣) فقد اوجب صلى الله عليه وسلم طاعة الامير مهما كان جنسه او لونه او منزلته عند الناس ما دام انه قد نصب اميرا شرعيا على الامة .

٣ - قال صلى الله عليه وسلم في التحذير من مفارقة الجماعة بالخروج على الامام :

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .
(٢) صحيح البخاري ج٨ ص١٠٤ ، صحيح مسلم ج٦ ص١٢
(٣) " " " ص١٠٥ ونحوه عند مسلم ج٦ ص١٥

" عن ابن عباس يرويه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية " (١)

والاحاديث في هذا الباب كثيرة كلها توجب طاعة اولى الامر لتتم وحدة الامة ويقوم كيانها به على انه وان تظاهرت الاحاديث بطاعة اولى الامر والرضا بحكمهم الا ان تلك الطاعة ليست على اطلاقها فقد قيدت طاعة الحاكم بما اذا كان ملتزما لحكم الله غير آمر بالمعصية أما اذا كان بخلاف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية خالقه تعالى .

يقول صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (٢)

٤ ـ عن علي رضي الله عنه قال " بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمّر عليهم رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب عليهم وقال اليس قد امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال عزمت عليكم لما جمعتم حطبا واوقدتم نارا ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبا فأوقدوا فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم الى بعض فقال بعضهم

---

(١) البخاري ج ٨ ص ١٠٥ مسلم ج ٦ ص ٢١ سنن ابي داود ج ٢ ص ٥٤٢ .
(٢) البخاري ج ٨ ص ١٠٦ صحيح مسلم ج ٦ ص ١٥/١٦ ونحو هذا الحديث عند النسائي في سننه ج ٧ ص ١٦٠ .

انما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارا من النار افندخلها فبينما هم كذلك اذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا انما الطاعة في المعروف (١) "

وهذا اللفظ في البخارى وقد اورد مسلم عدة روايات في مثل هذا المعنى وهي واضحة في عدم طاعتهم في المعصية المحرمة •

الا انه لا ينبغي ان يفهم منها انه بمجرد ارتكاب الحاكم المعصية يباح الخروج عليه كما ترى ذلك الخوارج اذ ان المعاصى لا يمكن ان يخلو عنها بشر فاذا ابيح الخروج على الحاكم لانه عصى سترتكب حينئذ من المعاصى اضعاف ما ارتكب اضافة الى ان خلفه الذى سينصب لا بد وان يعصى معصية ما فيفضى ذلك الى الفوضى وارتكاب المنكرات فيضعف الدين وتبطل حكم التشريع الربانية •

فلا يجوز الخروج على الحكام ما داموا ملتزمين بالشريعة محافظين على الصلاة وسائر شعائر الاسلام الا ان يظهروا كفرا بواحا فيه دليل لنا عليه من كتاب الله وسنة نبيه او ان يأمروا الناس بترك شعيرة من شعائر الاسلام كالصلاة او الحج وغيرهما من شعائر الاسلام او يأمرونهم بفعل المعاصى •

---

(١) البخارى ج ٨ ص ١٠٦ صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦/١٥ ونحو هذا الحديث عند النسائي في سننه ج ٧ ص ١٦٠ •

٦ : رأى الخوارج في امامة المفضول :

اختلف الخوارج في صحة امامة المفضول مع وجود الفاضل الى فريقين متقابلين :

١ - فذهب الفريق الاول منهم الى عدم الجواز وان امامة المفضول تكون غير صحيحة مع وجود الافضل .

٢ - وذهب الفريق الاخر منهم الى صحة ذلك وانه تنعقد الامامة للمفضول مع وجود الافضل وفي هذا يقول ابو محمد بن حزم " ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاني ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه .

وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه " (١) والاباضية من هذا الفريق الثاني الذى يجوز امامة المفضول مع وجود الفاضل قال الشماريتي الاباضي " وتجوز (اى الاباضية) امامة المفضول مع وجود الفاضل خلافا لقوم كالامامية هذا ما عليه اصحابنا وهو بعينه مذهب الاشاعرة" (٢) ومن هنا فان الطالبي لم يكن دقيقا عندما اطلق الحكم بان الخوارج بصفة عامة لا يجيزون امامة المفضول مع وجود الفاضل عندما قال "ولا يجوز عند الخوارج ان يتولى الامامة شخص مفضول اذا وجد من هو افضل منه " (٣) فقد تبين لنا مما سبق من كلام ابن حزم والشماريتي ان بعضهم يجيز ذلك .

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ١٦٣ .

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٤٦٢ .

(٣) اراء الخوارج ص ١٢٨ .

٧ : رأى الخوارج في امامة المرأة :

الامامة مسؤولية عظمى وعبء ثقيل يتطلب سعة الفكر وقوة البصيرة ورباطة الجأش ويتطلب ايضا مزايا عديدة جعل الله معظمها في الرجال دون النساء ولقد علم بالضرورة ان الخلفاء والقواد العظام الذين سطرت لهم الصفحات البيضاء في التاريخ كان معظمهم من الرجال ، ولا أدل على هذا من اختيار الله جل وعلا لرسالته والتبليغ عنه ممن علم فيه الكفاءة والكمال وذلك من جنس الرجال فقال تعالى " وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم " الانبياء : ٧ وما ذاك الا لما يعلم من تحمل الرجل لمتاعب المسئولية العظمى وما اودعه في تركيبهم من اسرار .

وقد اطبق جميع العقلاء على ان الخلافة لا يصلح لها النساء وقد روى ابن حزم في قوله الاتي اتفاق جميع المسلمين على عدم جواز تولى المرأة الامامة العظمى فقال :

" قال ابو محمد وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة المرأة " (١)

ولكن نجد فرقة من فرق الخوارج وهي الشبيبية كان لها تأثير بالغ في محاربة جيش الخلافة وانتصارهم عليه مرات عديدة تذهب الى جواز تولى المرأة الامامة العظمى وذلك ان شبيب بن يزيد الشيباني زعيم هذه الطائفة كان في جيش صالح بن مسرح الذى ثار على الخلافة الاموية في زمن عبد الملك بن مروان فقابله جيش الخلافة على باب حصن جلولا فانهزم

---

(١) الفصل ج ٤ ص ١١٠

صالح جريجا فلما اشرف على الموت استخلف شبيبا هذا فاحدث في زمنه القول بجواز تولي المرأة الامامة العظمى فيذكر عنه البغدادي :

" انه مع اتباعه اجازوا امامة المرأة منهم اذا قامت بامورهم وخرجت على مخالفيهم وزعموا ان غزالة ام شبيب كانت الامام بعد قتل شبيب الى ان قتلت ، واستدلوا على ذلك بأن شبيبا لما دخل الكوفة اقام امه على منبر الكوفة حتى خطبت " . (١)

وهنا يسجل العلماء على هذه الفرقة تناقضهم واتباعهم الهوى في انتقادهم ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين خرجت تطالب بدم عثمان اول الامر مجتهدة فتأولوا عليها قول الله تعالى " وقرن في بيوتكن " الاحزاب : ٣٣ فقالوا انها خالفت ما امرها الله به من الستر والحجاب والقرار في البيت . فاذا كانوا ينتقدون خروج عائشة وهي مع محرمها محجبة تقية ، فكيف اجازوا لنسائهم تولية الامامة العظمى والخروج على الحكام يحاربن معهم في ميادين القتال فقد كانت نسائهم - كما ذكرنا في خصائصهم - يتقلدن السيوف ويركبن ظهور الخيل ويحضرن المعارك ويبارزن الشجعان حتى اشتهرن بتلك الصفات .

وعائشة رضى الله عنها خرجت مع جندها الذى كل واحد منهم محرم لها ، لانها ام جميع المؤمنين بنص القرآن ولم تخرج لطلب الامامة العظمى ، وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المرأة بانها ناقصة عقل ودين فكيف يجوز القاء مصير الامة على عاتق امراة واحدة لا تقبل شهادتها بمفردها على رغم انوف دعاة المراة الى الخروج عن قانونها الذى جعلها الله فيه . وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " لا يفلح قوم ولوا امرهم امرأة " (٢)

(١) الفرق بين الفرق ص ١١٠/١١١

(٢) سنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٧ .

٨ : الفوارق بين الخوارج والشيعة في الامامة :

واذا اردنا ان نقارن بين آراء الخوارج والشيعة في الامامة نجد ان بينهم بونا شاسعا في هذه القضية كما نتبين ذلك فيما يأتي :

١ - فالخوارج منهم من يقول بالاستغناء عن الامام والشيعة على العكس ترى ان وجود امام من آل البيت اصل من اصول الدين .

٢ - الامامة عند الخوارج حق مشاع بين كل طبقات المجتمع اذا وجد الكفء بينما الشيعة تحصر الخلافة في علي ونسله من بعده .

٣ - الخوارج لا تقول بعصمة الائمة والشيعة تدعى عصمتهم .

٤ - لا يعتقد الخوارج رجعة احد من ائمتهم والشيعة تعتقد رجعة الامام المنتظر والقول بعدم رجعة احد هو قول عامة الخوارج الا فرقة شذت عنهم تسمى الخلفية ورئيسهم يسمى مسعود بن قيس ، ففي اثناء محاربة حمزة بن اكرك لهذه الفرقة وهزيمتها هرب مسعود بن قيس فغرق في واد ومات غريقا الا ان طائفته لم تصدق بموته واعتقدوا رجعته وصاروا ينتظرونه (١) انتظار الشيعة للامام المنتظر الذى يسألون له الرجوع وتعجيل الخروج في كل لفظة يذكر فيه المهدى ويرمزون لذلك بحرفي " عج " .

٥ - يرى الخوارج جواز الخرج مع اى شخص كان ما دام مستقيما على الحق بينما الشيعة يرون انه لا يجوز الخرج على مخالفيهم الا مع وجود الامام الحق وبدونه لا يجب ولا يلزم بل هو اضرار بالغير

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٩٩ .

ولا صحة لامامة من ليس من اهل البيت فمتى وجد هؤلاء جاز الخروج معهم على الحكام الجائرين وبدونهم لا يجوز . (١)

٦ — التقية عند الشيعة لا باس بها بل يحضون على التزامها عندما تقتضي الظروف اما الخوارج فلا مكان لها عند الازارقة منهم ولا مكان للتقية العملية عند الصفرية كذلك ، اما الشيعة فانهم جميعا يجيزونها . يقول احمد امين " وعلى عكس الشيعة في القول بالتقية الخوارج " ويقول " وحياة الشيعة والخوارج السياسية مظهر من مظاهر قولهم في التقية ، فالخارجي يعلن الخروج على الامام في صراحة ولو كان وحده " (٢)

٧ — يرى الزيدية من الشيعة جواز امامة المفضول مع وجود الفاضل وهم بذلك يخالفون معظم الخوارج الذين يمنعون ذلك .

واذا كانت هذه الفوارق تمثل اختلافا حادا بين الخوارج والشيعة في كثير من مسائل الامامة فان هذا الخلاف لم يكن جديدا فيما بينهم فقد بدأ حادا في قضية الامامة منذ اول امرهم حينما انفصل الخوارج عن الشيعة على عهد الامام علي رضي الله عنه .

---

(١) انظر ابانة المناهج ص١٦٦ .

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤٩ .

الفصل السادس

" الامر بالمعروف والنهى عن المنكر "

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اصل عظيم من اصول الدين الاسلامى لايمارى فيه مسلم لوروده فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " آل عمران : ١٠٤ والايات فى هذا المعنى كثيرة .

ويقول صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان " (١)

وهذا الامر عام لكل من يصلح له هذا الخطاب . ويقول عليه الصلاة والسلام موجبا ـ حتى على الجالسين على الطرقات ـ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما يرويه ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى " ص " ـ انه قال " اياكم والجلوس بالطرقات فقالوا يارسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها قال رسول الله " ص " فاذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه فقالوا وماحق الطريق يارسول الله قال غض البصر ، وكف الاذى ورد السلام ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر " (٢) والاحاديث فى هذا الباب كثيرة .

وقد اتفق على القول بوجوب تغيير المنكر كل الفرق ـ وان اختلف بعضهم عن بعض فى الطريقة التى يتم بها ـ ومنهم الخوارج يقول ابن حزم فى هذا " وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزله وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك " (٣)

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٥٠

(٢) رواه البخارى جـ ٧ ص ١٢٧ .

(٣) الفصل جـ ٤ ص ١٧١

ويقول القاضى عبد الجبار " وجملة مانقول فى هذا الموضع انه لاخلاف بين الامة فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر " (١) وقد اتفق اهل العلم على انهما فرض كفاية اذ قام به من يكفى سقط عن الاخرين •

يقول الحنبلى فى مختصر الفتاوى لابن تيمية " والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على الكفاية باتفاق المسلمين وكل واحد من الامة مخاطب بقدر قدرته • وهو من اعظم العبادات " (٢)

والخوارج ـ كما قدمنا ـ كغيرهم من الفرق الاسلامية التى تنادى باقامة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكنهم غالوا فى تطبيقة فأوجبوا الخروج تغييراً للمنكر ولو لادنى سبب وعلى اى حال حتى ولو كان السبب اهمال الامام لسنة السنن مهما كانت يقول الشهرستانى انهم " يرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا " (٣)

ويقول صاحب ابانه المناهج ان من اصولهم " القول بالخروج على الامام الجائر " (٤) ويقول فلهوزن " وتغيير المنكر واجب على كل فرد بلسانه ويده • وهذا المبدأ مبدأ اسلامى عام ولكن تحقيقه بمناسبة وغير مناسبة كان علامة دالة على الخوارج " (٥) وسنتبين طريقتهم فيما يأتى من عرض أقوالهم •

---

(١) شرح الاصول الخمسه ص ٧٤١ •

(٢) مختصر الفتاوى ص ٥٧٩ •

(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٥ •

(٤) ابانة المناهج ص ١٥٤ •

(٥) الخوارج والشيعة ص ٤١

يقول أول رئيس للخوارج وهو عبد الله بن دهب الراسبي مخاطبا اتباعه حين اجتمعوا في منزله موجبا عليهم القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج من أجله " ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا التي ايثارها عناء آثر عنده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا (١) " .

وهذا النص يوضح تمام الوضوح نظرتهم الى فكرة تغيير المنكر وحمل الناس على التزام المعروف كما يريدون ، فهو يدعو الى الخروج المسلح وترك شهوات الدنيا والرغبة في الآخرة وخوض المعارك والاستشهاد في سبيل الله لأجل تغيير المنكرات التي يرونها في مجتمعهم ذلك .

والخوارج ـ وهو ما تميزوا به كما قلنا ـ أرادوا باقامة هذا الامر حمل كافة الناس على قبول آرائهم واعتبار كل شيء لايوافق ما يعتقدونه منكرا يجب الامتناع عنه ، وكانوا يولون ذلك اكبر الاهتمام والمحافظة البالغة على تطبيقه تطبيقا كاملا صغر الامر أو كبر دون هوادة في ذلك مهما كانت النتائج ولو أدى تغيير المنكر الى الجهاد الجماعي لمخالفيهم بامتشاق السيف وخوض الحروب خصوصا اذا كان المرتكب لذلك المنكر ـ في نظرهم ـ أحد حكام المسلمين الذي يمثل بطبيعة وظيفته الخلافة الاسلاميه ويناط به الحكم بما انزل الله فان الخروج عليه أوجب وأولى ، وفي هذا يقول احد علمائهم وهو سليمان بن عبد الله الباروني أن الشراة هم الذين " اشتروا آخرتهم بدنياهم بمعنى انهم تخلوا عن الدنيا وعاهدوا الله على انكار المنكر والامر بالمعروف بدون مبالاة ولاخوف من الموت ولو أدى بهم ذلك الى القتال (٢) " .

---

(١) تلبيس ابليس ص٩٣

(٢) الازهار الرياضيه ص٢١٠

وكان زعماؤهم يرددون فى كل خطبة لهم على مسامع اخوانهم الخوارج ان تغيير المنكر من الامور الواجبه عليهم التى لايعذر الله من قصر فى القيام بها نظرا لما شاع فى المجتمع من المظالم واضاعة معالم الدين .

يقول حيان بن ظبيان وهو أحد رؤسائهم يخاطب اصحابه " فانصرفوا بنا رحكم الله الى مصرنا فلنأت اخواننا فلندعهم الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والى جهاد الاحزاب فانه لاعذر لنا فى القعود ولأننا ظلمه وسمة النهدى متروكه وثأرنا الذين قتلوا اخواننا فى المجالس آمنون (١) " .

ويقول ايضا معاذ بن جوين الطائى فى دوافع خروجهم للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم الاعذار فى ذلك " يا أهل الاسلام انا والله لو علمنا انا اذا تركنا جهاد الظلمه وانكار الجور كان لنا به عند الله عذر لكان تركه ايسر علينا واخف من ركوبه ولكنا قد علمنا واستيقنا انه لاعذر لنا وقد جعل لنا القلوب والاسماع حتى ننكر الظلم ونغير الجور ونجاهد الظالمين (٢) ويجرى هذا المجرى فى بيان دوافع الخوارج للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يقوله صالح بن مسرح مخاطبا جماعته " ما ادرى ماتنتظرون حتى متى انتم مقيمون ، هذا الجور قد فشا وهذا العدل قد عفا ولاتزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وتباعدا عن الحق وجرأة على الرب فاستعدوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذى تريدون فيأتوكم فلنلتقى وننظر فيما نحن صانعون وفى أى وقت ان خرجنا نحن خارجون " .

ويقول شبيب مخاطبا صالح بن مسرح المذكور " اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنه الا دروسا ولايزداد المجرمون الا طغيانا(٣) " .

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص١٧٤

(٢) تاريخ الطبرى جـ٥ص ١٧٤ ، وانظرص٣١٠ ، وانظر الكامل للمبرد جـ٢ ص١٧٩

(٣) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص٢١٩

فدوافع الخوارج في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جرت على السنتهم دوافع دينيه تتمثل في ما بدالهم من شيوع المنكرات والمظالم بين الناس والحكام ومن اندراس معالم الدين في المجتمع ، بل ان نافع بن الازرق كان يرى ان مخالفيهم كفار يجب جهادهم كجهاد الكفار الذين لم ينطقوا بكلمه الشهاده ، فقد جاء في كتابه الى اهل البصره قوله يحثهم على الخروج " والله انكم لتعلمون ان الشريعه واحده والدين واحد ففيهم المقام بين اظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد [1] " الخ ويقول الطبري " وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهروان ويرون في الاقامه الغبن والوكف وان في جهاد اهل القبله الفضل والاجر [2] " وقد بالغوا في حب الجهاد والاستبسال فيه الى حد وصفه ابو زهرة بأنه هوس واضطراب في اعصابهم وليس مجرد شجاعه كما يرى فيقول " بل هناك صفات اخرى منها حب الفدا والرغبه ـ في الموت والاستهداف للمخاطر من غير داع قوى يدفع الى ذلك وربما كان منشوءه هوسا عند بعضهم واضطرابا في اعصابهم لامجرد الشجاعه (٣) .

فكانوا اذا دعوا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستعملون في سبيل تحقيقه كل ما لديهم من قدرة ولاينظرون الى العواقب ايا كانت تلك العواقب وكانوا كما يصفهم أحمد امين " أشد واقسى واعنف فمتى اعتقدوا الحق في شيء نفذوه بالسيف ولهذا ـ كان تاريخهم سلسلة حروب وخروج على الخليفه " ويقول ايضا " فالواجب في نظر الخوارج يجب أن يفعل ثم لتكن النتيجه ما تكون ، وظلوا مخلصين لهذا المبدأ ـ طوال العهد الاموي وصدر الدولة العباسيه حتى أبيدوا [4] " .

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٥ ص ١٧٤ وانظر ص ٢١٠ ، الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٧٩

(٢) تاريخ الطبري جـ ٥ ص ١٧٤

(٣) تاريخ المذاهب الاسلاميه جـ ١ ص ٦٧

(٤) ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٦٧

وقد اعتبر العلامه بن القيم هذا الاندفاع والمنفى تحقيق ما يريدون بأنه من تعصب أهل البدع لبدعهم وأنهم يخرجون بدعهم فى قوالب متنوعه بحسب تلك البدع فيرى أن ـ الخوارج أخرجت استحلال قتال الناس فى قالب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك فى قوله : ـ

" واخرجت الخوارج قتال الائمه والخروج عليهم بالسيف فى قالب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) " فهو يختلف مع الاستاذ ابو زهرة فى تعليل ذلك الاندفاع الذى تميز به الخوارج " .

وأيا كانت دوافع الخوارج فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد كانوا متحمسين فى القيام به مستعملين فى ذلك كل ما فى امكانهم من قول وفعل فقد كانوا يستعملون ـ فصاحتهم وقوة بيانهم لاظهار معايب خصومهم واضحة امام الناس لاثارة مشاعرهم ضدهم وبالتالى لتهوين الخروج المسلح عليهم بحجة انهم ظلمه جائرون مرتكبون لما حرم الله من معاص ومنكرات يجب عليهم تغييرها كما يفرضه عليهم الدين يصفهم صاحب كتاب الأديان والفرق بأنهم :ـ

" أول من انكر المنكر على من عمل به وأول من ابصر الفتنه وعابها على أهلها لايخافون فى الله لومة لائم (٢) " .

وهكذا فقد اعتبروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر امرا جماعيا يجب على الكل القيام به فى أى وقت وعلى أى حال كما يشهد بذلك فعلهم .

---

(١) غاية للهفان جـ ٢ ص ٨١
(٢) كتاب الاديان ص ٩٧

والواقع ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما ذكرنا من قبل ـ اصل من اصل الدين ـ مجمع على وجوبه بين الامة لما ورد من نصوص فى كتاب الله وسنة نبيه توجب القيام به حفظا لكيان الامة من التردى فى مسالك الرذيلة ونصحا للناس لئلا يصبح المجتمع على اتفاق فيما بينهم على ارتكاب الجرائم وانتهاك الاعراض فتحل عليهم نقمة الله وغضبه ومن لطف الله ان جعل وجوبه على الكفاية اذا قام به من يكفى سقط عن الجميع وانه لم يكلف احدا بهداية احد بل اوجب تعالى اقامة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعل نتيجة ذلك وحده لئلا يهن الشخص وييأس فى استجابة الناس له فيترك فضيلة القيام بذلك الامر وقد يخدع الشيطان بعض الناس فيريه انه هو نفسه على محذور فكيف ينصح الاخرين وهذا من وساس الشيطان ومكائده التى يريد بها حصر كل انسان فى نفسه فقط . لهذا فيجب على الشخص ان يدعو الى ذلك وان كان على تقصير فى نفسه اذ الكمال لله وحده تعالى ولعل فى نهيه لغيره مايعود عليه بالخير فيرتدع عن كثير مما ينهى الناس عنه حياء من الله وقد يظن بعض الناس بأن القيام بتلك المهمة انما يتولاها من كان من اهل السلطة فقط وهذا خطأ اذ ان الله لم يسند القيام به الى احد بخصوصه سواء كان حاكما او محكوما افرادا او جماعات فان كل واحد يتعين عليه القيام بما عرف من امر الاسلام لان هناك منكرات ظاهرة يعرفها كل شخص فلا يعذر بترك الانكار حين يتعين عليه ذلك بحجة انه غير عالم .

وهناك منكرات قد تخفى على بعض الناس بحيث لم يتبين له الحكم فيها وهنا يسقط عنه وجوب تغييره . وعلى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ان يسير على مانهج رسل الله " ص " من طرق فى ذلك حيث جعل لتغيير المنكر مراتب ودرجات واولها التغيير باليد وهو اجدى الطرق واحسنها فانه لم يتيسر ذلك انتقل الى الدرجة الثانية وهو التغيير باللسان فحسب اثر ذلك ام لم يثمر فان كان المجتمع قد تشبع

بحب الفساد ووصل الحال الى حد لايمكن معه الاصلاح باليد او باللسان انتقل الى اضعف الدرجات وهو الانكار بالقلب وهووان كان ليس تغييراللمنكر الا أنه استشعار للمسؤلية وانكار على المفسدين حتى يشعروا بأنهم فى عزلة عن المجتمع الاسلامى ولابد ان يقلعوا عن فسادهم اذا ارادو العودة الى مجتمعهم ومن ناحية اخرى فان فى الانكار بالقلب ضمان لعدم تأثر الصالحين بفساد المفسدين •

وفيما يتعلق بمسلك الخوارج فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ضوء ماقدمنا من حدوده الشرعية فاننا نجد ان الخوارج لا لوم عليهم فى منادا تهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر • وانما يلامون على ماتميزوا به من اندفاع وتهور فى تغيير المنكر على اى حال دون النظر فى عواقب الامور من تحقيق لمصلحة او دفع لمضرة • فكانوا يمتشقون السيوف بمجرد ظهور اى مظلمة او ذنب مهما كان ولهذا فقد ارتكبوا فى سبيل تحقيق ذلك افظع الجرائم واشنعها وارتكبوا من المنكرات فى ازالة مايرونه منكرا مايزيد على اضعافه وجلبوا من المضار اكثر مما ارادوا النفع • وهذا هو مايبعد بهم عن هدى الاسلام فى اقامة تلك القاعدة الجليلة •

الفصل الرابع

رأي الخوارج في التقية وموقفهم من القعدة

التقية :

١ ـ تمهيد :

ان الصراحة في القول و الجهر بما تنطوي عليه النفس د ون مراعاة أحد او الخوف منه سواء كان حاكما او محكوما يتمثل في اوضح صوره لدى الخوارج فهم يرون أن عدم الجهر بالقول الذى يعتقده الشخص حقا ليس من صفات الرجل الواثق من عقيدته بل هو من صفات المنافقين المرتابين وقد كانت سيرتهم من الخروج والكفاح مثلا واضحا لذلك كما رأينا في تأريخنا لحركات الخوارج الثورية وما ذكرناه من امثلة شجاعتهم وصراحتهم في اعلان الخروج ، ولقد كان نافع بن الازرق اقوى معبر عن ذلك بما ذهب اليه من تحريم التقية وما اقام على ذلك من أدلة وان كان هناك من اجازها مطلقا من بعض فرق الخوارج الاخرى مخالفة له في ذلك ومن توسط في امرها كما سنبين ذلك فيما بعد ، ولقد كان الاختلاف في شأن التقية من الاسباب التي فرقت بين نافع بن الازرق زعيم الازارقة وبين نجدة زعيم النجدات وهما من اوائل الخوارج واشدهم بأسا قال الشهرستاني مبينا سبب ذلك الاختلاف بينهما " وكان سبب اختلافهما ان نافعا قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر " الى ان يقول " وخالفه نجدة وقال التقية جائزة " (١) وعلى اساس اراء الخوارج المختلفة في التقية منعا او تجويزا تختلف مواقفهم من القعدة منهم بين مخالفيهم على سبيل التقية رفضا لقعودهم او اقرار لهم عليه • ولهذا فاننا نبدأ فيما يلي ببيان رأي الخوارج في التقية قبل ان نحدد مواقفهم المختلفة من القعدة •

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٥

٢ ـ آراء الخوارج في التقية :

آ : القول بعدم جواز التقيـــة :

وهذا هو رأى الازارقة فقد كان نافع بن الازرق زعيمهم من اشد المبغضين لها ويرى انها تنافى وجوب الجهاد الذى فرضه الله على المسلمين لقولـــه : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " التوبة : ٣٦ اذ ان القائل بالتقيـة لا يمكن ان يندفع الى قتالهم ما دام يجد ملجأ في التقية وبالتالي فانه يضعـف فيه ذلك العزم والصدق الذى اراده الله من المجاهد ولذلك فقد " برئـوا من اهل التقية " (١) كما قال الاشعرى وبالتالي فلا محل لها عندهم ولا منزلـة لها بينهم سواء كانت في الاقوال او الافعال وقد عد الشهرستانى هذا القـول من بدعهم وضلالتهم اى قولهم " ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل " (٢) ويقول احمد امين مقارنا بين الخوارج والشيعة في الاخذ بالتقيـة " وعلى عكس الشيعة في القول بالتقية الخوارج فقالوا : لا تجوز التقية بحال من الاحوال ولو عرضـت النفس والمال والعرض للاخطار وحياة الشيعة والخوارج السياسية مظهر من مظاهر قولهم في التقية فالخارجي يعلن الخروج على الامام في صراحة ولو كان وحـده ويحاربه ولو كان في نفر قليل مهما بلغ عدوه من العدد " (٣)

وكلام احمد امين يصدق على الازارقة واصحاب الحركات الثوريـــة من الخوارج وقد يصدق على غيرهم من الفرق الاخرى التي ترفض التقيـة وان لـم يروى المؤرخون في ذلك عنهم شيئا بخلاف من يجيزون التقية كالنجدات ـ والصفرية والاباضية وغيرهم ممن سنعرض رأيهم في هذا الفصل .

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٣

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٢ ، البحرين في صدر الاسلام ص ١٢٨ .

(٣) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤٩

ب : القول بجواز التقية قولا وعملا :

وهو رأى النجدات ، قال الشهرستاني فيما يحكيه عن الكعبى " وحكى الكعبى عن النجدات ان التقية جائزة في القول والعمل كله وان كان في قتل النفوس " (١) وتحليل النجدات للتقية والرضى عن القعدة انما هو لهم اما اهل الذمة فانهم لا ينفعهم القول بالتقية بل يستحلون دماءهم واموالهم ومن لم يحرمها فهو منهم في منزلة البراءة وفي هذا يقول الاشعرى عنهم " وحكى عنهم انهم استحلوا دماء اهل المقام واموالهم في دار التقية وبرئوا ممن حرمها " (٢)

ويقول الشهرستانى . " واستحل نجدة بن عامر دماء اهل العهد والذمة واموالهم في حال التقية وحكم بالبراءة ممن حرمها " (٣) وهذا بخلاف ما عرف عن الخوارج من تسامح مع اهل الذمة وتواصيهم بهم خيرا في انفسهم واموالهم كما اشتهرت بذلك اكثر فرقهم ومن القائلين بجوازها من الخوارج ايضا ابو بلال مرداس ، الشخصية المثالية المحبوب لدى كل فرقهم ويتبين تجويزه لها من موقفه مع البلجاء المرأة الخارجية المشهورة بمواقفها العنيدة من ابن زياد فقد قال لها ابو بلال مشفقا عليها من بطش ابن زياد " ان الله قد وسع على المؤمنين التقية فاستترى فان هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك " (٤) .

وممن اجازها ايضا من الفرق الاخرى الاباضية فهي جائزة بل قد تكون واجبة كما يظهر من الاحاديث التي ذكرها الربيع بن حبيب في مسنده ، قال الربيع ابن حبيب :

" باب ما جاء في التقية " ثم اورد الحديث الاتى : " قال جابر سئل ابن عباس عن التقية فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم : رفع الله عن امتى

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤ ، البحرين في صدر الاسلام ص ١٢٨ .
(٢) المقالات ج ١ ص ١٧٥
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٤
(٤) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٤

الخطأ والنسيان وما لم يستطيعوا وما اكرهه عليه " قال " وقال ابن مسعود " ما من كلمة تدفع عني ضربي سوطين الا تكلمت بها وليس الرجل على نفسه بأمين اذا هرب اوعذب اوحبس اوقيد " (١) اى وهو يجد خلاصا في الاخذ بالتقية •

ج : القول بجواز التقية القولية دون العملية :

وهو قول الصفرية الذين توسطوا بين الازارقة والنجدات حيث اجازوا التقية في الاقوال لا في الاعمال حسبما ذكر الشهرستاني عنهم ذلك بقوله " وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل " (٢) بل تختلف الاحكام عندهم في حال التقية عنها في حال العلانية فقد جوز الضحاك وهو من الصفرية التزوج في حال التقية من مخالفيهم ومنعها في دار العلانية والغلبة لهم ويختلف ايضا تنظيم الزكاة وسهامها في دار التقية فقد جعلها زياد بن الاصفر سهما واحدا في حال التقيــة كما يذكر ذلك الشهرستاني ايضا في قوله " ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية ورأى زياد بن الاصفر جميع الصدقات سهما واحدا في حال التقية " (٣) وقد اخذ بهذا الرأى المعبدية جماعة معبد بن عبد الرحمن ، اى في جواز ان تصير سهام الصدقات سهما واحدا في حال التقية (٤) •

د : ادلة المانعين للتقيــة :

استدل نافع على تحريم التقية بآيات من القرآن الكريم وردت في الاصل اما في المشركين اى مشركى العرب وغيرهم واما في المنافقين ولكن نافعا جعل حكمها شاملا لمخالفيه من اهل القبلة ومنطبقا عليهم فاستدل على منع التقيــة بقوله تعالى " وقاتلوا المشركين كافة " وبما جاء في امر الله المؤمنين بالجهاد

---

(١) مسند الربيع بن حبيب ج ٣ ص ١٢

(٢) الملل والنحــل ج ١ ص ١٣٧

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ •

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٢ •

على ما تيسر من حال بعد ان قطع العذر في التخلف فقال " انفروا خفافا وثقالا " اى ان الله امر بقتل المشركين امرا عاما دون استثناء لحال من الاحوال يجوز فيه القعود عن قتالهم على سبيل التقية .

واستدل ايضا بقوله تعالى " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله " وذلك ان الله تعالى وان كان قد عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعلة الا انه فضل مع ذلك المجاهدين وأخبر انهم لا يستوون عنده في الثواب (١) مع غيرهم من اصحاب الاعذار ومنهم القاعدون عن القتال تقية وقد استدل نافع كذلك على تحريم التقية بما وصف الله به القعدة في قوله تعالى " وقعد الذين كذبوا الله ورسوله " التوبة : ٩٠/ اى ان القعود عنده من صفات المكذبين لله ورسوله وهم غير المؤمنين .

واستدل ايضا بان الله قد ذم الذين يخشون غيره من الناس او تكون خشيتهم من الناس اشد من خشيتهم من الله و هو من لوازم لصفات اهل التقية وذلك في قوله تعالى : " اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية " ثم مدح تعالى نقيض هؤلاء وهم المجاهدون الذين لا يبالون بغيرهم فقال تعالى " يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " (٢)

هـ : ادلة القائلين بجواز التقية :

وقد استدل نجدة على جواز التقية بقوله تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير " آل عمران : ٢٨

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٧٩

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٥ ، العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٩٧

وقوله تعالى " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه " غافر: ٢٨
وقوله تعالى " ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله" وقوله تعالى " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما " النساء: ٩٥

فقال ان الله قد جعلهم (قعدة كما صرحت الآية بذلك) مؤمنين وان كان قد فضل عليهم المجاهدين فانه ليس دليل على تحريمها اذ لو كانت محرمة لما سماهم مؤمنين ولما كانت مفاضلة بينهم ولعل هذا التوجيه للآية اولى من استدلال نافع بها على تحريم التقية كما قدمنا [١].

وفيما يتعلق بأقوال السلف في التقية فهي مختلفة فمنهم من يجيزها على ظاهر قوله تعالى " الا ان تتقوا منهم تقاة " ولا يرى بها بأسا ما دامت الغلبة للكفار حيث لا ينجى صاحب التقية منهم الا اظهار ولائه لهم وموافقته اياهم في الظاهر.

وبعضهم قال ان التقية لا تجوز خصوصا بعد ان اعز الله الاسلام وانتشر بين الناس وصار المسلمون اهل قوة ومنعة وفي هذا يقول الشوكاني بعد ايراده الآية " الا ان تتقوا منهم تقاة " وفي ذلك دليل على جواز الموالاة لهم مع الخوف منهم ولكنها تكون ظاهرا لا باطنا وخالف في ذلك قوم من السلف فقالوا لا تقية بعد ان اعز الله الاسلام " (٢) والذين اجازوها من السلف يرون انها لا تكون الا باللسان فقط لا يتعدى حكمها الى العمل بحال كما نقل ذلك عنهم ابن جرير في تفسيره " (٣).

---

(١) انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٧ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٦/١٣٧.
(٢) فتح القدير ج ١ ص ٣٣١.
(٣) تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٢٨/ ٢٢٩.

فقد استشهد بأقوال عدد من العلماء كلهم لا يجيز في التقية الا القول باللسان مع اضمار عداوة الكفار وهكذا السيوطي رحمه الله فقد اورد عدة روايات في حكم التقية وانها لا تكون الا باللسان فقط عندما تقتضي الضرورة ذلك (١) .

٣ ـ موقف الخوارج من القعدة :

اختلف موقف الخوارج تجاه القعدة وتباينت اقوالهم فكانوا فيهم على رأيين :

آ : الرأى الاول :

هو اعتبار القعدة من اهل البراءة وانهم كفار كمخالفيهم من بقية الناس وهذا الرأى قد ذهبت اليه الازارقة وعلى رأسهم نافع بن الازرق وهو من احداثه التي عددها الاشعرى في قوله عنه " والذى احدثه البراءة من القعدة والمحنة لمن قصد عسكره واكفار من لم يهاجر اليه " (٢) وقد جاء في كتابه الى اهل البصرة الذين عابهم فيه بالقعود بين مخالفيهم الظالمين غير ملتفتين الى ما يناديهم به القرآن الكريم من آيات تحثهم على الخروج وعلى وجوب جهاد مخالفيهم وتذم القعود جاء في هذا الكتاب قوله لهم " والله انكم لتعلمون ان الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال " وقاتلوا المشركين كافة " ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الحال فقال " انفروا خفافا وثقالا " وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال " لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمجاهدون

---

(١) الدر المنثور جـ ٢ ص١٦ .

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٦٩ .

في سبيل الله " (١)

وقد اشتد عنف الازارقة على القعدة فاجمعوا على انهم مشركون وان كانوا من موافقيهم في الرأى يقول البغدادى " ومنها - يعني من بدع الازارقة - قولهم ان القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة اليهم مشركون وان كانوا على رأيهم " (٢) وهكذا عند الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزى وابن الاثير وغيرهم من علماء الفرق والتاريخ •

ب : الرأى الثاني :

هو القول بان القعدة غير كفار ولا مشركين وان القعود ليس فيه بأس ما دام الشخص على عقيدة راسخة وولاء تام وكره لمخالفيهم وعلى هذا بعض فرق الخوارج وهم هؤلاء النجدات وهم من قدماء الخوارج فقد رأوا ان القعود بين المخالفين تحت ستار التقية أمر لا غبار عليه حتى ولو بلغت التقية قتل من هم على رأيهم تنفيذ الأوامر مخالفيهم المقيمين معهم • ولقد كان قول نافع باكفار القعدة سببا في رجوع نجدة عن الانضمام اليه ذلك انه قد اراد اللحاق بعسكر نافع للانضمام اليه ولكنه في اثناء الطريق لقيه جماعة من اصحاب نافع الذين كانوا في جيشه فاخبروه بأن نافعا قد ابتدع بدعا منكرة ومنها تكفيره للقعدة وانهم خرجوا عنه بسبب ما احدث من احداث وكان من بين هؤلاء ابو فديك وعطية الحنفى وراشد الطويل ومقلاص وايوب الازرق وغيرهم ثم ثنوا نجدة عن عزمه ورجع الى اليمامة ناقما على نافع تلك الاحداث ومنها تكفيره القعدة وقد اشتد خلافه مع نافع في هذه المسألة فاعتبر القول باكفار القعدة كفرا من قائله يقول البغدادى عن النجدات " وكفروا من قال باكفار القعدة منهم عن الهجرة اليهم (٣) •

(١) الكامل جـ ٢ ص ١٧٩

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٣ ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٢١ ، الكامل لابن الاثير جـ ٤ ص ١٦٧ ، الفصل جـ ٤ ص ١٨٩ •

(٣) الفرق بين الفرق ص ٨٧ •

ويقول الشهرستاني في هذا حاكيا عن الكعبي " وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية جائزة في القول والعمل كله وان كان في قتل النفوس" (١) .

وقد جاء في كتاب نجدة الذي وجهه الى نافع عتاب شديد له بسبب تكفيره القعدة يقول فيه " واكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق " ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم باحسن الاسماء فقال " ما على المحسنين من سبيل " الخ ..

فلما قرأ نافع كتاب نجدة اجاب عن كل مسألة فيه اما بخصوص القعدة فقد قال مدافعا عن رأيه " وعبت علي ما دنت به من اكفار القعدة وقتل الاطفال واستحلال الامانة وسأفسر لك لم ذلك ان شاء الله، اما هؤلاء القعدة فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا في الدين وقرأوا القرآن والطريق لهم بنهج واضح وقد عرفت ما يقول الله فيمن كان مثلهم اذ قال " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، وقال «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله " وقال وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله رسوله " فخبر بتعذيرهم وانهم كذبوا الله ورسوله " وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم فانظر الى اسمائهم وسماتهم " (٢) . وهكذا تباين موقف الازارقة والنجدات في القعدة .

ولكن نجد بعض العلماء يذكر عن النجدات خلاف ما تقدم فالاشعرى يذكر عنهم قولهم ان " من ثقل عن هجرتهم فهو منافق " . (٣)

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٦ـ٣٩٨

(٣) المقالات ج ١ ص ١٧٥ .

ويقول ابن حزم عنهم كذلك " وقالوا من ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم "(١) فهناك حكمان الاول هو تجويزهم القعود على سبيل التقية والثاني الذى يذكره الاشعرى وابن حزم هنا أنهم يرون ان من ضعف عن الهجرة اليهم فهو منافق وهذا يشير الى انهم يحرمون القعود باعتباره نفاقا مع العلم بأن قعود المستضعف لا يكون الا تقية ، والتقية عند النجدات جائزة لا شيء فيها فهل هم يجيزون التقية ويحرمون القعود على سبيل التقية وهذا تناقض ، وهو خلاف المشهور عنهم من تجويزهم القعود والتقية ، وقد سبق القول ـ كما ذكرنا آنفا ـ انهم لا يرون بالقعود بأسا بل انهم يعتبرون من يكفر القاعد عن الهجرة اليهم كافرا ، وبذلك يتضح ان الحكم الاول اولى بالقبول عن النجدات لكثرة رواته عنهم وشهرتهم به واتساقه مع مذهبهم في القول بالتقية بخلاف رواية الاشعرى وابن حزم التي تتناقض مع قولهم هذا وهو تجويز التقية بالاضافة الى ان ما ذكر على لسان نجدة في امر القعدة في خطابه الى نافع بن الازرق لا ينبغي ان يقابل برواية اخرى تخالفه .

أما الصفية من البيهسية فقد أجازت القعود كالنجدات ورأت انه لا بأس به الا لمن قد هاجر او خرج مهاجرا فانهم اختلفوا فيه على فرقتين " فرقة تقول من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد الى حال القعود نبرئ منهم وفرقة تقول لا نبرئ منهم لأنهم رجعوا الى أمر كان حلالا لهم "(٢) وهذا نص الاشعرى ومثله البغدادى والشهرستانى وقد أجازت القعود فرقة المعلومية أيضا فتولوا القعدة قال البغدادى " وهذه الفرقة ـ يعنى المعلومية ـ تدعى امامة من كان على دينها وخرج بسيفه على اعدائه من غير براءة منهم عن القعد تعنهم ".(٣)

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ١٩٠

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٩٢ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩ ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٦

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩٧ .

أما الصفرية فانهم لم يكفروا القعدة اذا كانوا من موافقيهم يقول الشهرستاني عنهم " انهم لم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد " (١) بل غالوا في تجويزها حتى صار علمتهم قعدا كما يذكر المبرد • (٢)

وهكذا العجاردة فانهم قد اعتبروا القعدة المعروفين بحب الديـــن والتمسك من اهل ولايتهم وان كانوا مقيمين بين مخالفيهم الا انهم فضلوا الهجـرة اليهم ولم يوجبوها كالازارقة فهم " يتولون القعدة اذا عرفوهم بالديانة ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة " وهذا القول موافق لما تقوله الاباضية في هذا الباب كمـا يقول صاحب كتاب الاديان الاباضي (٣)•

ولعل موقف اصحاب هذا الرأى الاخير من القعدة اكثر تسامحا من موقف الازارقة المتشدد الى درجـة الغلو حتى مع من هم على مثل رأيهم بمجرد وجود هم مع أخوانهم من عامة المسلمين •

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٧ •
(٢) الكامل جـ ٢ ص ١٨٠
(٣) كتا ب الاديان والفرق ص ١٠٤ •

الفصل الثامن

" موقف الخوارج من مخالفيهم "

١ _ تمهيد في الولاية والبراءة عند الخوارج :

الحب في الله والبغض في الله والولاية لاولياء الله والبراءة من اعداء الله هذه مبادئ اسلامية مقررة وعلى اساس تقريرها والالتزام بها يتحدد موقف المسلم من غيره توليا أو تبريا ، والخوارج بصفة عامة يلتزمون بهذا المبدأ ولكنهم ينحرفون في تطبيقه على مخالفيهم من المسلمين فيتبرأون منهم ولا يتولون الا أنفسهم فعلى أساس ضرورة الالتزام بمبدأ الولاية والبراءة يزن الخوارج أعمال مخالفيهم فيحددون موقفهم منهم وآراءهم فيهم ، وان كانوا _ كما قلنا _ ينحرفون في نظرتهم الى غيرهم وما ينبنى عليها من أحكام .

ونحب قبل أن نحدد رأى الخوارج في مخالفيهم وموقفهم منهم أن نقدم هذه الكلمة عن مبدأ الولاية والبراءة في نظر الخوارج بصفة عامة والاباضية بصفة خاصة حيث عنيت مصادر هؤلاء ببيان حقيقتها واهميتها ووجوبها والشرائط الموجبة لها والادلة الشرعية على ذلك كله .

يقول المبرد " والخوارج في جميع اصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة " (١) ومعروف أن الخوارج يعتبرون كل من سواهم من أصحاب المعاصى الظاهرة .

والولاية والبراءة عند الاباضية تأتى في الاهمية بعد التوحيد ، فمن لم يوال اويعاد فانه لا دين له : اذ ان صاحب الدين لا بد ان يكون على أحد أمرين اما مواليا لاولياء الله فهو مؤمن او مبغضا لهم فهو غير مؤمن .

ونوجز الحديث عنهم بما تدعو اليه الحاجة في هذا المقام مستغنين

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٠٦

عن تفصيلاتهم الكثيرة في هذا الموضوع •

فقد عرف الجيطالي الولاية بقوله : والولاية في الشريعة : ايجاب ـ الترحم والاستغفار للمسلمين (١) •

وعرفها النفوسي الاباضي بقوله :

فان قيل ما معنى الولاية قل دعاؤك بالغفران والحب بالضمن (٢)

ويستشهد الجيطالي على تفسيره للولاية والبراءة ووجوبهما من القرآن بقوله تعالى " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " محمد / ١٩

ومن السنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن مسعود : يابن مسعود اي عرى الاسلام اوثق ؟ قال الله ورسوله اعلم قال الولاية في الله و البغض في الله " (٣)

ويستشهد الاباضية كذلك على وجوبها بما روى عن ابن عمر انه قيل له : ان فلانا يقرئك السلام فقال رضى الله عنه " لقد بلغنى انه يقول بالقدر فاذا كان باقيا على شيء من ذلك فلا تبلغه عنى السلام " وبما روى ايضا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : " من رأينا منه خيرا وظننا فيه خيرا قلنا فيه خيرا وتوليناه ، ومن رأينا فيه شرا وظننا فيه شرا قلنا فيه شرا وتبرأنا منه " وبقوله صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان " وكذلك قوله تعالى : " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله " (٤) المجادلة : ٢٢ •

والولاية في الله والبراءة في الله كذلك تتمثل فيها حقيقة الايمان يقول الجيطالي في ذلك " وكذلك عند اصحابنا رحمهم الله الولاية في الله والبغض في

---

(١) قواعد الاسلام ص ٤٥

(٢) متن النونية في عقيدة التوحيد ص ١١

(٣) قواعد الاسلام ص ٤٥

(٤) انظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٨٦/٨٧

الله هي حقيقة الايمان فمن لم يدن بها فلا دين له ولا ولاية له عند هم "(١) ومن ثم كانت الولاية والبراءة من اوجب الواجبات بعد التوحيد يقول النفوسي :

ومما يلي التوحيد في الضيق فرضه   براءة موسى مع ولاية محسن

فمن لم يوالي او يعادى فانــــه   من الدين صفر الكف واهى التدين (٢)

وتجب معرفة الولاية والبراءة عند هم عند بلوغ الشخص سن التكليف فحينئذ لا عذر لمن يجهلها وتكون في حقه " فريضــة مضيقــة من لم يعتقد فرضيتها فهــــو مشرك" (٣) ويجب على المكلف القيام بولايتين ، ولاية جملة وهي باتفاق الامــة ، وولاية اشخاص وهذه فيها خلاف عند هم وفي هذا يقول الجيطالي " فليــــس بين الأئمة اختلاف في ولاية الجملة وانما الاختلاف بينهم في ولاية الاشخاص"(٤)

وفي ذلك يقرر قطب الائمة ان ولاية الجملة وبراءتها فرض على كل مسـلم بنص الكتاب والسنة والاجماع ، ولا يوجد خلاف الا في ولاية الاشخاص وبراءتهـــا هل هي واجبة ام غير واجبة ثم يرجح انها واجبة بخلاف غيرهـــم فانه لم يوجبهـــا ويوضح هذا بقوله " ولاية الجملة وبراءتها فريضتان بالكتاب والسنة والاجمـــاع على كل مكلف عند بلوغه أن قامت عليه الحجة " ثم قال " واما ولاية الاشـــخاص وبراءتها فواجبتان قياسا عليهما ولو ورد احاديث في حب الاخوان في الله ومــدح حبهم في القرآن " (٥) ويقسم الاباضية الولاية الـــى اقسام :

١ ـ ولاية الجملــة : وتتناولها بالانبياء والرسل واصحاب الكهف واصحاب الاخدود والسحرة وأمثالهم .

٢ ـ ولاية الافراد : وهذه تتقســم الى قسمين مسمى كآدم وغير مســمى كمؤمــن آل فرعـــون وأمثالهما .

---

(١) أنظر قواعد الاسلام ص ٤٥

(٢) متن النونية ص ١١

(٣) قواعد الاسلام ص ٤٥

(٤) المصدر السابق ص ٤٥

(٥) الاباضية في موكب التاريخ ص ٨٤ نقلا عن الشامل . لابن اكاوس

٣ - ولاية الذكور وهم نوعان الانبياء والاولياء .

٤ - ولاية الاناث وهى نوعان ايضا مسميات كمريم بنت عمران وغير مسميات كامرأة فرعون وامثالهما .

وهذه الاقسام هي التي وردت في القرآن للاولياء الموصوفين بالعصمة والاصطفاء كما قال الجيطالى .

٥ - ولاية البيضة : أي ولاية الامام العادل الذي لم يظهر منه ما يخل باسلامه في اقواله وافعاله .

٦ - ولاية الخارج من الشرك الى الاسلام وتكون عندما يدخل المشرك في الاسلام ويترك اقتراف المعاصى .

٧ - ولاية الخارج من مذهب مخالفيهم الى مذهب أهل الوفاق (اى الاباضية) وهذا لا يخلو اما ان يكون من المتدينين سابقا او من غير المتدينين . فاذا كان من غير المتدينين فيكفى لولايته توبته ورجوعه الى المسلمين واما ان كان من المتدينين فقد اوثقوه باجتيازه شروط وامتحان عسير لولايته يقول الجيطالى : " فالمتدين تكون ولايته حتى يرجع من مقالته الى مقالة المسلمين قصدا وايضا يعدد أخطاءه ويتوب منها ويعترف فيها بالخطأ واحدة بعد أخرى " (١) .

وكأن هذه الشروط وضعت للمتدين حتى لا يرجع الى تدينه القديم على مذهب مخالفيهم الذى تاب منه ودخل في المذهب الاباضى معترفا بخطئه فيما سلف .

وليست الولاية في الله لأى انسان اتفق بل لا بد فيها من شروط دينية دقيقة اذا توفرت في شخص ما حق له الولاية وفي هذا يقول السالمى :

---

(١) قواعد الاسلام ص ٥١

ثم الولاية توحيدا تكون واخرى طاعة ان شرطها حصلا/كذا البـراءة
والشرط الذى وجبت به الـولاية ان تلفيه ممتثلا (١) • ومن شروط الاباضيـة
التي يشترطونها فى من يكون اهلا للولاية :

١ ـ ان يظهر حلية وحالة ترضاها العيـن •

٢ ـ ان ينقل عنه الوفاء في الدين قولا وعملا •

٣ ـ سكون القلب الى ما تؤدى اليه الحواس لقوله صلى الله عليه وسـلم
استفت قلبك ويقول ابو راس انه يجمعها قول الشيخ ابى نصـر
احد علمائهم ، اذا رضيت اذن وعين بما رأت : ووافق في ديـن
الاله المهيمن (٢)

وبناء على ما قدمنا من حقيقة الولاية ووجوبها وشروطها يتحدد ـ كما
قلنا ـ موقف الخوارج من مخالفيهم حسبما نعرضه فيما يأتى :

٢ ـ موقفهم من الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة رضوان الله عليهم :

١ ـ موقفهم من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم :

لا يعترف الخوارج بالامامة الكاملة لاحد من الصحابة الا بامامة ابى بكـر
وعمر رضى الله عنـهما امامة شرعية لا شك في صحتها ولا ريب في شرعيتها وانهـا
كانت برضى المؤمنين ورغبتهم وقد سارا على الطريق المستقيم الذى امر الله بـه
لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله على ما يرضى الله من العمل الصالح والنصـح
للرعية ، وهذا حق فلقد كانا رضى الله عنهما كذلك لا يشك في ذلك الا هالـك ،
ولقد كان موقف الخوارج ازاءهما موفقا •

ثم بعد وفاتهما انتخبت الامة خليفتين آخرين هلك فيهما الخوارج ـ

(١) غاية المراد ص ١١
(٢) غاية المراد ص ١٢

وخرجوا عن الحق والصواب في تقديرهم لهما ولم يوفقوا في القول فيهما واكثروا من الافتراءات الكاذبة عليهما ووصفوهما بما كرمهما الله عنه وقد بلغ بعضهم في بغضهم الى المغالاة التي تؤدى الى الكفر الصريح ، وفى هذا يقول الأشعرى " والخوارج بأسرها يثبتون امامة ابى بكر وعمر ، وينكرون امامة عثمان ـ رضوان الله عليهم ـ في وقت الاحداث التي نقم عليه من اجلها ، ويقولون بامامة على قبل ان يحكم وينكرون امامته لما اجاب الى التحكيم " (١)

ويقول ج مج لوريمر " وقد وافقوا السنة في اعتبار ابى بكر وعمر من الخلفاء المنتخبين وبالتالى فهما جديران بالاحترام ولكنهم اختلفوا مع السنة والشيعة في رفضهم لباقى الخلفاء واعتبارهم مغتصبين " (٢)

بل يذكر الجيلانى ان الخوارج انكرت امامة على مطلقا (٣) " ولعل هذا كان رأيا لبعض المتأخرين من غلاة الخوارج " (٤) كما قال الطالبى في ـ اعتذاره عن مبالغة الجيلانى هذه .

اما فيما يتعلق بموقفهم من عثمان رضى الله عنه ـ وهو موقف كما قلنا في غاية الخطأ والبعد عن الحق ـ فنحن لا نذكره عنهم افتراء بل ننقله من كتبهم ومن أهمها كتاب " كشف الغمة الجامع لاخبار الامة " فان قارئه يحس انه امام خصم عنيد لا يتورع عن اتهام خصمه واقامة الحجة عليه بأى قول كان وسنورد من اقواله ما يبين صحة ما قدمنا فمنها قوله بأنه اشد فتنة من الرجال وذلك حسب روايته التي اختلقها على لسان ابن مسعود رضى الله عنه فيقول " ولغنا انه ـ يعنى ابن مسعود ـ ذكره ـ اى ذكر عثمان ـ حديثا قال النبى صلى الله عليه وسلم لقوم وفيهم عثمان وعبد الله وكانوا يتذاكرون الدجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيكم من هو أشد على امتى من الدجال واعظم فتنة

---

(١) المقالات جـ ١ ص ٢٠٤
(٢) دليل الخليج ص ٣٤٠٤ جـ ٦
(٣) الغنيـــة ص ٧٧
(٤) آراء الخوارج ص ١٢٨

فقال ابن مسعود افلان يا رسول الله قال لا قال افلان قال لا حتى استكملهم ولم يبق الا هو وعثمان وفي كلهم يقول النبى لا قال ابن مسعود لعثمان اما هذا فهذا آخر ايامى من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة وانت صاحبها يا عثمان " (١) فهذه روايته عن ابن مسعود المفتراة التي يكذبها شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بالجنة ويكذبها حب الرسول له وتاريخه في نصرة الاسلام .

اما روايته عن عائشة فيقول فيها " وقلت عائشة رضى الله عنها ما رأيت شيخا أقر على نفسه بمثل ما أقر عثمان وخرجت بمصحف كان معها وقالت اشهد بالله بأن عثمان كفر بما فى هذا المصحف " فهل تشهد عائشة على عثمان بالكفر المستوجب للنار في مقابلة شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالجنة وثنائه عليه في كثير من المناسبات ثم ينقل بعد تلك الاقوال قولا للمقداد بن الاسود يحذر فيه الصحابة من تولية عثمان لأنه لم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم احد فقال " واقبل المقداد بن الاسود الكندى فناشدهم الله وقال لا تولوا امركم رجلا لم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم الاحد يعنى عثمان بن عفان " فهل يعقل ان يقف الصحابى الجليل من صحابي مثله هذا الموقف وهو يعرف قدره ومنزلته بين المسلمين وهل يعيره بعدم حضوره بيعة الرضوان وقد بايع ببيعة غبطة عليها جميع المسلمين فقد بايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ضرب بيمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وقد كان غياب عثمان في انبل وأشرف مهمة وهى الوساطة للصلح بين الرسول وقريش واما فراره يوم احد فما كان ليعيره بما عفى الله عنه وهو يتلوه في كل حين .

---

(١) كشف الغمة ص ٢٦٨

ثم يلمزه المؤلف باللقب الذى سماه به خصومه ويضيف هذا اللقب الى المسلمين عموما وهو اللقب الذى كان يكرهه عثمان ويتبرأ منه فقال المؤلف "ولقبه المسلمون نعثلا حين احدث الاحداث" وقد افترى عليه فزعم انه عطل الحدود واستعمل السفهاء من قرابته وحرق كتاب الله وولى الوليد بن عقبة ابن ابى معيط وهو من افسد اهل زمانه على الكوفة ، وارتقى المنبر في موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يقول " وتجبر وتكبر فقيل انه كان يمر بخيلائه وجنوده على بيت عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها فتخرج قميص رسول الله فتقول يا عثمان هذه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبلى وسنته قد بليت فيقول لها اسكتى يا حميرا والا سلطت عليك من لا يرحمك " الى آخر ما قاله من سباب وفحش يطول نقله نثرا ونظما .

وهذه الافتراءات لا تقل عن افترائه على على بن ابى طالب بأنه كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس وعليه سلاحه ومثله طلحة بن عبيد الله ، ورد على الذين يقولون بأن على بن ابى طالب غير راض بقتله بأنهم على خطأ ، وجاء في كتاب الكفاية قوله :

" فان قال ما قولكم في عثمان بن عفان ؟ قلنا له في منزلة البراءة عنه المسلمين " ثم اورد كلاما فارغا واحتجاجا محجوجا على ان عثمان يستحق ان يكون في منزلة البراءة عندهم (١) ومثل ما تقدم في كشف الغمة نجده في كتاب الاديان الا أنه زاد عليه فذكر موقف الامة تجاه قتله وانهم انقسموا فيه الى ثلاث فرق فرقة قتلته وفرقة وقفت عنه وفرقة طالبت بدمه ثم يبين موقف هذه الفرق بقوله المفترى : " فالفرقة القاتلة له فعلي بن ابى طالب واصحابه من اهل المدينة والمهاجرون والانصار " وهذا كلام ظاهر الافتراء اذ ان القاتلين له هم أهل الاهواء الذين جاؤوا من مصر والعراق واجتمعوا في المدينة وغلبوا اهلها على امرهم وأخافوهم خوفا شديدا وكانت لهم السيطرة الفعلية فيها حتى تولى الامام

---

(١) انظر لمزيد التفصيل كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ص ٢٦٥ ـ ٣٠٤

علي ويذكر ان " الفرقة الواقفة عند سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد والفرقة الطالبة بدمه فطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن ابى سفيان " وبعد هذا البيان للاشخاص سمى كل فرقة باسم مختلق يناسب ميول الخوارج تجاه عثمان فيقول :

" فسميت الفرقة الاولى وهي القاتلة اهل الاستقامة والفرقة الواقفة الشكاك و الفرقة الطالبة بدمه العثمانية " (١) وكما تقدم نجد مثله عند الوارجلانى (٢) لترى موقفهم من خلفاء المسلمين الراشدين الذين توفى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض الذين اتبعوه في ساعة العسرة والذين لو انفق من بعدهم مثل احد ذهبا ما بلغ مدّ احدهم ولا نصيفه ، وقد وصفوا عثمان رضى الله عنه بأوصاف يخيل فيها للسامع انه امام امبراطور عنيد لم يدخل الاسلام قرارة نفسه ولقد ردوا قوله تعالى : " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا " ــ الحشر : ١٠ فاعتبروا خيرة السلف الذين قام الاسلام بفضل الله ثم بجهادهم في منزلة البراءة ولا حول ولا قوة الا بالله وقد جاء في كتاب عبد الله بن اباض ذكر تهم كثيرة وجهها الى عثمان ثم قال بعدها " فلو أردنا ان نجزك بكثير من مظالم عثمان لم نحصها الا ما شاء الله ، وكل ما عددت لك بعمل عثمان يكفر الرجل ان يعمل ببعض هذا وكان من عمل عثمان انه لم يحكم بما انزل الله وخالف سنة النبى صلى الله عليه وسلم والخليفتين الصالحين ابا بكر وعمر " (٣) فهل يتصور ان يترك عثمان الحكم بما أنزل الله ويحكم صحابة رسول الله بغيره ، ولماذا لم يبين ابن اباض بأى قانون حكم ان كان ما زعمه صحيحا .

ولولا ارادة اثبات موقف الخوارج عموما والاباضية خصوصا من عثمان لما

---

(١) قطعة من كتاب الاديان ص٢٦ ــ ٢٧

(٢) انظر كتاب الدليل لاهل العقول للورجلانى ص٢٧/ ٢٨

(٣) انظر كشف الغمة ص ٢٨٩ ــ ٢٩٥ وانظر الدليل لاهل العقول ص ٢٧/ ٢٨

كان هناك ما يدعو الى ذكر تلك المفتريات الكاذبة •

والواقع ان موقف الخوارج من عثمان موقف خاطيء فعثمان رضى الله عنه كان من السابقين الاولين الى الاسلام الذين مدحهم الله في كتابه واثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الذين جاهدوا مع رسول الله في غزواته لاعلاء كلمة الله وكان على غاية من الكرم والاحسان وقد زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بابنتيه واهم من هذا كله فقد شهد له الرسول بالجنة وبشره بها وهو حى يمشى على الارض وله مناقب عديدة مشهورة ولا يقع فيه بالذم او التنقيص الا من سفه نفسه وهو أشهر من ان يمدح ولقد صدق عليه قول الشاعر :

واذا اتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ولقد امتحن الله هؤلاء الناقصين بذمه لهوانهم عليه لما فى قلوبهم من الجفاء والغلظة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

واما فيما يتعلق بموقف الخوارج من الامام على رضي الله عنه فقد اعترفوا بأنه خليفة شرعى الى ان حكم ومن هنا خرج عن الصراط المستقيم في نظرهم ولم يعد خليفة للمسلمين ولا سمع ولا طاعة له على احد لأنه حكم البشر في كتاب الله فكفر _ كما زعموا _ •

وكما كان عثمان في منزلة البراءة عندهم كان على مثله ايضا في منزلة البراءة كما ذكر صاحب كتاب كشف الغمة تحت عنوان " فصل من كتاب الكفاية " قوله " فان قال ما تقولون في علي بن ابي طالب قلنا له ان عليا مع المسلمين في منزلة البراءة " (١) ثم ذكر الاسباب التي توجب البراءة منه وهى تركه حرب معاوية والتحكيم وقتاله اهل النهروان • ويزعم انه كان يضع الاحاديث لمصلحته وذلك حين يورد المحاورة الاتية بين علي وابن عباس وما نتج عنها بقوله " ثم ان عليا ندم على قتل اهل النهروان وقال لابن عباس ماصنعنا قتلنا خيارنا وقراءنا واظهر

---

(١)

للناس الندامة فأتوه وقالوا كأنهم يحاجونه امرتنا بقتلهم ثم تندم فانك مقتول ففزع من هذا فأخذ في تسكين أصحابه بالكذب فقال لولا ان تنظروا (؟) — لأحدثكم بما جعل لكم من المخرج على لسان نبيه اذ قال سيخرج من بعدى قوم صعاب شبابهم قصارى شأنهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية " فالمؤلف يزعم ان هذا الحديث — وهو من احاديث المروق الصحيحة — يزعم أنه من وضع على بن ابى طالب ارضاء للعامة .

وما جرأه على هذا الافتراء الا سوء معتقده ، وعدم معرفته بقدر الصحابة وورعهم فيظن انهم يتقولون على رسول الله لمصلحتهم الشخصية وحاشاهم من ذلك وكذا قوله " وان عليا قال ان في قتلاهم — يعنى أهل النهروان — شيطانا وهو يعنى به الورع الناسك " — يشير الى ذى الثدية حيث قال بعد اسطر — " فلما تذكر من ثدى الرجل ذكره قال له ابنه يا ابت ذلك مولا (؟) تأمله من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسكتيا بنى ان الجواب خدعة ففتح لاصحابه ابواب الكذب فاتخذوها خلقا " . فهل يعتقد مسلم يعرف قدر الصحابة ان عليا سيبلغ الى هذا الحد الذى لا يجرؤ عليه الا من قل حظه من الدين ولا يبالى بالكذب ووضع الاحاديث ؟

ولكن نجد اماما آخر من أئمتهم هو الهيزابى الاباضى يأتى بحديث المروق فلا يتجاسر على نسبته الى على بأنه وضعه ويرى ان الحديث ثابت ولكنه يرد معناه الى الصفرية وانهم هم المعنيون به (١) .

ويقول الوارجلانى " واما على : فقد حكم بأن من حكم فهو كافر ثم رجع على عقبيه وقال من لم يرض بالحكومة كافر فقاتل من رضى الحكومة وقتله وقاتل من انكر الحكومة وقتله ، وقتل اربعة الاف اواب من اصحابه واعتذر فقال اخواننا بغوا علينا فقاتلناهم فقد قال الله عز وجل فيمن قتل مؤمنا واحدا

---

(١) وفاء الضمانة ص ٢٣ ج ٣

" ومن يقتل مؤمنا متعمدا ... الى قوله عذابا عظيما ، فحرمه اللعن سوء بخته الحرمين وعوضه دار الفتنة العراقين فسلم اهل الشرك من بأسه وتورط في اهل الاسلام بنفسه "(١) وقد اشتهر عن الخوارج تكفيرهم لعلي رضى الله عنه وانهم مجمعون على كفره هو وعثمان وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية وعمرو بن العاص واهل التحكيم (٢).

ويقول ج مج لوريمر عن موقف الاباضية وانهم يكفرون عليا كما قلنا وان هذا الموقف قد سجله عليهم حتى علماء هذا العصر/يقول لوريمر عن جماعة المطاوعة منهم " ويعتقد المطوعون ان الخليفة عليا لم يكن مسلما على الاطلاق بل كان كافرا " (٣) (ويقصد لوريمر بالمطوعين فرقة من الاباضية في عمان في غاية التشدد في امور الدين وذكر بعض الامثلة على ذلك ، وقد كان لهؤلاء المطوعون دورهم في توجيه سياسة الحكام في عمان) بل لقد بلغت الجرأة بحفص بن ابى المقدام ـ زعيم الحفصية من الاباضية ـ ان يتأول آيات القرآن بما يتفق مع بغضهم للامام علي رضى الله عنه وما يلصقونه به من تهم فيزعم (وهو كاذب في هذا) مفتر على الله غير الحق ان قوله تعالى " كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا " الانعام : ٧١

ان الحيران هو علي بن ابى طالب وان الاصحاب الذين يدعونه الى الهدى هم اهل النهروان . وقد قال بقول نافع في زعمه ان الآية " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا " والآية " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله " انهما نزلتا فى علي وابن ملجم (٤) كما سيأتى بيانهما في الرد على نافع .

---

(١) الدليل لاهل العقول ص٢٨

(٢) انظر رسالة الدبسى ص١٣ وانظر المقالات ج ١ ص٢٠٤ والملل والنحل ج١ ص١١٥ والفرق بين الفرق ص٧٣ والتنبيه والرد ص٥٣

(٣) دليل الخليج ص٣٤٠٦ ج ٦

(٤) انظر المقالات ج ١ ص١٨٣/١٨٤ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٤

ومن الغريب ان ابن ابى الحديد الشيعى يذكر فيما يحكيه عن ابى جعفر ـ من شيوخه ـ ان معاوية هو الذى اغرى سمرة بن جندب حتى يقول بأن نزول هاتين الآيتين كان في علي وابن ملجم وهذا بعيد كل البعد ان يتدعى الصحابة الى هذا السخف وهو مايثبته ابن ابى الحديد بقوله :

" قال ابو جعفر وقد روى ان معاوية بذل السمرة بن جندب ملئة الف درهم حتى يروى ان هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب " ومن الناس من يعجبك قوله ... والله لا يحب الفساد " البقرة ٢٠٤ : ٢٠٥ وان الاية الثانية نزلت في ابن ملجم وهو قوله " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله " البقرة : ٢٠٧ فلم يقبل فبذل له مائتي الف درهم فلم يقبل ،فبذل له ثلاثمائة الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف فقبل وروى ذلك " .

وكلا القولين اى قول حفص وقول ابى جعفر باطل بل هو من اشنع الاباطيل واكذب الكذب . ومع هذا فلا بد أن نذكر انه قد اعتدل فريق من الاباضية في حق الامام على رضى الله عنه واورد شواهد في فضائله وان الذين يسبونه ويشتمونه هم الصفرية لا الاباضية فقد اورد موءلف كتاب " وفاء الضمانة باداء الامانة " الحديث الآتى :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد ومن سب عليا فقد سبنى ومن سبني فقد سب الله " ثم قال " اشار الى الصفرية الذين يحكمون بشركه لقتله اهل النهر كما قال صلى الله عليه وسلم له تهلك فيك طائفتان مفرطة يعنى الصفرية وغالية يعنى الروافض وكان لعلى من يبغضه ويشتمه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا بما لا يستحق الشتم به وليس من الشتم ان يقال استحق كذا بفعله كذا فان ذلك الحكم

(١) شرح نهج البلاغة جـ ٤ ص ٧٣

الله وقياما بالحق " (١) . وقد اورد على يحيى معمر فصلا طويلا بين فيه اعتقاد الاباضية في الصحابة بانهم يقدرونهم حق قدرهم ويترضون عنهم ويرون السكوت عما جرى بينهم وانهم لا يبغضون الامام عليا ولا ينقصونه قدره ومن هذه النقول ما قاله عن ابى اسحق اطفيش في رده على الاستاذ محمد بن عقيل العلوى انه قال له " أما ما زعمت من شتم اهل الاستقامة لابى الحسن على وابنائه فمحض اختلاق " (٢)

ثم قال " ولم يكن يوما من الاصحاب شتم له او طعن اللهم الا من بعض الغلاة وهم افذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب " (٣) ويقول عن الثمارينى انه كان يقول " وكيف يجوز لمن يؤمن بالحى الذى لا ينام ان يكفر صهر نبيه عليه السلام الذى لم يسجد قط للاصنام " (٤) .

ويقول البدر الثلاثى من ابيات في ديوانه :

بنت الرسول زوجها وابناها اهل البيت قد فشى سناها
رضى الاله يطلب التلاتى لهم جميعا ولمن عناها

وكذا ما قاله ايضا ابى حفص عمرو بن عيسى التندميرتى الاباضى من ابيات قالها فيها :

وعلى الهادى صلاة نشرها عنبر ما خب ...ع ورمل
وسلام يتوالى — على آله والصحب ما الغيث هطل
سيما الصديق والفاروق والجامع القرآن والشهم البطل (٥)

وقد وردت عن الاباضية اقوال كثيرة في مدح الصحابة عموما وانهم لا يختلفون في موالاتهم ولكنهم يرون انه " لا غبار على من صرح بخطأ المخطئ منهم بدون

---

(١) وفاء الضمانة بأداء الامانة جـ ٣ ص ٢٢
(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٣
(٣) المصدر السابق ص ٢٨٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٨٩ .
(٥) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٧ .

الشتم والثلب بعد التثبت من ذلك والتبين وان امسك لعموم الاحاديث الواردة فيهم وترك الامر الى الله فهو محسن (١)" .

كما قال ابو اسحاق اطفيش ولعل كلمة ابى اسحاق هذه تصلح عذرا عن الاباضية بأن المبغضين لعلي منهم انما هم الغلاة منهم واما اكثريتهم فتقول بموالاته ويكون اعتبار المبغضين له شواذ وهذا ما يقرب بينهم وبين السلف .

اما الشخصية الهامة في الخوارج فهو نافع بن الازرق فانه لم يختلف عن بقية الخوارج في غلوه في بغض الامام علي حيث زعم ان الله تعالى انزل فيه آية تتلى الى يوم القيامة تصفه بأقبح الصفات من نفاق وعداوة للاسلام حين زعم ان الله تعالى انزل في شأنه " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام " وفى المقابل أشقى خلق الله يصفه بأن الله انزل فيه " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله " (٢) وهذا لا يشك مسلم انه محض افتراء على الله لا يصدقه عاقل أولا لما عرف عن على من فضائل وأعلاها حب الله ورسوله وثانيا ان الله انزل القرآن منجما على حسب الحوادث وقد عرف اهل العلم سبب نزول كل آية ، فهل حادثة علي وعبد الرحمن بن ملجم وقعت في حياة الرسول حتى يمكن القول بأنها نزلت فيهما واهل التفسير يذكرون ان سبب نزول الآية الاولى ومن الناس من يعجبك قوله الخ الآية الكريمة كانت في الاخنس بن شريق على أحد الاقوال واما الآية الثانية هنا وهي قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه " فقد نزلت في صهيب حين هاجر الى مكة على احد الاقوال (٣) فلم يكن سبب النزول هو ما يراه نافع ولكن البغض والجهل يخرج المرء عن الحقيقة فقد كانوا في غاية البغض لعلي رضى الله عنه كما قال عمران بن حطان ـ

---

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٣

(٢) انظر مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٧٠ والملل والنحل جـ ١ ص ١٢٠

(٣) انظر فتح القدير جا ص ٢٠٧ ـ ٢١٠

مفتيهم وشاعرهم الاكبر في ابن ملجم :

يا ضربة من تقى ما اراد بها الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فأحسبه اوفى البرية عند الله ميزانا

ومثل نافع صالح بن مسرح فقد جاء في كتابه قوله مبينا رأيه في عثمان وعلي رضى الله عنهما " وولى المسلمين من بعده ـ يعنى بعد عمر ـ عثمان ، فاستأثر بالفيء وعطل الحدود وجار في الحكم واستبذل المؤمن وعزز المجرم فثار اليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله منه و رسوله وصالح المؤمنين ، وولى امر الناس من بعده على بن ابى طالب فلم ينشب ان حكم في امر الله الرجال وشك في اهل الضلال وركن وأدهن فنحن من علي واشياعه برآء " (١)

وما قلناه عن عثمان سابقا نقوله عن علي رضى الله عنه ، وما قيل فيه من ذم فانه من مزاعم المفتري عليه وهي أكذب من ان يصدقها او يهتم بردها احد وما ظنك بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ومن تربى على يديه وفي بيت النبوة ، ومن شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهده واشتهر فيها بأنه الشجاع المقدام .

لقد اسلم رضى الله عنه مبكرا فلم تلحقه تلك الاعتقادات الجاهلية .
وقد زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة ام الحسن والحسين رضى الله عنهما وبشره رسول الله بالجنة ، وما نسب اليه من رضاه بقتل عثمان او ادهانه في تحكيم كتاب الله فهذا كذب محض وافتراء من حاقد جاهل وهو برئ من هذه الاكاذيب ، ولو رجع هؤلاء لعقولهم وحكموها لكانت رادعة لهم عن تنقصه ، زاجرة لهم عن شتمه فضلا عن رجوعهم الى النصوص الشرعية .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٧

ب ـ موقفهم من بعض كبار الصحابة :

يعتقد الخوارج تكفير بعض الصحابة رضى الله عنهم مع ان بعضهم من المشهود لهم بالجنة ولكن الخوارج حسب اعتقاد هم المعكوس فيهم يرون انهم قد كفروا ببعض الذنوب التي اقترفوها مع انها كانت في الحقيقة لم تكن ذنوبا او كانت ناتجة عن اجتهاد كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد ، نقول هذا عنهم ونحن نقطع بأنه لا عصمة لبشر عن الذنوب بعد الانبياء .

واول من اشتد من الخوارج في تكفيرهم من الصحابة ـ بعد عثمان وعلى رضى الله عنهما ـ معاوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص وابو موسى الاشعرى وأهل التحكيم ومن رضى به من غيرهم قال الاشعرى : " ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وابا موسى الاشعرى "(١) .

وقد وقفوا موقف العداء المستحكم من معاوية وعمرو بن العاص فكفروهما ووصفوهما بكل صفة سوء ونفوا عنهما كل خير بل واثبتوا لهما النار كما يقول الورجلانى :

" واما معاوية ووزيره عمرو بن العاص فهما على ضلالة لانتحالهما ما ليس لهما بحال ومن حارب المهاجرين والانصار فرقت بينهما الدار وصار من اهل النار(٢) "

ولا يستبعد منهم ان يقفوا هذا الموقف بل واشد منه ما داموا قد وقفوا ممن هو خير منهما ذلك الموقف المشين .

وقد وصف زعيم الاباضية عبد الله بن اباض معاوية بن ابي سفيان ـ كما جاء في كتابه الى عبد الملك ـ بعدة صفات يزعم فيها ان الرجل يكفر بأقل منها ، فقد جاء في ذلك الكتاب قوله " فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صنيعه غير انا قد

---

(١) المقالات جـ ١ ص ٢٠٤

(٢) الدليل لاهل العقول ص ٢٨

ادركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس ولا نعلم من الناس شيئا لأحدا ترك من الغنيمة التي قسم الله ولا يحكم بحكم حكمه الله ولا أسفك لدم حرام منه فلو لم يصب من الدماء الا دم ابن سمية لكان في ذلك ما يكفره " ثم قال مبينا رأى الاباضية في عثمان ومعاوية ويزيد جميعا " فاشهد الله وملائكته انا براء منهم واعداء لهم بأيدينا والسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه لاذا متنا ونبعث عليه اذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله " (١) .

وفي كل ما تقدم مخالفة صريحة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه " (٢) . مما يقتضى عفة لسان المسلم عن ان يخوض في اعراض هؤلاء الصحابة على هذا النحو الشائن فضلا عن مخالفتهم لما ورد في معاوية وعمرو بن العاص من ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم بل يجب ان نكل امرهما الى الله في ما اجتهدا فيه من أمر .

اما موقف الخوارج من الحسن رضى الله عنه فانه هو نفس موقفهم من ابيه فالمراجع لكتاب كشف الغمة يجد المؤلف يكيل الافتراءات ويغمز فيه بما لا يصح . فيذكر ان الحسن لما تولى الخلافة خدعه معاوية كما خدع اباه من قبل بما حمل اليه من اوقار الذهب ومناه بالخلافة بعده وانه ترك ما كان يطلب بالامس من كتاب الله وسنة نبيه وقتال الفئة الباغية وان اهل النخيلة اجتمعوا لحرب معاوية ولكنه ومساعدة اهل الكوفة والحسن قتلوهم مع ان المؤرخين يذكرون ان الحسن امتنع عن تولى محاربتهم وقال لمعاوية لو كنت أريد قتال احد من اهل القبلة لبدأت بك ولكن تركتها حقنا للدماء فمن اين لمؤلف كشف الغمة ان الحسن تولى قتال اهل النخيلة ثم يوالى افتراءه الذى يدل على عدم احترامه للسلف الصالح

(١) كشف الغمة ص ٢٩٥

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٨٨

فيلمز الحسن بانه باع اخرته بدنياه وحرض اصحابه على الدخول في طاعة معاوية وان ابن عباس غضب عليه غضبا شديدا وقال له انكم لاحقر اهل بيت من العرب ثم شبههم ببنى اسرائيل وجبنهم حين أبو ملاقاة عدوهم فضربهم الله بالتيه (١)

وفي كتاب الكفاية "فان قال ما تقولون في الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب ؟ قلنا انهما في البراءة فان قال من اين اوجبتم عليهم البراءة وهما ابنا فاطمة بنت رسول الله ـ قلنا اوجبنا عليهم البراءة بولايتهما لابيهما على ظلمه وغشمه وجوره وبقتلهما عبد الرحمن بن ملجم رحمه الله وتسليمهما الامامة لمعاوية بن ابى سفيان وليس قرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمغنية عنهما شيئا لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال في بعض ما يوصى به قرابته " يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله ويا بنى هاشم اعملوا لما بعد الموت " (٢) هذا ما حكاه المؤلف عن كتاب الكفاية اما هو فيقول " ثم ان الحسن بن علي ولى امر ابيه من بعده فباع دينه وأمر ربه بأواق من الذهب والفضة " (٣) فاذا كان قصد الحسن جمع الذهب والفضة ـ كما يزعم مؤلف كشف الغمة ـ فمما لا شك فيه ان تولية الخلافة هو الافضل لجمعهما لا التنازل عنها ولم يعلم صاحب كشف الغمة ان تنازل الحسن كان تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه " ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين " (٤) وقد وقع كما قال عليه السلام ، فلم يفسر صاحب كشف الغمة تنازل الحسن الا لانخداعه ببروئية بريق اواقى الذهب والفضة .

وما قاله عن الحسن فانه رد عليه ، فلقد كان الحسن رضى الله عنه ذا خلق فاضل ودين وورع لا يهمه شرف الخلافة ولا العلو في الارض ، فقد فضل ان تحقن

---

(١) راجع كشف الغمة ص ٢٨٩

(٢) انظر كشف الغمة ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ وكذا ص ٣٠٥

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٢

(٤) اخرجه البخارى ج ٤ ص ١٨٤

دماء المسلمين وينعم الناس بالأمن والهدوء ولو كان ذلك على هضم حقه في الخلافة بعد ان تمت له البيعة بها ، فقد كان رضى الله عنه لا يوازن بين مصلحته ومصلحة المسلمين بل يقدم مصلحة المسلمين ويبقى مصلحته ذخرا عند الله لينال ثوابها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

أما موقف غلاة الاباضية من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فهو لا يقل عن موقفهم من علي وعثمان فهما عندهم في منزلة البراءة والبعد وينسبون هذا الموقف الخاطيء الى جميع المسلمين كما جاء في كتاب الكفاية " فان قال قائل فما تقولون في طلحة والزبير بن العوام قلنا انهما عند المسلمين بمنزلة البراءة" (١)

ويوضح الورجلانى ايضا موقف الاباضية منهما بأنهما ممن اوجب الله لهما النار وحرم عليهما الجنة بعكس ما نطق به من لا ينطق عن الهوى فقد بشرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وهم يبشرونهما بالنار يقول الورجلانى :

واما علي بن ابى طالب فان ولايته حق عند الله تعالى ـ يعنى به قبل التحكيم ـ وكانت على أيدى الصحابة وبقية الشورى ثم قاتل طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين فقتاله حق عند الله لشقهم العصا عصا الامة ونكثهم الصفقة فسفكوا الدماء واظهروا الفساد فحل لعلي قتالهم وحرم الله عليهم الجنة فكانت عاقبتهما الى النار والبوار " (٢) .

فسبحان الله العظيم ما أجرأ اهل الزيغ على شتم الصحابة الاخيار الذين نصروا الاسلام بأنفسهم وأموالهم وكانوا من جنوده البواسل في ساعة العسرة قبل ان يوجد آباء واجداد هؤلاء المعتدون الذين ينتقصونهم ويحكمون عليهم بالنار ، لقد كان طلحة والزبير رضى الله عنهما من خيار الصحابة ومن المشهود لهم بالجنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ولهم مواقف مشرفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان في السلم أو في الحرب من طاعة

(١) كشف الغمة ص ٣٠٤

(٢) الدليل لاهل العقول ص ٢٨

وتضحية واقدام في مجاهدة الكفار ، وما أحرى بالمسلم ان يترك تنطع الخوارج والشيعة في موقفهم من الصحابة فانه لا يقف موقفهم احد فيسلم الا ان يتداركه الله برحمته ويلهمه التوبة .

يجب علينا ان نحسن الظن بالصحابة وان نعتبر ما جرى بينهم من فتن لامور وحكم اراد ها الله ونكل امرهم فيها الى الله ولا نقول فيها الا خيرا ونترحم عليهم وهم سلفنا وخيارنا رضى الله عنهم اجمعين .

٣ ـ موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم :

آ ـ موقف الغلاة منهم :

يذكر الاشعرى ان الخوارج مجمعون على ان مخالفيهم يستحقون السيف حلال دمائهم الا فرقة الاباضية فانها لا ترى ذلك الا مع السلطان كما عبر عن هذا بقوله :

" واما السيف فان الخوارج جميعا تقول به وتراه الا ان الاباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف ولكن يرون ازالة أئمة الجور ومنعهم من ان يكونوا أئمة بأى شيء قدروا عليه بالسيف او بغير السيف " (١) .

ويقول الشاطبي في كلامه عن الاختلافات الضالة التي ادت بالمسلمين الى تكفير بعضهم بعضا وسفكوا بسببها دمائهم قال " الا ترى كيف كانت ظاهرة فى الخوارج الذين اخبر بهم النبى صلى الله عليه وسلم في قوله يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان " (٢) وقد اختلف علماء الفرق في تحديد اول من حكم بتشريك اهل القبلة وتكفيرهم هل هم الازارقة ام هم المحكمة الاولى فهناك من يرى ان الازارقة هم الذين ابتدعوا القول باكفار المسلمين ، يقول الاشعرى:

" واول من احدث الخلاف بينهم نافع بن الازرق الحنفى والذى احدثه البراءة

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤

(٢) الاعتصام ج ٢ ص ٢٣٣

من العقدة والمحنة لمن قصد عسكره واكفار من لم يهاجر اليه » (١) ويرى البغدادى أن الازارقة هم الذين ابتدعوا القول بتشريك المسلمين ، امـــا المحكمة فلم يحكموا عليهم إلا بالكفر وذلك حسب قوله " ومنها ـ اى من بدع الازارقة ـ قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون وكانت المحكمة الاولى يقولون أنهم كفرة لا مشركون » (٢) ومثل ما ذكر البغدادى في هذا المقام نجده عند صاحب كتاب الاديان الاباضى فانه يرى ان نافعا لم يسبقه احد بالقول بتشريك المخالفين واستحلال دماء أطفال مخالفيه ويرى ان الخوارج كلهم على حق وصواب " احربهم فى الخوارج لولا زلة الخوارج نافع بن الازرق وخروجه على أهل الحق كما يرى المؤلف » (٣)

والواقع انه سيتبين لنا فيما يأتى من دراستنا لما صدر عن المحكمة الاولى من أقوال وافعال وما دار بينهم وبين مخالفيهم من محاورات ومناظرات أنهم كانوا سابقين الى تكفير مخالفيهم من المسلمين وتشريكهم ومعاملتهم على هذا الاساس وان الازارقة لم يكونوا في ذلك الا تبعا لهم وان كانوا قد غالوا في هذا الموقف غلوا شديدا كما سنرى فيما بعد .

وأول ما نستشهد به على موقف المحكمة الأولى من مخالفيهم من المسلمين هو ما ذكره قيس بن سعد بن عبادة في محاورته لهم ليرجعوا الى الطاعة والجماعة ويخطئهم في موقفهم تجاه المسلمين حين اعتبروهم مشركين فسفكوا دماءهم واستحلوا حرماتهم ومنه قوله يقرر عليهم افعالهم " فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم وتسفكون دماء المسلمين وتعدونهم مشركين (٤) فهذه شهادة من شاهد عيان بأن المحكمة الأولى كانوا يعدون مخالفيهم مشركين . هذا ما رواه عنه الطبرى ويذكر نصر بن مزاحم المنقرى ان المحكمة قالوا بتشريك مخالفيهم

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٦٩
(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٣
(٣) كتاب الاديان ص ٩٧
(٤) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٨٣

وعلى رأسهم الامام علي فبرئ علي منهم وبرؤا منه وافترقوا على هذا وذلك في قوله عنهم " فبرئوا من علي وشهدوا عليه بالشرك وبرئ علي منهم " (١) وكما اشرك ـ في نظرهم الامام عليا ـ اشرك كذلك ابنه الحسن رضى الله عنهما فقد اقبل عليه الجراح بن سنان وذلك بعد مصالحته معاوية ـ وقال له " اشركت كما اشرك ابوك ثم طعنه في اصل فخذه " (٢).

فالمحكمة كما ظهر مما سبق قد حكمت بالشرك على مخالفيهم وقد حكموا ايضا عليهم بالكفر كما يرويه عنهم الملطى بقوله " والفرقة السابعة الحرورية يقولون بتكفير الأمة " (٣) ومن الحوادث التي تثبت تكفيرهم لمخالفيهم وبالتالى استحلالهم لدمائهم ما هو معروف مشهور من قتلهم ابن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من المسلمين.

فقد ورد أن علي بن ابي طالب رضى الله عنه "بعث الى اهل النهروان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا تاركم وكاف عنكم حتى القى اهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم الى خير مما انتم عليه من امركم فبعثوا اليه: كلنا قتلهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم " (٤) فلو لم يكونوا معتقدين كفرهم وخروجهم عن الاسلام في زعمهم لما استحلوا دماءهم.

وقد كان رجل يسمى الخريت بن راشد من اشد الخارجين على علي وعلى المسلمين عموما فقد كان في طريقه يقتل كل من يقول انه مسلم ويخلى سبيل من لا يعتقد الاسلام مصداقا للحديث القائل يقتلون اهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان او كما قال عليه السلام.

هذا الرجل جزع على الامام علي فيمن اطاعه من قومه وغيرهم وفي اثناء سيرهم نحو قرية يقال لها نفر حدث ما بينه كتاب احد عمال امير المؤمنين علي رضي

---

(١) وقعت صفين ص ٥١٨

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٥

(٣) التنبيه والرد .. ص ٥٦

(٤) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٨٣

الله عنه ويسمى قرظة بن كعب الانصاري يخبره فيه بمسير الخوارج قال فيه " بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى اخبر امير المؤمنين ان خيلا مرتبلنا من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر وان رجلا من دهاقين أسفل الفرات قد صلى يقال له زاذان فروخ اقبل من قبل اخواله بناحية نفر فعرضوا له فقالوا امسلم انت ام كافر فقال بل انا مسلم قالوا : فما قولك في علي ؟ قال اقول فيه خيرا أقول انه أمير المؤمنين وسيد البشر فقالوا له كفرت يا عدو الله ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه " (١) بل انهم غالوا في تكفير الناس لاقل سبب حتى حكموا على انفسهم بالكفر حين قبلوا التحكيم اول الامر ففي اثناء محاورتهم مع علي اقروا على انفسهم انهم قد كفروا ثم تابوا وان هذا الحكم عام/على الجميع حتى علي نفسه فان عليه اذا اراد الاسلام ان يعلن كفره وتوبته هكذا بلغ بهم العناد والجهل فقالوا له " انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت كما تبنا فنحن منك ومعك وان ابيت فاعتزلنا فانا منابذوك على سواء ان الله لا يحب الخائنين " فاجابهم علي رضى الله عنه بقوله " اصابكم حاصب ولا بقى منكم وابر ـ أى احد ـ ابعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين " (٢)

وهكذا يتبين لنا مما سبق ومن غيره مما لم نرد اطالة القول بذكره ثبوت تكفير المحكمة وتشريكهم لاهل القبلة ومعاملتهم لهم على هذا الاساس ة وقد تابعهم على ذلك الخوارج فيما بعد ولا سيما نافع بن الازرق •

ويذكر المبرد ان نافعا كان لا يرى اول الامر ان مخالفيه مشركون ولا يرى ايضا قتل الاطفال حتى جاء مولى لبني هاشم فقال له تلك المقالة فانتهره بادى

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١١٧

(٢) المصدر السابق جـ ٥ ص ٨٤

الامر ولكنه ما زال به حتى اقنعه بذلك الرأى الخاطئ، ومن هنا اخذ في تطبيقه بكل قسوة وعنف يقول المبرد " ولم يزالوا على رأى واحد يتولون اهل النهر ومرداسا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبني هاشم الى نافع فقال له ان اطفال المشركين في النار وان من خالفنا مشرك ، فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأدللت على نفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فأقتلني " وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلد الا فاجرا كفارا " نوح : ٢٦ ، ٢٧ فهذا امر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا في النار ورأى قتلهم " (١)

وايا كان الامر فان كون هذا الموقف لنافع ابتداءً بعد تلك المحاورة فالمهم أنه اقتنع به بل وغالى فيه حتى اصبح الازارقة هم اكبر من تزعم القول بتشريك المخالفين واخراجهم عن الملة واستباحة كل شيء منهم وقد اتبعوا قولهم بالفعل فسفكوا الدماء . وانتهكوا المحرمات وقتلو مخالفيهم كبارهم وصغارهم لم يراعوا في ذلك فيهم الا ولا ذمة وقد تواترت اقوال العلماء في ذلك يؤيد بعضهم بعضا على ان الازارقة هم شر الفرق واشدها على اهل الاسلام .

وقد ذكر موقفهم من مخالفيهم علماء الاسلام ومنهم الاشعرى حيث قال في معرض بيانه لأقوال الازارقة وانهم يقولون " ان الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم " (٢) وما دام مخالفوهم بهذه الصفة فلا بأس في حقهم حتى في ارتكاب ما ينافي الاخلاق والعرف بين الناس فيجوز خيانة الامانة ، وعدم ادائها اليهم " واستحلوا خفر الامانات التي امر الله بادائها ، وقالوا قوم مشركون لا ينبغي أن تؤدى الامانة اليهم " (٣) ويقول البغدادى " وزعم نافع واتباعه ان دار مخالفيهم دار كفر " (٤) ويقول الملطى " فصنف منهم يقال لهم الازارقة وهم أصحاب

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٧٦
(٢) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٧٠
(٣) = = جـ ١ ص ١٧٤ (٤) الفرق بين الفرق ص ٨٤
[illegible]

الخوارج واشرهم فعلا واسوأهم حالا " (١) وذلك بما اعتقدوه في الناس وما فعلوه بهم بل انهم يعتبرون حتى انفسهم مشركون بمخالطتهم مخالفيهم والاقامة معهم حتى يخرجوا عنهم فيثبت اسلامهم عند ذلك والا فهم مثلهم مشركون كما يقول ابن الجوزي مبينا ذلك " وكان اصحاب نافع بن الازرق يقولون نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون قالوا ومخالفونا في المذهب مشركون " (٢).

وهذا يدل على غاية جهلهم وتعصبهم لرأيهم ، فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان في مكة قبل الهجرة بين المشركين مشركا بسبب مقامه ؟ هذا منهم ضلال اضافة الى ضلالتهم في اعتبارهم المسلمين المخالطين لهم مشركين ، ولكن الله قد جعل بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضا ويغنم بعضهم مال بعض شأن اهل الاهواء والبدع يقول صاحب كتاب الاديان " واجمعوا على تشريك اهل القبلة وسبى ذراريهم وغنيمة اموالهم ومنهم من يستحل قتل السريرة والعلانية ، واعترضوا الناس بالسيف على غير دعوة ومنهم من لا يستحل قتل السريرة وهم مختلفون فيما بينهم يقتل بعضهم بعضا ويغنم بعضهم مال بعض ويبرأ بعضهم من بعض " (٣).

وقد استدل نافع بالايات التي وردت في المشركين زاعما انها تشمل مخالفيه من المسلمين وذلك حين قام خطيبا في اصحابه يذكرهم بنعمة الله عليهم حين عرفهم من الحق ما لم يعرفه غيرهم وانه لا ينبغي لهم ولاية احد من مخالفيهم فلا يجوز التزوج منهم او موارثتهم او حتى الاقامة معهم ومن قوله في ذلك : " فقد انزل الله تبارك وتعالى " براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين " التوبة : ١ وقال " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " البقرة : ٢٢١

(١) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ص ١٦٧

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٥.

(٣) من كتاب الاديان والفرق ص ٩٧.

فقد حرم الله ولايتهم والمقام بين اظهرهم واجازة شهادة واكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم وموارثتهم ،وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا وحق علينا ان نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ولا نكتم ما انزل الله والله عز وجل يقول " ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون] البقرة : ١٧٤

قال الطبري " فاستجاب له الى هذا الرأى جميع اصحابه " (١)

وقد اورد الشاطبي رحمه الله قصة عجيبة لهم تدل على فساد اعتقادهم وخروجهم عن الجادة بقتلهم من يقول انه مسلم دون التحقق من صدقه او كذبه ، وكأنما قول المخالف لهم انا مسلم يساوى قوله انه كافر كما سنراهم حين يأخذون حميد بن هلال الذى رجع من غزو الكفار الحقيقيين والذى جاءهم حين سمع الاذان لا ليشاهد كيفية الصلاة ولكن ليدخل في الصلاة مسلما مؤمنا بربه ونبيه هذه القصة عبر عنها الشاطبي بقوله " روى في حديث خرجه البغوى في معجمه عن حميد بن هلال ان عبادة بن قرط غزا فمكث في غزاته تلك ما شاء الله ثم رجع مع المسلمين منذ زمان فقصد نحو الاذان يريد الصلاة فاذا هو بالازارقة ـ صنف من الخوارج ـ فلما رأوه قالوا ما جاء بك يا عدو الله قال ما انتم يا اخوتى قالوا : انت اخو الشيطان لنقتلنك قال اما ترضون منى بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وأى شيء رضى به منك ؟ قال اتيته وانا كافر فشهدت ان لا اله الا الله وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلى عنى ـ قال ـ فأخذوه فقتلوه " (٢) .

فهل بعد فعلتهم هذه حماقة اوجهالة ،رجل يحدثهم بموقفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أشد من موقفه معهم فيقبل منه رسول الله

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٥٦٧

(٢) الاعتصام ج ٢ ص٢٢٦ .

صلى الله عليه وسلم اسلامه بغض النظر عن ما سلف منه وهم لا يقبلونه ،فهل كانوا أحرص على الاسلام وأغير من رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام .

ويذكر ابن حزم تفرقهم بين المسلمين والذميين في المعاملة فيقول :

" وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونه اذا قال انا مسلم ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود او الى النصارى او المجوس وبهذا شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية اذ قال عليه السلام انهم يقتلون أهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اذ أنذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج كما قال " (١) .

ويقول ابن عبد ربه كذلك " فقال نافع باستعراض الناس والبراءة من عثمان وعلى وطلحة والزبير واستحلال الامانة وقتل الاطفال " (٢)

وقد عاب نجدة بن عامر نافع ما ذهب اليه من تكفيره للقعدة واستحلاله قتل الاطفال ،ثم رأيه في عدم اداء الامانة الى من ائتمنه من مخالفيه واستدل عليه في كل ما تقدم بأدلة من القرآن (٣) وذلك في كتاب ارسله نجدة اليه ، وقد اجاب نافع عن كتاب نجدة بكلام جاء فيه بالنسبة لمخالفيهم قوله " واما استحلال الامانات فمن خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا اموالهم كما احل لنا دماءهم ،فدماؤهم حلال طلق واموالهم فيء للمسلمين " (٤) . وفي هذا تبرير منه لامر باطل مثله فما احل الله له دماء المسلمين حتى يبني عليه استحلاله لاموالهم وقد وصف سليمان مظهر معاملتهم لمخالفيهم بأنهم " كانوا يأتون بأفظع المنكرات كأنهم لا يدينون بالله ولا يعرفون شفقة ولا رحمة (٥) ويذكر

(١) الفصل جـ ٤ ص ١٨٩ وانظر الكامل لابن الاثير جـ ٤ ص ١٦٧

(٢) العقد الفريد جـ ١ ص ٢٢٣ .

(٣) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٩٧ .

(٥) قصة الديانات ص ٥٥١ .

ابن تيمية انهم يستحلون من مخالفيهم المسلمين ما لا يستحلون من الكافر الاصلى "(١)

ومثل تشدد الازارقة تجاه مخالفيهم في حكمهم عليهم بالشرك واستحلال دمائهم واموالهم ما نجده عن طائفة من فرقة البيهسية فهي تقول بأن مخالفيهم مشركون حلال دماؤهم واموالهم ، وهي لا تقل في ذلك عنفا عن الازارقة يقول الاشعرى نبينا اقوال هذه الطائفة " وقالت الدار دار شرك واهلها جميعا مشركون وتركت الصلاة الا خلف من تعرف وذهبت الى قتل اهل القبلة واخذ الاموال واستحلت القتل والسبي على كل حال (٢) " .

ثم زاد هذا تاكيدا في موضع اخرعن حاك لم يعينه يذكر ان هذا الحكم هو ما يعتقده جميع البيهسية فهو يقول " وحكى ان البيهسية تقول بقتل اهل القبلة واخذ الاموال وترك الصلاة الا خلف من تعرف والشهادة على الدار بالكفر" (٣)

ومثل هذه الطائفة من البيهسية التي استحلت قتل مخالفيهم وغنيمة اموالهم مثلها طائفة من الصفرية الا ان هذه الطائفة تفوق تلك بتعمقها بدرجة اكبر من الفوضوية والجهل فهي تعتبر القتل مقصودا لذاته من اى ملة كان سواء كان مؤمنا في ميزانهم ام كافرا من غير تمييز وذلك فيما يذكره ابن حزم بقوله " وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من امكن قتله من مؤمن عندهم او كافر وكانوا يؤولون الحق بالباطل " (٤) فاذا كانوا بهذه المثابة فكيف يمكن ان يتعايشوا مع الناس بل كيف يمكن تعايشهم ايضا فيما بينهم اللهم الا كتعايش الحيوانات المتوحشة في الغابات .

ونضيف الى هؤلاء الغلاة المتشددين من الخوارج مع غيرهم بل مع الخوارج انفسهم حمزة بن اكرك ، فمع انه كان لا يرى قتل مخالفيه الا بعد اعلان الحرب الا انه

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ج ٣ ص ٣٥٥ .
(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥ .
(٤) الفصل ج ٤ ص ١٩٠ .

بلغت به الشدة على من لا يوافقه على ارائه ان يعتبره كافرا مشركا وان كان من الخوارج القعدة الذين يواليهم وكان مفسدا متجاوزا حد الرحمة مع مخالفيه وهو ما يذكره عنه البغدادي في قوله :

" ثم انه والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه من فرق هذه الامة مع قوله بانهم مشركون وكان اذا قاتل قوما و هزمهم امر باحراق وعقر دوابهم ، وكان مع ذلك يقتل الاسراء من مخالفيهم " (١) وله مواقف عديدة وحروب عنيفة مع فرق الخوارج الذين ابو من موافقته والدخول في طاعته فقد تابع عليهم الحملات حتى اباد كثيرا منهم في معارك رهيبة تمثلت فيها غاية القسوة والبطش .

ب ـ موقف المعتدلين منهم :

ورغم ما تقدم من تشدد الخوارج تجاه مخالفيهم الا اننا نجد بعض الفرق منهم قد خففت من وطأتها وان كان تخفيفا لا يكاد يذكر فنجد مثلا الاخنسية منهم يحرمون الغدر وشبهه بمخالفيهم أو قتله قبل الدعوة ما دام شخصا مجهول الحال اما اذا عرف بما يوجب قتله عندهم فانه يقتل كيف ما كان وهذا ما يقوله الاشعري عنهم " ويحرمون الاغتيال و القتل في السر وان يبدأ بأحد من اهل البغي من اهل القبلة بقتال حتى يدعى الا من عرفوه بعينه " (٢)

بل وصل بهم التسامح الى ان جوزوا تزويج المسلمات من مخالفيهم المشركين اهل الكبائر والذنوب وهذا مايرويه الشهرستاني عنهم بقوله " وقيل انهم جوزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم اصحاب الكبائر " (٣)

ويؤيد ما قاله الشهرستاني عنهم ما جاء في كتاب الاديان لمؤلفه ـ

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٩٨ .

(٢) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٨٠ ، الفرق بين الفرق ص ١٠١ ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٢

(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٢

الاباضى حيث يذكر انهم في حكمهم المتقدم يوافقون الاباضية الا في مسألة سبى وغنيمة مخالفيهم فانهم على مذهب الخوارج كما قال عن رئيسهم الاخنس " وجوز تزويج نساء اهل الكبائر من قومهم على اصول اهل الاستقامة الا انه خالفهم في السبا والغنيمة من اهل القبلة على مذهب الخوارج " (١)

ومثل هذا التسامح الضئيل من الاخنسية نجده عند الحمزية من العجاردة او العجاردة كلهم على ما جاء في تعبيرات بعض علماء الفرق عنهم نجد هذه الفرقة لا تبيح قتل مخالفيهم من اهل القبلة او استحلال اموالهم الا بعد اعلان الحرب وخوضها فاذا قامت الحرب فان الاموال لا تباح حتى يقتل أصحابها فيعتبر قتل صاحب المال تحليلا ورفعا للاثم في اخذ ماله اى ان ارتكاب جريمة القتل يبيح جريمة استحلال ماله في ميزانهم المعكوس .

يقول الاشعرى فيما يحكيه عن احد الرواة المسمى زرقان " وحكى زرقان ان العجاردة اصحاب حمزة لا يرون قتل اهل القبلة ولا اخذ المال في السر حتى يبعث الحرب " (٢) .

اما البغدادى فيعمم الحكم على جميع العجاردة بقوله " والعجاردة لا يرون اموال مخالفيهم فيئا الا بعد قتل صاحبه " (٣) .

واما الشهرستانى فيجعل الحكم ليس للعجاردة ولا للحمزية ولكنه من اقوال عبد الكريم بن عجرد رئيس العجاردة وانه مما تفرد به عبد الكريم كما هو الظاهر من قوله عنه " ولا يرى المال فيئا حتى يقتل صاحبه " (٤) .

ولعل اكثر الخوارج اعتدالا تجاه مخالفيهم واكثر تسامحا معهم والشخصية المثالية لدى الخوارج بل والشيعة ايضا هو ابو بلال مرداس بن أدية فقد كان معتدلا زاهدا مجتهدا فى العبادة معظما عند كل الخوارج وكان مسالما فعندما خرج

---

(١) من كتاب الاديان ص ١٠٥

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٧٧

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩٤ .

(٤) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٨

باصحابه فارا بدينه من احكام الظلمة ـ يعني حكام بني امية ـ لقيه احد اصدقائه فاشار عليه بعدم الخروج خوفا عليه من بطش زياد فطمئنه بانه سوف لا يخيف آمنا ولا يجرد سيفا الا على من قاتله وكان مما أثار هيجانه وجعله يخرج ان زيادا ذات يوم خطب على المنبر وكان مرداس يسمعه فكان من قوله " والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم " وهذا ـ بالطبع ما لا تحتمله الخوارج اذ يعلن جوره في احكامه علانية غير مبال بالخوف من الله او على الاقل من فتنة الناس فثارت ثائرة مرداس " فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت ايها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول ﴿ وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى ﴾ وانت تزعم انك تاخذ المطيع بالعاصي ثم خرج عقب هذا اليوم " (١) ويثبت المبرد هنا ان المعتزلة والشيع تنتحله وانه حينما اراد الخروج بعد ما عيل صبره وانتهى أمله في صلاح حكامه ـ قال " والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظلمة تجري علينا احكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا (٢) " فهو يرى انه بين خيارين اما ان يستكين لظلم الولاة وهذا عظيم او يجرد السيف في وجوههم وهذا عظيم لما يترتب عليه من سفك الدماء ولكنه اراد حلا وسطا وهو الهرب بدينه وعدم تجريد السيف ولكن هذا الحل لا يمكن ان يقبله الحكام الامويون بالبداهة .

ومن المعتدلين من الخوارج ابو بيهس هيصم بن جابر الضبعي ولكنه اعتدال غير كامل فقد احل المقام بين مخالفيه وجوز مناكحتهم وموارثتهم ولكنه

---

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٣٦
(٢) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٥/١٥٦

اعتبرهم في الاحكام الدنيوية منافقون يظهرون الاسلام ويخفون النفاق واما حكمهم عند الله فقد زعم بأنه حكم المشركين (١) .

وكذلك صالح بن مسرح فقد كان يرى انه يجب دعوة مخالفيه قبل قتالهم لانه اقطع للعذر وابلغ في الحجة عليهم بينما كان شبيب وهو الزعيم الثاني بعد صالح يحبذه على القول بالفتك بمخالفيهم قبل الدعوة فحينما اجتمع شبيب بصالح بعد المكاتبة بينهما واتفاقهما على الخروج يروى بنفسه ما جرى بينه وبين صالح بن مسرح فيقول " لما هممنا بالخروج اجتمعنا الى صالح بن مسرح ليلة خرج فكان رأيي استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الارض فقمت اليه فقلت يا امير المؤمنين كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة انقتلهم قبل الدعاء او ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيي فيهم قبل ان تخبرني فيهم رأيك اما انا فأرى ان نقتل كل من لا يرى كل من لا يرى رأينا قريبا كان او بعيدا فانا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا امر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال: لا بل ندعوهم فلعمري لا يجيبك الا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك والدعاء اقطع لحجتهم وابلغ في الحجة عليهم قال : فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ ما تقول في دمائهم وأموالهم ؟ فقال ان قتلنا وغنمنا فلنا وان تجاوزنا وعفونا فموسع علينا ولنا قال : فأحسن القول واصاب رحمه الله عليه وعلينا " (٢)

فهذه المحاورة الفقهية السياسية في شأن مخالفيهم تعلقت بأمور هي هل عليهم دعوة مخالفيهم قبل القتال ام لا وهل الاسرى يجب قتلهم ام استبقاؤهم ثم الحكم في الاموال ثم الغنائم وهكذا .

وهذا يفيد انهم نوعا ما كانوا اخف وطأة من الازارقة وان كانوا قد عقدوا العزم على قتال مخالفيهم او يذعنوا لطاعتهم لانهم في نظرهم خارجون عن تطبيق

---

(١) انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٣

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٩

الاسلام الصحيح فيجب ان توضع الحلول لتلك المسائل التي تعلقت بمخالفيهم ولهذا فقد انكر صالح على نافع بن الازرق غلوه وعلى ابن اباض في تقصيره في الحكم على مخالفيهم فقال لابن اباض " برئ الله منك فقد قصرت ، وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا " (١) .

ونحب ان نذكر هنا موقف الاباضية من مخالفيهم سواء ما قاله علماء الفرق او ما قالوه هم عن انفسهم لنرى مدى التقارب او التباعد بينهم وبين غيرهم من فرق الخوارج في هذه المسألة .

وللواقع ان حكم الاباضية في مخالفيهم قد تميز بنوع من الاعتدال وحب للتقارب مع غيرهم فهم لا يحكمون عليهم بالشرك وان كانوا لا يعتبرونهم كاملى الاسلام بل هم كفار .

وهذا التعبير هو ما يستعمله الاشعرى والبغدادى والشهرستانى .

يقول الاشعرى " وجمهور الاباضية يتولى المحكمة كلها الا من خرج ويزعمون ان مخالفيهم من اهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين " (٢)

وهكذا عند البغدادى فقد ذكر انهم يرون ان مخالفيهم " براء من الشرك والايمان وانهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار " (٣) وكذا عند الشهرستانى (٤)

وقد زاد البغدادى حكما آخر عن الاباضية وهو انهم يعتبرون مخالفيهم محاربون لله ولرسوله ، فيكون قد تميز بذكر حكمين لمخالفيهم اى انهم كفار وانهم محاربون وذلك في قوله " وزعموا انهم ـ يعنى مخالفى الاباضية ـ في ذلك محاربون لله ولرسوله لا يدينون دين الحق " (٥)

ولكن هل يطبقون حكم المحاربين عليهم سنرى فيما بعد ما

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٦٨
(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٤
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٣
(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤
(٥) الفرق بين الفرق ص ١٠٣

يقوله الاباضية عن انفسهم •

وقد انتقد على معمر هذا الاسلوب في حكم الاباضية على مخالفيهم ووصفه بأنه اسلوب موهم غامض وان كثيرا مما قيل عن الاباضية في هذا الباب " انما هو ـ كما يقول معمر ـ تشنيعات وتلفيقات من ناس يريدون ان يوقدوا نار الفتنة ضد الاباضية وان يجعلوهم مكروهين من بقية اخوانهم المسلمين فينسبون اليهم عقائد ومقالات يبرأون منها وممن يقول بها ويسوقون عنهم اقوالا في غاية الغموض والابهام لاثارة الرأى العام ضدهم •• الخ • (١)

ومن هذه الايهامات ـ كما يرى ـ ذلك التعبير الذى تقدم عن الاشعرى ومن اخذ عنه حيث لم يبينوا ما اذا كان المسلمون في نظر الاباضية كفار ملة اوكفار نعمة •

وقد تقدم ان الاباضية يرون ان مخالفيهم من المسلمين كفار نعمة لا كفار ملة ولا ندرى كيف جمع الاشعرى والبغدادى بين القول بتكفير الاباضية لمخالفيهم تكفيرا مطلقا والقول باعتبار دارهم دار توحيد الا معسكر السلطان •

يقول الاشعرى في هذا " وزعموا ان الدار ـ يعنون دار مخالفيهم ـ دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار كفر يعنى عندهم " (٢) ، وهكذا عند البغدادى الا انه قصر الدار على مكة فهي دار التوحيد عندهم الا معسكر السلطان فالاشعرى يذكر انهم عمموا الحكم على جميع دور مخالفيهم والبغدادى خصصها بدور مكة والتناقض في هذه الرواية عن الاباضية ظاهر اذا كانا يقصدان هنا بتكفير الاباضية لمخالفيهم انه كفر ملة والا كان تساهلا منهم في التعبير عن مذهب الخوارج •

أما رأى الاباضية في الدار فانهم يقسمونها الى قسمين •دار اسلام

---

(١) الاباضية بين الفرق ص ٣٣ و ٤٣

(٢) انظر المقالات جـ ١ ص ١٨٥ والفرق بين الفرق • ص ١٠٦

ودار كفر ، ودار الكفر لا تنطبق بأي حال على دور مخالفيهم من المسلمين سواء في ذلك عامة الناس او معسكر السلطان خلافا لما ذكره الاشعري وغيره من اعتبار معسكر السلطان دار كفر عند الاباضية ودار الاسلام لا تخلو عندهم عن اربع صور هي :

١ ـ ان يكون اهل الوطن كلهم مسلمون والسلطان عادل ملتزم بالمنهج الاسلامي وفي هذه الصورة تكون الدار دار اسلام ومعسكر السلطان معسكر اسلام .

٢ ـ أن يكون اهل الوطن مسلمون ولكن حاكمهم وصل الى الحكم بطرق غير مستكملة للشروط ولكن بعد ان تسلم زمام الحكم التزم المنهج الاسلامي وهذه الصورة في الحكم كسابقتها .

٣ ـ ان يكون اهل الوطن مسلمون ويصل حاكمهم الى الحكم بطرق شرعية ولكنه بعد ان يتم له الأمر ينحرف وفي هذه الصورة تكون الدار دار اسلام ومعسكر السلطان معسكر اسلام الا انه معسكر بغي وظلم .

٤ ـ أن يكون اهل الوطن مسلمون ويصل حاكمهم الى الحكم بطرق غير شرعية ولم يلتزم المنهج الاسلامي ففي هذه الحال " تعتبر الدار دار اسلام ومعسكر السلطان معسكر اسلام الا انه معسكر بغي وظلم وعدوان " (١)

فالاباضية اذاً لا يرون في هذه الصور من صور الحكم في بلاد الاسلام صورة يعتبرون فيها دار المسلمين من غيرهم دار كفر ولا معسكر سلطانهم كذلك واقصى ما وصفوا به معسكر السلطان هو البغي والظلم والعدوان .

اما ما يذكره اهل الفرق عن معاملة الاباضية لغيرهم فهو القول بأن الاباضية يعتبرون ان مخالفيهم " حلال مناكحتهم وموارثتهم .. وحرام قتلهم

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٩٥

وسبيهم في السر الا من دعا الى الشرك في دار التقية ودان به ... (و) انهم اجازوا شهادة مخالفيهم على اوليائهم وحرموا الاستعراض اذا خرجوا وحرموا دماء مخالفيهم حتى يدعوهم الى دينهم .

هكذا قيل عن سماحة الاباضية في حالة السلم اما فى حالة الحرب فيوصفون بانهم لا يستحلون من اموال مخالفيهم بعد المعركة غير عدة الحرب وما يتقوى به عليه من السلاح والخيل ونحوهما .

كذلك من عاداتهم انهم لا يتبعون المنهزمين في الحرب اذا كانوا من اهل القبلة الا ان يكونوا من المشبهة فهم عندهم كأهل الردة يجوز قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم واتباع المنهزم منهم .

وفى المعركة لا يقتلون النساء ولا الاطفال على عكس ما يفعله الازارقة . (١)

ومع هذا التسامح الذى ذكره الاشعرى وغيره عن الاباضية الا انه يقول عنهم " وقالوا جميعا ان الواجب ان يستتيبوا من خالفهم في تنزيل او تأويل فان تاب والا قتل كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله او فيما لا يسع جهله " (٢)

ويبقى هنا اشكال في هذا التعبير وهو : هل يستتيبون جميع المخالفين لهم عندما يكونون في دارهم او في غير دارهم ؟

ام ان هذا خاص بالاسرى ؟ ومهما كان فكيف يبلغ بهم التشدد ـ والتعصب حتى انهم يقتلون من خالفهم . ولو كان هذا الخلاف فيما يسع جهله فان هذا تشدد ظاهر .

والواقع ان كتاب الاباضية ينفون هذه المعاملة لمخالفيهم عن انفسهم فيرى علي يحيى معمر ـ وهو اكبر من تزعم الدفاع عن الاباضية ـ ان الاشعرى

---

(١) انظر المقالات : جـ ١ ص ٢٨٥ و ص ١٨٨ وانظر الفرق بين الفرق ص ١٠٣

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٨٦ ومثله البغدادى ص ١٠٧

لم يلتزم بتحرى الحقيقة في اراء الاباضية وانما اخذها عن اناس مغرضين كانوا يهدفون الى تشويه الاباضية عند مخالفيهم والتشنيع عليهم واعتبر ان قول الاشعرى - " وقالوا جميعا ان الواجب ان يستتيبوا من خالفهم في تنزيل او تأويل فان تاب والا قتل " وبين قوله عنهم " ويزعمون ان مخالفيهم من اهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين حلال مناكحتهم وموارثتهم حرام قتلهم وسبيهم " اعتبر ذلك من أمثلة تناقض اهل المقالات والموءرخين - وبالذات الاشعرى - في شأن الاباضية الا أنه لم يجعل المسئولية كاملة على الاشعرى وانما على من القى اليه هذه المعلومات الخاطئة حسب زعمه . (١)

ويشهد لما تقدم من رأى على يحيى معمر ما ورد به صاحب كتاب - الاديان والفرق الاباضى على الازارقة من تخطئتهم في تشريكهم اهل القبلة ثم معاملتهم لهم على هذا الاساس الذى لا يقره الاباضية الذين أجازوا التعامل مع مخالفيهم في كل المجالات وان الاباضية لا يستحلون من مخالفيهم غير دمائهم في الحرب اذا وقعت بينهم فقال " واما نقض ما احتجوا به - يعنى الازارقة - من تشريك اهل القبلة واستعراضهم بالسيف فان الله سبحانه حكم في اهل القبلة خلاف ما حكم به في المشركين وانه لم يحكم في اهل البغى بالسبى والغنيمة وانما حكم فيهم بدمائهم وحلها ، ولم يحل منهم غير دمائهم ولما قتل المسلمون - عثمان لم يستحلوا منه غير دمه ولم يسبوا له عيالا ولا غنموا له مالا " (٢) .

ونحو ما تقدم نجده عند عالم آخر من علمائهم هو ابو زكريا يحيى بن الخير الجناونى فقد اجاز معاملة المخالفين معاملة حسنة غير انه ينبغى ان يدعوا الى ترك ما به ضلوا فان اصروا ناصبهم امام المسلمين الحرب حتى يذعنوا للطاعة ولا يحل منهم غير دمائهم . (٣)

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق ص ٢٧ / ٢٨

(٢) قطعة من كتاب في الاديان ص ٩٩ .

(٣) كتاب الوضع للجناونى .

ولعل هذا الاستثناء يؤيد ما قاله الاشعرى من ضرورة استتابة المخالفين والا قتلوا وان جمله معمر من التهم التي قيلت في الاباضية .

ويوضح السالمى ايضا موقف الاباضية من مخالفيهم بايضاح بين وذلك في قوله " لا نرى الفتك بقومنا ـ يعنى مخالفيهم ـ ولا قتلهم غيلة في السر لأن الله لم يأمر به في كتابه ولم يفعله احد من المسلمين " ويقول ايضا " نرى ان مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا " ويقول عن الاستعراض الذى تدين به الازارقة " ولا نرى استعراض الناس بالسيف ما داموا يستقبلون القبلة " (١) .

ويقول الورجلانى عن مخالفيهم وما يكون عليه الاباضية في ساحة الحرب تجاههم " وان حاربناهم وهزمناهم فانا لا نتبع مدبرا ولا نجهز على جريح وأموالهم مردودة عليهم الا ما كان لبيت المال فانا نحوزه على وجهه ولا نتورع عن جميع ما في ايديهم من المظالم عندنا اذا كان جائزا في مذهبهم وما كان في ايديهم من مال بيت مال المسلمين فانا نأخذه ولا نرده اليهم ونصرفه في وجوهه وان كان مظلمة رددناها الى اهلها " (٢) .

ويرى الشماخي ـ وهو احد علماء الاباضية ـ ان ما قيل عن الاباضية من تحليلهم لغنيمة اموال مخالفيهم من سلاحهم وكراعهم عند الحرب غير صحيح " اذ تآليف اصحابنا ـ كما يقول ـ كلها ناطقة بتحريم اموال اهل القبلة في الحرب وغيرها للغنى والفقير " . (٣)

واما ما حكاه الاشعرى وغيره عنهم من استباحتهم قتل المشبهة وسبيهم وغنيمة اموالهم واتباع موليهم باعتبار انهم مرتدون فان الاباضية لا تقر هذا التعبير على عمومه بل يرون انه صيغ بهذا الالتواء بقصد التشنيع على الاباضية

---

(١) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٣١١

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٣٣٥ وانظر " الدين والعلم الحديث لابراهيم محمد عبد الباقى ص ٢٥٢ .

(٣) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٥ .

كما يرى معمر ذلك لانه يشمل بعض من يعاملهم الاباضية معاملة المسلمين وان اعتبروهم من المشبهة بسبب خطئهم في التعبير عن ذات الله تعالى . ذلك ان المشبهة عند هم ثلاثة اقسام مجسمة وهم الذين يصفون الله بانه جسم كالأجسام ثم يحددونه ~~دونه~~ . وشبه مجسمة وهم كالمجسمة يحددونه ولكن يحترزون بقولهم " ونحن لا نعرف ذلك " كما عبر علي معمر _ فأهل هذين القسمين هم عند الاباضية مشركون مرتدون يقول معمر عن رأي الاباضية فيهم " فالمجسمة يعتبرهم الاباضية مشركين لا فرق بينهم وبين عبدة الاوثان بسبب تصورهم وتصويرهم لالهم بصورة المخلوق المحدود " .

اما القسم الثالث فهم الذين " يثبتون المعاني الحرفية لبعض الكلمات التي وردت في القرآن تثبت له الحركة أو الجوارح كاليد والعين والساق والمجيء والنزول والاستواء والمسرة والضحك فيمسكون عن تأويلها بالمعنى المناسب ويقولون كما اراد الله " وأهل هذا القسم يعتبرهم الاباضية مشبهة بسبب خطئهم في التأويل ولكنهم يعاملونهم معاملة المسلمين ولا يطلقون عليهم اسم المشبهة الا في مواطن الجدل العنيف (١)

وهكذا يتضح لنا ما قلناه سابقا من تسامح الاباضية في حكمهم على مخالفيهم ومعاملتهم لهم حتى كانوا بذلك اقرب فرق الخوارج الى الجماعة الاسلامية .

ولقد اعتبر هذا الموقف المتسامح عند الاباضية بمثابة تغير في موقف قدماء الخوارج المتشدد من مخالفيهم .

ولقد علل الغرابي رحمه الله تساهل الاباضية فارجعه الى سببين :

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق ص ٣٣٥ _ ٣٣٧

الاول : هو انهم ضعفوا لكثرة حروبهم فهم يريدون ان يتقربوا من مخالفيهم شيئا فشيئا حتى لا تقوم بينهم الحرب .

الثاني : هو " انهم لما اتسعت مداركهم وعرفوا ما لم يكن يعرفه سلفهم الذين كانوا من عرب البادية وفيهم سذاجة وعدم عمق في التفكير كانوا اكثر تسامحا مع مخالفيهم من سلفهم " ولكنه لم يجزم بواحد من هذين السببين بل قال " ولا مانع من ان يكون قد اجتمع لديهم السببان معا " (١)

والمهم هنا هو ان نعرف موقف الاباضية من هذا التحليل السابق الذكر هل يعترفون بانهم اكثر تساهلا من خلفهم وهل فعلا اضعفتهم الحروب الدموية مع مخالفيهم فاحبوا التقرب اليهم اتقاء شرهم وهل يعترفون بأن سلفهم كانوا على جانب من البداوة التي كانت تظهر في سذاجتهم وعدم عمق في تفكيرهم الذى كان سطحيا يأخذ الامور ببراءة البدوى وطباعه ام انهم كانوا ضد ذلك وضد تلك الصفات . سنجد ان المدافع الاكبر على الاباضية — على يحيى معمر — يتصدى للرد على هذه التهم كلها ويصفها بانها افتراضات غير صحيحة وان القول بسلف متشدد وخلف متساهل كان من جراء ربط الاباضية بالخوارج وهو ربط يصفه المؤلف بانه انسياق مع كتاب المقالات من غير رجوع الى كتب الاباضية ومصادرها .

ثم يذكر انه لا مانع من تغيير الاجتهادات في غير القطعيات بل هو من محاسن الشريعة ولم يخل منها مذهب من المذاهب الاسلامية الى ان يقول عن الغرابى بخصوصه " ومع هذا فانا اوكد للاستاذ الغرابى ان المسائل التي اوردها لم يتغير فيها رأى خلف الاباضية عن سلفهم فيما عدا مسألة واحدة هي مسألة اطفال المشركين فقد كانت عند السلف خلافية ورجح الخلف انهم من اهل الجنة

---

(١) تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٨١ / ٢٨٢

خدما للمسلمين طبقا للاحاديث الواردة في الموضوع " وقد استشهد بعدة امثلة تبين اجتهاد الخلف وتيسيرهم في بعض المسائل •

اما القول بان الحروب اضعفتهم فاحبوا مسالمة الناس فقد نفى معمر صحة هذا ولم يثبت من حروبهم غير الحركة التي قام بها طالب الحق في الجزيرة العربية طيلة عهد الدولة الأموية ثم جاء ببيان لدول الاباضية التي قامت في الشرق والغرب اثبت من خلاله ان الاباضية كانوا لا يعتدون على احد من مجاوريهم (١) ومن ثم فلم يكن تسامحهم عن غيرهم ناشئا عن ضعف •

ويجدربنا ان نقرر هنا ان الاباضية لم يكونوا جميعا على هذا القدر الذى تقدم من التسامح في الحكم على مخالفيهم في معاملتهم لهم بل كان منهم المغالون في التشدد تجاه مخالفيهم ومن الشواهد على ذلك ما رواه الجيطالى الاباضى عن الامام عبد الوهاب " انه قال سبعون وجها تحل بها الدماء فاخبرت منها لأبى مرداس بوجهين فقال من اين هذا من اين هذا ؟ وفي كتاب سير المشائخ ان الامام كان يقول : عندى اربعة وعشرون وجها تحل بها دماء أهل القبلة ولم تكن منهم عند ابى مرداس رحمه الله الا اربعة اوجه وقد شدد علي فيهم "(٢) وقد اعتبر على معمر معرفة الامام عبد الوهاب بهذه الاوجه الكثيرة التي تحل بها دماء المسلمين اهل القبلة من باب السعة في العلم كما يرى (٣) •

اما البارغيني فانه يحكم على مخالفيهم بالهلاك والنار في الدار الآخرة وان الشخص ليس على شيء ما دام غير متمسك بالمذهب الاباضى قولا وعملا حتى يلقى الله به سعيدا مقبول العمل •

يقول البارغيني في رسالته عن مشائخهم " وقالت المشائخ ان هذا الدين الذى دنا به الوهبية من الاباضية من المحكمة دين المصطفى صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر لهذا الفصل كتاب الاباضية بين الفرق الاسلامية من ص ٧٠ الى ص ٨٢

(٢) قواعد الاسلام ص ١٠٥

(٣) الاباضية في موكب التاريخ ص ٣٩ ج ٢

هوالحق عند الله وهو دين الاسلام من مات مستقيما عليه فهو مسلم عند الله ومن شك فيه فليس على شيء منه ومن مات على خلافه او مات على كبيرة موبقة فهو عند الله من الهالكين اصحاب النار " (١)

فقد قصر الاسلام عند الله على المذهب الاباضي ومن جاء بغيره فهو على هلاك وتبار ويتبرأون ممن لا يدين بالقول بخلق القرآن من اهل السنة كما في قول ابن جميع الاباضي " وليس منا من قال ان القرآن غير مخلوق ... ولا من قال ان جميع من يحل دمه يحل ماله " (٢)

ومما جاء في تزكية مذهبهم وابطال ما خالفه قول الفرابي الاباضي :

" الحمد لله الذى جعل الحق مع واحد في الديانات ، فنقول معشر الاباضية الوهبية الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا لأن الحق عند الله واحد ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق " (٣) .

اما الوارجلانى من علمائهم المشهورين فقد قضى على امة احمد بالهلاك والثبور ولم ينج منهم الا من كان على المذهب الاباضي ويورد ادلة على ذلك واستشكالات ثم يذكر جوابها مدعيا ان حديث افتراق الامم قد نص على هلاك من عدى الاباضية وان السبب في بقاء الاباضية على الحق هو انهم لم يقلدوا الآباء دون محاسبتهم كما كان الحال عند غيرهم بل اتبعوهم تقييدا لا تقليدا ومن تساؤلاته قوله :

" فان قال قائل هذه امة أحمد صلى الله عليه وسلم قد قضيتم عليها بالهلاك وبالبدعة والضلال وحكمتم عليها بدخول النار ما خلا اهل مذهبكم قلنا انما قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نحن بقوله حيث يقول ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار ما خلا واحدة ناجية كلهم يدعى

---

(١) رسالة في فرق الاباضية المغرب ص ١٣ .

(٢) مقدمة التوحيد لابن جميع ص ١٩ .

(٣) الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد ص ٣٧ .

تلك الواحدة " ولئلا يستعظم المستمع هذا الكلام جاء بما يجول في خاطره من اسئلة وأهمها ما ذكره بقوله " فان قال قائل هذه امة احمد قد اصيبت باتباع اوائلها وما يدريكم لعلكم انتم ايضا ممن اصيب باتباع اوائله ولم قضيتم ان اوائلكم على الهدى واوائل غيركم على الردى ، واوائلكم غير معصومين كأوائل غيركم ؟ " هذا سوءال ولا شك مهم ولكن الموءلف قد اجاب بما لا يقنع فيه ، اجاب بما حاصله ان الاباضية اتبعوا اوائلهم بعد المحاسبة لهم وان اوائلهم عولت على الوزن بالقسطاس المستقيم والبرهان القويم وهو الكتاب والسنة ورأى المسلمين وذلك انهم كانوا دائما مع الفرقة المحقة ولا شك ان هذه الدعوى بطبيعة الحال تدعيها كل فرقة وهذا ديدن اصحاب المذاهب ولهم ان يفخروا بما يرون انه من مفاخرهم ولكن ماذا معهم من الفخر حين يفخرون بأنهم كانوا في جانب الجيش الذين قتلوا عثمان ثم في جانب الجيش الذين خرجوا على علي" كما ذكر الموءلف (١) .

وقد أورد صاحب العقود الفضية كثيرا من النصوص عن علمائهم تشهد بأن المذهب الاباضي هو خير المذاهب وأصوبها لا يقبل الله من غيره أى مذهب وأن من خالفه فليس له الا النار وبئس المصير ، ومن تلك النصوص ما جاء عن ابى الحسن على بن محمد البسيانى قوله " فحصت الأديان ظهرا وبطنا فلم اجد دينا أصفى من ديننا ولو علمنا غيره خيرا منه لما سمحنا لجهنم بأنفسنا " الى ان يقول " فعلمنا انه هو الدين الذى لا يرضى الله الا به لانه مذهب منزه صريح صحيح واضح من طريق الشريعة لا من طريق اللغة" (٢) .

ومنها قول السالمى " والله الذى لا اله الا هو ان الحق لمع هذه العصابة " (٣) ومنها قول جاعد بن خميس بن مبارك الخروص " انى لاقسم بالله قسم من بر" في يمينه فلا حنث ان من مات على الدين الاباضى الصحيح غير ناكث لما

---

(١) انظر كتاب الدليل لاهل العقول ص ٣٥ الى ٣٧

(٢) العقود الفضية ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢ .

عاهد الله عليه من قبل ولا مغير حقيقة كلا ولا مبدل طريقتنه أنه من السعداء ومن أهل الجنة مع الانبياء والاولياء وان من مات على خلافه فليس له في الآخرة الا النار وبئس المصير " (١).

ويقول مؤلف كشف الغمة في تشنيعه على مخالفيهم :

" ووجدنا من خالفنا يجمع بين الاضداد ويساوى بين اهل الصلاح والفساد ويجمع بين القاتل والمقتول والظالم والمظلوم فيتولونهم ويستغفرون لهم .... فهذا من اوضح السبل وأبين الادلة وأقوى حجة على من خالفنا " (٢)

ومن أجل كتبهم الفقهية عندهم واكبرها كتاب " النيل وشفاء العليل " هذا الكتاب يذكر فيه مؤلفه عن معاملة الاباضية لمخالفيهم بأنهم يعاملونهم على حسب ظاهر الفرق ومعتقداتها " ويحكم فيهم بحكم التوحيد من دعاء الى ترك ما به ضلوا وما هم عليه من اظهار بدعتهم ومن جواز مناكحتهم ومؤاكلة لذبائحهم والحج معهم " .

اما الائمة فانهم يقفون منهم موقفا صلبا لا هوادة فيه فالحكم فيهم ان " يبرأ من امامهم وقائدهم وعسكرهم ومقويهم على خلافهم وإن مؤذنا او قاضيا لما في ذلك من الاثار والاحاديث فمن كثر سواد قوم فهو منهم ومن ثم كره الغزو والجهاد معهم وحضور جوامعهم ومجالسهم ".

ثم يتطرق الى مسائل فرعية لا ترتفع الى درجة البراءة اوعدمها لتفاهة الخلاف فيها فيقول :

" وهل يبرأ منهم بعلامات انفردوا بها كرفع اليدين وترك التسمية في الصلاة والقنوت فيها ونحو ذلك أولا ؟ قولان " . (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٢

(٢) كشف الغمة ص ٣٠٦

(٣) النيل وشفاء العليل ص ١٠٦١ ـ ١٠٦٢ جـ ٣

ويذكر في موضع آخر بعض المسائل في الاسماء والصفات وبعض المسائل الكلامية التي دانوا بها وان من خالفهم فيها " حل قتله " وقد يستغرب السامع حينما تمر عليه تلك الخلافات الكلامية التي أحل المؤلف بها سفك دماء مخالفيهم وذلك في قوله الاتي :

" ومن قصد لخصلة مما دانوا به وخالفوا فيه غيرهم كقدم الاسماء والصفات ونفى زيادتها على الذات والروءية وحدوث الكلام واثبات الخلود والكسب للعبد والخلق والامر لله تعالى وخطئها او ما أجتمعت عليه الامة حل قتله " (١) .

ولكن قتله يكون في دور الظهور والغلبة لهم لا في دور الكتمان .

وهكذا نجد بعض اصوات الاباضية ترتفع بمثل هذا التشدد في الحكم على مخالفيهم واستحلال دمائهم والتبرء منهم مما لا يتفق مع ما هو معروف عن المذهب الاباضى من انه اكثر مذاهب الخوارج تسامحا مع غيرهم من المسلمين وهذا يدل على ان في الاباضية من قد خرج عن تلك التعاليم التي توحى اليهم بالتسامح مع مخالفيهم ولين جانبهم معهم ومما تجدر الاشارة اليه ان اولئك العلماء الذين قدمنا ذكرهم من افاضل العلماء عند الاباضية ومن المعتبرين عندهم في المذهب من قدماء علمائهم ولكن يبدو ان هذا الاتجاه المتشدد عندهم لم يكن هو السائد في الاوساط الاباضية بل كان السائد هو التسامح ولهذا اعتبر المذهب الاباضى ـ كما قلنا ـ اقرب المذاهب الى الجماعة الاسلامية وكان ذلك سببا في بقائه وبقاء اتباعه حتى الان دون فرق الخوارج الاخرى .

---

(١) النيل وشفاء العليل ص ١٠٦٧ جـ ٣

٤ـ موقف الخوارج من اهل الذمة :

ومن غريب امر الخوارج ان تلك الشدة التي اتصفوا بها وتلك الاستهانة المتناهية بسفك الدماء انما كانت على من يخالفهم ممن يقول انه مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله فكأنهم يقاتلون المسلمين لينشروا الاسلام بزعمهم وفي مقابل ذلك نجد ان معاملتهم لاهل الذمة كانت على النقيض من معاملتهم للمسلمين ، فقد كانوا معهم على ما لايتصور من اللين والمسامحة والشواهد على هذه الدعوى كثيرة في كتب الفرق والمؤرخين وقد سبق ان ذكرنا قصة زاذان فروخ الذي جاء ذكره في كتاب احد عمال علي " رضى الله عنه حينما خرج الخريت بن راشد عن طاعة علي واعلن الحرب عليه ففي اثناء سيرهم وجدوا هذا الرجل فعرضوا له يسألونه امسلم انت ام كافر ؟ فقال بل انا مسلم فسألوه عن علي فاجاب بالحق فقالوا له كفرت يا عدو الله ثم حملوا عليه فقطعوه قطعا واشلاء متناثرة ، ويضيف الطبرى قائلا " ووجدوا معه رجلا من اهل الذمة فقالوا ما انت؟ قال رجل من اهل الذمة قالوا اما هذا فلا سبيل عليه " (١)

وحين بلغ عليا رضى الله عنه هذا الموقف الخاطيء منهم اجاب عن كتاب عامله بجواب جاء فيه " اما بعد فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التي مرت بك فقتلت البر المسلم وأمن عندهم المخالف الكافر وان اولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا وكانوا كالذين حسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا فاسمع بهم وابصر يوم تخبر أعمالهم " (٢) .

بل انهم كانوا اذا وجدوا غير مسلم يتواصون به خيرا كما حدث في اثناء خروجهم الى النهروان فقد " لقوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم واوصوا بالنصراني خيرا وقالوا احفظوا ذمة نبيكم " (٣) وقد استراب من موقفهم هذا حتى من

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١١٧

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ١١٧ .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠

لا يدين بالاسلام من النصارى وغيرهم فقد حدث اثناء سيرهم الى النهروان ان مروا بنخل فساموا رجلا نصرانيا جنى نخلته فوهبها لهم ولكنهم استعفوا عن اكلها بالمجان و " قالوا ما كنا نأخذها الا بثمن " فتعجب النصراني وقال لهم :

" ما اعجب هذا اتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة الا بثمن " (١) ؟ ويذكر ابن الاثير من اعاجيبهم انهم ساروا " حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فأخذها احدهم فتركها في فيه فقال آخر اخذتها بغير حلها وبغير ثمن فألقاها ثم مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض فلقى صاحب الخنزير فارضاه " (٢) وقد حدث هذا وعبد الله بن خباب ينظر اليهم فلما شاهد فعلهم ظن وراءه دين وعقل فطمع في العفو عنه واطلاقه من قبضتهم لانهم اعتبروا قتل الخنزير من الفساد في الارض فسيئا الظن بقتل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا على عكس ما رأى منهم وأمل فقد ذبحوه ولم يندموا على قتله كما ندموا على قتل الخنزير وكان الاولى بهم ان يندموا على قتل النفس المحرمة ولكنه الجهل واتباع الهوى . وقد كان الاتصاف باليهودية والنصرانية من الامور المنجية من قتلهم فمن قال انه يهودى او نصراني او على أى دين كان أمن عندهم غير مدعى الاسلام.

فمما يذكر من حيل الناس في النجاة من قبضتهم ما يرويه الاصمعي عن عيسى بن عمر قال بينما ابن عرباض يمشي مقدما لطيته اذا استقبلته الخوارج يجزون الناس بسيوفهم فقال لهم هل خرج اليكم في اليهود شيء قالوا لا قال فامضوا راشدين فمضوا وتركوه " (٣) .

ويصف المبرد بعض تلك المواقف الخاطئة بما يحكيه عن واصل بن عطاء حينما كان هو ورفقته سائرين فاجتازوا بالخوارج يقول المبرد " وحدث ان واصل

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩١
(٢) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٢
(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٤

بن عطاء ابا حذيفة اقبل في رفقة فاحسوا الخوارج فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني واياهم وكانوا قد اشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما انت واصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه " التوبة : ٦ فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذلك لكم وساروا باجمعهم حتى بلغوهم المأمن " (١) .

وقد مر رجل يسمى الفزر بن مهزم العبدي بجماعة من الازارقة فسألوه عن خبره وارادوا قتله فأقبل على قطري وقال اني مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فاجاب اليها فخلوا عنه وفي ذلك يقول :

فشدوا وثاقي ثم الجوا خصومتي … الى قطري ذي الجبين المفلق

وحاججتهم في دينهم فحججتهم … وما دينهم غير الهوى والتخلق (٢)

وقال ابن الجوزي في ذلك " قال القرشي وحدثنا ابو جعفر المدايني قال خرج قوم من الخوارج بالبصرة فلقوا شيخا ابيض الرأس واللحية فقالوا له من انت قال اعهد اليكم في اليهود بشيء اوبدا لكم في قتل اهل الذمة ؟ قالوا اذهب عنا الى النار " (٣)

ومن هنا يتبين لنا ان احمد امين كان محقا حين يصفهم بانهم محدودوا النظر ضيقوا الفكر في نظرهم الى مخالفيهم " (٤) .

ويجدر بنا في نهاية هذه المسألة ان نذكر ان النجدات خالفوا الخوارج في حفظهم لدماء اهل الذمة فساووا بينهم وبين مخالفيهم من المسلمين في اهدار دمائهم .

---

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٦ ، الاذكياء ص ١٢٢ . (٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦١

(٣) الاذكياء لابن الجوزي ص ١٢٨ . (٤) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٢

٥ — حكم الخوارج في اطفال مخالفيهم :

هذا هو موقف الخوارج من مخالفيهم بصفة عامة ، واتماما للبحث لا بد من بيان موقفهم من اطفال مخالفيهم لانه لا بد وان يكون في حكم العقل تمييز بين معاملة الصغير الذى لم يبلغ سن التكليف وبين الكبير المكلف ، ونحب ان نتبين موقف الخوارج هل كانوا جميعا على هذا المبدأ الذى قدمناه ام كان بعضهم من الجفاء بحيث لا يميز بين الصغير والكبير في الحكم والمعاملة فيهم .

وللاجابة عن ذلك نقول بصفة اجمالية ان الخوارج لم يتفقوا على حكم واحد في الاطفال سواء كان ذلك الحكم في الدنيا او في الاخرة فمنهم من عاملهم اشد المعاملة واقساها فاعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم باعتبار انهم مشركون من اهل النار كآبائهم والمشرك بالطبع غير معصوم الدم . ومنهم من اعتبرهم ابرياء يخطيء من يستبيح قتلهم او الحكم عليهم بدخول النار بل هم من أهل الجنة وقد جعلهم بعضهم خدما لأهل الجنة .

ومنهم من توقف فيهم ما داموا تحت سن التكليف الى ان يبلغوا ويختاروا لأنفسهم الدين الذى يرتضونه ومن هنا تحدد معاملتهم ، ومنهم من تولى اطفال المؤمنين وتوقف في اطفال المشركين فمن حكم عليهم بأنهم تابعون لآبائهم في شركهم عاملهم في الدنيا بحسب ذلك الحكم ومن تولاهم ورأى انهم ليسوا بكفار وان حكمهم ليس كحكم آبائهم عاملهم بالحسنى في الدنيا فحرم قتلهم وحرم القول فيهم بانهم من اهل النار ، ومن توقف فيهم عاملهم كذلك بالحسنى الى ان يبلغوا مبلغ التكليف وفيما يلى تفصيل هذا الاجمال :

(١) — اما القول باتباع اطفال المخالفين لآبائهم واعتبارهم مشركين كآبائهم تستباح دمائهم فهو قول الازارقة وقد عد العلماء هذا القول من بدع نافع بن الازرق الذى تولى كبره هو واتباعه يقول الاشعرى فيهم " ويرون قتل الاطفال "(١)

(١) المقالات جـ ١ ص ١٧٠

ويوضح قولهم ايضا البغدادى فيقول في بيانه لبدعهم " ومنها انهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل اطفالهم وزعموا ان الاطفال مشركون وقطعوا بأن اطفال مخالفيهم مخلدون في النار " (١) وهكذا عند الشهرستانى وابن حزم وابن الاثير ويقول ابن الجوزى " واباح هؤلاء ـ يعنى الازارقة ـ قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك " (٢)

ومن البديهي ان يكون اطفال المخالفين عند الازارقة تبعا لآبائهم في عذاب الاخرة كما كانوا تبعا لهم في شركهم واستباحة دمائهم في الدنيا . وقد استدل الازارقة في قولهم بتعذيب الاطفال في النار من القرآن الكريم بقوله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام قوله " انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " نوح : ٢٧

ومن السنة بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها قالت يا رسول الله اين اطفالى منك قال في الجنة قالت فاطفالى من غيرك قال في النار فاعاد تغليه فقال لها ان شئت اسمعتك تضاغيهم .

وبما روى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الوائدة والموءودة في النار " واستدلوا ايضا بدليل عقلى فقالوا لمن حكم بدخولهم الجنة ان كانوا عندكم في الجنة فهم مؤمنون لانه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فان كانوا مؤمنين فيلزمكم ان تدفنوا أطفال المشركين مع المسلمين وان لا تتركوه يلتزم اذا بلغ دين ابيه فتكون ردة وخروجا عن الاسلام والكفر وينبغى لكم ان ترثوه وتورثوه من اقاربه المسلمين " .

قال ابن حزم بعد ذكر استدلالاتهم تلك " هذا كلما احتجوا به

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ ، الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٦٧ ، الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٩

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٥

ما يعلم لهم حجة غير هذا اصلا" (١).

ومن قال بتعذيب الاطفال تبعا لآبائهم بعد الازارقة المجاردة فانهم كانوا يقولون ان " اطفال المشركين في النار مع آبائهم " (٢) وكذا ـ الحمزية والخلفية فانهم يعتبرون الاطفال كلهم اى من مخالفيهم من اهل القبلة او من المشركين هؤلاء عند هم كلهم في النار وتعتبر الشبيبية من هذا الفريق المتشدد حيث حكموا على اطفال المؤمنين " بانهم مؤمنون اطفالا وبالغين حتى يكفروا وان اطفال الكفار كفار اطفالا وبالغين حتى يؤمنوا " (٣)

٢) ـ واما قول الخوارج ببراءة اطفال مخالفيهم فهو قول النجدات اتباع نجدة بن عامر فانهم كانوا لا يرون قتل الاطفال بل يرونهم معذورون ـ بصغرهم عن تحمل التبعات التي تقع على ابائهم ويظهر من كتاب نجدة الذى كتبه الى نافع انه كان يرى ان قتل الاطفال ليس من صفات الرحماء الذين مدحهم الله في كتابه ، وان القائد ينبغي عليه التمسك بالعدل وانصاف المظلوم وقتل هؤلاء الاطفال ظلم واغواء من الشيطان .

فمما جاء فيه قوله يعاتبه " ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال جل ثناؤه " ولا تزر وازرة وزر اخرى " فأجابه نافع بقوله " واما امر الاطفال فان نبى الله نوحا كان أعرف بالله يا نجدة منى ومنك " وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " نوح : ٢٦/٢٧ فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل ان يولدوا فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا والله يقول " اكفاركم خير من آلئكم ام لكم براءة في الزبر " (٤) القمر : ٤٣

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ٧٣

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٢٨ (٣) المقالات جـ ١ ص ١٩٤

(٤) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٩٧/٣٩٨

ومثل النجدات في هذا الرأى ما يذهب اليه الصفرية فانهم لا يجوزون قتل اطفال مخالفيهم كما تفعل الازارقة يقول البغدادى " غير ان الصفرية لا يرون قتل الاطفال مخالفيهم ونسائهم والازارقة يرون ذلك " (١) وهذا الحكم عام عندهم حتى في اطفال المشركين فلم يروا قتلهم وبالتالي فانهم لا يجوزون القول بانهم في النار وفي ذلك يقول عنهم الشهرستاني " ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار " (٢)

ويصفهم الاشعرى بانهم " لا يوافقون الازارقة في عذاب الاطفال " (٣) بل يحرمونه ، وقد كان هذا الحكم ناتجا عن رأيهم في الدنيا وانهم معذورون بصغرهم الذى يوجب عدم مؤاخذتهم بما يؤاخذ به الكبار .

وقريب مما ذهب اليه النجدات والصفرية قول من يذهب الى الجزم بأن الاطفال كلهم على اى اعتقاد كان كلهم في الجنة وهذه الفرقة القائلة بهذا القول هي فرقة الميمونة اتباع ميمون الذى كان يقول " ان اطفال المشركين والكفار كلهم في الجنة واحتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه " (٤) ومن الغريب ان ميمونا كان يدين بقول القدرية ولكنه " زعم مع ذلك ان اطفال المشركين في الجنة " (٥) كما يذكر البغدادى والشهرستانى .

٣) ـ واما الذين توقفوا من الخوارج في امر اطفال مخالفيهم فهم فريق من الصلتية حيث لم يجدوا في الاطفال ما يوجب ولايتهم ولا عداوتهم الى ان يبلغوا وفى ذلك يقول الشهرستانى عنهم " ويحكى عن جماعة منهم (اى الصلتية) انهم قالوا ليس لاطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا الى الاسلام فيقروا او ينكروا " (٦) ولعل هذا الفريق

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٩١ (٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧

(٣) المقالات ج ١ ص ١٨٢ (٤) قطعة من كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

من الصليتة اوضح في التوقف في امر الاطفال من زعيمهم عثمان بن ابى الصلت الذى كان يقول " اذا استجاب لنا الرجل واسلم توليناه وبرئنا من اطفاله لانه ليس لهم اسلام حتى يدركوا فيدعوا الى الاسلام فيقبلونه " (١) .

فاذا لم يكن للاطفال من المسلمين ما يدعوالى ولايتهم فليس لهم من الكفر ما يدعو الى البراءة منهم كما ذهب اليه ابن ابى الصلت وهذا هو ما يدعوا اليه التوقف التام في شأنهم .

وهذا الموقف هو نفسه موقف فرقة الثعالبة فهم يقولون " ليس لاطفال الكافرين ولا لاطفال المؤمنين ولاية ولا عداوة ولا براءة حتى يبلغوا فيدعوا الى الاسلام فيقروا به اوينكروه " (٢) وظاهر هذا الكلام انهم توقفوا في الحكم فيهم ولكن الاشعرى بعدما ذكر ما سبق عنهم عاد فقال بعد قليل من كلامه السابق " ومن قول الثعالبة في الاطفال انهم يشتركون في عذاب آبائهم وانهم ركن من اركانهم يريدون بذلك انهم بعض من ابعاضهم " (٣) فكيف يتم هذا الحكم مع ما نقله عنهم من قولهم السابق بالتوقف في شأنهم قبل البلوغ ، الا ان يكون ذلك التوقف في الدنيا واما في الاخرة فانهم يوجبون لهم النار ، والا لكان تناقضا في النقل عنهم ولقد كان القول بولاية الاطفال اوعدمه قبل البلوغ هو السبب في انشقاق ثعلبة عن عبد الكريم بن عجرد زعيم العجاردة فقد كان عبد الكريم يرى القول بالبراءة من الاطفال قبل البلوغ بينما ثعلبة كان يقول " نحن على ولايتهم صغارا وكبارا الى ان يتبين لنا منهم انكار للحق " (٤) ولكن اغلبية العجاردة فيما يظهر مختلفون في حكم الاطفال فالذى عليه اكثرهم هو وجوب البراءة منهم قبل البلوغ ووجوب دعوتهم الى الاسلام حين بلوغهم بل يذكر البغدادى انهم مجمعون على هذا القول (٥) اما الاقلية منهم فقد توقفوا فيهم الى ان يبلغوا سن الرشد

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٧٩ الفرق بين الفرق ص ٩٧

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٨٠ (٣) المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٢

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٠١ (٥) الفرق بين الفرق ص ٩٤ ، الاديان والفرق ص ١٠٤

ويلفظوا بالاسلام وهذه الطائفة منهم ذكرها ابن حزم (١) .

٤) ـ وآخر اقوال الخوارج في هذا المقام هو ما يذهب اليه الاباضية فقد تولوا اطفال المسلمين وتوقفوا في اطفال المشركين فلم يحكموا لهم بنعيم او جحيم يقول قطب ائمتهم .

" منا من توقف في اطفال المشركين ، ومنا من يقول انهم في الجنة" (٢)

ويقول ابن جميع منهم " وولاية اطفال المسلمين ، واما اطفال المشركين والمنافقين فالوقوف فيهم " (٣) ويقول صاحب كتاب الاديان :

" قال ابو محمد ايده الله اختلفت اصحابنا في اطفال المشركين والمنافقين على قولين :

فقالت طائفة منهم حكمهم في الدنيا والاخرة حكم آبائهم قياسا على حكم اولاد المؤمنين " .. الى ان يقول عن هذه الطائفة " وقالوا لما كان اطفال المؤمنين يتنعمون مع آبائهم بالاتفاق ولم يعملوا عملا صالحا يجازون عليه جاز ان يعذب اطفال المشركين والمنافقين بما لم يعملوا ولله ان يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير وقالت الفرقة الاخرى اطفال المؤمنين ينعمون مع آبائهم " ثم وقفت هذه الفرقة في اطفال غير المؤمنين قالوا " لان الله سبحانه لم يتعبدنا بأن نعلم بأنهم في الجنة او في النار ، فلما كان القول فيهم ما يسع جهله ، وكانت الاخبار الواردة فيهم مختلفة احكامها في الظاهر رأينا الاعتصام بالسكوت عن حكمهم ورأينا الوقوف اسلم في امرهم ، ثم قال مؤلف هذا الكتاب " وعلى هذا المذهب الاخير ادركنا اشياخنا رحمهم الله " (٤) .

ويذكر الاشعرى والشهرستانى ان كثيرا من الاباضية قد توقفوا في ايلام ـ اطفال المشركين في الاخرة " فجوزوا ان يؤلمهم الله سبحانه في الاخرة على غير ـ

---

(١) الفصل ج ٤ ص ١٩١ (٢) انظر الاباضية بين الفرق ص ٤٨٤

(٣) مقدمة التوحيد ص ١١

(٤) الاديان والفرق ص ٢٢ـ٢٤ .

طريق الانتقام وجوزوا ان يدخلهم الجنة تفضلا " ولكن يختلف الشهرستاني معه في اسباب مجازاتهم بالنار فالاشعري يذكر انهم يقولون ان الله يؤلمهم ولكن ليس على سبيل الانتقام والشهرستاني يقول انه على سبيل الانتقام (١) وعلى كل حال فان كان على طريق الانتقام فما ذنبهم حتى ينتقم الله منهم وان كان على غير طريق الانتقام فما الداعي لتعذيبهم بدون استحقاق منهم لذلك الانتقام •

وهناك من الاباضية من يلحق اطفال المشركين باطفال المؤمنين فلا يتوقف فيهم بل يقول انهم من اهل الجنة وهو ما يقوله اطفيش في تعليقه على قول السالمي " ولا نرى قتل الصغير من أهل قبلتنا ولا غيرهم " قال ابو اسحاق تعليقا على ذلك " لان حكم الاطفال انهم من اهل الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم سألت الله في اللاهين فاعطانيهم خدما لأهل الجنة ، وهذا رد لقول الخوارج ان الاطفال تبع لآبائهم مستدلين على زعمهم بقوله تعالى في قوم نوح " ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " حملا للآية على قاعدتهم " (٢) .

وازاء اختلاف الخوارج في الحكم على اطفال مخالفيهم على هذا النحو نحب ان نعقب ببيان رأي علماء السلف في قضية اطفال المؤمنين الذين يعتبرهم الخوارج مخالفين لهم وكذلك اطفال المشركين اما اطفال المؤمنين فان بعض اهل العلم يذهب الى ان هؤلاء الاطفال ان كانوا كبارا وقد ماتوا على الايمان فان الله تعالى يدخلهم الجنة مع آبائهم وان نقصت اعمالهم عنهم لتقر أعين آبائهم بهم وان كانوا صغارا فانهم مع آبائهم في الجنة تفضلا من الله تعالى عليهم دون ان ينقص دخولهم من عمل آبائهم شيئا " (٣)

وقد جزم الامام احمد بانهم في الجنة باتفاق العلماء يقول شيخ الاسلام ابن القيم " واما اطفال المسلمين فقال الامام احمد لا يختلف فيهم احد يعني

---

(١) المقالات ج ١ ص ١٨٩ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥
(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٤٧٩
(٣) انظر التفسير القيم ص ٤٥١ ، فتح القدير ج ٥ ص ٩٨ جامع البيان ص ٢٥ ج ٢٧ الدر المنثور ج ٦ ص ١١٩ حادي الارواح ص ٢٧٩/ ٢٨١

انهم في الجنة " (١) وهناك من يخالف هذا الحكم على اطفال المؤمنين ويرى انهم تحت المشيئة كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله .

ويروى السيوطي عن عبد الله بن احمد عن علي " قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار" (٢) .

والحكم على اطفال المؤمنين بالجنة ينقض ما ذهب اليه نافع بن الازرق ومن على رأيه من الحكم عليهم بدخول النار ، وجدير بالذكر ان اطفال المؤمنين الذين نتحدث عنهم هنا هم الذين يعتبرهم ابن الازرق ومن على رأيه اطفال مشركين فمخالفوهم في نظرهم مشركون كما تقدم وأما اطفال المشركين الذين هم عند اهل الحق عبدة الاوثان ومن في حكمهم فان العلماء قد اختلفوا فيهم اختلافا كثيرا حاصله :

١ ـ التوقف في أمرهم فلا يحكم لهم بجنة ولا نار ويقولون فيهم " الله أعلم ما كانوا عاملين " .

٢ ـ انهم في النار .

٣ ـ انهم في الجنة .

٤ ـ انهم في منزلة بين المنزلتين اى بين الجنة والنار . وهذا قول ضعيف اذ أن الحياة الاخرة اما ان يكون صاحبها في الجنة او في النار وقد دعاهم الى هذا القول انهم رأوا ان هؤلاء الاطفال ليس لهم ايمان فيدخلون به الجنة وليس لآبائهم من الفوز ما يلحقهم بهم ، وليس لهم ايضا اعمال يستحقون بها النار .

٥ ـ انهم خدم اهل الجنة ومماليكهم .

٦ ـ انهم تحت مشيئة الله تعالى يحكم فيهم بما يريد فيجوز ان يعذبهم وان ـ

---

(١) طريق الهجرتين ص ٣٨٧

(٢) الدر المنثور جـ ٦ ص ١١٩

يرحمهم وان يرحم بعضهم ويعذب بعضهم ولكن هذا لا يقال الا بدليل ينص على احد الامور وهو رأى كثير من اهل البدع كالجبرية وغيرهم .

٧ ـ ان حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والاخرة اى تبعا لآبائهم " حتى ولو اسلم الابوان بعد موت اطفالهما لم يحكم لأفراطهما بالنار " .

٨ ـ انهم يمتحنون في عرصات القيامة بطاعة رسول يرسله الله اليهم فمن اطاعه منهم دخل الجنة ومن عصاه دخل النار فيكون بعضهم من اهل الجنة وبعضهم من اهل النار وقد استعرض ابن القيم ادلة القائلين بهذه الآراء وانتهى من نقدها الى نصرة هذا الرأى الاخير وقال " وبهذا يتألف شمل الادلة كلها وتتوافق الاحاديث ويكون معلوم الله الذى احال عليه النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول " الله اعلم بما كانوا عاملين " .

وقد بسط ابن القيم القول في حكم الاطفال واورد هذه الاراء وناقشها في كتابه طريق الهجرتين (١) وقد ايد ابن حزم القول بأن اطفال المشركين في الجنة واكثر من الاحتجاج عليه والرد على من يقول بغير ذلك ورد على الازارقة في كل ما احتجوا به لرأيهم وبين أن تلك الحجج كلها غير صحيحة . اما الآية فذكر ان نوحا لم يقل ذلك على جميع الكفار بل عن كفار قومه الذين اخبره الله عنهم بقوله تعالى " انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن " هود : ٣٦ وعندها ايقن بأن بقاءهم لا فائدة وراءه للايمان فدعى عليهم بخصوصهم لما علم بنهاية امرهم واجاب عن حديث خديجة بانه " ساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير " وعن حديث الوائدة بأن تلك الموءودة كانت قد بلغت الحنث بخلاف قول من اخبره ـ

(١) طريق الهجرتين ص ٣٨٧ ـ ٣٩٦

بأنها لم تبلغ الحنث فقال هذا انكارا لقولهما وتمام الحديث :

" عن سلمة بن يزيد الجعفي قال اتيت انا وأخي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال لا قلنا فان امنا وأدت اختا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموءودة والوائدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم " (١)

وقد قال كثير من المفسرين بما اورده ابن حزم من تخصيص نوح بالدعاء على كفار قومه فقط (٢) واما حديث خديجة فقد ذكر ابن القيم انه معلول من وجهين :

١ — احدهما ان محمد بن عثمان احد رواة الحديث مجهول .

٢ — ان زاذان الراوى للحديث عن علي لم يدركه .

واما حديث خديجة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان شئت اسمعتك تضاغيهم " فقد وصف بأنه حديث باطل موضوع " .

وقد قال عن حديث الوائدة " وكونها موءودة لا يمنع من دخولها النار بسبب آخر " وذكر ان احسن ما يقال فيه ان الموءودة " في النار ما لم يوجد سبب يمنع من دخولها النار " (٣) .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية فانه يرى التوقف في اطفال المشركين وقال بأن اصح الاوجه فيهم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عنه انه قال " ما من مولود الا يولد على الفطرة " الحديث قيل يا رسول الله ارأيت من يموت من اطفال المشركين وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين ، فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا نار ، ويروى انهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات

---

(١) انظر الفصل ج ٤ ص ٧٤

(٢) انظر الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٠ ، فتح القدير ج ٥ ص ٣٠١

(٣) طريق الهجرتين ص ٣٩٥

القيامة فمن اطاع الله حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار ودلت الاحاديث الصحيحة ان بعضهم في الجنة وبعضهم في النار "(١) بل لقد جزم الامام النووي بأن اطفال الكفار في الجنة اذا ماتوا قبل البلوغ (٢) واختار هذا الرأى دون القول بدخولهم النار او بالتوقف في شأنهم ٠ويذكر البعلي الحنبلي أن اصحاب احمد قد اختلفوا في الاطفال فبعضهم قال يعذبون تبعا لآبائهم وبعضهم قال يدخلون الجنة ويذكر ان " اكثر نصوص احمد الوقف لا يحكم بجنة ولا بنار " (٣) ٠

وغاية القول ان اطفال المشركين الحقيقيين سواء في نظر المسلمين او في نظر الازارقة ومن معهم ـ غاية القول في شأنهم ـ التوقف في الحكم عليهم فلا يصح حكم الخوارج عليهم بدخول النار " ٠

اما مسألة جواز قتل الاطفال ومن في حكمهم من العجزة كالنساء فقد اخطأت الازارقة فيه حين زعموا جواز ذلك سواء كانوا من المسلمين او من المشركين فقد وردت احاديث صحيحة تمنع من قتلهم الا ان يكون ذلك في بيات لا يتميز فيه الاطفال والنساء فلا بأس حينئذ من قتلهم اذا وقع دون عمد فيكونون كآبائهم في حكم قتلهم واهدار دمائهم ٠

ومن الادلة على هذا ما جاء في حديث ابن عمر رضى الله عنه قال وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازى فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان " (٤) ٠

وكذلك حديث الصعب بن جثامة " قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الذرارى من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم

---

(١) الفتاوى الكبرى ج ٢ ص ١٧٨ ٠ (٢) شرح النووى ج ١٢ ص ٥٠
(٣) مختصر الفتاوى ج ١ ص ٢٥٥
(٤) أخرجه البخارى ومسلم ج ٤ ص ٢١ مسلم ج ٥ ص ١٤٤ واللفظ لمسلم ٠

فقال هم منهم " (١)

قال النووى بعد ايراد حديث ابن عمر " اجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان اذا لم يقاتلوا فان قاتلوا قال جماهير العلماء يقتلون " (٢) .

وقال ابن حجر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم هم منهم " اى في الحكم في تلك الحالة وليس المراد اباحة قتلهم بطريق القصد اليهم بل المراد اذا لم يمكن الوصول الى الآباء الا بوطأ الذرية فاذا اصيبوا لاختلاطهم بهم جاز قتلهم " (٣)

---

(١) اخرجه البخارى ج ٤ ص ٢١ مسلم ج ٥ ص ١٤٤ واللفظ لمسلم

(٢) شرح النووى ج ١٢ ص ٤٨ .

(٣) فتح البارى ج ٦ ص ١٤٧ .

الفصل التاســـع

" الحكم على الخــوارج "

اختلف حكم العلماء على الخوارج على قولين :

احدهما : الحكم بتكفيرهم ، والثاني : حكم من يكتفون بتفسيقهم او تبديعهــم او باعتبارهم بغاة أو ضلالا ، اومن ينظر اليهم على أنهم فرقة من الفرق تخطىء وتصيب

أ ـ الحكم بتكفير الخوارج : وقد نظر الذين كفروا الخوارج او كفروا بعضهم الــى مااحدثوه من عقائد واحكام مخالفة لما هو معلوم من الدين بالضرورة فكفروهم ومن هوءلاء المكفرين من رد سلفهم القديم الى ذى الخويصرة ونظر الى ماورد فى حقهم مــن الاحاديث التى تصفهم بالمروق من الدين فكفرهم وقد وردت عن على ابن ابى طالــب وغيره من الصحابة جملة من هذه الاحاديث الصحيحة ومنها :ـ

١ ـ حديث على رضى الله عنه وفيه " وانى سمعت رسول الله " ص " يقــول سيخرج قوم فى آخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من قــول خير البرية لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة .

٢ ـ حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال " سمعت النبى "ص" يقــول يخرج فى هذه الامة ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقروءون ـ القرآن لايجاوز حلقوهم او حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميــة فينظر الرامى الى سهمه الى نصلــه الى رصافه فيتمارى فى الفوقه هل علــق بها من الدم شىء .

٣ ـ حديث عبد الله بن عمر وذكر الحرورية فقال قال النبى "ص" يمرقون مــن الاسلام مروق السهم من الرمية .

٤ ـ حديث ذو الخويصرة التميمى " عن ابى سعيد قال بينا النبى "ص" يقســم جاء عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يارسول الله فقال ويلــك

من يعدل اذا لم اعدل قال عمر بن الخطاب دعني اضرب عنقه قال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر فى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر فى نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل احدى يديه او قال ثدييه مثل ثدى المرأة او قال مثل البضعه تدرد ر يخرجون على حين فرقة من الناس قال ابو سعيد. اشهد سمعت من النبى "ص" واشهد ان عليا قتلهم وانا معه جيء بالرجل على النعت الذى نعته النبى "ص" قال فنزلت فيه ومنهم من يلمزك فى الصدقات .

٥ ـ حدثنا يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبى "ص" يقول فى الخوارج شيئا قال سمعته يقول واهوى بيده قبل العراق يخرج منه قوم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية .(١)

وقد اورد بن حجر عدة روايات عن الصحابة تصف الخوارج بانهم شرار الخلق والخليقة وانهم ابغض خلق الله وانه يقتلهم خير الخلق والخليقه وهى روايات كثيرة (٢) ثم اورد اسماء طائفة من العلماء الذين كفروهم كالبخارى حيث قرنهم بالملحدين وافرد عنهم المتأولين بترجمة وبذلك صرح القاضى ابوبكر بن العربى ـ فيما يذكر ابن حجر ـ

---

(١) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٥٢ ـ ٥٣ وقد اورد مسلم هذه الاحاديث وفيها اختلاف فى اللفظ وروايات اخرى انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٠٩ ـ ١١٦ .

(٢) انظر فتح البارى جـ ١٢ ص ٢٨٦ .

حيث صرح بكفرهم فى شرح الترمذى وقال ان هذا هو الصحيح مستندا الى قوله "ص" يمرقون من الاسلام وبقوله " ولأُقتلنهم قتل عاد وفى لفظ ثمود ولحكمهم على من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد فى النار فكانوا هم احق بالاسم منهم وبقوله " هم شر الخلق والخليقة ولا يوصف بذلك الا الكفار ولقوله انهم ابغض الخلق الى الله تعالى " (١)

ومثله الشيخ تقى الدين السبكى حيث يرى ان الصحيح هو القول بكفرهم وذلك بسبب قولهم " بتكفيرهم اعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبى " ص " فى شهادته لهم بالجنة (٢) ، وكذا القرطبى فقد قال فى المفهم " والقول بتكفيرهم اظهر فى الحديث (٣)

وقال ايضا " فعلى القول بتكفيرهم يقاتلون ويقتلون وتسبى اموالهم وهو قول طائفة من اهل الحديث فى اموال الخوارج وعلى القول بعدم تكفيرهم يسلك بهم مسلك اهل البغى اذا شقوا العصا ونصبوا الحرب " (٤) وهذا يدل على انه غير جازم بالحكم فيهم وان كان يرى ترك تكفيرهم أسلم لقوله " وباب التكفير باب خطر ولا نعدل بالسلامه شيئا " (٥) ونقل ابن حجر ايضا عن صاحب الشفا قوله " وكذا نقطع بكفر كل من قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير الصحابة " (٦)

(١ ، ٢) نقلا عن فتح البارى جـ ١٢ ص ٢٩٩ .

(٣) نقلا عن المصدر السابق ص ٣٠١ .

(٤) ، (٥) فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٠١ .

(٦) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

ثم قال " وحكاه صاحب الروضة فى كتاب الردة عنه واقره " (١)

ويروى ابن الجوزى كثيرا من مذاهبهم ثم اورد حديثاً بسند ينتهى الى عبد الله بن ابى اوفى قال " سمعت رسول الله " ص " يقول الخوارج كلاب اهل النار " (٢)

وقال الملطى " جاء رجل الى طاووس من اهل الجند فقال يا أبا عبد الرحمن على غزوة فى سبيل الله فقال عندك هوءلاء فاحمل على هوءلاء الخبثاء فان ذلك يوءدى عنك " (٣) وهذا يشير الى تكفيرهم .

ولقد ادعى الملطى اجماع الامة على تكفير الخوارج فقال مخاطبا لهم " وانتم باجماع الامة مارقون خارجون من دين الله لا اختلاف بين الامة فى ذلك " (٤)

وقد انكر عليه الطالبى دعوى الاجماع هذه بأنه من الصعب ان يثبت زعمه الاجماع على اكفار الخوارج " (٥) وممن كفرهم ايضا ابو المظفر شاهفور الاسفراييني فيما ذكره عنه الطالبى ايضا وذلك لانهم " كفروا الصحابة " " ويجزم (يعني الاسفراييني) بأن من كان اعتقاده كاعتقادهم فانه لا شبهة تعترض اهل الديانة فى خروجه عن الملة " (٦) وهذا هو رأى الزيدية جميعا فيما ينقله الطالبى عن الشيخ المفيد بقوله " ويصرح الشيخ المفيد بأن الزيدية قاطبة مجمعة على

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٦ " قال ابن تيمية بعد ان ذكر الحديث " قال الامام احمد صح الحديث فى الخوارج من عشرة اوجه مجموعة الرسائل جـ ٥ ص ١٩٧

(٣) التنبيه والرد ص ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٥) آراء الخوارج ص ٢١ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٣ .

ان الخارجين على الامام على بن ابى طالب كفار بسبب خروجهم عليه وانهم مخلدون فى النار" (١) وهو اعتقاد جميع الشيعة فى الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه وفى هذا يقول ابن ابى الحديد " واما الخوارج فانهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوى المجمع عليه ، ولايختلف اصحابنا فى انهم من اهل النار" (٢) ثم يصرح بأن الخوارج والمعتزله على اتفاق فى كل المسائل ماعدا خروجهم على على فهو الفارق فيما بينهم وهو الذى احبط اعمالهم عنده كما فى قوله " ولاريب ان الخوارج انما برئ اهل الدين والحق منهم ـ يعنى بأهل الدين والحق المعتزلة ـ لانهم فارقوا عليا وبرئوا منه وماعدا ذلك من عقائدهم نحو القول بتخليد الفاسق فى النار والقول بالخروج على امراء الجور وغير ذلك من اقاويلهم فان اصحابنا يقولون بها ويذهبون اليها فلم يبق مايقتضى البراءة منهم الابراءتهم من على " (٣)

وقد ارجع على يحيى معمر الاباضى كل ماجاء من احاديث المروق الى المرتدين الذين خرجوا على ابى بكر رضى الله عنه بقوله" فان احاديث المروق ـ اذا صحت ـ لايكون المقصود منها الأصحاب الثورة الاولى آلئك الذين خرجوا على خلافة ابى بكر منكرين للشريعة أو لأصل من أصولها " (٤)

فهو يشك فى صحة احاديث المروق وعلى فرض صحتها ـ حسب تعبيره فانه يقصرها على المرتدين ، والواقع انها احاديث صحيحه جاءت فى الصحيحين والقول بأنها واردة على المرتدين فى زمن ابى بكر رضى الله عنه لم ارى فيما تيسر له قراءته

---

(١) المصدر السابق ص٢٣ .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة جـ ١ ص٩ .

(٣) المصدر السابق جـ ٥ ص ١٣١ .

(٤) الاباضية فى موكب التاريخ ص ٢٩ جـ ١ .

ان احدا قد قال بهذا سواه •

ثم ان مافى الاحاديث من اوصاف الخوارج من كثرة قراءتهم للقرآن وتعمقهم فى العبادة لاينطبق على هؤلاء المرتدين •

وقد ذكر الشاطبى عدة آيات فى ذم البدع وسوء منقلب اصحابها " وذكر عن بعض السلف انه اولها على الخوارج (١) ويذكر انه حينما وقف ابوامامة على سبعين رأسا من الخوارج قتلوا فنصبت رؤسهم انه وصفهم بأنهم كلاب جهنم فيما يرونه عنه ابو غالب واسمه حزور قال " كنت بالشام فبعث المهلب سبعين رأسا من الخوارج فنصبوا على درج دمشق فكنت على ظهر بيت لى فمر ابو امامة فنزلت فاتبعته فلما وقف عليهم دمعت عيناه وقال " سبحان الله مايصنع السلطان ببنى آدم ـ قالها ثلاثا ـ كلاب جهنم كلاب جهنم شرقتلى تحت ظل السماء ـ ثلاث مرات خير قتلى من قتلوه طوبى لمن قتلهم او قتلوه ثم التفت الى فقال ابا غالب انك بأرض هم بها كثير فاعاذك الله منهم قلت رأيتك بكيت حين رأيتهم قال بكيت رحمة حين رأيتهم كانوا من اهل الاسلام " (٢)

وفيما ينسب الى الامام على انه فسر قوله تعالى " قل هل ننبئكم بالاخرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا " بانهم الحرورية " (٣)

---

(١) الاعتصام جـ ١ ص ٥٣ ـ ٦٨ •
(٢) المصدر السابق ص ٥٤ •
(٣) المصدر السابق ص ٦٥ •

ويصفهم الشهرستاني بقوله " فهم المارقة الذين قال فيهم (يعني الرسول "ص") سيخرج من ضئضئي هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " (١)

وممن كفرهم ايضا الدبيسي في رسالته وذلك بسبب تكفيرهم بعض الصحابة وبما اعتقدوا من اعتقادات ثم قال " وفي شرح العقائد من قذف عائشة رضي الله عنها فهو كافر ومن انكر شفاعة الشافعين يوم القيامة فهو كافر ، وفي محيط البرهان من انكر الجنة او النار او القيامة او الصراط او الميزان او الصحائف المكتوبة فهو كافر وكذا من قال بخلق القرآن فهو كافر " (٢)

واحب هنا ان اقول بأن من تشكك من العلماء في كفر الخوارج عموما فانه لايشك في كفر بعض الفرق منهم .

فالبدعية من الخوارج قصررا الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء .

والميمونية اجازت نكاح بعض المحارم التي علم تحريمها من الدين بالضرورة . ثم زادت فانكرت سورة يوسف انها من القرآن .

وفي هؤلاء يقول ابن حزم " وقد تسمى باسم الاسلام من اجمع جميع فرق الاسلام على انه ليس مسلما مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا ان الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الاخوة وبنات بني الاخوات ، وقالوا ان سورة يوسف ليست من القرآن ،

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٥ .

(٢) فرق الشيعة والخوارج وتكفير غلاتهم ص ٢ وانظر ص ١٣ ، ص ٢٦ .

وآخرون منهم قالوا يحد الزانى والسارق ثم يستتابون من الكفر فان تابوا والا قتلوا (١)
ولا شك ان هذا كفر صريح لايحتمل اى تأويل ولايقل عنهم فى الكفر فرقة اليزيديـــة
فان امامهم يزيد بن انيسه " زعم ان الله سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابــا
من السماء يكتب فى السماء ، وينزل عليه جملة واحدة فترك شريعة محمد ودان بشريعة
غيرها وزعم ان ملة ذلك النبى الصائبة وليس هذه الصائبه التى عليها الناس اليـــوم
وليس هم الصائبين الذين ذكرهم الله فى القرآن ولم يأتوا بعد (٢) "

ويذكر البغدادى ان يزيد " كان ــ مع هذه الضلالة ــ يتولى من شهــد
لمحمد "ص" بالنبوة من اهل الكتاب وان لم يدخل فى دينه وسماهم بذلك مؤمنيـــن
وعلى هذا القول يجب ان يكون العيسويه والموشكانيه من اليهود مؤمنين لانهـــم
اقروا بنبوة محمد عليه السلام ولم يدخلوا فى دينة " (٣) وهذا تناقض ظاهر من يزيـد
اذ كيف يشهد بالايمان ويتولى من شهد لمحمد "ص" بالنبوة من اهل الكتاب وهو لـم
يدخل فى الاسلام بل بقى على دينه ، ولهذا صدق عليه قول البغدادى " وليـــس
بجائز ان يعد فى فرق الاسلام من يعد اليهود من المسلمين ، وكيف يعد مـــن
فرق الاسلام من يقول بنسخ شريعة الاسلام " (٤)

ومما يجدر ذكره ان هذه الفرقه قد عدها الاشعرى والبغدادى والشهرستانى
وابن حزم من فرق الاباضية وان الاباضية منهم من وقف فى يزيد ومنهم من يرى منـــه
وجلهم تبرأ منه " هكذا يقول الاشعرى ويقول البغدادى " وكان على رأى الاباضيـة

---

(١) الفصل جـ ٢ ص ١٩٤ وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ ، ٢٨١ رسالة الدبسى ص ٢٩
(٢) مقالات الاشعرى جـ ١ ص ١٨٤ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٦ وانظر الفصـــل
جـ ٤ ص ١٨٩ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ .
(٤) المرجع السابق .

من الخوارج ثم انه خرج عن قول جميع الامة " ويقول ابن حزم " قال ابو محمد الا ان جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويبرأون منه ويستحلون دمه وماله " ومن هنا رأينا على يحيى معمر يرد على ابن حزم بسبب نسبته هذه الفرقة الى الاباضية ويشنع عليه بأنه كيف ساغ له نسبتها الى الاباضية مع انها تعتقد اقوالا تخرجها الى الكفر ثم كيف ساغ له ان يجعلها من الاباضية وهو نفسه يقول ان الاباضية تكفرها وتستحل منها الدم والمال (١)

والحقيقة ان ابن حزم انما ذكرها قبله كتاب المقالات مع انه لا مانع فى الواقع من ان تنبت هذه الفرقة فى احضان الاباضية ثم تنحرف فى عقائدها وتخرج عن آرائها وقد كفر البغدادى فرقة الازارقة حيث يجعلها مع الفرق الخارجة عن الاسلام كاليزيدية والميمونية فبعد ان ذكر احد اثهم قال " واكفرتهم الامة فى هذه البدع التى احدثوها بعد كفرهم الذى شاركوا فيه المحكمة الاولى فباوءا بكفر على كفر كمن باء بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين " (٢)

ومن اشهر بدعهم انكارهم حد الرجم على المحصنين " اذ ليس فى القرآن ذكره " (٣) بينما هو ثابت بالسنة من اقوال رسول الله "ص" وافعاله وعليه مضى الصحابه .

وقد قال عمر رضى الله عنه " ان الله بعث محمدا "ص" بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها فلذا رجم رسول الله "ص"

---

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٦ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٤ .

(٣) انظر مقالات الاسلاميين جـ١ ص ١٧٣ الملل والنحل جـ١ ص ١٢١ . الفصل جـ ٤ ص ١٨٩

ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله " (١)

فتكون هذه الاية التى ذكرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه مما نسخت تلاوته وبقى حكمه .

هذه هى اقوال العلماء الذين كفروا الخوارج او كفروا بعض فرقهم وتلك هى مبررات تكفيرهم لهم وترجع هذه المبررات الى ما اتصف به الخوارج من مروق عن الدين كما وصفتهم به الاحاديث النبوية ولما ورد من قول الرسول " ص " ولاقتلنهم قتل عاد وفى لفظ ثمود ولحكمهم على مخالفيهم بالكفر والتخليد فى النار .

وكذا تكفيرهم اعلام الصحابة رضوان الله عليهم ومحاربتهم عليا رضى الله عنه وكذلك نكرانهم لكثير مما ورد من اخبار الاخرة ثم لما تميز به بعضهم من آراء تخرجهم عن الاسلام صراحة كالبدعية ، والميونية والزيدية .

والواقع ان الحكم عليهم بالكفر لم يكن من قبل علماء السلف ومؤرخى الفرق فقط وانما حكم به بعضهم على بعض ايضا ولا سيما ماحكمت به فرقة الاباضية على غيرها من الفرق كما سنرى ، فلقد كانت لهذه الفرقة مواقف عدائية من كثير من فرق الخوارج غير المحكمة فانها تتولاها وترضى عنها وتعتبرها سلفهم الصالح اما ماعداها كالازارقة والنجدات والصفرية وغيرهم فانها هى الفرق الخارجية حقيقة فى نظرهم ولهذا فقد كفروهم ودارت بينهم وبين هذه الفرق المعارك الدامية فى بعض مراحلهم التاريخيه .

فالازارقة وهى من اقدم الفرق المشهورة للخوارج كانت عند الاباضية من

---

(١) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٢٦ .

اهل الضلال والتقول على الله بالكذب ومن المستحلين لكل ماحرم الله من دماء المسلمين واموالهم واعراضهم كما يصفونهم وانهم اول من خالف اعتقاد اهل الاستقامة (اى الاباضية) وانهم اول من شق عصا المسلمين وفرق جماعتهم يقول عنهم صاحب كتاب الاديان بعد ماتقدم من اوصافهم " ومما اضلهم الله به واعمى ابصارهم انهم انزلوا اهل القبلة بمنزلة حرب رسول الله " ص " بمنزلة اهل الشرك واهل الاوثان " الى ان يقول " فترك نافع ابن الازرق واتباعه كتاب الله وسنة نبيه وخالفوا سيرة المسلمين قبلهم " (١) ولا يقل عنه فى تكفير الازارقه الورجلانى فقد جمل الاحاديث الواردة فى المارقة على الازارقة وانهم هم المارقة حقيقة " (٢)

اما موقفهم من النجدات : فان هذه الفرقة لم تكن عندهم احسن حالا من سابقتها فقد تناولها صاحب كتاب الاديان المتقدم بالنقد وذكر احداثها التى احدثتها فى الدين ، وان نجدة ذاته " قد انتحل امورا لم يأذن الله بها ولم يرها المسلمون قد ابتدع امورا شرعها له الشيطان وزينها له " ولم يزل عدو الله نجده يبتدع القول حتى نقم عليه اصحابه فقتلوه ثم تفرقوا فيما بينهم " ويقول فيهم وفى الازارقه جميعا " والكل منهم والحمد لله ضال مضل جائر حائد عن السبيل " (٣) ومثلهم الصفرية عند صاحب وفاء الضمانة فانهم عنده هم المقصودون باحاديث المروق ولا تصدق الا عليهم مع انه يذكر ان الاباضية والصفرية كانوا يدا واحدة فى النهروان حتى احدثوا استحلال دماء واموال اهل المعاصى فتركوهم وذلك فى قوله " وكان الصفرية مع اهل الحق منا فى النهروان ، ولما ظهر منهم استحلال دماء

---

(١) انظر كتاب الاديان والفرق ص ٩٧ / ٩٩ / ١٠١

(٢) انظر الدليل لاهل العقول ص ٣٠ •

(٣) كتاب الاديان ص ١٠١ ـ ١٠٢ •

اهل التوحيد واموالهم بالكبائر او بالمعاص هاجروهم وفارقوهم " (١)

واحاديث المروق التى اوردها المؤلف مشهورة لاحاجة الى اعادتها هنا الا انه لابأس أن نذكر حديثا استشهد به المؤلف كتبرير لحربهم الصفرية وهو قوله

" قال "ص" تكون امتى فرقتين فتخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم اولاهما بالحق " ثم قال " ومازال اصحابنا من اهل عمان يقاتلون الصفرية " (٢)

ومثل تلك الفرق فى الضلال عند الاباضية فرقة الاعسمية اتباع زياد بن الاعسم فيذكر صاحب كتاب الاديان انه خرج ناقما على الازراقه والنجديه والمطوية ويلعنهم ثم تابعهم فى امور اهلكه الله بها .

" منها انه اعتبر حرب اهل القبلة كحرب رسول الله مع اهل الاوثان وانه يرى قتل قومه سرا وعلانيه وانه تابع الازارقه والنجديه والمطوية على اعظم مااستحلوا من الجور فتابعة على ذلك من تابعة حتى هلك ولم يزل الشيطان يزين لهم حتى صيرهم شيعا مفترقين يقتل بعضهم بعضا ويستحل بعضهم حرمة بعض وشهد بعضهم على بعض بالشك " ونحو هذا قال ايضا فى فرقة المطوية اتباع عطية بن الاسود المنشقة عن النجدات " (٣)

هذا آخر ماتيسر لى ذكره فى الرأى الاول وهو القول بتكفيرهم ، والان سنعرض اقوال الذين قالوا بعدم تكفيرهم .

---

(١) وفاء الضمانة ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

(٣) كتاب الاديان ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

ب : الحكم بعدم تكفير الخوارج

يرى اصحاب هذا الرأى ان الاجتراء على اخراج احد من الاسلام امر غير هين نظرا لما ورد من نصوص تحذر من مثل هذا الحكم اشد التحذير : الا لمن عرف منه الكفر بقول او فعل فلا مانع حينئذ من تكفيره اذا لم يكن له تأويل فيما ذهب اليه ، ولهذا احجم كثير من العلماء عن اطلاق هذا الحكم يقول القاضى عياض .

" كادت هذه المسألة (اى مسألة تكفير الخوارج) تكون اشد اشكالا عند المتكلمين من غيرها حتى سأل الفقيه عبد الحق الامام ابا المعالى عنها فاعتذر بأن ادخال كافر فى الملة واخراج مسلم عنها عظيم فى الدين قال . وقد توقف قبله القاضى ابو بكر الباقلانى : وقال ولم يصرح القوم بالكفر وانما قالوا اقوالا تؤدى الى الكفر " (1) ويقول القرطبى " وباب التفكير باب خطر ولا نعدل بالسلامة شيئا " (2)

واهل هذا الرأى وان كانوا قد تورعوا عن تكفيرهم على العموم الا انهم مختلفون فى حقيقة امرهم فمنهم من يرى انهم وان كانوا غير خارجين عن الاسلام لكنهم فسقه لانهم قد شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم طبقوا بالفعل اركان الاسلام وهذا يمنع من تكفيرهم او الحاقهم بمن لا يقر بذلك وتفسيقهم انما كان لما عرف عنهم من تكفيرهم المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم وهذا الرأى هو لاكثر اهل الاصول من اهل السنة فيما يرويه ابن حجر بقوله :ـ " وذهب

---

(1) فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٠٠ .

(2) نقلا عن المصدر السابق ص ٣٠١ .

اكثر أهل الاصول من اهل السنة الى ان الخوارج فساق وان حكم الاسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على اركان الاسلام وانما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين الى تأويل فاسد وجرهم ذلك الى استباحة دماء مخالفيهم واموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك " (١). وذهب البعض الاخر من القائلين بعدم تكفيرهم الى ان الخوارج فرقه كبقية فرق المسلمين وانهم وان كانوا على ضلال فان ذلك لايخرجهم عن جملة فرق المسلمين التى وجد لها حسنات واخطاء وهذا مايقوله الخطابى فيما يذكره عنه ابن حجر جازما بأن هذا الحكم (اى عدم اخراجهم عن الاسلام) امر مجمع عليه لدى علماء المسلمين وذلك فى قوله " اجمع علماء المسلمين على ان الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين واجازوا مناكحتهم واكل ذبائحهم وانهم لايكفرون ماداموا متمسكين بأصل الاسلام " (٢)

ومثل الخطابى ابن بطال فقد قال أيضا " ذهب جمهور العلماء الى ان الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين " (٣) ثم استشهد بماروى عن على حين سئل عن اهل النهر هل كفروا ؟ فقال من الكفر فروا " ولكن ابن حجر يشك فيما يظهر فى صحة هذا القول عن على ويرى انه على فرض صحته فانه يحمل على انه لم يكن قد اطلع على معتقداتهم التى اوجبت تكفيرهم عند من يراه " (٤)

ويؤيد ماذهب اليه ابن ابطال ما اخرجه الطبرى " بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بنى نضر عن على وذكر الخوارج فقال " ان خالفوا اما ماعدلا فقاتلوهم وان خالفوا اماما جائرا فلاتقاتلوهم فان لهم مقالا " (٥)

---

(١) ، (٢) فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٠٠ .

(٣) (٤) (٥) نقلا عن المصدر السابق ص ٣٠١ .

ويروى ابن ابى الحديد عن على رضى الله عنه روايات تفيد انه كان لايرى كفر الخوارج ولا استباحة دمائهم ومنها قوله " لاتقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه " ثم قال ابن ابى الحديد فى تفسيره " قال الرضى رحمه الله يعنى معاوية واصحابه " ويقول ابن ابى الحديد ايضا عن الخوارج " ولهم فى الجملة تمسك بالدين ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها وان أخطأوا فيها ... ولاريب فى تلزم الخوارج بالدين " (١)

ونلاحظ على ابن ابى الحديد هنا انه عندما يحكم عليهم حين خروجهم على الامام على يرى بانهم من اهل النار .

ومن الذين تورعوا عن تكفيرهم ورأى ان حكمهم هو حكم غيرهم من الفرق الاسلامية الشاطبى فهو يرى ان الخوارج غير كافرين مستندا فى حكمه هذا الى ماورد من روايات عن السلف وخصوصا ماكان من موقف على ابن ابى طالب رضى الله عنه وكذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله حيث عاملوهم معاملة اهل الاسلام يقول الشاطبى فى هذا :ـ

وقد اختلفت الامة فى تكفير هؤلاء الفرق اصحاب البدع العظمى ، ولكن الذى يقوى فى النظر وبحسب الاثر عدم القطع بتكفيرهم والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم " ثم استشهد بما جرى لهم مع على وعمر بن عبد العزيز قال " فانه لما اجتمعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهيجهم على ولا قاتلهم ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام من بدل دينه فاقتلوه ... وعمربن عبد العزيز

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٧٨ ، ٧٩ .

ايضا لما خرج فى زمانه الحرورية بالموصل امر بالكف عنهم على ما امر به على رضى الله عنه ولم يعاملهم معاملة المرتدين " (١)

ولعل الشاطبى رحمه الله يشير بما ذكره من ان عليا لم يهيجهم ولم يقاتلهم أنه لم يتسرع الى قتلهم أول الامر بل قال بأنه سوف يعاملهم معاملة حسنة فلا يمنعهم المساجد ولا يحرمهم الفيء ما دامت ايديهم معه وما داموا لم يرتكبوا محرما ولكنهم حين خرجوا وقتلوا ابن خباب وغيره حاربهم فى معركة النهروان الشهيرة حتى افناهم . ومن الذين اعتبروا الخوارج فرقة اسلامية كغيرها من الفرق الاخرى الشافعى فيما ينقله عنه الطالبى بقوله " واما الامام الشافعى فانه لم يفرق بين مذهب الخوارج وبين غيره من مذاهب الفرق الاخرى فى عدم التكفير بها " (٢)

والقول بعدم تكفيرهم هو رأى شيخ الاسلام ابن تيمية فقد اورد حول الحكم على الخوارج نقاشا طويلا خلص منه الى انهم ليسوا كفارا ولا مرتدين وانما هم فئة باغية واورد حججا على صحة مايراه فى هذا الحكم بما جرى لهم مع على وابن عباس وغيرهما من الصحابة الذين لم يحكموا بردتهم بل عاملوهم معاملة المسلمين خصوصا حين انتهت تلك الحروب التى اشتعلت بينه وبينهم فى النهروان فهو كما يقول " لم يسب لهم ذرية ولا غنم لهم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة فى المرتدين كمسيلمة الكذاب وامثاله بل كانت سيرة على والصحابة فى الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة فى اهل الردة ولم ينكر احد على على ذلك ، فعلم اتفاق الصحابة على انهم لم يكونوا مرتدين عن دين الاسلام " (٣)

---

(١) الاعتصام ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢) نقلا عن آراء الخوارج ص ٢١ .

(٣) منهاج السنة ج ٣ ص ٦٠ _ ٦٢ .

ويذكر ان عليا لم يحاربهم لانهم كفار وانما حاربهم لدفع ظلمهم وبغيهم (١) الى ما اورده رحمه الله .

ولكن ابن تيمية وان لم يقل بكفرهم لكنه يعتبرهم من شرار الخلق وممن يجب قتالهم وهذا رأى كثير من علماء المسلمين وان كان هناك من لا يرى وجوب قتالهم فقد كان الحسن البصرى ينهى عن مقاتله الخوارج ـ فيما يبدو ـ فقد اتاه رجل فقال له "يا ابا سعيد ان هؤلاء استنفرونى لاقاتل الخوارج فماترى ؟ فقال " ان هؤلاء اخرجتهم ذنوب هؤلاء ، وان هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم فلا تكن القتيل منهم فان القوم اهل خصومة يوم القيامة " (٢)

وقال خريم معظما قتال الخوارج وناهيا عن حربهم فيما ينقله الملطى عنه :

ولست بقاتل رجلا يصلى على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى ذنبى معاذ الله من سفه وطيش
اأقتل مسلما فى غير ذنب فلست بنافعى ماعشت عيشى (٣)

وقال مروان بن الحكم لايمن بن خريم الاتخرج تقاتل ؟ فقال ان ابى وعمى شهدا بدرا مع رسول الله " ص " وانهما عهدا الى ان لا اقاتل احدا يقول لا اله الا الله فان جئتنى ببراءة من النار ، قال اخرج فلا حاجة لنا فيك " (٤)

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٣ ص ٢٨٢ ، ص ٣٥٢ ، ص ٣٥٧ .
(٢) ، (٣) ، (٤) انظر التنبيه والرد ص ١٧٠ ، ١٧١ .

ج : تعقيب

والواقع ان الحكم بتكفير الخوارج على الاطلاق فيه غلو وان الحكم بالتسوية بينهم وبين غيرهم من فرق المسلمين فيه تساهل ، يغالى من يكفرهم جميعا لانهم لم يعلنوا الكفر بل هم كما هو المعروف عنهم اهل عبادة وتهجد وصوم . ثم انهم لم يعاملوا من الامام على والصحابة معاملة الكفار او المرتدين وما انحرفوا فيه عن الحق من آراء ومواقف واحكام انما كان بناء عن تأويل تأولوا عليه الآيات والاحاديث ، ومع انه تأويل فاسد الا انهم لم يتعمدوا به الكفر ولم يسعوا به الى هدم الاسلام بل طلبوا الحق كما قال الامام على فاخطوه اللهم الا من انكر منهم ماهو معلوم من الدين بالضرورة ومع ذلك فانه يقصر او يتساهل فى الحكم عليهم من يرى انهم كغيرهم من فرق المسلمين الاخرى لانهم سفاكون للدماء يستعرضون الناس استعراضا دون تمييز بخلاف الفرق الاخرى التى لم يستحل اصحابها من دماء المسلمين واموالهم ما استحله الخوارج . وقد مر بنا ماقاله العلماء فى حكمهم عليهم ـ وهو كما رأينا لم يكن حكما قاطعا من جانب واحد بل انهم اختلفوا فيه اختلافا بينا متعارضا وماذاك الا لخطورة امر التكفير من جهة وغموض امرهم من جهة اخرى حيث جمعوا بين المتناقضات فى سلوكهم مع الله ومع خلقه ، وفى رأيى ان لايعمم الحكم على جميع الخوارج بل يقال فى حق كل فرقة بما تستحقه من الحكم ، حسب قربها او بعدها عن الدين وحسب مايظهر من اعتقاداتها وآرائها . اما الحكم عليهم جميعا بحكم واحد مدحا او ذما فانه يكون حكما غير دقيق لان الخوارج كما مر بنا لم يكونوا على رأى واحد فى الاعتقاد بل منهم المعتدل ومنهم المغالى يقول ابن حزم " واقرب فرق الخوارج الى اهل السنة اصحاب عبد الله بن يزيد الاباضى الفزارى الكوفى وابعدهم الازارقة " (١) او يقال ان من انطبقت عليه تلك الصفات التى وردت

---

(١) الفصل ج ٢ ص ١١٢ .

في الاحاديث بذمهم كان حكمه انه مارق عن الدين وفي حكم الكفار واما من لم تنطبق عليه تلك الصفات وذلك باحتمال ان يكون الشخص دخل في مذهبهم بقصد حسن من اعلاء كلمة " الله في الارض او من ايقاف حكام الجور عند حدهم او يكون الشخص مخدوعا بهم او له اى تأويل كان فان هذا لاينبغي التسرع في تكفيره خصوصا وهو يدعي الالتزام بجميع شرائع الاسلام .

اما تكفيرهم بسبب خروجهم عن طاعة الحكام سواء كان ذلك الخروج بحق او بغير حق فهذا لايخلو منه زمان او مكان ، فان كان الخروج بحق كأن يغير الحاكم الحكم بما انزل الله ويستبدل به قانونا من وضع البشر ، او كان من محض هواه فهذا لايقال في حق الخارج عليه اى لوم ، واما ان كان الخروج بغير حق بل كان لمجرد اغراض وارتكب في ذلك الخروج مايوجب تكفير صاحبه فهذا هو الذى يقال فيه انه عاص وخارج بغير حق ويجب على الامة حينئذ ارجاعه الى الحق والوقوف في وجهه .

الخاتمـــــــة

وقد انتهيت من دراستى للخوارج الى أهم النتائج الاتية :ــ

فى الباب الأول :ــ

١ ــ تبين لى من دراسة جميع الآراء التى قيلت فى التعريف بالخوارج وتحديد نشأتهم أنهم باعتبارهم فرقة متميزة لها آراء خاصة معروفة هم الذين خرجوا على الامــــام علي على فى وقعة صفين بعد قضية التحكيم وامتد تاريخهم بعد ذلك من خلال فرقهم العديدة وحركاتهم الثورية على الدولة الاسـلامية .

٢ ــ تبين لى من دراسة كيفية خروج الخوارج على الامام على نتيجة لقبول التحكيـــم انه كان مكرها فى قبوله خلافا لمن ذهب الى أنه كان برضاه ونتيجة لاتصالات شخصية بينه وبين معاوية . وأنه كان مكرها كذلك فى انابة أبى موسى الاشعرى عنه وان لم يعتبر ذلك طعنا منه فى دينه . وتبين لى تبرأة الصحابة من الخـــداع فى تلك القضية وتبرأة الامام على فيما اتهم به من العصبية القبلية والاعتـــداء على الخوارج فى موقعة النهر وان بدون مبررات تدعو الى ذلك .

٣ ــ ظهر لى خطأ من زعم أن الخوارج كاد أن يقضى عليهم نهائيا فى موقعـــــة النهروان حتى انقطعت الصلة بينهم وبين الفرق الخارجية التى ظهــرت فـــى العصر الاموى والعباسى ، وبينت أنه بقى من الخوارج بعد موقعة النهـــروان وفى بقية المناطق الاسلامية الأخرى كثرة عددية جعلت تاريخهم متصلا خلافـــا لمن شك فى تلك الحقائق .

٤ ــ انتهيت الى أن ظاهــرة الخروج لم ترجع الى سـبب واحد بل عملت عليهـــا أسباب قريبة مباشرة وأخرى بعيدة وانه كان لكل منها أثره فى تلك الظاهرة قــوى هذا الاثــر أم ضعفه

٥ ـ ظهر لى من دراسة حركات الخوارج أنهم لم يكونوا منظمين فى خروجهم ولم تحكمهم قيادة حكيمة بقدر ما حكمهم التهور والاندفاع.

وان موقف الدولة منهم على العموم كان يتسم بالعنف وكان ينقصه المعاملة بالحكمة والحسنى حتى للمعتدلين من الخوارج كأبى بلال وغيره، ولو تغيرت المعاملة لكان ذلك عاملا فى صلاحهم وحافظا لقوة الدولة التى انهكتها معاركها معهم.

٦ ـ من تاريخنا للفرق الكثيرة التى تشعبت اليها الخوارج يتضح لنا أن كثرة هذه الفرق ترجع الى سرعة اختلافهم على بعضهم لاتفه الاسباب وكذلك الى ما نأخذه على علماء الفرق من ولعهم بتكثير ما يذكرونه من فرق الخوارج ونسبتها الى زعمائها حتى ولو لم تستحق تسميتها كذلك لقلتها

٧ ـ انتهينا من بحث خصائصهم الى أنهم كانوا أهل شجاعه وسرعة اندفاع بالاضافة الى ما تميزوا به من كثرة العبادة والزهد والفصاحة وصدق فى الحديث وصبر على الجدل والمنازعة.

فى الباب الثانى :-

١ ـ رجحت أن الخوارج يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين وانهم لم يكونوا سواء فى تمسكهم بظاهر النص أو فى أخذهم بمبدأ التأويل ولم يلتزموا بأحد هذين المنهجين بل أخذوا بكل منهما حسب ما يقتضيه تحقيق أهدافهم.

٢ ـ انتهيت من دراسة آراء الخوارج ـ(ولا سيما الاباضية منهم) فى بعض مسائل الالهيات والسمعيات الى أنهم ينكرون زيادة الصفات على الذات الالهية ويؤولون الصفات الخبرية وينكرون الرؤية ويختلفون فى القول بالقدر وأنهم ينكرون وجود الجنة والنار الآن وكذلك ينكرون عذاب القبر والشفاعة وينكرون الحقائق الشرعية للصراط والميزان ويؤولونها.

٣ ـ الخوارج يعتبرون أن العمل جزء من حقيقة الايمان فلا يتم الا به وأن الاسلام والايمان عندهم بمعنى واحد وأن الايمان لا يزيد ولا ينقص الا عند الاباضية منهم وأنهم وان اتفقوا مع السلف فى اعتبار العمل جزءا من الايمان الا أنهم اختلفوا فى النتائج المترتبة على ذلك فيما يتعلق بحكم مرتكب الكبيرة .

٤ ـ بينت خطأ ما يشاع عن الخوارج أنهم جميعا يكفرون مرتكبى المعاصى كفر ملة بل هناك من يفرق بين الصغيرة والكبيرة وان الاباضية يكتفون بتكفير العصاه كفر نعمة وأن اتحدوا مع غيرهم فى القول بخلود العصاة فى النار وبينت مدى اختلافهم فى كل ذلك عن موقف السلف فى هذه القضية .

٥ ـ بينت أن الخوارج يقولون بضرورة الامامة العظمى خلافا لما قيل غير ذلك وأن ما نسب اليهم من القول بعدم ضرورتها ربما كان رأيهم فى بادئ الامر أو لبعض الغلاة من النجدات بدليل أنهم لم يعملوا به بل على العكس من ذلك كان لهم ولاتهم منذ تجمعهم قبل موقعة النهوان وتبين لى أن شروطهم فى الامامة شروط صحيحة وان خالفوا ما ورد من الاحاديث فى شرط القرشية دون أن يعتبروا هذا الشرط ولو مرجحا وأنهم اختلفوا فى امامة المفضول ولم يجز امامة المرأة الا الشبيبية .

٦ ـ بينت مدى الخلاف بين الخوارج وأهل السنة فى غلوهم فى الخروج على الامام لأدنى سبب .

٧ ـ مخالفة الخوارج لأهل السنة فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر انما هى فى قيامهم بذلك على أى حال ولأى سبب دون تقرير للمواقب المرتبة على ذلك التغيير حتى فعلوا من المنكرات باسم تلك القاعدة أكثر مما أرادوا من الاصلاح .

٨ ـ ظهر لى اختلاف الخوارج فى حكم التقية والقعدة تحليلا وتحريما

٩ ـ بينت بالدراسة الوافية من واقع مواقف الخوارج وكلامهم غلوهم الشديد فى الحكم على مخالفيهم عموما ومخالفتهم فى ذلك لهدى الاسلام .

١٠ـ انتهيت الى رفض أقوال المكفرين للخوارج مطلقا وكذلك أقوال المكتفين بتفسيقهم أو تبرئتهم مطلقا ورأيت أنهم جميعا لا يشملهم حكم واحد بل يختلفون في ذلك باختلاف فرقهم ومدى قرب آرائهم أو بعدها عن الدين ومدى اعتدال بعضهم في موقفهم من المسلمين .

هذا وبالله التوفيق "

قائمـــة بأسـماء المـراجـع

ا- القرآن الكريـــم

أيام العرب فى الاسلام تأليف محمد أبو الفضل ابراهيم ٠
على محمد البجـاوى ط ٣ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م دار احياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشـركاه ٠

الاعتصـام للعلامة ابى اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبى
نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

قطعة من كتاب فى الاديان والفرق لمؤلف أباضى مجهول الاسم
مخطوط بخط مغربى فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٩٨ب)

أبانة المناهج فى نصيحة الخوارج تأليف القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام
مخطوط بدار الكتب المصرية ٠

الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والحديث٠
تأليف على يحيى معمر الطبعة الاولى جمادى الاولى ١٣٩٦ مايو ٧٦م
مطابع سجل العرب ٩ عماد الدين بستان الدكة الناشر مكتبة وهبة : القاهرة ٠

الاباضية فى موكب التاريخ (حلقات) تأليف على يحيى معمر الطبعة الاولى
جمادى الثانى ١٣٨٤هـ أكتوبر ٩٦٤م مطابع دار الكتاب العربى بمصـر
الناشر مكتبة وهبـة بالقاهرة) ٠

أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام الخوارج والشيعة
تأليف يوليوس فلهوزون ترجمه عن الالمانية الدكتور/ عبد الرحمن بدوى
الطبعة الثانية آيار ١٩٧٦م الناشر وكالة المطبوعات ٢٧شارع فهد السالم
الكويـت ٠

أجوبة بن خلفون : تأليف ابى يعقوب يوسف بن خلفون المزاتى
تحقيق وتعليق الدكتور عمرو خليفة النامى دار الفتح للطباعة والنشر
بيروت الطبعة الاولى ١٣٩٤هـ ـــ ١٩٧٤م

آراء الخوارج : تأليف د. عمار الطالبى الناشر المكتب المصرى الحديث (الاسكندرية بمصر).

أساس البلاغة : تأليف أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ط ٢ مطبعة دار الكتب ٧٢م

الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلى ط ٣

كتاب الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية تأليف سليمان بن الشيخ عبد الله البارونى النفوسى مطبعة الازهار البارونية.

ابن جلا : تأليف مختار صبرى، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها الفجالة القاهرة

الايمان : تأليف شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية المكتب الاسلامى ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : تأليف ابى عبد الله محمد بن أبى بكر القيم ٦٩١ ـ ٧٥١هـ ط ٢ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م دار المعرفة بيروت

أهم الفرق الاسلامية : تأليف محمد الطاهر النيفر نشر الشركة التونسية ١٩٧٤م.

أصول الدين : تأليف عبد القاهر البغدادى المتوفى ٤٢٩ ط١ طبعة مدرسة الالهيات بدار الفنون التركية باستانبول مطبعة الدولة ١٣٤٦ـ١٩٢٨م.

أهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية بقلم الدكتور البيرنصرى نادر دار المطبعة الكاثوليكية بيروت

الابانة عن أصول الديانة تأليف : ابى الحسن على بن اسماعيل بن اسحق الاشعرى المتوفى سنة بضع وعشرين وثلثمائة (الناشر المكتبة السلفية).

الاسلام والحضارة العربية : تأليف محمد كرد على الطبعة ٣ ١٩٦٨م القاهرة.

ب ـ البحرين فى صدر الاسلام وأثرها فى حركة الخوارج تأليف عبد الرحمن بن عبد الكريم النجم دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية بغداد ٧٣م٠

البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقى المتوفى ٧٧٤هـ ط٠ ١ سنة ١٩٦٦م٠ مكتبة المعارف (بيروت)

بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية بتعليق محمد عبد الرحمن قاسم ط ١ مطبعة الحكومة مكة المكرمة ١٣٩٢هـ٠

ج ـ الجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن حبيب ابن عمر الازدى البصرى من آخر علماء قرن البعثة الطبعة ٣ القدس سنة ١٣٨١هـ٠ مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية٠

جامع البيان عن تأويل القرآن تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ ط ٣ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م مطبعة مصطفى البابى٠

د ـ دائرة المعارف الاسلامية الطبعة ٢ سنة ١٣٥٣هـ
أصدره باللغة العربية أحمد الشنتاوى/ ابراهيم زكى خورشيد / عبد الحميد يونس / حافظ جلال

الدليل لأهل العقول ، لباغى السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق للشيخ أبى يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى٠

كتاب دائرة المعارف تأليف البستانى مؤسسة مطبوعاتى اسماعيليان تهران ناصر خسرو باشار مجيدى٠

الدر المنثور فى التفسير بالمأثور تأليف الامام الحافظ جلال الدين السيوطى ٨٤٩ـ٩١١ هـ بيروت٠

دليل الخليج ـ القسم التاريخى ـ تأليف ج ٠ ج ٠ لوريمر طبعة جديدة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر٠

دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ـ١٩١٤م تأليف الدكتور جمال زكريا قاسم دار البحوث العلمية الكويت الطبعة الثانية ١٩٧٤م٠

كتاب الدعائم تأليف الشيخ أبو بكر أحمد بن النظر العماني
جدد طبعه عام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م
درء تعارض العقل والنقل تأليف ابن تيمية مطبعة دار الكتب ١٩٧١

(و) وفاء الضمانة بأداء الامانة للامام محمد بن يوسف الميزابي المغربي الاباضي
مطبعة الازهار البارونية سنة ١٣٢٦هـ.

وقعه صفين تأليف نصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة ٢١٢ تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون ط ٢ سنة ١٣٨٢هـ مطبعة المدني.

(ح) الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد تأليف العلامة الشيخ الحاج
محمد بن الحاج يوسف بن عيسى العزابي الاباضي (مخطوط).

حادى الارواح الى بلاد الافراح ابن قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ المتوفى
سنة ٧٥١هـ دار الكتب العلمية بيروت.

الحسنة والسيئة تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية بتحقيق وتقديم محمد جميل
أحمد غازى مطابع المدني.

(ط) الطرماح بن حكيم الطائي تأليف الاستاذ عزى الصالحي مطبعة الاقتصاد
(بغداد)

طريق الهجرتين وباب السعادتين تأليف الامام شمس الدين محمد بن أبي
بكر ابن القيم ٦٩١ ـ ٧٥١ المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٧٦هـ

(ك) الكامل في التاريخ تأليف الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن على ابن أبي الكرم
محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير
(دار صادر ـ دار بيروت) للطباعة والنشر) بيروت ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥م.

كشف الغمة الجامع لاخبار الامة لمؤلف أباضي مجهول الاسم تصوير دار الكتب
المصرية تحت رقم (١٢٩٦٨ خ) مخطوط.

الكامل في اللغة والادب للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوى المتوفى ٢٨٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

(ل)

لسان العرب للامام أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بيروت ١٣٧٤هـ

اللمعة المرضية من أشعة الاباضية للعلامة الشيخ عبد الله بن حميد السالمى
المطبعة العربية الجزائرية نوفمبر ١٩٦٨م

كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع للامام أبى الحسن الاشعرى
المتوفى سنة ٣٣٠هـ مطبعة مصر ١٩٥٥م (القاهرة)

اللآلئ البهية فى شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية
تأليف أحمد بن عبد الله المرداوى الحنبلى ط ١ مؤسسة النور للطباعة (الرياض)

لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد تأليف الامام موفق الدين عبد الله بن احمد
بن قدامة المقدسى ٥٤١ـ٦٢٠ المطبعة السلفية بالقاهرة. ط ١ سنة ١٣٧٠.

(م)

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين تأليف الامام أبى الحسن على بن اسماعيل
الاشعرى المتوفى ٣٣٠هـ (بتحقيق (محمد محيى الدين عبد الحميد) الطبعة
الثانية (مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

الملل والنحل تأليف أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى مطبعة مصطفى
البابى بمصر (بتحقيق محمد سيد كيلانى)

المنجد الابجدى تأليف لويس معلوف اليسوعى ط ١٢ بيروت ١٩٥١

متن النونية فى عقيدة التوحيد لناظمها العلامة الشيخ ابن نصر فتح بن نوح النفوسى
طبعة سنة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م المطبعة العربية فى الجزائر.

مقدمة التوحيد : تأليف أبو حفص عمرو بن جميع ط ١ مطبعة الفجالة ١٣٧٣هـ ٥٣م

محيط المحيط تأليف بطرس البستانى

معجم متن اللغة للعلامة أحمد رضا دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى سنة ٧٧هـ مطبعة مصطفى البابى بمصر.

المعجم الوسيط : قام باخراجه ابراهيم مصطفى / أحمد حسن الزيات حامد عبد القادر / محمد على النجار / مطبعة مصر ١٣٨٠هـ باشراف عبد السلام هارون.

مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية تأليف الشيخ بدر الدين أبى عبد الله محمد بن على الحنبلى البعلى المتوفى سنة ٧٧٧هـ. طبع سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

المختار من صحاح اللغة تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكى مطبعة الاستقامة القاهرة.

منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية تأليف شيخ الاسلام أبى العباس أحمد بن تيمية الحرانى الحنبلى المتوفى ٧٢٨هـ ط ١ المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢١هـ.

مروج الذهب ومعادن الجوهر تأليف ابى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط٥ سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للعلامة ابن القيم الجوزية اختصره الشيخ الموصلى مطبعة الامام ١٣ شارع قرقول المنشية بالقلعة بمصر

مختصر الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية تأليف عبد العزيز المحمد السلمان ط ١

مدارج الكمال نظم مختصر الخصال لناظمه عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى المتوفى فى ٥ ربيع الأول ١٣٣٢هـ مطابع دار الكتاب العربى (القاهرة)

مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ط ١ ١٣٨١هـ (مطابع الرياض)

مجموعة الرسائل الكبرى الطبعة الأولى (١٣٢٣هـ) (بمصر) تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية.

(ن)

كتاب النيل وشفاء العليل تأليف الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني المتوفى سنة ١٢٢٣هـ الطبعة ٢ سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام تصنيف الشيخ الامام العالم عبد الكريم الشهرستاني بتصحيح الفرد جيوم .

(س)

سنن أبي داوود للامام الحافظ أبو داوود سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدي السجستاني بتعليق الاستاذ أحمد سعد علي ط١ سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل المطبعة السلفية ـ مكة المكرمة ١٣٤٩هـ .

(ع)

كتاب العقد الفريد تأليف ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م الطبعة الثانية .

العقيدة والشريعة في الاسلام ، أجناس جولدزيهر ترجمة الدكاترة / محمد يوسف موسى ، علي حسين عبد القادر ، عبد العزيز عبد الحق الطبعة الثانية (الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد) مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

عمان تاريخ يتكلم تأليف محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف المطبعة العمومية دمشق عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣م .

العقود الفضية في أصول الاباضية تأليف سالم بن حمد ابن سليمان بن حميد الحارثي العماني الاباضي دار اليقظة العربية (في سوريا ولبنان)

(ف)

الفرق بين الفرق تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ١٠٣٧ (بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) مطبعة المدني ٦٨ شارع العباسية بالقاهرة .

...

كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل تصنيف الامام ابى محمد على بن حزم الاندلسى الظاهرى المتوفى ٤٥٦هـ.

فاكهة البستان : تأليف الشيخ عبد الله البستانى اللبنانى المطبعة الامريكية بيروت ١٩٣٠م.

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير تأليف محمد بن على الشوكانى المتوفى بصنعاء ١٢٥٠هـ الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م مطبعة الحلبى. خلفاء القاهرة.

فتح البارى بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى للامام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٧٧٣ـ٨٥٢ المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة بالقاهرة.

الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم المتوفى ٧٢٨ مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة ١٣٢٩هـ

فجر الاسلام تأليف أحمد أمين ط ١١ ١٩٧٥ مكتبة النهضة المصرية

الفتوى الحموية الكبرى تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ

(ص)

صحيح البخارى مصور عن طبعة استانبول دار الفكر

صحيح مسلم مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالازهر

(ق)

القاموس الاسلامى وضع أحمد عطية الله المطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ القاهرة

كتاب قواعد الاسلام للامام أبى طاهر اسماعيل موسى الجيطالى المتوفى سنة ٧٥٠هـ ط ١ سنة ١٩٧٦ المطبعة العربية

القصيدة النونية تأليف ابى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب المعروف بابن القيم التى سماها (الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية) دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان

القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى
الطبعة ٢ سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م مطبعة مصطفى البابى الحلبى

قصة الديانات : تأليف سليمان مظهر (دار الوطن العربى)

(ر)

رسالة فى افتراق الفرق الاسلامية الى ثلاث وسبعين فرقة مخطوطه بدار الكتب
الكتب المصرية ضمن مجموعة ٢٧٠ من ص ٢٩٨ الى ٣٠٦ لمؤلف مجهول .

رسالة فى فرق الشيعة والخوارج وتكفير غلاتهم تأليف محى الدين الدبسى
مخطوطه بدار الكتب المصرية الف سنة ١٣١١هـ .

الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية

الرائد تأليف جبران مسعود ط ١ بيروت سنة ١٩٦٤م .

(ش)

شعراء الخوارج تحقيق الدكتور احسان عباس الاستاذ المشارك بالجامعة الامريكية
بيروت دار الثقافة .

شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار احياء الكتب العربية ط ٢ سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م

شرح الطحاوى فى العقيدة السلفية تأليف القاضى على بن على الحنفى
٧٣١ـ٧٩٢هـ تحقيق أحمد محمد شاكر مكتبة الرياض الحديثة

شرح النووى على صحيح مسلم للامام محى الدين يحى بن شرف النووى
المطبعة المصرية ومكتبتها

شرح الاصول الخمسة تأليف عبد الجبار بن احمد المتوفى ٤١٥هـ بتعليق أحمد بن
الحسينى بن ابى هاشم الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة ١ سنة ١٣٨٤هـ ٦٥م

شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية دار الكتب الحديثة (القاهرة)

الشامل : تأليف ابى اسحاق الطفيشى .

(ت)

التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع تأليف أبى الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى ط ١ ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م مكتبة نشر الثقافة

تلبيس ابليس للحافظ الامام جمال الدين ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى البغدادى المتوفى ٥٩٧هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان)

تلقين الصبيان ما يلزم الانسان تأليف العلامة نور الدين عبد الله بن حميد السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢هـ الطبعة ٩ سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م المطبعة المصرية الكويت

التبصير فى الدين للامام أبو المظفر الاسفرايني طبعة ١٩٥٥م

ت تاريخ الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر.

تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدى ط ١ سنة ١٣٠٦ هـ المطبعة الخيرية

تهذيب اللغة لابى منصور محمد بن أحمد الازهرى ٢٨٢هـ ـ ٣٧٠هـ تحقيق الاستاذ أحمد عبد الحليم البردونى ومراجعة الاستاذ على محمد البجاوى

تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون تأليف عمرو فروخ (دار العلم للملايين) بيروت ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

التفكير الفلسفى فى الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ط٣ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م

تاريخ المذاهب الاسلامية تأليف الشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربى مطبعة السعادة.

التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية (شركة المدينة للطباعة جدة ١٣٨٨هـ)

(خ) الخوارج : الاصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم د ٠مصطفى حلمى الطبعـة الأولى مطبعة التقدم ربيع الاول ١٣٩٧هـ ـنه مارس١٩٧٧م٠

الخوارج فى المغرب الاسلامى للدكتور/ محمود اسماعيل طبع سنة ١٩٧٦م٠

(ض) ضحى الاسـلام تأليف الاستاذ أحمد أمين ط ٨ مكتبة النهضة المصرية

(غ) غاية المراد فى نظم الاعتقاد تأليف العلامة نور الدين السالمى العمانى بتعليق أبو راس عبد الله بن محمد الكاملى ١٣٧١ــ١٩٥١م المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة٠

الفهـــــــــــرس

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـــة